

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر -02- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

المسألة السومرية في منظور الأبحاث
التاريخية والدراسات الأثرية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في تخصص التاريخ القديم

إعداد الطالب: **يامون عمر**
إشراف الأستاذة الدكتورة: **مقدم بنت النبي**

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
بلقاسم رحمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر -02-	رئيسا
بنت النبي مقدم	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر -02-	مشرفا ومقررا
ليلي بومريش	أستاذة التعليم العالي	جامعة الجزائر -02-	عضوا مناقشا
فطومـة أشلاف	أستاذة محاضرة -أ-	جامعة الجزائر -02-	عضوا مناقشا
جميلة خالفي	أستاذة محاضرة -أ-	جامعة خميس مليانة	عضوا مناقشا
حميدة نشنش	أستاذة محاضرة -أ-	المدرسة العليا للأستاذة-بوزريعة-	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ / 2021-2022م.

Peoples Democratic republic of Algeria
Ministry for Higher Education and Scientific Research
University of Algiers 02- Abu al Qassim Saad Alah
Faculty of Humanities
Department of History

***Sumerian issue in Perspective of
Historical Research and
Archaeological Studies***

A Thesis submitted for obtaining a Doctorate of Science in field of Ancient History

Student preparation

Yamoune omar

Supervision of Professor Dr

Moqadem Bentnabi

Discussion Committee

Name and Surname	Scientific Rank	Original University	Assigned Tasks
Belkacem Rahmani	Professor of higher Education	University of Algiers 02	Prisident
Bentnabi Moqadem	Professor of higher Education	University of Algiers 02	Supervisor and Rapporteur
Leila Boumriche	Professor of higher Education	University of Algiers 02	Discussion Member
Fatouma Achlaf	Professor Lecture A	University of Algiers 02	Discussion Member
Djamila Khalfi	Professor Lecture A	University of Khmis Miliana	Discussion Member
Hamida Nachnach	Professor Lecture A	Higher School of Teachers of bouzareah	Discussion Member

University Year/ 1442-1443 / 2021-2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من دُلل لي الصعاب
وعبد لي طريق الفلاح إلى سُندي وقُدوتي في الحياة
إليك يا من أفنيت ربيع عمرك في سبيل تربيّتي أبي
"طاهر" أغلى ما عندي في الوجود حفظه الله وأطال عمره
إلى نبع الحنان إلى مثال الحب والأمومة الحقّة
إلى شعلتي في هذه الدنيا إلى أحلى هبة
من الرحمن إلى "أمي" الغالية حفظها الله وأطال عمرها
إلى زوجتي الغالية ورفيقة دربي التي لطالما وقفت
إلى جانبي في السراء والضراء
إلى ابنتي الحبيبة ونور مقلتي "وجدان"
إلى شموع الحياة إخوتي ومصابيح السماء أخواتي:
سمير، محمد، أمين، سميرة وأمال.
إلى براعم العائلة: ملاك، أمير، عبد الرحمن، سيرين ومروة،
إلى كل الأهل والأصدقاء والأحباء.

أهدي هذا العمل

شكر وعرفان

الشكر أولاً للحق سبحانه عز وجل الذي ألهمني اختيار هذا الموضوع وأمدني

بالعون حتى أخرجته إلى حيز الوجود

أزجي خالص شكري وتقديري وعرفاني

إلى أستاذتي الدكتورة الفاضلة " بنت النبي مقدم "

التي أشرفت على دراستي فنهلت من علمها ونصائحها

وإرشاداتها القيمة، فأحاطت دراستي باهتمامها الكبير

دون كلل أو ملل، فكان لتوجيهاتها الأثر المحمود في إنجاز هذا البحث.

ولا أغفل بالذكر الأستاذ المحترم " بلقاسم رحمانى " الذي كان له الفضل في إرشادي.

كما لا أنسى توجيه الشكر إلى كل الأساتذة الزملاء الذين قدموا لي النصيحة طيلة فترة البحث

وأخص بالذكر الزميل والأخ " الطيب زين العابدين ".
كما أتقدم بأسمى عبارات الاحترام والتقدير والثناء للجنة المناقشة لقبولها إثراء هذا الموضوع

وتشمين محتواه.

وأشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد لإتمام عملي هذا، ليكون بإذن الله عز وجل

إضافة لمكتبة وطننا الحبيب.

* وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة الدين والعلم، ولصالح البلاد

والعباد إنه سميع مجيب *

عمر يامون

حقك حقة

تعد الحقبة السومرية من أرقى الفترات التي مرت بها الحضارة الرافدية القديمة، ويعتبر السومريون أول صناع مبادئ المدنية في منطقة الشرق الأدنى القديم قياساً على شروط قيام الحضارة المتعارف عليها بين جمهور المؤرخين، ونظراً للدور الريادي لتلك الحضارة إلا أن أصول صانعيها مجهولة ومغيبة، كما طغت على جذورها وأصولها الفعلية الفرضيات والطروحات المختلفة والمتناحرة، وهو الأمر الذي كون على الصعيد الخاص بالبحث التاريخي الحضاري والأثري مسألة غاية في التعقيد اصطلح عليها اسم "المسألة السومرية".

ونظراً لأهمية الموضوع بالنسبة للبحث العلمي الأكاديمي، اخترت الولوج إلى مقتضيات هذا البحث الشائك والمتشابك في طبيعة طرحه والذي يتمحور حول: "المسألة السومرية في منظور الأبحاث التاريخية والدراسات الأثرية"؛ ويرجع أساس الفكرة التي انبثقت منها هذه الدراسة لطبيعة المعلومات التاريخية والأثرية الواردة ضمن المصادر والتقارير الميدانية، وكان هدف هذا الانبعاث هو محاولة فك بعضاً من التعتيم حول تاريخ منطقة بلاد الرافدين وإمالة اللثام عن بعض الحقائق المتعلقة بتاريخها وبالأخص تاريخ الحضارة السومرية والتي تمثل مرحلة النمو الفكري على جميع الأصعدة.

*الإطار الزمني والمكاني لموضوع الدراسة:

من هذا المنطلق يندرج الإطار الزمني لهذه الدراسة ضمنياً مع بداية الفترة السومرية أي من مرحلة الظهور (الأصول) في حدود 4000 أو 3500 ق.م، إلى غاية مرحلة الإمبراطورية السومرية في حدود 2004 ق.م، وذلك بغرض الاعتماد على الأدلة الأثرية والكتابية التي تعالج مسألة الأصول خلال هذه الفترة؛ كما يجدر بنا التنويه إلى أن طبيعة الموضوع القائمة على طرح النظريات ودراسة التقارير تفتح المجال الزمني وتجعله متغيراً، وهو ما يحتم علينا الانتقال عبر فترات زمنية مختلفة حسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع تبعاً للكشوف الأثرية السالفة والحديثة.

كما أن هذه الدراسة نظرية وفكرية وبالتالي ليس الهدف منها إخضاعها لعنصر الزمن بقدر ما يكون الغرض منها إيجاد حل لمسألة الأصول العالقة، وستظل الغاية من التطرق لها هو حصر هذه المسألة ضمن فترات متعاقبة من البحث المتواصل والمتكامل لبلوغ الهدف المبتغى وهو التعرف على الأصول السومرية، أما عن الإطار المكاني الذي يخص الدراسة فهو منطقة بلاد الرافدين القديمة وبالتحديد بلاد سومر المنطقة محل الدراسة.

*دوافع اختيار الموضوع:

إن من بين الأمور الأساسية التي يفخر بها الباحث هي حبه لميدان بحثه وبالأساس لموضوع بحثه الذي يعد خطوة هامة لتحقيق أهدافه المسطرة.

من هنا ترجع أسباب اختيارنا للموضوع إلى أسباب ذاتية وموضوعية، تكمن الأولى في كون أن هذا البحث قد جذب انتباهي بشكل كبير وأثار فضولي وشغفي العلمي، وغالباً ما يلعب الفضول الدور الرئيسي في دفعنا للكشف عن الغموض الذي يلف المواضيع المثيرة للجدل، إضافة إلى أنه يمنح رغبة ملحة لبلوغ أهداف مميزة والوصول لنتائج واقعية من معطيات وأحداث متشابكة، خاصة وأن المسألة السومرية لا تزال موضوعاً مطروحاً للنقاش على الساحة العلمية؛ إضافة لرغبتني بالمساهمة في تقريب وجهات النظر الناتجة عن النظريات والدراسات الميدانية المتعلقة بمشكلة التأصيل الحضاري وأصول السومريين بعد اطلاعي على حيثيات الموضوع التي أثارت لدي الكثير من التساؤلات وحب الاطلاع والتعرف على تاريخ منطقة لطالما أحببتها ورغبت بالتعرف والتعمق في تاريخها وكل ما يتعلق بهويتها وأصول حضارتها التي أبهرت العالم بمخلفاتها في شتى الميادين؛ أما الأسباب الموضوعية فيمكنني تلخيصها في الآتي:

✓ **طبيعة الوضع السياسي** الذي شهده العراق خاصة بعد احتلاله من طرف الولايات المتحدة الأمريكية عام 2003م، والذي تبعته عمليات سلب ونهب للآثار العريقة التي تحتويها المنطقة ولعل أهمها ما احتواه المتحف الوطني العراقي" وتعد هذه العملية الثانية من نوعها في هذا المجال بعد ما نهبت آثاره عمليات التنقيب الأثري خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث

عملت القوى الكبرى على طمس الهوية الحضارية للمنطقة عبر جميع حقبة التاريخ وحتى فترات ما قبل التاريخ، وهو الأمر الذي فتح المجال لبروز مراكز بحث عراقية تسعى جاهدة للحفاظ على موروثةا وبصمتها الحضارية.

✓ إثبات محاولة تغيير بعض الحقائق المتعلقة بتاريخ بلاد الرافدين، حيث شهدت مناطقه تعدد الدراسات المحلية والغربية، والدراسات الأولية المتخصصة ظاهرياً، وكذا دراسات ذات طابع أيديولوجي وليدة الفكر الغربي، الغرض منها تغييب دور العنصر السامي في بناء الحضارة الرافدية ونسب تلك الإنجازات إلى عنصر بشري مجهول الأصل والهوية، وهو ما دفع الباحثين الراغبين بالقيام بدراسات موضوعية التصدي والرد على الدراسات المشككة لهوية العنصر البشري للمنطقة بأدلة علمية تاريخية وأثرية تحدد الخلفية الحضارية لحضارة عريقة منحت الإنسانية أرقى المعايير اللازمة لبناء صرح المدنية.

إذ يعتبر هذا الموضوع من الموضوعات المهمة والحساسة في آن واحد من تاريخ منطقة بلاد الرافدين، كما لا يزال جزء كبير من هذا البحث قيد الدراسة وذلك للصعوبة الكبيرة التي يتسم بها حيث تتداخل فيه الكثير من التخصصات، التوجهات، المدارس وحتى المعايير المتبعة، وقد خصصت لهذا البحث العديد من الملتقيات والندوات العلمية لأشهر الباحثين في علم الآثار والتاريخ من داخل وخارج البلاد وذلك لجمع المعطيات وترتيبها ضمن حقول علمية متوازنة لإعطاء هذه المسألة بعداً دقيقاً، وكانت خلاصة تلك الملتقيات في أغلبها ترمي إما لأسبقية أحد العنصرين السامي أو السومري عن الآخر أو تشاركهما في بناء الصرح الحضاري للمنطقة، لكن تلك النتائج بقيت رهينة المعطيات المتواضعة المتحصل عليها من مختلف الدراسات الميدانية والنظرية خاصة ومع توقف التنقيبات الأثرية مع نهاية القرن العشرين إلى يومنا هذا.

سبق دراستي لهذا الموضوع العديد من الدراسات الجادة التي بحثت في أصول صناع الحضارة الرافدية وتأتي في مقدمتها دراسة "نائل حنون" حول "حقيقة السومريين"، وبذلك تكون دراستنا خطوة إضافية وإسهاماً في تكثيف معارفنا المتعلقة بالجوانب الفكرية والتأصيلية للفرد الرافدي،

وتأكيداً على أن المنطقة كانت بوتقة حضارية وملتقى للعديد من الأجناس البشرية الأصلية والوافدة، التي تفاعلت مع بعضها وأنتجت مبادئ الحضارة الأولى.

وإلى جانب كل هذا فالموضوع يتطلب معرفة واسعة وإلماماً بكل جوانبه النظرية والتطبيقية الميدانية ومدى التطابق بينهما، والغرض من ذلك معرفة الإشكالية الفعلية وراء البحث عن الأصول السومرية، وأن حقيقتها الفعلية تتمثل في إخفاء حقائق أكثر خطورة وواقعية من المسألة الموضوعية محل النقاش، وأن الصراع الحضاري بين الشرق والغرب بخباياه قد كان له صدى في تفجير مسائل عالقة كالتى يطلق عليها في التاريخ اسم المسألة الشرقية، وهي عملية إسقاط نوعية لطالما عمل الغرب على تفعيل محتواها خدمة لأغراضه الاستراتيجية المتنوعة.

* الإشكاليات المتعلقة بالموضوع:

تمحورت إشكالية الموضوع الأساسية حول الأصول الفعلية للعنصر السومري وهو الأمر الذي يدفعنا للتساؤل عن هوية هذه الأصول وهل يمكن الاكتفاء فقط بالشواهد الأثرية لتحديد نسلهم الفعلي أم ستبقى مشكلتهم قضية مفتوحة وغير قابلة للحل؟ وهل تعتبر هذه المسألة مجرد مشكلة بحثية مفتعلة لحجب الحقيقة الفعلية لأصول الحضارة الرافدية أم أنها حقيقة مسألة عالقة تستدعي حلولاً علمية للتعرف على خباياها؟، ومن البديهي أن تتفرع عنها مجموعة أسئلة جزئية، حددتها وفقاً لمسار الموضوع، وفي إطار ما ينبغي البحث عنه، ومن أهمها:

- 1- هل يمكن للباحثين المتخصصين إثبات حقيقة الأصل السومري بالاعتماد فقط على النظريات والدراسات المقارنة أم عن طريق الدراسات الأثرية لوحدها؟ أو عن طريق الجمع بين العمليتين لتحقيق مبدأ التكامل المنهجي؟.
- 2- من هم أهم الباحثين الذين تناولوا هذه المسألة؟ وما هي المعايير الرئيسية التي اعتمدوا عليها لبلوغ نتائج منطقية؟ وهل صادقت المدارس التطبيقية على نظرياتهم المطروحة؟ وإلى أي مدى يمكن الحكم على صحتها؟.

3- ما هي أهم العراقيل التي صادفها الباحثون والتي لم تسمح لهم ببلوغ مرادهم؟ أهى في الواقع عراقيل منهجية تتعلق بكيفية البحث أم هي عراقيل ميدانية تكمن في صعوبة مطابقة النظريات مع الواقع)؟.

4- ما علاقة الأصل السومري بالنسب السامي؟ وما هي الخصائص التي تجمعهما؟ وهل المسألة المطروحة والغير محلولة مرتبطة بهذا العنصر السامي؟.

5- كيف يمكن تفسير تأكيد بعض الباحثين أن السومرية مجرد ظاهرة لغوية وكتابية فقط مع العلم أنه لا وجود للغة معينة مضبوطة دون توفر أصل معين؟ وهل هذا الطرح مثمر أم أنه مجرد طمس للهوية السومرية، أي وجود مدارس معادية للإنتاج الحضاري السومري؟.

*المنهجية المتبعة في دراسة الموضوع:

لإنجاز هذه الدراسة اعتمدت المنهج "التاريخي - الوصفي" وذلك للإلمام بالجوانب الموضوعية ضمن مجالها التاريخي المحدد لها وذلك من خلال الاطلاع على العديد من القراءات والدراسات المتخصصة حول مسألة أصول الحضارة الرافدية، وهذا حتى نتمكن من تكوين صورة واضحة حول منطقية استيطان السهل الرسوبي الجنوبي وانطلاق الحضارة الرافدية من ربوعه، ودعما لهذا المنهج اعتمدت كذلك على المنهج " التحليلي " عبر طول فترات البحث وذلك من خلال تحليل بعض الآراء والطروحات المتعلقة بالأصول السومرية والتعقيب على الكثير منها ضمن إطار نقدي علمي، كما استعنت بالمنهج الاستقرائي المقارن لقراءة النتائج والتمحيص فيها والمقارنة بينها.

* الخطة المعتمدة في الدراسة:

في سبيل بناء موضوع واضح المعالم ومتكامل الجوانب ارتأيت تقسيم خطة الموضوع إلى مقدمة، مدخل وأربعة فصول وخاتمة، وذلك بحسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع وتوفره لنا المادة العلمية.

تناولت في المدخل قضية التأصيل الحضاري وإشكالية الأصول، وقد تضمن إحاطة عامة لإشكالية انطلاق الحضارة، وعالجت من خلاله مختلف الطروحات التي أتى بها كبار الباحثين والمنظرين في ميدان التاريخ القديم حول صياغة مبادئ المدنية الرافدية، كما حددت فيه القرائن

الكتابية والأثرية التي قامت على أسسها صراعات علمية وحتى سياسية لإثبات العنصر الأكثر تأثيراً في هذه الحضارة ومكونها بين ما هو سومري وما هو سامي، كما أشرت كذلك إلى دور العوامل الطبيعية والجغرافية في تهيئة الأرضية الخصبة لانطلاق هذه المدنية ذات التأثير بعيد المدى.

أما بخصوص الفصل الأول فعنوته ب **سومر** **والبدايات**، وقد تطرقت فيه إلى جملة من النقاط المهمة، وتأتي في طليعتها تحديدات تخص انطلاق الحضارة أو ما يطلق عليه اسم **البعث الحضاري**، وأشرت فيه إلى الخلفية التاريخية لبناء الحضارة الرافدية التي تتبعنا امتدادها إلى عصور ما قبل التاريخ، ورأيت أنه يتوجب البحث في تسمية **سومر** كمصطلح تاريخي يمكن من خلال تتبع معناه إيجاد صلته بالأصل السومري، كما حاولت تتبع التسلسل التاريخي للسومريين باعتماد قائمة الملوك السومرية.

في حين ركزت في الفصل الثاني على **نظريات الأصول السومرية**، حيث تناولت مختلف النظريات المطروحة للنقاش بالساحة العلمية، والتي تعالج في محتواها طروحات وفرضيات جادة حول نسبة السومريين لأصول معينة وذلك بالاعتماد على مجموعة من الشواهد إما أثرية أو كتابية وحتى بالجمع بين الجانبين في نفس الوقت، كما عالجت من خلال هذا الفصل بعض عناصر الموضوع التي تستدعي النقد وحتى التوقف عندها للنظر في طبيعة طرحها والهدف منها.

وتطرقت في الفصل الثالث **للدراستات التطبيقية والأصول السومرية**، وقد حاولت فيه استعراض دور الدراستات التطبيقية في إعطاء حلول تقريبية لأصول السومرية عن طريق بحوث جادة، حيث أن الدراستات الأثرية كان لها الأثر الفعال في الكشف عن جميع ما تحتويه أرض الرافدين من بصمات صنعها السومريون والتي من خلالها يمكننا تتبع تاريخ المنطقة، كما حاولنا في هذا الفصل الرجوع للدراستات **الأنثروبولوجية والجينية والدراستات اللغوية**.

أما الفصل الرابع فخصصته **لمقارنة المعطيات النظرية والدراستات التطبيقية**، واستعرضت من خلاله مجمل أوجه المقارنة بين النتائج المتوافقة للنظريات والدراستات التطبيقية، وعملت على

استخراج النتائج المتعلقة بالدراسات القديمة والحديثة، كما حاولت مقارنة نتائج الدراسات المحلية والدراسات الغربية.

*المصادر والمراجع المعتمدة في دراسة الموضوع:

يستلزم إنجاز موضوع البحث قراءة واستنباط معطيات المصادر الكتابية والأثرية حول الموضوع، وحتى بعض الدراسات التاريخية التي حاولت أو سبقتنا في الإشارة إليه، ولهذا اعتمدت على بعض المصادر الكتابية، ومن أهمها:

العهد القديم: الذي يعتبر مصدرا دينيا-إخباريا بالغ الأهمية في دراسة وتتبع بعض الأحداث المتعلقة بمنطقة بلاد الرافدين، حيث يحتوي الكثير من النصوص التي يمكننا توظيف محتواها في الموضوع وذلك من خلال تحليل الإشارات الواردة فيه حول سهل شنعار موطن الحضارة الرافدية الأول، أضف إلى ذلك معلومات عن بعض ملوك المنطقة كمنرود، وذكر أحداث مهمة تتعلق بمدينة بابل الأسطورية. فقد كان استعماله ضمن أطروحتي بشكل محدود نظرا لطبيعة الموضوع المعالج.

كما اعتمدت على مجموعة من المراجع بالغة الأهمية والتي تناولت جوانب هذه المسألة بنوع من التفصيل، نذكر منها كتابات أبناء المنطقة من المؤرخين العراقيين، وفي طليعتها نذكر ما يلي:

كتاب المؤرخ العراقي "طه باقر" المعنون بـ "مقدمة في تاريخ الحضارات"، حيث أفادني هذا المؤلف بالكثير من المعلومات القيمة في دراستي، وذلك من خلال تقديم سلم كرونولوجي لتاريخ بلاد الرافدين بالاعتماد على الشواهد المادية، حيث رتب المراحل الخاصة بها بشكل موضوعي، وحاول كذلك تجاوز حلقات الفراغ الوارد ذكرها عند الكثير من الباحثين المحليين والأجانب على حد سواء.

كتاب المؤرخ "نائل حنون" والموسوم بعنوان "حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية"، الذي يعد دراسة قيمة أحدثت ضجة على الساحة العلمية، حيث استفدت منه من خلال طرح أفكار هذا المؤرخ حول مسألة وجودية العنصر السومري والتي نفى وجودها على الساحة العلمية، وقارنت محتواها مع ما جاء في مؤلفات أخرى حول مرجعية الأصل السومري،

فإفادتي كانت في عرض رأي مناقض للبحوث السابقة، وهو الأمر الذي ساعدني على طرح تساؤلات جديدة حول طبيعة هذه المسألة.

كتاب المؤرخ "خزعل الماجدي" والمسمى بـ "متون سومر (التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)"، ساعدني محتوى هذا الكتاب في التعرف على الكثير من الجوانب الحضارية للسومريين، وبالخصوص في كيفية الربط بين الجانبين التاريخي أي الأصول الخاصة بهذا العنصر والجانب العقائدي -الديني، وذلك يبرز من خلال تتبع أصول السومريين عن طريق استعراض قصائد ونصوص ذات طابع ديني أسطوري والتي تعود أصولها إلى الفترات المبكرة من عمر الحضارة السومرية كأسطورة الخلق الخاصة بالآلهة والإنسان والطبيعة.

كتاب المؤرخ وعالم السومريات "صمويل نوح كريمر Samuel Noah Kramer" والذي يحمل عنوان "من ألواح سومر"، ومحتوى هذا المؤلف بالغ الأهمية بما كان، كونه يعالج بالدراسة المفصلة مسألة النضج الحضاري السومري المبكر، والذي خلق أسس الكثير من الأطر الحضارية الأولية، والتي اعتبرها جل الباحثين بالإجماع على أنها ركائز الأنظمة السائدة حالياً، على أن الفكرة التي ناقشها أحادية المبدأ، والتي تنفي وجود إسهام حضاري سامي في المنطقة، مع تأكيد انفرادية العنصر السومري، وهو الأمر الذي دفعنا إلى البحث حول طبيعة الصياغة الحضارية للمنطقة.

كتاب عالم الآثار "سيتون لويد Siton Lloyd" والمعنون بـ "آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي"، وتكمن الفائدة العامة لهذا الكتاب أنني استفدت كثيراً من الطابع الأثري للمعلومات المعروضة من طرف الباحث، حيث مكنتني من تتبع مسيرة البحث الأثري في المنطقة واستنباط العديد من الشواهد المادية الخاصة بالعنصر السومري، خاصة ما يعنى بالدراسة الأنثروبولوجية ودراسة التماثيل.

كتاب المؤرخ العراقي "بهنام أبو صوف" والموسوم بـ "التاريخ من باطن الأرض (آثار وحضارات وأعمال ميدانية)"، قدم لي هذا المؤلف معلومات قيمة حول طبيعة عمليات التنقيب الأثري

في المنطقة، إضافة إلى استفادتي منه من خلال ربط المخلفات الأثرية الرافدية بمفهوم الخلفية الحضارية "للمنطقة محل الدراسة.

بالإضافة إلى هذه الكتب المرجعية ذات القيمة العلمية-الأكاديمية، فقد اعتمدت كذلك على عدد معتبر من المجالات العراقية الرائدة في مجال البحث التاريخي والأثري، وأخص بالذكر ما يلي:

*مجلة "سومر" (بعدة أعداد)، *آداب الرافدين"، *لارك"، *القادسية، *المؤرخ العربي، *مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، *المجلة العربية للثقافة، *جامعة تشرين للبحوث الدراسات العلمية، *الأكاديمي، *الأنبار، *آداب الكوفة.

أما من بين المراجع الأجنبية المهمة والتي اعتمدت عليها لاستنباط ما يتعلق بموضوع الدراسة ما يلي:

كتاب السومريون، تاريخهم، حضارتهم وخصائصهم "The Sumerians Their History Culture and Character" لمؤلفه صامويل نوح كريمر "Samuel Noah Kramer"، وكتاب سباتينو موسكاتي "Sabatino Moscati" عن الشرق قبل الإغريق (حضارات البحر المتوسط القديم) "L'Orient avant les Grecs (Les Civilisations de la Méditerranée antique)"، وكذلك مؤلف العراق القديم "Ancient Iraq" لمؤلفه جورج رو "Georges Roux".

نشير إلى أنه رغم محاولتنا حصر المسألة السومرية ضمن إطار تاريخي ومكاني ومنهجي تبعا لما تتطلبه طبيعة المشكلة المطروحة للنقاش، وتركيزنا على تبيان الجانب الإيجابي لهذه المسألة كمرجعية تاريخية، إلا أننا واجهنا بعض الصعوبات التي لا يمكن لأي بحث تاريخي أن يتخلص منها، ومما صعب علينا الدراسة نسبياً النقص الموجود في الدراسات المتعلقة بموضوع الأصل السومري في إطاره الأكاديمي وكونه قد عولج بشكل عام دون تحري الدقة والجدية في تناوله؛ كما أن قلة المادة الأثرية وانعدامها في الكثير من المراحل قد رهنت إلى حد بعيد إمكانية وضع تسلسل تاريخي دقيق للمنطقة، كما نضيف لقولنا أن غياب أو نقص التنسيق بين مختلف مجالات البحث وتعدد طرقه صعب مهمة حل هذا اللغز، وأدى إلى الخروج بنتائج مختلفة ومتضاربة في العديد من

المناسبات العلمية، ولعل هذه النتيجة الحتمية كانت رهينة اختلاف الباحثين وتعدد أماكن بحثهم والمعايير التي اتخذوها سبيلا لتحقيق ذلك.

مـدـخـل

التأصيل الحضاري وإشكالية الأصول

1. الإطار التاريخي لنشوء الحضارة السومرية.
2. الإطار الزمني لظهور السومريين.
3. البناء الحضاري الرافدي بين الساميين والسومريين.
4. التأصيل الحضاري للمدنية الرافدية.

1. الإطار التاريخي لنشوء الحضارة السومرية:

كان اكتشاف مخلفات الحضارة السومرية عن طريق الصدفة عندما بدأ المنقبون في الكشف عن حضارة وادي الرافدين أو بالأحرى البحث عن حل للمشكلة السومرية، حيث كان الهدف الرئيسي البحث عن بقايا البابليين والآشوريين⁽¹⁾ التي ذكرها الكتاب المقدس والمؤرخين الكلاسيكيين، وقد وجدت العديد من الآثار والوثائق التي تدل على وجود شعب غير معروف سبق وجوده هذين الشعبين، والذي منح المنطقة بعدا إنسانيا وحضاريا جديدا وهو الشعب السومري⁽²⁾.

ليست هذه الحضارة ثقافة عابرة كتلك الثقافات المحدودة التي اكتشفت منها نماذج عديدة متباعدة بل هي حضارة واسعة النطاق كاملة الأوصاف، إنها حضارة تتميز بتنوع النشاط في التنظيم الاجتماعي، السياسي⁽³⁾ والاقتصادي في المؤسسات المدنية وإنشاء الحواضر والدول

(1)-نسبة إلى مصطلح بلاد آشور يشكل في -في المدلول الجغرافي السياسي الحضاري- مقابلا لمصطلح بلاد بابل، ويشير الأول إلى القسم الشمالي من بلاد الرافدين، والثاني إلى القسم الجنوبي منها، وفي الدلالة التاريخية الضيقة، يدل مصطلح بلاد آشور على كيان سياسي كانت مناطقه المركزية الأساسية تمتد غربي دجلة وشرقيه، وبين نهري الزاب العلوي والزاب السفلي. ينظر: ايغا كانجيك وكير شباوم، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق إسماعيل، ط1، دار الزمان، دمشق، سوريا، 2008م، ص 10.

(2)-Sabatino Moscati, L'orient avant les Grecs (les Civilisations de la Méditerranées antique), presse universitaire de France, Paris, 1963, p 23.

(3)-عاش قدماء العراقيين على شكل عشائر وقبائل في ظل المشاعية البدائية، وكان جميع أعضاء العشيرة متساوين في الحقوق مع جملهم بالفروق الاجتماعية وعدم المساواة في الثروة، كما كانوا يشتركون على حد سواء في المجلس، ولم يكن لشيوخ القبيلة أية حقوق خاصة أو امتيازات تميزه عن غيره، وقد تأكدت هذه المساواة الاجتماعية بين الأفراد في تشابه الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه علماء الآثار في المقابر السومرية التي يعود تاريخها إلى الألف الرابع قبل الميلاد. ينظر: برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي-الاجتماعي-الثقافي والسياسي)، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1989م، ص 250.

وتكوين الحقوق والواجبات وتنظيم إنتاج المحاصيل الزراعية⁽¹⁾ وأدوات العمل وتعزيز الصناعة والتجارة⁽²⁾ وتسهيل النقل والتبادل وظهور المعالم العليا للفن أدبا ونحتا وتصويرا⁽³⁾.

في هذا الصدد يشير المؤرخ "أنطون مورتكات" إلى أسبقية المدنية السومرية في تشكيل أولى بذور الحضارة، حيث يقول: "وقد انتزعت سومر القيادة الفكرية والحضارية في منطقة الشرق الأدنى القديمة عند مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد وسبقت حقا مصر في خلق أول حضارة مزدهرة تكمن فيها بذور تاريخية، ولكننا لا نعرف ما إذا كان ذلك ثمرة النضج الفكري لشعب المنطقة أم أنه كان بتأثير شعب جديد قدم إلى هناك، إن ما حققه أولئك السكان القلائل الأولين في مجالات الفكر والاقتصاد والسياسة في ذلك الإقليم المنتزع من الطبيعة يمكن أن يعتبر بحق حضارة مزدهرة تجلت بتأسيس دولة الإله المتمركزة في مدينة المعبد وذلك كتجسيد للإيمان بالقوى الخفية المنطلقة من فلسفة دينية ثابتة تشمل الفرد والجماعة على حد سواء والتي وجدت تعابيرها في العمارة الضخمة وفي الفنون التشكيلية الجديدة من نوعها"⁽⁴⁾.

ويؤكد المؤرخ "جورج سارتون" أن تبلور الحضارة الرافدية هي نتيجة تفاعل عدد من العناصر التي كونت البنية النهائية للمنطقة، وتظهر طبيعة آراءه فيما يلي: "وأقدم الآثار التاريخية الخاصة بحضارة بلاد الرافدين جاءت إلينا من بلاد "سومر" وموضعها الجغرافي بين النهرين على مسافة قريبة من رأس الخليج الفارسي، غير أن هذه الحضارة لا بد أن شملت غير السومريين الذين استوطنوا ذلك السهل، ذلك لأن البحث العلمي لا يستطيع أن يكون على يقين من كيف ومتى

(1) -بخصوص إنتاج المحاصيل الزراعية فقد تمت العديد من الزراعات في بلاد الرافدين القديمة كالدخن، لكن الشوفان كان غير معروف، وكان الطلب ملحا على السمسم الذي يستخرج منه الزيت والنبيد، ويطلق عليه اسم "التماريس"، وكذلك الكروم لعنبها ونبذها، كما ورد ذكر شجرة التين والرمان ضمن النصوص ما قبل السرجونية والتي اعتبرت ثمارها جديرة بتقديمها من طرف الملك "جوديا" للآلهة. ينظر: L.Delaporte, *La Mésopotamie les Civilisations Babylonienne et Assyrienne*, Bibliothèque de Synthèse Historique, Paris, 1923, p 14.

(2) -حصل السومريون عن طريقها على المواد الخام الأساسية مثل: المعادن والخشب والكماليات بما في ذلك اللازورد، وكانت "ماجان" سوقا رئيسيا للنحاس و"دلمون" لتجارة اللآليء، وكلاهما معروفين لدى السومريين كمصدر للمياه العذبة. ينظر: Patrick K O'brien, *Atlas of World History*, Institute of Historical Reserch, University of London 2010, p 28.

(3) -جورج كوسي، أعرق الحضارات، دار الفرق، سوريا، 2006م، ص 14.

(4) -أنطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تع: توفيق سليمان، علي أبو عساف، قاسم الطوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، 1967م، ص 31.

بدأت حضارة ما لأن أقدم الآثار والوثائق التي في متناول أيدينا لا تمثل لنا البداية أبداً، بل تصور مرحلة متأخرة نوعاً ما ولعلها متأخرة جداً، فهل بدأت حضارة ما بين النهرين في بلاد سومر؟ أم انتقلت إليها من الأقاليم المرتفعة في أعالي النهرين، أو من الأقاليم الجبلية الواقعة إلى الشرق منها⁽¹⁾، ومن الواضح أن السومريين تعلموا تصريف المياه من الأرض كما تعلموا ربيها بالقنوات التي لا تزال آثارها حتى الآن ترى من الجو بواسطة الطائرات، ثم أنهم زرعوا الشعير والقمح كما فعل المصريون واستأنسوا ماشية وماعزا وأغناما واستعملوا الثيران والحمير لجر عربات ذوات عجلات، ولما لم يكن الحجر ميسوراً لديهم فإنهم بنوا البيوت⁽²⁾ من آجر الطين⁽³⁾ المجفف في الشمس والمسمى اللبن أو الطوب النيء⁽⁴⁾.

أما المؤرخة إليان لوبيز "Eliane Lopez" فتري عكس هذا الطرح حيث تؤكد أن السومريين هم في الأساس من البدو، حيث تقول: "... قدموا على العموم من المرتفعات الشمالية واستوطنوا في السهول الواسعة لنهري دجلة والفرات في المنطقة المطلة على الخليج الفارسي، وهم أول المستقرين بنمط معيشة بدوي بدائي ومن ثم وبفضل مياه النهرين صاروا مزارعين مستقرين، وحضارتهم القبلية التي صارت فيما بعد مدنية أكثر من الحضارة المصرية، وقد أدخلتهم الكتابة التي اخترعوها في نطاق التاريخ"⁽⁵⁾.

(1) -جورج سارتون، تاريخ العلم، ج 1، دار المعارف، مصر، 1963م، ص ص 144، 145.

(2) -كانت البيوت والمساكن في أول أمرها عبارة عن أكواخ من البوص الذي كان متوفراً في المناطق الجنوبية من العراق وحتى الآن، وكانت سيقانها تربط في حزم وتنتى بحيث يصبح شكل السقف مقوساً، وكانت هذه المنازل تغطي بطبقة من الطين، وبعدها استخدم اللبن في بناء منازل صغيرة الحجم أسقفها من البوص المغطى بالطين وقد يدعم هذه ركائز أو تعريشات من أخشاب النخيل. ينظر: أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص 202.

(3) -اعتمد الرافديون القدامى على مادة الطين في تسجيل حصيلتهم الفكرية، حيث شكلوا من هذه المادة رقما ذات أحجام وأشكال مختلفة حفظت لنا تراثاً زاخراً، وحيث أن الطين مادة رخيصة ومتوفرة وفضلاً لما له من مزايا عدة، إذ أنها مادة لا تغنى كما أن لها قدسية خاصة عندهم، فلقد أشارت الأساطير إلى أنها المادة التي خلقت منها الآلهة الإنسان، علاوة على استخدامها في تشييد العماير المختلفة ومنها المعابد خلال العصور المتعاقبة. ينظر: عامر عبد الله الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، رسالة ماجستير في تخصص تاريخ قديم، إ.ش: حسين ظاهر حمود، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2001م، ص 129.

(4) -جورج سارتون، المرجع السابق، ص 123.

(5) -Eliane Lopez, L'histoire des Civilisations, édit Eyrolles, Paris, 2012, p 33.

وهذه الفكرة يؤيدها مركز الدراسات القديمة لمدينة "نيمس" الفرنسية والذي يبحث في أصول الحضارة الرافدية حيث لخص بعض آراءه المختصرة فيما يلي: "... أما بابل فهي خليط من العنصر السومري المسالم والمبدع، حضارة أقدم وأكثر عراقية من الحضارة المصرية نفسها"⁽¹⁾.

لذلك يعد السومريون أول من وضع القواعد الأساسية للحضارة الزراعية المحلية، وقد طوروا في نفس الوقت نظام الري والسقاية من أجل التحكم في الاقتصاد وهم من أول المبادرين في ميدان صهر المعادن وبالتحديد صناعة النحاس⁽²⁾، أما فيما يخص الإنتاج الحضاري لهذا العنصر فقد هيئوا كل العناصر الملائمة التي قامت عليها حضارة الإنسان المكتوبة فإلى جانب الكتابة السومرية وهي أول كتابة عرفت البشرية قدموا اختراعات عديدة أهمها العجلة والمحراث⁽³⁾ وأوجدوا النظام العشري وقسموا محيط الدائرة إلى 360 درجة والسنة إلى 365 يوم، ووضعوا أسس الرياضيات ومبادئ الهندسة وأبدعوا في مراقبة الأفلاك وبناء المعابد وأسسوا نظاما راسخا للحكم والإدارة مع صياغتهم لمبادئ الشريعة المكتوبة⁽⁴⁾.

ويدعم هذا الرأي المؤرخ "رشيد الناضوري" في قوله: "اتجه بعض المؤرخين وخاصة جاكوبسن T. Jacobsen إلى القول بأن ميزوبوتاميا في مرحلتها الأولى هذه أي في نهاية عصر ما قبل الكتابة وبداية العصر التاريخي توصلت إلى نوع من التفكير الديمقراطي البدائي في نظام الحكم، وهذا النوع من التفكير نشأ مع تطور التفكير الجماعي أثناء مرحلة التحكم في مياه الأنهار مما أدى إلى ضرورة وجود نوع من التنظيم الاجتماعي للمجتمع، وكان لعامل البيئة⁽⁵⁾ أثره الكبير

(1) - école Antique de Nimes, Paris, 1929, p p 26, 27.

(2) - Roger Caratini, **Bordas Encyclopédie Histoire Universelle (Le Monde Antique)**, édit Bordas, Paris, p 40.

(3) - يصنف المحراث في مقدمة الأدوات الزراعية التي عرفها سكان العراق القديم، وكان في بداية الأمر أداة بسيطة تستهدف حرث الأرض وتقليبها وكان حده يصنع من الحجر في أول الأمر ويثبت في قائم خشبي ثم أضيفت إليه التحسينات وأجزاء هامة ومنها أداة البذر تعمل أثناء جر المحراث. ينظر: نجيب ميخائيل إبراهيم، **مصر والشرق الأدنى القديم حضارات الشرق القديم (العراق، فارس)**، ط2، دار المعارف، مصر، 1967م، ص 183.

(4) - فراس السواح، **لغز عشتار (الآلهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)**، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1985م، ص 21.

(5) - البيئة الطبيعية للعراق القديم متنوعة بتنوع مناطقه على حد، فالمناخ والماء والتضاريس في كل منطقة تأثير مختلف عن بقية المناطق، ولذا فإن المنطقة تحتوي أعراق وطوائف متنوعة وأديان ومذاهب مختلفة، فإنه أيضا يتنوع بسمات وشخصيات أفراد كل حسب ظروف منطقته الجغرافية، وتبعاً لذلك تنوع المجتمع العراقي وتنوعت شخصيات أفرادها النفسية والاجتماعية والثقافية

في تطور هذا التفكير وانعكاسه بصورة عملية في نظام الحكم، فكانت لكل مدينة جمعية عمومية من رجالها الأحرار البالغين وهناك أيضا مجلس للأكابر وفي وقت الأزمات يعين رئيس أو ملك، والواقع أن ذلك النظام كان في صميم العصر التاريخي، ولكن يبدو أنه بدأ في التكوين قرب نهاية عصر ما قبل الكتابة ويؤرخ هذا العصر الحضاري الهام بحوالي سنة 3500 ق.م، وهناك أدلة تبين أن أصحاب هذا العصر الحضاري هم السومريون، وهناك أيضا بعض الأدلة اللغوية على وجود بقايا لغة ما قبل السومرية في ذلك الوقت في جنوب ميزوبوتاميا⁽¹⁾.

في حين ربط العديد من المؤرخين بروز سومر باكتشاف البرونز في حوالي عام 3100 ق.م، وقد قام السومريون صناع المعادن بصهرها بشكل رائع ذلك أن البرونز كان أكثر صلابة وديمومة، فكان مثاليا لصنع الأدوات والأسلحة والتماثيل فهو يعد ثورة في تغيير الصناعة الخاصة بهذه الأدوات المستعملة من قبل السومريين لتنتشر هذه الصناعة فيما بعد في أرجاء أوروبا وآسيا، وقد كانت الحضارة السومرية مختلفة النمط عن باقي الثقافات الأخرى حيث نظمت أبعادها لتلبية حاجيات سكانها فقامت بهندسة القنوات لخلق الأراضي الزراعية المطلوبة وبوجود الماء أصبح من الممكن إنتاج الغذاء الكافي للسكان، كما طورا كذلك تقنية العربات ذات العجلات التي مكنتهم من

والحضارية. ينظر: ندى موسى عباس، تأثير البيئة الطبيعية على شخصية الفرد العراقي، مجلة ديالي، العدد 40، جامعة ديالي، العراق، 2009م، ص 04.

⁽¹⁾ -رشيد الناصوري، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية، جامعة الإسكندرية، مصر، 1958م، ص ص 27، 28.

التنقل وكذلك بناء السفن الشراعية التي سهلت لهم عملية المبادلات التجارية⁽¹⁾ ونقل السلع إلى جميع المدن السومرية⁽²⁾.

كما يضيف المؤرخ "ه.ج. ولز" شرحاً مفصلاً لأوصاف الحضارة السومرية وإطارها العام ويؤكد على أسبقيتها الحضارية عن الحضارة السامية الأكديّة في قوله: "...كان للطين المجفف في الشمس شأن عظيم في حياة هؤلاء القوم، ذلك أن هذا الإقليم الأدنى من وادي الفرات ودجلة لم تكن فيه أحجار أو كان به النزر اليسير منها، فكانوا يبنون مبانيهم من اللبن ويصنعون أشكالاً من الخزف والفخار⁽³⁾ وكانوا يرسمون على أقراص رقيقة من الطين تشبه القرص، ولا يبدو عليهم أنهم عرفوا الورق، فإن كتبهم ومذكراتهم بل رسائلهم كلها مدونة على الشقافة، وقد شيّدوا في نيبور برجاً عظيماً لربهم الأكبر إليل أو إنليل Enlil، ويظن أن ذكرى هذا البرج لا يزال أثرها باقياً في قصة برج بابل، ويلوح أنهم كانوا منقسمين إلى دول ومدن كانت تتشبّ بينها الحروب⁽⁴⁾، وقد حافظت هذه المدن على مواهبها الحربية على مدى قرون كثيرة، وكان جنودهم يحملون حراباً

(1) تعد وفرة المحاصيل الغذائية في جنوب بلاد الرافدين بثروته السمكية والحيوانية ومحاصيله الزراعية من الحبوب والتمور والفواكه من جهة، وافتقاره إلى المواد الأساسية من جهة أخرى، من أهم العوامل التي شجعت على ازدهار عمليات التصدير الاستيراد وكثافتها، ومن ناحية أخرى أن انعدام وسائل المواصلات الناجمة في تلك الحقبة المبكرة من تأريخ الإنسان العراقي عوض عنه وجود النهرين اللذين شكلت روافدهما مسالك حيوية سهلت المواصلات ونقل البضائع وتبادل السلع بين جنوب بلاد الرافدين والمناطق المحيطة به، إضافة إلى تسهيل نقل المواد الغذائية من مختلف مناطق الريف إلى المدن. ينظر: نعيم عودة الزيدي وجمعة حريز الطلبي، أثر البيئة في ظهور المدينة ونشوء الدولة في بلاد الرافدين، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد الثاني، العدد 01، جامعة المثنى، العراق، 2019م، ص 408.

(2) Barbara A. Somervill, *Empire of Ancient Mesopotamia*, edit Chelsea house, USA, 2010, p p 19- 21.

(3) كان أول ظهور لصناعة الفخار في العراق القديم خلال النصف الثاني من العصر الحجري الحديث في شمال المنطقة وذلك خلال النصف الأول من الألف السابع قبل الميلاد في قرى جرمو، حسونة وأم الدباغية، ففي جرمو يبدو أن صناعة الفخار في الطبقتين الخامسة والرابعة أفضل من الطبقات 1، 2 و3، إذ تزينا خطوط حمراء مائلة وتعرف باسم فخار جرمو الملون أو المصبوغ على سطوح صفراء برتقالية أو محمرة، بينما أظهرت الطبقات 1، 2 و3 صناعة رديئة قليلة الحرق تخينة الجانب معمولة باليد ولا تخلو أحياناً من التلوين أو التطعيم بحزوز. ينظر: غسان طه ياسين، صناعة الفخار العراقي من أقدم العصور حتى نهاية التاريخ القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد 49، العراق، 2008م، ص 08.

(4) كان إنشاء أرسنقاطية عسكرية تتمحور حول أمير حرب أو ملك يتمتع بالقوة الاقتصادية والأيدولوجية والقسرية لتعبئة المجتمع بأكمله للحرب، وكانت هذه الأخيرة بالنسبة لهؤلاء الحكام تمثل وسيلة للشرعية والتعظيم الشخصي وزيادة الثروة، فقد تحالفوا مع الكهنة لبلوغ العتبة العسكرية وتكلموا باسم الآلهة لتضفي على حركتهم الشرعية. ينظر: William J. Hamblin, *Warfare in the Ancient Near East to 1600 BC (Holy Warriors at the Dawn of History)*, edit Routledge, London and New York, 2006, p 24.

طويلة وتروسا ويحاربون في تشكيلات متراسة، وكان السومريون يغزون بعضهم البعض، ولكن سومر ظلت حقبة طويلة من الزمان دون أن يغزوها جنس أجنبي، ونمى السومريون حضارتهم وأدخلوا تحسينات على كتابتهم، وقبوا بحريتهم إبان مدة ربما كانت ضعف كل المدة التي انقضت منذ أول العهد المسيحي إلى الوقت الحاضر، ثم أخذوا يستسلمون رويدا رويدا للشعوب السامية والمقصود هنا الأكديين⁽¹⁾.

ويرى المؤرخ المختص في السومريات "صمويل نوح كريمر Samuel Noah Kramer" في كتابه "التاريخ يبدأ في سومر" أنه قبل قرابة قرن من فترته لم يكن يعرف شيء عن السومريين وزمنهم الغابر، وأن بداية التنقيبات في ذلك الركن من منطقة الشرق الأوسط كانت تركز على البابليين والآشوريين لا السومريين، وكانت لهؤلاء معلومات كثيرة قد أخذوها عن الإغريق والعبرانيين أما عن السومريين فلم تكن لديهم عنهم سوى لمحة، لم يكن هناك أثر سهل التمييز وبخصوص اسم سومر وشعبها في خضم الأدب الخاص بالعالم الحديث فقد محيت من العقل والذاكرة منذ أكثر من ألفي سنة⁽²⁾، كما يرى نفس المؤرخ أنها كانت تشمل نصف مساحة بلاد الرافدين وتعادل مساحتها عشرة آلاف ميل مربع وأن مناخها حار وجاف تربة قاحلة وغير منتجة والأرض فيها مستوية ونهرية، ولا تحتوي على معادن وحجارة، ورغم هذه العوائق فإن مجيء السومريين إلى هذه الأرض خلال الألف الثالثة ق.م بفكرهم الخصب والمبدع قد حولها إلى جنة حقيقية⁽³⁾ ومن المحتمل أن تكون هي الموطن الأول للحضارة الإنسانية⁽⁴⁾.

(1) هـ.ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية (نشأة الكون والإنسان والحضارات)، ج1، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م، ص ص 200، 201.

(2) Samuel Noah Kramer, *The Sumerians their History and Character*, University of Chicago Press, USA, 1963 p 20.

(3) هي في الحقيقة السهل الواقع شمال الخليج الفارسي، وتقع جنوب الوديان الأربعة قارون ودجلة وفيشون وسيحون. ينظر:

François De Salignac Fénelon, *La Création et Les Migrations aux Temps Géologiques Les Premières Dates de L'histoire et Les Premières Races Humaines Suivant La Bible*, imprimerie et librairie Édouard Privat, Toulouse, 1908, p 38.

(4) Samuel Noah Kramer, Op. Cit, p 03.

كان مركز حضارة السومريين الأولى في سهل "شنعار"⁽¹⁾ أو "جنة عدن"⁽²⁾ كما يسميها الكتاب المقدس، وهم صناع الحضارة بحيث أقاموا المدن ونظموها لأول مرة وبنوا المعابد وأنشئوا المدارس والمكتبات، كمل أبدعوا من خلال اختراع الكتابة المسمارية واللغة السومرية التي سرعان ما انتشرت في جميع حواضر الشرق الأدنى القديم⁽³⁾، وهم الذين طوروا هذه الحضارة وطوروها ما بين الألفين الخامس والثالث ق.م حتى وإن لم يكونوا أول من استوطن المنطقة⁽⁴⁾، فالمجتمع السومري أقدم مجتمع يعرف له اسم في أرض الرافدين ولغته السومرية هي أقدم لغة معروفة في تاريخ الإنسانية، ويفترض أن تكون العناصر المكونة للمجتمع السومري قد وجدت في البلاد قبل الكتابة بزمان طويل ولكننا لا نعرف شيئاً عن هذه المرحلة المبكرة السابقة لاختراع الكتابة، أي في ما قبل التاريخ سوى ما تركه سكان عصري العبيد (حوالي 4500 ق.م) وجمدة نصر (3100-2900 ق.م) من آثار مادية⁽⁵⁾.

2. الإطار الزمني لظهور السومريين:

بالإمكان إرجاع استقرار العناصر السومرية إلى بداية الاستقرار الفعلي في جنوب العراق⁽⁶⁾ أي حوالي بداية حضارة "العبيد"، وقد حاول المؤرخون التعرف على الجنس السومري وهل هم من

(1)-ورد وصفهم في التوراة على النحو التالي: «وبنو حام: كوش ومصرام وفوط وكنعان، وبنو كوش: سبا وسبته ورعمة وسبتكا وبنو رعمة: شبا وددان. وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض، الذي كان جبار صيد أمام الرب. لذلك يقال "كنمرود جبار صيد أمام الرب"، وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة. في أرض شنعار. من تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح ورسن بين نينوى وكالح». ينظر: سفر التكوين (10: 6-20).

(2)-اعتبرت بلاد الرافدين هي مكان الفردوس ولكن يصعب إدراك مثل هذا التوضع لأن غزارة هذه الفكرة الضمنية المقترنة مع خلق بستان عدن لا تفسر وضع بلاد الرافدين الطبيعي، خاصة وأن ميزة هذا البستان كانت ثمناً للجهد البشري الذي عمل ضمن شروط خاصة أوصلته إلى تطور ايجابي. ينظر: جون كلود مارغرون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، تر: سالم سليمان العيسى، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999م، ص 24.

(3)-سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، ط1، مركز دراسات الأمة العراقية، بغداد، 2009م، ص 332.

(4)-هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط 02، دار جوروس برس، لبنان، 1991م، ص 513.

(5)-محمد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم، دار طلاس، دمشق، 1990م، ص 52.

(6)-من المرجح أن لفظ العراق يرجع في أصله إلى تراث لغوي رافدي من العصور القديمة مشتق من كلمة تعني المستوطن ولفظها "أوروك" أو "أونوك"، وفي اللغة العربية فإن مادة "أرك" تدل على الإقامة بالمكان ومنها الأريكة بمعنى السرير أي بمعنى مكان للإقامة والاستقرار والاستيطان. ينظر: قصي منصور عبد الكريم، اسم العراق بين المدلول الجغرافي والسياسي في العصور القديمة (دراسة حضارية لغوية)، مجلة علوم إنسانية، العدد 24، تونس، 2005م، ص 05.

السكان الأصليين أم أنهم وفدوا إلى جنوب المنطقة عن طريق الهجرات والتحركات البشرية التي سادت منطقة الشرق الأدنى القديم في بداية العصر التاريخي، وذلك على أساس أن هذه الأخيرة تميزت منذ البداية بأنها كانت منطقة مرور، تمر عليها التحركات البشرية المختلفة نظراً لأنها كانت تحتل موقعا متوسطا بين مختلف أجزاء العالم، وكانت تلك التحركات البشرية تتم إما على هيئة تسلات جماعية أو غارات مفاجئة وقد واجه العراق القديم الكثير منها وعلى رأسها العناصر السومرية⁽¹⁾.

وبخصوص تاريخ مجيء السومريين إلى بلاد الرافدين فلا يزال غامضا، وقد ظن البعض أن الانقطاع المفاجئ ما بين عهدي "جمدة نصر" و"ميزليم"⁽²⁾ كان نتيجة لهجرات شعوب جديدة عرفت فيما بعد بالسومريين، لكن المصادر الأثرية تشير إلى وجود بعض المظاهر السومرية قبل ذلك التاريخ منها اللوحات التصويرية الأولى التي وجدت في السوية الرابعة في "أوروك"⁽³⁾ ويحتمل أن تكون سومرية، لذلك يرجح أن السومريين وصلوا إلى المنطقة قبل ظهور الكتابة، ربما في الفترة التي تمتد من نهاية عهد العبيد حتى نهاية "أوروك" أي في أواسط الألف الرابع قبل الميلاد⁽⁴⁾.

أما المؤرخة "منى يوسف نخلة" فتؤكد أن موطن السومريين موجود في المناطق الجبلية وتوضح وجهة نظرها فيما يلي: "أتى السومريون بلاد ما بين النهرين من آسيا الوسطى من منطقة

(1)-نبيلة محمد عبد الحليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، مصر، 1973م، ص ص42، 43.

(2)-طراً على فن العمارة تبدل شمل نواحيها التكتيكية البحتة وعناصرها الرئيسية في الوقت نفسه، فبينما كانت الأبنية تقام في السابق مباشرة فوق مصطبة مستوية عمد المرء خلال هذا العصر غالبا إلى حفر أساسات الجدران، أو كما يعمد أحيانا إلى حفر كامل مساحة الأرض التي ينتصب فوقها المعبد بعمق عدة أمتار، ومن ثم ملئها بالتراب وذلك كي يفصل الأرض المقدسة عن الأراضي المحيطة بها، كذلك ظهر تقليد جديد من نوعه وهو أن تغرز مسامير برونزية سحرية في الزوايا الأربعة لأساسات البناء من شأنها تثبيت لوحات كتابية فيها. ينظر: أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 44.

(3)-مع ظهور ثقافة أو حضارة أوروك بدأ ظهور السومريين يتضح في العراق، ومع هذا العصر بدأت الحضارة في جنوبه تتعطف نوعيا خصوصا وأن حضارة العبيد كانت قد انحلت تمام، فقد بدأ الفخار بأنواعه الثلاثة الأحمر، الرمادي والعادي بالظهور وفي حدود 3200 ق.م ظهرت أول أشكال الكتابة التصويرية في معابد "أوروك" سميت مرحلة الكتابة هذه بالمرحلة الصورية، وكانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية تشير إلى تبدلات نوعية كبيرة، وانتشر فن النحت ونقش الألواح من الحجر، وصنعت الأختام الأسطوانية وكان فن العمارة راقيا جدا. ينظر: خزعل الماجدي، متون سومر (التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)، ط 01، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م، ص 38.

(4)-محمود أمهر، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2010 م، ص 21.

جبلية، وكان وصولهم في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد على شكل جماعات صغيرة ساهمت في عدم ترك أي أثر تاريخي لدخولهم، ومن المؤكد أن تدفقهم يبدأ في عصر جمدة نصر، أي في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، والذي يليه عصر ما قبل سرجون قبل 2334 ق.م (حسب تسمية الباحثين الفرنسيين) أو عصر السلالات القديمة الأولى والثانية والثالثة والتي بدأت منذ حوالي 2630 ق.م (حسب تسمية الباحثين الأنكلوسكسونيين)، أول عصر التحول الأول + عصر ميزليم في حوالي 2550 ق.م وعصر التحول الثاني + عصر أور الأولى منذ حوالي 2112 ق.م (حسب تسمية الباحثين الألمان)، وخلال هذه المرحلة الأخيرة بلغت الحضارة السومرية أوج بروزها⁽¹⁾.

من جهة أخرى فيطرح المؤرخ "جون كلود مارغرون" جملة من التساؤلات المعقدة محاولاً الإجابة عنها ولو بالقدر اليسير أو ربما وضع القارئ ضمن إطار صحيح لفهم حقيقة الاستقرار البشري في بلاد الرافدين"، حيث يقول: "...السومريون هم الذين لعبوا الدور الأقدم والذي صدر عنه الكثير، فقد عثر في أسفل البلاد على رجال يستخدمون اللغة السومرية منذ بدء التاريخ وطالت التحريات لمعرفة مكان قدومهم وزمن مجيئهم وحتى الآن لم يعط أي جواب مرض، لا ترتبط لغتهم بأي غصن معروف، كما أن التكوين المادي لحضارتهم تبدو متوضعة بشكل مستقيم ضمن إنجازات عصر العبيد وأيضاً فإن استكمال تطور الثقافة المادية كان أثر تأثيراً من التصدعات التي أريد ترتيبها في المقدمة بغية تحديد زمن وصول السومريين، وضمن تلك الظروف ومهما كان نوع السؤال عن جذور اللغة، يبدو أنه من المناسب التوجه بالتفكير حول سكان بلاد ما بين النهرين الواطئة هل هم خلاصة لخليط من السكان المتنوعين الذين استقروا منذ بدء العمل بالزراعة أو قبلها بعد أن تجددت بمشاركات خارجية تجاه ذلك لا داع للتفكير بأن الصورة التي ينقلها لنا العصر التاريخي عن وجود تجدد مستمر تخفي فيه خصائص كل عرق وبأنها تختلف عن الخصائص التي سبقت مباشرة ظهور النصوص"⁽²⁾.

(1) -منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، دار جروس برس، لبنان، (د.ت)، ص 39.

(2) -جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص ص 106، 107.

في حين أن المؤرخان "أحمد داوود" و"فيليب حتي" يبينان أسبقية السومريين في استيطان منطقة بلاد الرافدين في قوله: "...لقد درج الباحثون والدارسون على الحديث عن هجرات سامية متتالية من شبه جزيرة العرب إلى منطقة ما دعي بالهلال الخصيب الممتد من الخليج العربي في أحد طرفيه إلى دلتا النيل في الطرف الآخر، وقد عمدوا إلى تحديد تلك الهجرات الكبيرة وأزمان حدوثها معتدين فيها جميعا شكل الطفرة السكانية المتكررة خلال فترات زمنية معينة ومتقاربة، فلقد أجمعوا تقريبا على أنه في حوالي 3500 ق.م اتجهت هجرة سامية من شبه جزيرة العرب نحو الشمال الشرقي، وزعت أفرادها الرحل بين السكان السومريين في بلاد الرافدين الذين كانوا مستقرين منذ أكثر من ألف عام، وعلى جانب رفيع من الحضارة"⁽¹⁾.

ويوافق المؤرخ "سيد مظفر الدين نظفي" على هذا الطرح حيث يبين أسبقية السومريين في أرض الرافدين في قوله: "إن كل ما استطعنا أن نجعله من أقوال كتابات العرب والبابليين هو أنه في زمن قديم سحيق جدا حكم العراق فريق من الساميين ولكن الآن وبفضل البحوث الأثرية أُلقي قيس من الضوء على حضارة بابل للدراسة، وأصبح كل حجر من الأحجار التي عثر عليها في بابل آشور⁽²⁾ يحمل دليلا قاطعا على ما كانوا عليه من مجد زاهر، ويمكن تقسيم النقوش والكتابات التي كشفت في بابل من الناحية اللغوية إلى سامية وغير سامية وهي تساعدنا على تتبع جنسية سكان بابل القدماء، وبعض هذه النقوش يحمل تواريخ الملوك وبعضها لا وفي الحالة الأخيرة يمكن الحدس بها عن طريق القياس أو الأدلة الظاهرية، ويبدو أن النقوش غير السامية ترجع إلى عهد أقدم من النقوش السامية، مما يدل على أن الأجناس الغير السامية سبقت نظيرتها في بابل، واللغة

(1)- أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير، ط3، منشورات دار الصفدي، دمشق، 2004م، ص 74؛ فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، مر: جبرائيل جبور، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1951م، ص67.

(2)- أولى المدن والعواصم الآشورية وموطن الإله القومي لبلاد آشور، كان لها قدسية خاصة ومركزا دينيا مرموقا لدى جميع الملوك الآشوريين حتى أولئك الذين اتخذوا غيرها من المدن عاصمة لملكهم، وكانت مقر تنويع الملوك ومكان دفنهم، ولم تهمل في أي فترة من فترات الحكم الآشوري بل كان الملوك يقومون دائما ببعض النشاطات العمرانية فيها. ينظر: حسين فهد حماد، موسوعة الآثار التاريخية (حضارات. شعوب. مدن. حرف. لغات)، دار أسامة، عمان- الأردن، 2003م، ص 90.

التي كتبت بها النقوش غير السامية هي اللغة السومرية بالنسبة لأوروبا وأمريكا أو الأكديّة بالنسبة لبريطانيا وعلى ذلك يمكن أن نستنتج أنها تنتمي للسومريين أو الأكديين⁽¹⁾.

كما ينبغي أن نعود الآن إلى السهل الطموي في جنوب بلاد الرافدين والمستنقعات التي تفصل السهل عن الخليج العربي لكي نتتبع المراحل المتسلسلة لنشوء الحضارة السومرية، وفي تلك المنطقة سنجد أنفسنا نعالج مرحلة بدايتها على الأقل سهلة التحديد لأنها تتزامن مع فترة الاستقرار خلال العصر ما قبل السومري، حيث تم العثور على آثار قليلة منه يعود تأريخها إلى حوالي خمسة آلاف عام قبل الميلاد، لقد انتهى هذا العصر في عام ألفين وتسعمائة قبل الميلاد مع بداية عصر السلالات السومرية وبداية وجود مراجع مكتوبة لأسماء ملوك عرفوا كشخصيات كان لها دور هام في التاريخ، وبالمفهوم المحدد يمكن تسمية هذه المرحلة بما قبل التاريخ ولأن الفترات الأخيرة من هذه المرحلة شهدت استخدام الكتابة والمبتكرات المهمة الأخرى للسومريين فإن هذه التسمية تبدو غير مناسبة، كما ويمكن العثور على تسميات أخرى للمراحل الزمنية الخاصة بالتطور خلال هذا العصر⁽²⁾.

بينما يؤكد المؤرخ "بيار ميخائيل" Pierre Miquel أن السومريين هو الشعب الوحيد المعروف في بلاد الرافدين، حيث يقول: "...من بين مجموعة الآسيويين نجد السومريين في الجنوب، والذين من المحتمل أنهم وصلوا إلى المنطقة عن طريق الخليج الفارسي، فهؤلاء هم إذاً الوحيدون الذين سكنوا منطقة بلاد الرافدين، أما الشعوب الأخرى المعروفة فكانت جد بعيدة: العيلاميون الأوائل شرق دجلة من ناحية إيران، الحوريون في الجهة الشمالية -الشرقية من أعالي دجلة، أما منطقة الأناضول فكانت تتكون من أعراق غير معروفة⁽³⁾.

(1) -سيد مظفر الدين نظفي، التاريخ الجغرافي للقرآن، تر: عبد الشافي غنيم عبد القادر، مر: حسن محمد جوهر، إدارة الثقافة العامة، مصر، 1956م، ص 144.

(2) -سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، تر: محمد طلب، ط1، دار دمشق، سورية، 1992، ص 50.

(3) -Pierre Miquel, L'antiquité (L'orient de l'Egypte a Alexandre le grand), édit Fernand Nathan, France, 1983, p p 48, 49.

3. البناء الحضاري الرفادي بين الساميين والسومريين:

ثبت على الصعيد الحضاري أن السومريين لم ينفردوا في بناء صرح حضارات العصور الحجرية في منطقة غرب آسية⁽¹⁾، وإنما كانت هناك شعوب أخرى سكنت المنطقة قبلهم أو معهم عبر آلاف السنين، وساهمت أيضا في تطوير الحضارة الإنسانية خلال العصور الحجرية القديمة والوسطى والحديثة، ومن الأدلة التي تشير إلى ذلك هو أن اللغة السومرية نفسها تحوي في ثروتها اللفظية بعض المفردات الدخيلة التي يعتقد أن السومريين أخذوها عن الشعوب والقبائل التي سبقتهم أو عاصرتهم في استيطان هذه المناطق وذلك عبر الاحتكاك بها، وقد ثبت أيضا أن ما يسميهم العلماء بالساميين⁽²⁾ كانوا قد شاركوا السومريين في بناء حضارات فجر التاريخ ومدنيتهم الحقب التاريخية اللاحقة⁽³⁾.

في حين يعطينا المؤرخ "جون كلود مارغرون" فكرة فيما يخص الصراع الحضاري بين الساميين والسومريين وأصول هذا النزاع وحقيقته، حيث يقول: "...بالنسبة للساميين فهم موجودون منذ بدء التاريخ ولا جدوى للتحري في سبيل معرفة زمن قدومهم، فالموضوع الآن هو هل يشمل السومريون والساميون مجموعتين عرقيتين متناقضتين فعلا؟، حيث يسعى كل منهما الاحتفاظ بكل

(1)- يمكن الجزم أنه لم يعد هناك أدنى شك في أن المراكز الأولى للزراعة ورعي الحيوانات كانت في جنوب غرب آسية على المسرح الأوراسي الذي شهد مظاهر النشاط الحضاري للإنسان منذ بداية العصر الحجري القديم الأعلى، هذا وتوجد بعض الادعاءات المنادية بأن شمال إفريقيا بل وأيضا الحبشة هي الموطن الأول للزراعة، غير أن الاكتشافات الأثرية وتتبع أصول الأنواع البرية للنباتات والحيوانات تشير إلى أن آسيا هي الوطن الأول. ينظر: ج. هاوكس ول. وولي، أضواء على العصر الحجري الحديث (ثلاثة فصول مترجمة من كتاب: ما قبل التاريخ وبدايات المدنية)، تر: يسري عبد الرزاق الجوهري، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص 23.

(2)- إن الاستعمال العلمي للفظ "سامي" حديث العهد يرجع إلى عام 1781م عندما اقترحه اللغوي الألماني "شلوتزر" علما على الشعوب التي أنشأت في هذا الجزء من غرب آسيا حضارات ترتبط لغويا وتاريخيا وإلى حد ما من حيث الأنساب، وقد حدث نفس الأمر في أيامنا هذه إذ اقترح المستشرق الأمريكي الألماني الأصل "شبايز" اصطلاح اسم "اليافثيين" للدلالة على شعوب كثيرة غامضة التاريخ والانتماء كانت تعيش في إيران وأعالي الدجلة والفرات قبيل فجر التاريخ خصوصا فيما يسمى ببلاد العيلاميين، ويقول العالم الفرنسي الأب "هنري فليش" أنه لا ينبغي ألا نفهم من استعمال كلمة السامية أي شيء أكثر من اصطلاح المقصود به تيسير الأمر على الباحثين. ينظر: حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم تعريف بالقرايات اللغوية والحضارية عند العرب، ط2، دار الشامية، بيروت، 1990م، ص 09.

(3)- هاري و. ف ساكز، الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)، ط1، تر: كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 2000م، ص ص 28، 29.

عناية بنزاهتهما العرقية خاصة عند حدوث أي نزاع بين المجموعتين كما فكر بذلك بعض المؤرخين حيث ذكروا أن نزاعاً وقع بينهما خلال الألف الثالثة انتهى لصالح المجموعة الثانية، وفي الحقيقة أنها من قضايا العرق والنسل التي يصعب قبولها، ففي الجنوب كانت اللغة السومرية هي السائدة خلال الألف الثالثة أما الأكديّة ففي بابل الوسطى، وكل منهما كان يسير ثقافة غير قابلة للتبادل مع الأخرى، ولما ضعفت الفعالية الاقتصادية في الجنوب وخاصة عندما أخذت بابل التناوب أصبحت اللغات السامية بطبيعة الحال تحت سيطرتها مما عزز العمق ذو الأصول السامية وتجدد بثبات بفضل سكان يتكلمون نفس اللغة منذ ألفي سنة⁽¹⁾.

ويوافق المؤرخ "هاري و.ف ساكز" على هذا الرأي، حيث يقول: "أحد الأسباب التي تدعونا إلى التخمين باحتمال وجود عروبين أي ساميين في جنوب العراق عند وصول السومريين أول مرة هو أن بعض الكتابات السومرية الأولى تحتوي على كلمات لا ريب أنها استعيرت من كلام عروبي، ولسوء الحظ فإن مثل هذا الدليل ليس حاسماً لأننا لا نعرف هل كانت حقبة الاتصال بين السومريين والعروبين التي نتجت عنها مثل الاستثمارات بضع سنين أم قرون"⁽²⁾.

في حين يبرز لنا المؤرخ "حسن ظاظا" عراقة الحضارة السومرية عن نظيرتها السامية التي أتى استقرارها فيما بعد، حيث يقول في خلاصة حديثه: "...وهجرة الساميين الأولى من موطنهم الأصلي الذي كان شبه الجزيرة العربية نحو سهل دجلة والفرات حدثت في موجات متتابعة خلال الألف الرابع قبل الميلاد، فكانوا يدخلون العراق مزاحمين لسكانه الأصليين السومريين، ويؤسسون لهم مدناً إلى جانب المدن السومرية، لكل منها أمير يحكمها ومعبد تقام فيه طقوسها وإله يحميها، وكان الساميون الأوائل أقل حضارة من السومريين فأخذوا عنهم الكتابة والعمارة والدين والنظم الإدارية"⁽³⁾.

(1)-جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص 107.

(2)-توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب آسية منذ أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م، ط1، دار دمشق، 1975م، ص 77، 78.

(3)-حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 31.

كما يبين المؤرخ العراقي "بهنام أبو صوف" الاستمرارية الحضارية بين حضارة بلاد الرافدين ونظيرتها في شبه الجزيرة العربية منذ العصور الحجرية على الأقل، حيث يقول في هذا الصدد: "إن الفحوصات الأثرية المتأنية للأدوات والآلات الحجرية المكتشفة في مقر إنسان العصر الحجري القديم في غربي العراق وعلى طرفي دجلة والفرات تظهر تشابها ملحوظا مع مثيلاتها المكتشفة سابقا في هضبة الجزيرة العربية والتي تعود لنفس الحقبة الزمنية، إن هذا التشابه يشير إلى المسار الذي سلكه إنسان الجزيرة العربية كما سلكه دوما خلال الأزمنة اللاحقة الأكثر حداثة بانحداره نحو وديان الأنهار العظيمة في المنطقة، ويشير أيضا إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت تدفع وباستمرار بموجات بشرية من الصيادين والرعاة لتستقر في بلاد الرافدين وبلاد الشام وربما أماكن أخرى في الجوار حيث تتوفر المياه والأرض الخضراء، وقد يقود هذا إلى سببا للتشابه بين مخلفات إنسان هذه المناطق المادية والجسدية خلال تلك الأزمنة السحيقة في القدم⁽¹⁾.

ومن جهته يبين المؤرخ المختص في ميدان البحث عن الأصول السامية "سباتينو موسكاتي" عن الأصل المشترك للحضارة الرافدية، حيث يقول: "وكان البناء الأساسي للحضارة والتاريخ في أرض الرافدين شعبين ينتميان إلى أصليين مختلفين كل الاختلاف أبدا ما تضمنه تلك المنطقة من آثار فنية وأدبية كبيرة، ونعني بهما السومريين والأكديين، وقد عاش هذان الشعبان مختلطين ببعضهما البعض إلى حد كبير، فكانت حضارة أرض الرافدين وتاريخها نتاج شعب مركب يستحيل في كثير من الأحيان التمييز بوضوح بين العنصرين الأساسيين اللذين يتألف منهما"⁽²⁾.

أما الباحث جوزيف هاليفي "Joseph Halévy" فيبين انقسام جملة الباحثين المختصين حول قضية الاستيطان الأولي في المنطقة، وجاء تصريحه على الشكل الآتي: "ومن الباحثين الذين يساندون فكرة أسبقية العنصر السامي إلى المنطقة "Halévy" وكذلك الباحث ثورو-دونجان Thureau-Dangin، أما الباحثين الذين يقرون بأن السومريين هم الذين يمثلون السكان المحليين

(1) -بهنام أبو صوف، التاريخ من باطن الأرض (آثار وحضارات وأعمال ميدانية)، مطابع شركة الأديب، الأردن، 2009م، ص 13، 14.

(2) -سباتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، تر: السيد بكر يعقوب، دار الرقي، بيروت، 1976م، ص 66.

للمنطقة هم: سايس Sayce، هيلبرخت Hilprecht، هومل Hommel، هوبت Haupt، جانسن Jensen، ليمن Lehman، ديليتش Delitzch وويسباخ Weissbach، وحسب اعتقادهم فالسومريون هم من اخترعوا الكتابة المسمارية وكذلك لغتهم الأساسية وقواعدها الخاصة، أما بعد، فعندما جاء البرابرة المصطلح عليهم بالساميين الذين غزوا المنطقة، فقد تبناوا الكتابة التي اخترعها السومريون وذلك من أجل تفسير لغتهم الأساسية دون بذل جهد أو تلقي مساعدة⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى يعود المؤرخ "رشيد الناصوري" ليؤكد صعوبة تحديد الأصل الحضاري للمنطقة والعناصر الفاعلة فيه حيث يدرج طرحه هذا في قوله: "...أما العصر الذي يبدأ به مؤرخ تاريخ العراق القديم فهو العصر التاريخي المعروف بعصر فجر السلالات السومري Early Dynastie Period، ويمتد هذا العصر من حوالي 3000 ق.م إلى 2550 ق.م أي أثناء النصف الأول من الألف الثالث ق.م، وهو يعاصر فترات من مرحلة عصر الدولة القديمة في مصر الفرعونية، وكان يسكن العراق القديم خلال هذه الفترة عناصر سومرية وأخرى سامية، وكانت هذه العناصر تحمل معها تقاليدها وعاداتها ولغاتها الخاصة بها قبل مجيئها إلى منطقة وادي الرافدين، وقد دخلت العناصر السامية المنطقة من الجنوب الغربي حيث كان مركزها هو نجد، أما العناصر السومرية فقد اختلف المؤرخون إزاء مكانها الأول التي هاجرت منه إلى العراق القديم، وقبل مناقشة موضوع أصل السومريين وكيف جاءوا يجدر الإشارة إلى أن العنصرين السامي والسومري قد قطنا جنوب العراق القديم سوياً جنبا إلى جنب، ولا تدل الوثائق إلى حدوث حرب بينهما أساسها التفرقة العنصرية، ولكن نشأت المنازعات على أساس الرغبة في التفوق السياسي والمنافسة الاقتصادية وليست على أساس التفرقة، وقد وصل مدى تعاون كلا العنصرين أن اتخذ السومريون بعض الآلهة السامية كآلهة لها"⁽²⁾.

(1) - J. Halévy, *Le Sumérisme et L'histoire Babylonienne*, édit Ernest Leroux, Paris, 1901, p 07.

(2) - رشيد الناصوري، المرجع السابق، ص 39.

4. التأصيل الحضاري للمدنية الرافدية:

كان السومريون من ضمن الشعوب التي استوطنت الجنوب وينسب لهم تأسيس أول حضارة عرفت هذه المنطقة، وقد أثار هذا الموضوع نقاشاً طويلاً ولا يزال حتى الآن من المسائل المعقدة، إذ نجهل البلاد الأصلية التي ينتمي إليها هؤلاء قبل مجيئهم إلى جنوب بلاد الرافدين، ولا يزال من الصعب تحديد تاريخ قدومهم إلى هذه المنطقة وتعدد الآراء والنظريات بشأنهم، فهم ينسبون إلى أصول مختلفة: أرمنية⁽¹⁾، جبال زاجروس والهند لأن المصادر الأثرية قد تشرح بعض معالم الحضارة التي عرفت باسم "السومرية"، لكنها لا تكفي لإعطاء فكرة واضحة عن أصول هذا الشعب، ولم تتوصل من جهة أخرى أبحاث علم الأناسة إلى تحديد أصلهم، كما لم يتوصل اللغويون رغم الجهود المتواصلة إلى ربط اللغة السومرية بالدرافيدية جنوبي الهند مع أنه ثمة قواسم مشتركة نجدها في الحضارتين الهندية القديمة والسومرية، لذلك يعتقد البعض أن السومريين أتوا من الشرق واستوطنوا مناطق في إيران الجنوبية قبل أن يستقروا نهائياً في دلتا دجلة والفرات، ويتبين من دراسة أسماء الملوك الأوائل والأسماء الجغرافية القديمة أنه كانت هناك جماعة من الساميين وأخرى غير سامية خضع أفرادهما لنفوذ السومريين⁽²⁾.

فكان هؤلاء أي السومريين أول مجموعة عرقية معروفة تسكن المنطقة، ومعروف لدى الباحثين المعاصرين أن أصلهم كان موضوع نقاش مكثف للغاية بدأ منذ أكثر من قرن من الزمن، وقد حاول العديد من الباحثين حل "المشكلة السومرية" بمساعدة البيانات الأثرية واللغوية وحتى العظمية المتاحة، ولكن دون استنتاج مقبول عالمياً، تكمن المشكلة في الخلط المتكرر للمكونات اللغوية والعرقية والثقافية والسياسية للتعريف الذاتي لأية مجموعة بشرية⁽³⁾.

(1) تقع في إقليم جبال القوقاز وتقوم على هضبة أرمنية الوعرة، ويمثل العنصر الأرمني أغلب سكانها إلى جانب ذلك وجود بعض الأقليات الكردية والروسية وتشكلت الهضبة الأرمنية منذ ملايين السنين من النشاط البركاني، وتحتوي على حوالي مائة بحيرة جبلية. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، ط 02، مكتبة الملك فهد الوطنية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1999م، ص 110.

(2) -محمود أمهر، المرجع السابق، ص 18، 19.

(3) Arkadiusz Soltysiak, **Physical anthropology and the Sumerian problem**, studies in Historical Anthropology, vol - 04, institute of Archaeology, Warsaw university, Poland, 2006, p 145.

إن أصل التاريخ القديم للحضارة السومرية غير معروفين بشكل جيد، فيفترض أن شعباً يتكلم السومرية نزل من الأقاليم الشمالية واستقر في أسفل مابين النهرين، وراحح جداً أن السومريين أخضعوا السكان الأصليين مجهولي المكونات الإثنية ثقافياً كانوا يشاطرون في الحضارة المسماة "عبيد"، وخلال زمن غير طويل فإن جماعة من الرحل الآتين من الصحراء السورية والمتكلمين لغة سامية، الأكديون⁽¹⁾ بدأوا يتسللون في الأقاليم شمالي سومر بموجات غامضة في المدن السومرية خلال الألف الثالثة بقيادة حاكمهم "سرجون"، ففرض هؤلاء أنفسهم على المدن السومرية، وحتى قبل السيطرة فقد انتظموا ضمن اتحاد سومري-أكدي تنامي بقوة بعد توحيد المنطقتين معا⁽²⁾.

فلا أحد يعرف من هم الأجداد القدامى للسومريين، وعلى وجه الدقة أصلهم، وكذلك أصل الكثير من الأقوام المزامنة لهم أو التي ظهرت قبلها بقرون أو بآلاف السنوات، إلا أنه بسبب الأهمية الحضارية للسومريين وحصول انعطاف التاريخ على يدهم من مراحل ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية ولأسباب أخرى معروفة وضعت نظريات عديدة حول منشأهم الأصلي⁽³⁾.

كما يرى المؤرخ "المحجوب": "أن السومريين الأوائل كانوا قبل دور الوركاء 3500-2000 ق.م خليطاً من الجماعات التي كانت تطوف المنطقة بحثاً عن أسباب التوطن ومن المستحيل البحث في أصولهم العرقية لأن المنطقة بأكملها لم تكن مهياًة بعد في ذلك الحين لنشأة التجمعات المدنية الثابتة فالأدوار الأولى لم تكن سوى محطات للرعي وبالكاد انتظمت فيها الزراعة⁽⁴⁾.

(1)- من أقدم الأقوام السامية التي استقرت في دلتا الرافدين (2159-2350 ق.م) بمدينة أكد تأسست عام 2370 ق.م على الجانب الأيسر من نهر الفرات . عاشوا منذ أقدم العهود مع السومريين وآلت إليهم السلطة في نحو 2350 ق.م بقيادة زعيمهم "سرجون الأول" وجعل أكد عاصمته عام 2800 ق.م، استطاع ملكهم أن يفرض سيادته على جميع مدن العراق. ثم بسط نفوذه على بلاد بابل وشمال بلاد ما بين النهرين وعيلام وسوريا وفلسطين والأناضول وامتد إلى الخليج الفارسي، حتى دانت له كل المنطقة وبذلك أسس أول إمبراطورية معروفة في التاريخ وجعل اللغة الأكادية تحل محل السومرية وظلت اللغة سائدة في الشرق الأدنى طوال سنة 2000 ق.م. ينظر: أحمد محمد عوف، موسوعة حضارة العالم، (د.د.ن)، (د.م)، 2000م، ص 42.

(2)- مرسيا اليا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج1، سوريا، 1986م، ص ص 79، 80.

(3)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 28.

(4)- فيما يتعلق بمبادئ الزراعة فقد عثر على رقيم طيني من طرف بعثة أمريكية في بلاد الرافدين والتي جعلت من الممكن ترميم الوثائق التي يزيد عمرها عن 3500 سنة وهي مهمة في تاريخ الزراعة وتقنياتها، وهذه البعثة ممولة من طرف الجمعية الشرقية لجامعة شيكاغو ومتحف جامعة بنسلفانيا والتي قامت بمعاينة موقع "تيبور"، وكانت اللوحة المعثور عليها في حالة يرثى لها لكن بعد تنظيفها ومعالجتها في المخبر أصبحت قابلة للقراءة، وقبل هذا الاكتشاف فقد تم العثور على ثمانى لوحات ومكسرات مدونة

والأرض في الجزء الجنوبي من أرض الرافدين لم تكن سوى مستنقع كبير لذلك توطنهم في هذه المنطقة أنتج لغة وهي تتدرج ضمن إطار زمني طويل يفصل اللغة الأولى عن بروز التدوين في شكله النهائي لذا انحصر المفهوم اللغوي الأولي فقط على المجموعات البشرية التي تسمى بالسومريين وبالتالي فتأصيل هذا العنصر بعيد نوعاً ما لأنه نتاج لاحق لاستقرار العنصر البشري وتفاعله في المنطقة⁽¹⁾.

فالمؤرخون لم يستقروا على رأي عن أصلهم ومن أين جاءوا من الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، ولكن المسألة التي تحتاج إلى تصحيح هي أنهم تعلموا الزراعة في أرض العراق، سواء أكانت هذه الخبرة نتيجة الظروف البيئية وطبيعة الأرض والنهر أم أنهم تعلموها من الساميين الذين كانوا يعيشون في الأرض المتاخمة لهم من أعلى، ومن الثابت أن المدن التي عرفناها في هذه الأرض كانت سامية وسومرية، وكانت بعض المدن السامية أقدم من السومرية⁽²⁾.

فما بين العصر الحجري الحديث وبدء التاريخ توجد مرحلة انتقالية حدثت في سومر ذاتها وليس في مكان آخر، ولكن لم يكن هناك كتابة وتدوين في مرحلة الانتقال، فلا نستطيع أن نعطي اسماً للشعب الذي يمثل مرحلة الانتقال من فجر التاريخ لكننا نعلم أنه عند بدء العصور التاريخية كان السومريون والساميون جنباً إلى جنب ومعهما شعب ثالث لم تعط له هوية بعد تدل عليه فلغته الخاصة ليست بالسومرية ولا الأكديّة، ويمكننا أن نفترض أن بلاد الرافدين كانت مبادرة بالحضارة السومرية التي بدأت التاريخ وهي امتداد لحضارة فجر التاريخ⁽³⁾.

لكن المؤرخ "برهان الدين دلو" يرى أن السومريين عناصر غريبة في المنطقة وجاءت شبه متأخرة في قوله: "ومن الإقليم الشمالي لبلاد الرافدين نزح العراقيون الأوائل إلى الجنوب عندما

بمختلف المعارف الزراعية الأولية، والنص المرمم والذي يتألف من حوالي 108 سطراً فهو يضم الإرشادات المقدمة من طرف فلاح لابنه. ينظر: Samuel Noah Kramer, **History Begins at Sumer**, University of Pennsylvania Press, USA, 1981, p. 65.

(1) -نقلاً عن وليد الزبيبي، السومرية اسم جامع لتشكّل اللغات الأفروآسيوية، القدس العربي، العدد 6063، 2008م، (د.ص.).
(2) -أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، ج1، دار الحرية، بغداد، 1983م، ص 31.

(3) -وديع بشور، سومر وأكّد، (د.د.ن)، دمشق، 1981م، ص 20.

تراجعت مياه الخليج وتشكل السهل الغربي الخصيب، حاملين معهم إلى ميزوبوتاميا السفلى تقاليدهم الحضارية، وشرعوا في تجفيف المستنقعات وتنظيم الري وحرث الأرض وتربية المواشي وبناء القرى على تلال اصطناعية، وعندما وصل السومريون إلى هذه المنطقة انصهروا مع سكانها الأوائل وأخذوا حضارتهم وطوروها بفضل العمل الدؤوب⁽¹⁾ والتعاون المشترك بين القادمين والمستوطنين القدامى⁽²⁾.

ويدعم هذا الرأي كل من المؤرخين الروسيين "ف.دياكوف وس.كوفاليف"، وتتلخص فكرتهما فيما يلي: "أقدم قرية اكتشفت في الميزوبوتاميا هي تل حسونة في شمال البلاد: من العصر الحجري القديم والألف الخامس تحديداً، في هذه المنطقة سارع الناس نحو الزراعة البدائية وهنا أقام أوائل المزارعين والمدجنين، ويرى الكثير من العلماء أن الناس انتقلوا من هنا في بداية الألف الرابع إلى ميزوبوتاميا الأسفل أي سومر وشرعوا يصلحون الأراضي السبخية في مجرى الفرات الأدنى، لقد استقر الشعب السومري قديماً على المرتفعات التي لا تصلها الفيضانات، كانوا يعيشون من الصيد والزراعة بالمنكاش وتربية المواشي، ويصنعون الخزف الملون وأدوات نحاسية كالخطاطيف والسكاكين وكانوا يقطنون أكواخاً من آجر وخيزران، كما أن وحدة شكل القبور والمآتم ونصب المرأة الآجرية المكتشفة تجعلنا نقول أن عهد الأم في سومر دام حتى النصف الأول من الألف الرابع ق.م"⁽³⁾.

(1)-من الطبقات الاجتماعية التي كان لها دور مهم في الحياة الاقتصادية في العراق القديم بشكل عام وفي عصر سلالة "أور الثالثة" بشكل خاص، سواء في المجتمع السومري أو البابلي أو الآشوري على حد سواء هم طبقة العمال على اختلاف أصنافهم، فمنهم المزارعون من جانب وأصحاب الحرف والمهن من جانب آخر، فهم قد شكلوا البنية الأساس المتينة على مر العصور، فقد قام هؤلاء بإنجاز الكثير من الأعمال اليومية وأهمها كان الأعمال الزراعية تحت إشراف مراقبين هم "أوكولا Ugu" ويقابلها بالأكدية "Aklu"، وشملت تلك الأعمال الحرث والبذر والحصاد والتذرية وتخزين المحصول، وصنف العمال الذي يرتبط بهذه الأعمال هم من صنف "كورش Gurus" والأنثى من هذا الصنف هي "Geme" ويقابلها بالأكدية "Amatu". ينظر: أباذر راهي سعدون الزيدي، لمحة في التنظيمات الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء النصوص المسمارية، مجلة الباحث، العدد 09، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العراق، 2013م، ص ص 314، 315.

(2)-برهان الدين، المرجع السابق، ص ص 202، 203.

(3)-ف.دياكوف وس.كوفاليف، الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، ج1، ط1، دار علاء الدين، دمشق، (د.ت)، ص ص 82، 83.

ويرى المؤرخ "جيمس هنري برستد" أن الاكتشافات الأثرية تثبت أن أقدم الحضارات المهمة في وادي الرافدين تطورت على يد قوم غير سامي الأصل لم يعرف جنسهم على وجه التحديد حتى الآن وهم يسمون "السومريين" لأن المنطقة التي كانت لهم السيادة عليها من بلاد الرافدين كانت تسمى "سومر"، ومن المحتمل أن هؤلاء كانوا قد بدأوا في تجفيف المستنقعات التي كانت عند رأس الخليج الفارسي قبل عام 3500 ق.م، وأخيرا امتدت قرى أكوخهم المبنية من الطوب اللبن من المنطقة الواقعة فوق بغداد⁽¹⁾ الحالية حتى مصب النهرين وبخاصة على شواطئ الفرات لأن مياه دجلة واطئة كثيرا عن الأرض المزروعة⁽²⁾.

وإن جهل العلم بمهد السومريين وفاته إدراك ثقافتهم التي انتقلوا بها إلى جنوبي النهرين، إلا أنه من الثابت أنهم بتواصلهم مع السكان الأصليين ارتقوا بالحضارة الإنسانية إلى قمم رفيعة، وأتوا بالمبتكرات القيمة في الميادين السياسية والاقتصادية، فطوروا أسلوب الكتابة وسموا بالفنون والصنائع وبحثوا في الدين والأخلاق وألقوا ظلالهم على الأساطير⁽³⁾ والملاحم والأناشيد وأسسوا التعليم الرسمي⁽⁴⁾.

(1)- كان موقع بغداد جزءا من مملكة سامية تسمى "أشنونا" وجدت مراكزها في جنوب شرقي المدينة، ترجع هذه المملكة إلى بواكير الألف الثاني ق.م وقد عثر فيها على بحوث مبكرة في الرياضيات تشكل السلف الأبعد لرياضيات فيثاغورس، وكان هذا الموقع معروفا عند ظهور الإسلام باسم "كولودا" ويبدو أن المعلومات عن هذه المملكة كانت متوفرة لدى الكتاب المسلمين إذ يذكرها صاعد الأندلس في "طبقات الأمم" أنها كانت دارا عظمى لمملكة غابرة. ينظر: هادي العلوي، من التاريخ الحضاري لبغداد، مجلة الثقافة الجديدة العراقية، العدد 328، العراق، 2008م، ص 01.

(2)- جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، تع: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو - مصرية، القاهرة، 1969م، ص 158.

(3)- إن أهم ما وصل إلينا من آداب السومريين وأساطيرهم هي تلك المعارف التي تضح فكرة الخليفة والطوفان والتي وصلت إلينا من خلال الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، قصة البطل جلجامش وإيتانا الذي حمله النسر إلى السماء، كما جاءت العديد من الأساطير عن طريق الأشعار للمدن الكبيرة، وما عثر عليه من مدونات الملوك مكتوبة بلغة شعرية، مما يعني أن ما وصلنا من أساطير قد تداخلت وبشكل ضمني لا يمكن تجزئته عن الدين والأدب. ينظر: مازن محمد حسين، الأسطورة في بلاد الرافدين دراسة في الفكر الأسطوري الملحمي في الثقافة السومرية والأكدية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 06، العدد 04، العراق، 2016م، ص 305.

(4)- عزمي سكر، السومريون في التاريخ، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1999م، ص 33.

كما يضيف لنا المؤرخ "أرنولد توينبي" جملة من المعلومات المهمة حول طريقة تهيئة الأراضي الجنوبية من بلاد الرافدين لجعلها مستقرا للمدينة في قوله: "وقد خلق السومريون عن طريق فتح الغرين في حوض دجلة والفرات الأدنى نوعا جديدا من المجتمع البشري: هو المدنيات الإقليمية، ونحن نعزو هذا الإنجاز إلى السومريين لأن الكتابة السومرية وقد حلت رموزها إنما تنقل لنا لغة السومريين في ذلك الدور من تطورها، لكننا لا نستطيع الجزم بأن السومريين هم الذين اخترعوا الأساس الأول لهذه الكتابة، أو أنهم أقدم الطلائع من سكان المستنقع - الغاب الذي تحول فيما بعد على أرض سومر، وأنهم الذين روضوا المستنقع - الغاب، وما كان من الممكن أن يكونوا أبناءه ذلك لأن هذه المناطق الوحشية لم تكن قبل ترويضها قابلة لسكنى الكائنات البشرية، وبعض أقدم المستوطنات البشرية مثل أور (المقير) وأوروك (الوركاء) وأريدو⁽¹⁾ قامت على الطرف الجنوبي الغربي للمستنقع الكبير في جوار بلاد العرب، لكن من المستبعد أن يكون السومريون قد جاءوا من بلاد العرب فليس للغتهم أي قرابة مع عائلة اللغات السامية⁽²⁾ وكل الجموع التي هاجرت من بلاد العرب إلى آسية وأفريقية كانت سامية اللغة⁽³⁾.

(1)-أريدو أو "أوري دوك"، وردت من الصيغة السومرية "أيري دوك Uri.Dug.GA" وتعني المدينة الجيدة، تقع على بعد سبعة أميال جنوب مدينة "أور"، وقد ازدهرت بالمعابد الفريدة من نوعها في سومر، وقد عرف اسمها لأول مرة في المقاطع المسمارية السومرية nUN.Ki وتعني المكان العظيم، وفي وقت لاحق أصبح هذا المقطع السومري من مفهومه للدلالة على مدينة بابل، وفقا لجداول الملوك السومرية سميت أريدو بمدينة الملوك الأولى، كما تعتبر المدينة الأولى في العالم القديم عندما هبطت الملوكية من السماء وقد حلت في هذه المدينة. ينظر: أباذر راهي سعدون الزيدي، مدينة أريدو ودورها الحضاري في بلاد الرافدين دراسة تاريخية، جامعة الكوفة، (د.م)، (د.ت)، ص 01.

(2)-أول من أطلق عليها هذه التسمية هو المستشرق "شلوتزر" الذي أخذ من جدول تقسيم الشعوب الموجودة في التوراة، ذلك الجدول الذي يرجع إلى الشعوب التي عمرت الأرض بعد طوفان نوح عليه السلام، وهذه التسمية مختصرة ومناسبة في التسميات الاصطلاحية، إلا أن العلم الحديث يفهم منها الآن شيئا يختلف إلى حد ما عما فهمه منها مؤلف جدول الشعوب في التوراة، لأن تقسيمه بني على اعتبارات سياسية وحدود جغرافية فحسب، أي أننا ينبغي أن لا نفهم من استعمال مصطلح "اللغات السامية" كما يذكر العالم الفرنسي "هنري فليش" أي شيء أكثر من اصطلاح يقصد به تيسير الأمر على الباحثين دون أن نعتقد أن له دلالة عنصرية، ورأيه كذلك يذهب إلى أن فكرة السامية لا يمكن على نحو صحيح إطلاقها على شعوب أي أنه لا يميل إلى فكرة الجنس السامي. ينظر: حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م، ص ص 11، 12.

(3)-أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، تر: نقولا زيادة، دار الأهلية، بيروت، 1988م، ص 77.

ويؤيد هذا الطرح المؤرخ العراقي المتخصص في المسماريات "عامر سليمان" حيث يصرح قائلاً: "إن العالم اللغوي لاندزبرجر landsberger يعارض الاعتقاد القائل بأن استعمال الكتابة المسمارية واللغة السومرية من طرف السومريين يجعلهم أول من سكن أرض جنوبي العراق، وجاء برأي جديد اعتمد على دراسة وتحليل الآثار المادية التي خلفها لنا الإنسان الذي عاش خلال الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد في القسم الجنوبي من العراق، والتي تعرف آثاريا بآثار دور العبيد، وعلى دراسة التراث اللغوي الذي خلفه ذلك الإنسان مما نجد بقاياه في اللغات التي سادت في المنطقة خلال العصور التالية، وهي اللغة السومرية واللغة الأكديّة، وفحوى الرأي الجديد أن السومريين لم يكونوا أول من عاش في أرض جنوبي العراق بل سبقهم إلى ذلك أقوام أخرى لا تزال هويتهم العرقية مجهولة لدينا غير أنه يمكن التأكد من وجودهم من خلال آثارهم المادية التي عرفت بآثار دور العبيد⁽¹⁾.

ويوافق المؤرخ "عامر حنا فتوحي" مبدئياً على هذا الطرح، حيث يقول: "أثبتت التنقيبات الأثرية في وسط وجنوب العراق وجود شعب غير سومري قديم مارس منذ طور أريدو (5300-4900 ق.م) حتى طور العبيد (4300-3500 ق.م) حياة متحضرة في منطقة ما تسمى بالقطر البحري الكبير أي مستوطن أسلاف الكلدان التاريخي الذي يمتد من الحافات السفلى لمرتفعات حميرين شمالاً/قطرايا/ قطر جنوباً ومن الأحواز شرقاً حتى مدينة ماري غرباً وكانت أشهر مدنه أريدو وأور وأوروك وكيش ولما لم تكن الكتابة قد ابتكرت بعد فقد أطلق لاندزبرجر landsberger التسمية الافتراضية (الفراتيون الأوائل) على ذلك الشعب الذي كانت عاصمته مدينة أريدو التي كانت تكتب مقطعيًا (نون كي Nun Ki) ويعني اسمها باللغة العتيقة أصل أو باب الحياة أو الرفاهية وفي قراءات أخرى بيت النخيل⁽²⁾، وبديهي أن كانت مدينة الإله أنكي/ أيا، ومن الجدير بالذكر أيضاً أن بعض المؤرخين العراقيين استخدموا تسمية الفراتيون الأوائل التي استحدثها "لاندزبرجر" فيما استخدم البعض الآخر تسمية الأكديون القدامى ومنهم الدكتور سامي سعيد

(1)- عامر سليمان، اللغة الأكديّة البابليّة- الآشورية، دار ابن الأثير، العراق، 2005م، ص 31.

(2)- عامر حنا فتوحي، الكلدانيون/ الكلدان منذ بدء الزمان بحث في الهوية الكلدانية/ الكلدانية، ط2، (د.د)، الولايات المتحدة الأمريكية، 2007م، ص 27.

الأحمد في كتابه الموسوم "السومريون"، وقد أدت الدراسات اللاحقة إلى التأكد من أن ذلك الشعب المتواجد في جنوب وادي الرافدين كان هو نبع الهجرات التي كانت تنتهي في بابل ونواحيها، علما أن بابل هي الأخرى تكنى بتسمية نون كي، كما أنها وفق جداول إثبات الملوك وبعض الإشارات المدونة في الألواح المسمارية والأسطوانات الملوكية تعد دونما جدال من أقدم المدن العراقية القديمة إن لم تكن أقدمها قاطبة⁽¹⁾.

لم يكن جنوب العراق القديم خاليا حين وصل السومريون، فقد وجدت قرى مزدهرة وأصبح بعضها أساس مدن سومرية لاحقة، ويبين علم الآثار أن القادمين الجدد تبنا كثيرا من تقنيات بناء الشعب الموجود قبلهم وزراعتهم وريهم ولو لأنهم أدخلوا وابتكروا وسائل وتقنيات لم تكن موجودة سابقا في البلاد، وقد اعتقد بعضهم أن السومريين وصلوا البلاد رعاة متنقلين محاربين وفرضوا أنفسهم على الناس المستقرين ليكونوا طبقة حاكمة، وظن علماء آخرون أنهم كانوا فلاحين قرويين ولعل تغيرات مناخية أخرجتهم من موطنهم في أواسط آسيا، ولكن هذا دليل ضعيف وغامض وليس كافيا في الوقت الحاضر لكي نتخذ قرارا⁽²⁾.

وقد لعبت الاكتشافات الأثرية ولا تزال دورا بالغ الأهمية في كشف تعاضم دور السومريين في تاريخ حضارة بلاد الرافدين خاصة وتاريخ الشرق الأدنى القديم عامة، ولعل أهم نقطة تتعلق بفهم دورهم وعطاءهم الحضاري بالمنطقة هي مسألة أصولهم الأولى والمكان الذي أتوا منه إذا سلمنا بكونهم مهاجرين غير أصليين بالمنطقة أو بالعكس كونهم من سكان العراق القدماء، والواقع أن تناول هذه القضية تستند في معالجتها على أسس ثلاث، أولها لغوي والثاني أنثروبولوجي والثالث أثري، وهي أسس لم تنته بالباحثين لرأي حاسم، بل جعلت جل نتائجهم مجرد افتراضات غير يقينية، ومفاد ذلك قول أحد أعلام حضارة بلاد الرافدين "هنري فرانكفورت H.Frankfort" إذ

(1) -عامر حنا فتوح، المرجع السابق، ص 27.

(2) -هاري و. ف ساكر، المرجع السابق، ص 26.

يذكر في هذا الصدد: "أن المناقشة المسهبة لهذه المشكلة يمكن تماماً أن تتحول في النهاية إلى ملاحظة وهم لا وجود له مطلقاً"⁽¹⁾.

في حين يصعب في ضوء المصادر المتاحة كشف الغموض الذي يحيط سواء بأصل السومريين أو تاريخ مجيئهم إلى جنوب العراق، إلا أنه يتبين أن هؤلاء قد سكنوا إلى جانب جماعات أخرى وبخاصة العناصر السامية التي وفدت من شبه الجزيرة العربية في موجتها الشمالية الشرقية تجاه بلاد الرافدين، وقد تمكن كل من العنصرين من تكوين عدد من المدن الرئيسية التي ورد ذكرها في قائمة الملوك السومرية، وكان لكل مدينة استقلالها الذاتي سواء في ملكية الأرض أو استغلال موارد المياه وكذلك الاستقلال السياسي والحضاري، وذلك أن الاستقرار في جنوب العراق لم تكن عملية متجانسة لما تتطلبه مجهودات تجفيف الأراضي وبناء المدن وحفر القنوات وتجهيز المكان وتفاوت جهات عن الأخرى، هذا بالإضافة إلى أن تلك التحركات البشرية الآتية على الإقليم لم تكن دفعة واحدة وأخيرة بل غلبت عليها الدفعات المتعاقبة حسب المتطلبات الاقتصادية والبشرية⁽²⁾.

ضمن هذا الإطار يقول المؤرخ "إبراهيم رزقانة" رفقة مجموعة من المؤرخين: "ونحن في حديثنا عن السومريين لا نستطيع مطلقاً أن نتحدث عن شعب متماسك الأطراف يكون أمة متحدة استطاعت أن تبرز في التاريخ بحضارة متسقة نقدمها في إطار معين كما هو الحال في مصر القديمة، ولكن كما سبق أن قلنا سنتحدث عن مراكز حضارية تتمثل فيما سميناه دويلات المدن وكان لكل منها أسرة ملكية تحكمها كما كانت الحروب قائمة بينها كل منها تسعى لتسود جارتها وتتولى حكمها وتقضي على الأسرة الحاكمة فيها، وهكذا دواليك حتى تمكن في الأخير بعض

(1)-حسين محمد محي الدين السعدي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم العراق إيران آسيا الصغرى، ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998م، ص ص 49، 50.

(2)-أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر - العراق - إيران)، دار النهضة العربية، مصر، 1989م، ص 254.

المغيرين من الجنس السامي أن يقضوا على هذه الوحدات المتفرقة ويكونوا دولة واحدة مترامية الأطراف⁽¹⁾.

بالمقابل يوجد خلاف واضح لهذا الرأي في نظر المؤرخة "نبيلة محمد عبد الحليم" في قولها: "وتاريخ الشرق الأدنى القديم يتضمن العديد من التحركات البشرية ويمثل العراق القديم منطقة جذب لكثير من تلك التحركات البشرية سواء السامية والحامية الوافدة من شبه الجزيرة العربية، أو التحركات الهندو-أوروبية الخارجة من القارة الهندية، ولقد ترتب عن تلك الهجرات المتعددة استقرار الكثير من العناصر السامية والسومرية بالإضافة إلى العناصر العيلامية والجبليّة في العراق القديم⁽²⁾."

لكننا هنا نتوقف عند رأي هذه المؤرخة التي تصنف العناصر السومرية ضمن الأصل السامي وهي من الأمور التي مازالت محل النقاش وغير مثبتة بشكل نهائي، وهذا التصنيف لابد له من معايير مرتكزة لإثباته بشكل كلي ذلك أن اعتماد هذا التأكيد قد يرهن نوعاً ما مشكلة الأصل السومري ويغير من الواجهة الحضارية للمنطقة، ومن الإلزام التعامل مع مبدأ إصدار الأحكام دون الدلائل والقرائن المادية بحذر كونها تجعل المعطيات القابلة للنقاش أمراً بديهياً لا يقبل التحليل والبحث الموضوعي.

بينما ولفترة طويلة اعتبر السومريون من السكان المحليين، لكن تغير هذا الرأي تدريجياً حيث جعل العلماء موطنهم الأصلي خارج حدود منطقة وادي الرافدين، وأول من أخذ يشك في ذلك هو العالم الأمريكي "إ. سبايز" وأيده في هذا العالم الروسي "م. ميكولسكي" والأمريكي "س. كامير" وغيرهما، ووجد لهؤلاء العلماء خلفاء رأوا في هذه الفرضية أساساً متيناً للاستنتاجات الواقعية⁽³⁾.

كما يؤيد الباحث الأثري "سيتون لويد" نظرية الأصل الغير محلي للعناصر السومرية التي يعود لها الفضل في صياغة العديد من المنجزات الحضارية ويقول: "...وفي بلاد الرافدين يعزى مجمل التطور الثقافي الذي نتحدث عنه عموماً إلى قدرة الأقوام السومرية المبكرة في نضجها،

(1)-إبراهيم رزقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، مصر، (د.ت)، ص 269.

(2)-نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 42.

(3)-ك. ماتيف وأ. سazonوف، المرجع السابق، ص 51، 52.

وهي أقوام ليست هندية أوروبية ولا سامية يشهد على سكنها تاريخيا الأراضي الرسوبية التي كونتها دجلة والفرات منذ الألف الثالث ق.م، ولم يبق اليوم إلا القليل من الشك في أصول هذه الأقوام، فقد كانت تمثل أول النازحين إلى الأهوار⁽¹⁾ الجافة القائمة عند رأس الخليج العربي وقد أتوا من موطنهم الأولي في المرتفعات الإيرانية حيث يمتزج ماضيهم البعيد بنمط من هجرات ما قبل التاريخ، وأصبح موطنهم الجديد يشبه في عدة نواحي موطن المصريين الأوائل في وادي النيل، إذ كانت مستوطناتهم قائمة على الضفاف الطينية التي كانت تبرز من الأهوار المليئة بالقصب⁽²⁾.



-نحت يبرز الجيش الآشوري وهو يأسر الكلدانيين في منطقة الأهوار الجنوبية- (Jack

Cheng and Marian H.Feldman, **Ancient Near Eastern Art in Context (Studies in Honors of Irene J.Winter by her Students)**, Culture and History of the Ancient Near East, Vol 26, edit Brill, Leiden Boston, 2007, p 126. (النحت النافر يبرز البيئة

النهرية أو ما يصطلح عليه ببيئة الأهوار التي عاش ضمن نطاقها الجغرافي السومريون الأوائل).

(1)-Marshes وهي الأراضي المنخفضة التي تغطيها المياه سواء في جميع أيام السنة أو في بعضها، ولا يوجد فرق واضح بين الأهوار والمستنقعات، يطلق سكان جنوب العراق تسمية الأهوار عموماً على البرك أو المناطق المنخفضة التي تملؤها مياه ضحلة العمق جنوب العراق والسهل الرسوبي، تنمو فيها نباتات القصب والبردي وغيرها من نباتات المستنقعات، وتعد الأهوار من المظاهر الجيومورفولوجية والهيدرولوجية المهمة والتي تملك ميزات جغرافية فريدة من نوعها في العراق، وذلك لاتساع رقعتها وتعدد أماكنها وتنوع طبيعتها الخلابة من حيث الحياة المائية والبرية فيها. ينظر: أياد عبد علي سلمان الشمري، نظريات نشوء أهوار العراق (دراسة جيومورفولوجية)، مجلة البحوث الجغرافية، العدد 21، جامعة ميسان، العراق، (د.ت)، ص 439.

(2)-سيتون لويد، المرجع السابق، ص ص 31، 32.

فبيدأ تاريخ السومريين ببداية العصور التاريخية التي تتوافق مع عصور فجر السلالات، أما قبل ذلك فلا نملك أية معلومات أو أي دليل أو إشارة يمكن الاستدلال بها على أنهم تواجدوا في جنوب العراق خلال عصر ما قبل التاريخ، لذلك كل ما نعرفه عن أصلهم يعود إلى عصر فجر السلالات، فقد تميز هذا الأخير بظهورهم على المستوى الحضاري ومن خلاله تعرفنا لأول مرة على أولى الكتابات باللغة السومرية وبالخط المسماري وذلك بعد ظهور وسائل الكتابة والتدوين عن طريق دور "سلالة لجش الأولى" في تكوين حضارة سامية-سومرية⁽¹⁾.

ضمن هذا الإطار كذلك يطرح المؤرخ "جورج رو Georges Roux" العديد من التساؤلات أهمها: من هم هؤلاء السومريين الذين نستطيع تسميتهم بذلك للمرة الأولى بشكل مؤكد؟ هل هم من الأقاليم القديمة التي تعود إلى فترة ما قبل التاريخ في بلاد الرافدين أو جاؤوا من الخارج؟ وإذا كان كذلك فمتى حدث هذا وكيف تم ذلك؟.

هذا المشكل قد تم طرحه ضمن العديد من الفرص منذ عام 1869م عندما اقترح المؤرخ "جول أوبرت Jules Oppert" إطلاق تسمية السومريين على لغة بعض نقوش بلاد الرافدين والتي لا تنتمي لا للآشوريين ولا للبابليين، وهذا قبل ثماني سنوات قبل أن يكتشف الباحث "ارنست دي سارزك Ernest De Sarzec" الحقيقة الفعلية للحضارة السومرية في "تللو" (جرسو) والتي لم تحل ولن تحل أبدا دون شك، فالكشوفات الأثرية والنقوش الخاصة بالألفية الأخيرة بعيدة من أن تعطيها حلا واضحا وسهلا، ولم تزدها في الحقيقة إلا تعقيدا، ولكن على الأقل فقد منحنا هذا النقاش الطويل على مدى مائة وخمسين عاما أدلة وبراهين جديدة وقوية والتي تستحق الدراسة والمعاينة⁽²⁾.

كما يؤكد المؤرخ "عزمي سكر" على مصداقية هذه الفكرة في قوله: "...ويبقى علينا أن ننتظر وفرا من الاكتشافات الأثرية والبحوث التاريخية المعقودة حولها لنميط اللثام عن الماضي وتستتير الحقيقة بالوجه اليقيني، فنجيب عن أسئلة تساورنا ونحن بصدد النظر في موضوع

(1)- أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 32.

(2)- Georges Roux, *La Mésopotamie*, édit du Seuil, Paris, 1995, p 103.

السومريين وأخص بالذكر مسألة انطلاق الحضارة الباهرة الأصلية التي سميت بالسكان إلى ذلك المستوى الاعجازي الرائع...⁽¹⁾.

وعلى الرغم من كل ما جاءت به التحريات الأثرية سواء عن العصور التاريخية أو ما قبل التاريخية فلم يظهر حتى الآن ما يشير من قريب أو من بعيد إلى أصل أو أصول مستوطني بلاد الرافدين فيما قبل العصر السومري، أي فيما قبل الألف الرابعة قبل الميلاد، وما زالت مسألة يلفها الغموض وما أصبح معروفا حتى الآن على كل حال هو أن السومريين كانوا أول جماعة سكانية تركت آثارا واضحة لشعب كانت له كل مقومات الحضارة الإنسانية، وقد بدأت حضارتهم بالتفتح في أواسط الألف الرابعة قبل الميلاد ولكن استيطانهم كان بالتأكيد قبل ذلك، وغير معروف أيضا من أين كان قدومهم إلى جنوب الرافدين، ومن المستبعد أن يكونوا قد وجدوا أمامهم أرضا خالية فاستوطنوها، بل إنهم إما أزاحوا مستوطنين سبقوهم وإما اختلطوا معهم ثم استوعبواهم⁽²⁾.

ويأتي المؤرخ واللغوي "فوزي رشيد" ليبين العديد من وجهات النظر حول قضية الاستقرار السومري في قوله: "إن أقدم الأقوام التي سكنت أرض الرافدين وورد ذكرها في الكتابات القديمة هم السومريون، وما يخص حقيقة وأصل هذا الشعب فإن عددا من الباحثين يعتقدون بأنهم ليسوا من سكان العراق الأصليين وإنما هاجروا إليه من منطقة غير معروفة في الوقت الحاضر، إلا أننا نعتقد بأنهم من سكان الأقسام الشمالية من العراق جاءوا إلى القسم الجنوبي منه على شكل جماعات مهاجرة، وذلك بسبب تزايد السكان الذي حدث في الأقسام الشمالية خلال حضارتي سامراء⁽³⁾ وحلف⁽⁴⁾ والذي أصبح لا يتناسب وكمية المواد الغذائية التي تنتجها المنطقة، فأدى هذا

(1) -عزمي سكر، المرجع السابق، ص 32.

(2) -عبد الله الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية، ط1، دار بيسان، لبنان، 1999م، ص 33.

(3) -عثر في مخلفات هذه الحضارة على أواني فخارية مزينة بنقوش هندسية وحيوانات وأشخاص، وهي تؤرخ بحوالي الألف السادس ق.م وتدل آثارها على وجود علاقات بينها وبين أرمينيا وبلاد العرب بدليل وجود بعض المصنوعات التي استخدمت فيها مواد تنتمي أصلا إلى هذه الجهات. ينظر: محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 234.

(4) -يختلف المؤرخون في أصل هذه الحضارة التي تعد أول عهود ما قبل الأسرات في العراق القديم، وقد وجدت آثارها في جهات مختلفة تمتد غربا إلى منطقة العمق في سوريا كما وجدت في العرجية قرب الموصل، تتميز بأواني فخارية مصقولة رقيقة الجدران، وتعد الزخارف التي زينت بها هذه الأواني من أحسن ما خلفه الإنسان القديم على الفخار، كما تتميز أيضا باستخدام النحاس وزيادة

التزايد إلى هجرة الفأض، وبعد كل هجرة يبدأ من جديد تزايد عدد السكان حتى يؤدي إلى هجرة أخرى، وكانت كل جماعة مهاجرة تسكن في منطقة معينة من القسم الجنوبي والمناطق التي سكنتها هذه الجماعات المهاجرة نمت وتطورت وكونت دويلات المدن السومرية المعروفة، وبسبب مجيء السومريين إلى القسم الجنوبي من العراق قد حدث في فترة سبقت ظهور الكتابة فإن إثبات ما ذكرناه بشكل قاطع أمر غير ممكن⁽¹⁾.

أما المؤرخ المختص في المسماريات الدكتور "نائل حنون" الذي أثار قضية تاريخية جد معقدة فيما يخص الأصل الحضاري لبلاد الرافدين وأثارت كتاباته عن حقيقة الأصل السومري ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأكاديمية، فيظهر بعض طروحاته فيما يلي: "...شهد القرن العشرين جهوداً سعت لترسيخ فكرة نزوح السومريين إلى بلاد الرافدين واختراعهم الكتابة هناك وإقامتهم للمدن والمعابد وإبداعهم لآداب وفنون متميزة وتقنينهم للقوانين وإنشاءهم لأنظمة الحكم على أرض اعتبرت أنها تحمل اسمهم وأنها شغلت الجزء الجنوبي من جنوب العراق الذي أصبح لاحقاً بلاد بابل، أما الجزء الشمالي من هذه المنطقة فقد أعتبر بلاد أكاد، وهذا التقسيم بني على افتراض أن المدن الجنوبية كانت سومرية والشمالية أكادية، وهو افتراض غير صحيح كما سنوضح لاحقاً، ثم عمم من خلال تلك الجهود الاعتقاد القائل أن الأكديين هيمنوا على بلاد سومر وأكد كلها في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد وأنهوا الثنائية القومية وأضافوا الصبغة الأكادية البابلية على ما كان يعرف ببلاد سومر وأكد الذي أصبح بلاد بابل في العصور اللاحقة، وأنهم

القرى عنها في العصر السابق، وتدل الآثار التي اكتشفت في العرجية على أن القرية كانت شوارعها مبلطة بالحجارة وأنها كانت محاطة بسور وفيها بعض المباني العامة والمعابد مما يدل على تقدم الحياة الاجتماعية، ووجدت بين آثارها تماثيل صغيرة تمثل آلهة الأمومة، وليس من الغريب أن تنسب هذه الحضارة إلى حلف التي تقع في الإقليم السوري وتخرج عن نطاق العراق القديم فقد وجدت آثارها في أماكن متفرقة من سورية مثل رأس شمرا إلى جانب بعض جهات العراق القديم ينظر: محمد أبو المحاسن عصفور، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، مطبعة المصري، مصر، 1962م، ص ص 79 - 81.

(1)- فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، ط1، دار صفحات، دمشق، سوريا، 2009م، ص 25.

أقاموا على أرض الرافدين الحضارة البابلية- الآشورية التي بنيت على الأسس التي ورثوها من السومريين⁽¹⁾.

وعلى غرار هذا الطرح فالمؤرخ "ويل ديورانت" يقع ضمن مجال محدود ومعقد، إذ تعذر عليه تحديد الإطار العام للعنصر السومري وتحديد أصله بشكل حيث يذكر بشكل متردد بعض الترجيحات حول انتماء هذا العنصر في قوله: "...وليس في وسعنا رغم ما قام به العلماء من بحوث أن نعرف إلى أي سلالة من السلالات البشرية ينتمي هؤلاء السومريون أو أي طريق سلكوه حتى دخلوا بلاد سومر، ومن يدري لعلهم جاءوا من آسية الوسطى، أو من بلاد القفقاس أو من أرمينية واخترقوا أرض الجزيرة من الشمال متتبعين في سيرهم مجري دجلة والفرات حيث تجد كما في آشور مثلاً شواهد دالة على ثقافتهم الأولى، أو لعلهم قد سلكوا الطريق المائي من الخليج الفارسي كما تروي الأساطير أو من مصر أو غيرها من الأقطار، ثم اتخذوا سبيلهم نحو الشمال متتبعين على مهل النهرين العظيمين، أو لعلهم جاءوا من السوس حيث يوجد بين آثارها رأس من الإسفلت فيه خواص من الجنس السومري كلها، بل في وسعنا أن نذهب إلى أبعد من هذا كله فنقول أنهم قد يكونون من أصل مغولي قديم موغل في القدم، ذلك أن في لغتهم كثيراً من التراكيب الشبيهة بلسان المغول لكن علم هذا كله عند علام الغيوب"⁽²⁾.

ويعود في هذا الموضوع الأثري "سيتون لويد" الذي يبين منشأ إشكالية الأصل السومري البالغة التعقيد، حيث تبرز هذه الصعوبة في قوله: "وأخيراً يجب أن نعود إلى مشكلة أصل السومريين التي كانت موضوع بحث مترو بين العلماء والمختصين، وقد كان هذا الأمر موضع صراع واضح بين حجج الفقهاء اللغويين من جهة واستنتاجات علماء الآثار من جهة أخرى، وبشكلها العريض تنشأ المشكلة من الشك المتعلق بالنقطة الزمنية في سلسلة عصور ما قبل السلالات التي أصبح عندها ممكناً أن نطلق اسم "السومريين" على سكان بلاد الرافدين السفلى،

(1)- نائل حنون، حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، ط1، دار الزمان، دمشق، سوريا، 2007م، ص 27.

(2)- ويل وإيريل ديورانت، قصة الحضارة (الشرق الأدنى)، مج 01، ج 02، تر: محمد بدران، دار الجيل، لبنان، 1988م، ص 14، 15.

لقد قيل أن ابتكارات عصر بداية الكتابة تحدد الهوية التي يمكن من خلالها التعرف على حضارة بلاد الرافدين خلال تاريخها الطويل وأن هذه الابتكارات قد قبلت في وقت من الأوقات كدليل قوي على وصول السومريين إلى المنطقة خلال ذلك العصر، إن الجدل حول هذا الموضوع يقود إلى مقدمة وحيدة وهي أن بعض المدن القديمة جدا في بلاد الرافدين والمذكورة في النصوص التاريخية والتي كانت قائمة قبل عصر بداية الكتابة يمكن الاعتقاد بأنها كانت تحمل أسماء غير سومرية، ولقد استعمل هذا الأمر لتبرير سلسلة التفكير بحدوث هجرة مفترضة لسكان ساميين في منطقة الشرق الأدنى بكاملها، ويستند علماء الآثار إلى شكهم بهذا الأمر عن أصل السومريين إلى غياب الأدلة التي تؤكد استخدام مثل هذه الأسماء قبل ابتكار الكتابة، وفي الأخير فإنهم يقعون تحت تأثير وجود دليل على الاستمرار الحضاري ما بين عصر عبيد وأوروك⁽¹⁾.

ونفس الفكرة يؤيدها المؤرخ "فاضل عبد الواحد علي"، حيث يقول: "لقد أصبح أصل السومريين مسألة عويصة حتى أن المعنيين بحضارة العراق القديم صاروا يسمونها بالمشكلة السومرية، ومنذ ثلاثينيات القرن العشرين فالنقاش محتدم بين المستشرقين من مختصين بالكتابات المسمارية وآثاريين لحل هذه المشكلة دون الوصول إلى نتيجة حاسمة تحظى بقبول الغالبية، وكل ما تم طرحه خلال ما يزيد على نصف قرن من هذا النقاش، جملة فرضيات متباينة إلى درجة أن بعضها يثير مزيدا من الدهشة والاستغراب"⁽²⁾.

أما فيما يخص وطن السومريين "وتحديد موقعه فلم تتوفر لدينا حتى الآن دلائل ثابتة يحق لنا اعتمادها في هذا الصدد، لذلك تباينت الآراء ومنها أن السومريين وفدوا إلى جنوب ما بين النهرين من إيران أو من الغرب في شمال افريقية عبر فلسطين وسورية، وذهب بعض الباحثين إلى القول بأنهم هاجروا إلى موطنهم التاريخي من جنوب الهند، وقد درس عدد من العلماء بقايا بعض الهياكل العظمية من القبور السومرية بهدف ربط السومريين بعرق من الأجناس البشرية المعروفة حتى الآن ولكن دون جدوى، وحاول علماء الآثار في الوقت نفسه أن يقيموا جسرا

(1)-سيتون لويد، المرجع السابق، ص 86.

(2)-فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوراة، ط2، دار سينا للنشر، مصر، 1996م، ص 21.

يربطون به الجوانب المادية من الحضارة السومرية بحضارات شعوب أخرى معروفة ولكن حظهم هنا لم يكن أفضل من حظ زملاءهم علماء الأجناس، ودخل أيضا علماء اللغات الشرقية منذ مطلع القرن الحالي أي العشرين ميدان السباق لاكتشاف سر هذا المجهول ولكنهم ألقوا السلاح بدورهم بعد أن عجزوا عن تحديد أصل اللغة السومرية⁽¹⁾.

كما أن الآداب السومرية تقدم لنا بالواقع صورة عن شعب بالغ الذكاء محب للعمل وملتزم الأخلاق ومتدين، ولكن هذا كل شيء فتلك الآداب لا تقدم أدنى إشارة ولو بصورة غير مباشرة إلى أصلهم، بل عن ما يلفت النظر هنا أن أقوالهم وأساطيرهم بشكل عام تستند في معظم الأحيان بأفكارها إلى الأنهار والمستنقعات وأشجار النخيل⁽²⁾ والقصب بحيث يخيّل للباحث أن السومريين كانوا موجودين منذ أقدم الأزمنة في أرض الرافدين وهو أمر يميل بعض الباحثين فعلا إلى الاعتقاد به، ثم أن مسألة أخرى لم يستطع أحد الإجابة عليها أيضا ألا وهي إن كانت اللغة السومرية قد استخدمت منذ زمن قديم جدا في بلاد الرافدين أم لا⁽³⁾.

(1)-توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 78.

(2)-كانت النخلة أقدم وأهم شجرة في العراق القديم، قد بدأت زراعتها في الجزء الشمالي منه منذ بداية استيطانه في حوالي سنة 4000 ق.م، ومن المحتمل أن يكون موطنه الأصلي في الجزء الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية أو أنه من إفريقيا أو الهند، ولا يزال السهل الجنوبي إلى يومنا هذا المنطقة الرئيسية التي تتركز فيها زراعة النخيل، وتشير الوثائق إلى أنهم قاموا بدراسات واسعة لاستثماره على الوجه الصحيح، فكانوا يحفرون تربة البستان ويقلبونها، كما حددوا المسافة بين نخلة وأخرى بحوالي عشرة أمتار، ولجأوا إلى التلقيح الاصطناعي وإلى زرع فسائل لأنهم أدركوا أن زرع النوى إن أثمر فإنما يثمر ثمرا رديئا، قد أشارت شريعة الملك "حمورابي" إلى زراعة النخيل وحددت طرق التعامل بين مستأجر البستان وصاحبه وفرض عقوبات على من يقطع نخلة بدون إذن صاحبها. ينظر: برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 264.

(3)-عبد الله الحلو، المرجع السابق، ص 34.

المفصل الأول

سومر البدايات

1. البدايات الأولى للحضارة.
2. أساطير انطلاقة الحضارة.
3. أصل تسمية سومر (المسميات التاريخية).
4. قائمة الملوك كمصدر أثري لتأريخ العصور السومرية المبكرة (تحليل ونقد المحتوى).

1. البدايات الأولى للحضارة:

امتزجت المعالم في بلاد الرافدين بين ما هو سومري أي هندو-أوروبي وما هو سامي بمعنى أكدي، أو آشوري أو كلداني، فالسومريون الذين أسسوا هذه الحضارات كانوا آريين، ولكن الروح السامية طغت على هذه الحضارات، لذلك من الصعب جدا تحديد من هي الدولة التي كان لها الفضل الأكبر والأعمق في بروز العلم والثقافة، وبسبب التجارة⁽¹⁾ والغزوات المتلاحقة حصل اتصال وتفاعل فكري وعلمي بين حضارة النيل وحضارة الفرات، وعلى هذا الأساس يشمل الحديث عن هذه الحضارات كل المراحل الممتدة من حكم السومريين إلى زمن الكلدانيين مروراً بالأكاديين والبابليين والآشوريين.

فقبل آلاف السنين أخذت تظهر اختلافات في السلالات البشرية بمناطق جغرافية متعددة في العالم ممثلة بصفات خاصة لكل سلالة نتيجة لتكيف المجموعات البشرية لظروف بيئية خاصة بها تختلف عن غيرها، والعراق واحد من الأقطار التي تعاقبت على أرضه موجات بشرية مختلفة في تكوينها السلالي وفي مستوياتها الحضارية، ولكن ما تلبث هذه الأقوام أن تنصهر في مجموعات سكانية أكبر منها وتأخذ في النهاية طابعا جنسيا مميزا وصفات وخصائص معينة، وكان لموقع هذا البلد الجغرافي دور في ذلك، وقد تركت هذه الأقوام أثارها البارزة في المميزات الأنثروبولوجية والاجتماعية والثقافية للسكان.

وعلى ضوء هذه المعلومات أمكن التعرف على المجاميع الإثنولوجية التي دخلت وادي الرافدين في شكل موجات⁽²⁾ خلال أدوار تاريخية متفاوتة استوطنته، وبعض تلك المجاميع سكنت

(1)-كان التجار يحصلون على الذهب والفضة والنحاس والرصاص والخشب والروائح العطرية والحجارة للمعبد نظير تقديم حبوب وتمر ومنسوجات من أقمشة صوفية إلى ستائر إلى سجاد، وكانوا يستبدلون البضائع المصنوعة في المدن المحلية بمنتجات مدن أخرى غير متوفرة فيها هذه المواد أو يذهبون إلى أقطار أخرى كعيلام، وكانوا يستخدمون حمير المعبد في الأسفار. ينظر: عبد الحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص 51.

(2)-بخصوص عملية الاستيطان فلم تعرف المنطقة خلال العصر الحجري القديم حياة ولم يستطع الإنسان البقاء فيها، أما خلال العصر الحجري الحديث فقد تسلسل السكان المقيمون في الجبال المجاورة إلى تلك البقاع يحملهم الجوع والهروب من الأعداء، هبطت معهم الثيران والغزلان وحمر الوحش، فانطلق السكان للعمل في الصيد ثم في الزراعة، فغرست الأرض بالشعير وسواه وبالخضار، ثم عرفت زراعة شجرة النخيل السمس، وجرت تربية الحيوانات واستصلاح أقسام أوسع من الأرض بما يستلزم ذلك من

العراق ثم انقطعت صلتها به، ولكن بقي تأثيرها فيه إلى الوقت الحاضر، في حين استمر وجود البعض الآخر ممثلاً بأحفاده إلى يومنا هذا، وعموماً يمكن تقسيم المجاميع الإثنولوجية التي تكون سكان العراق إلى مجموعات قديمة وأخرى حديثة⁽¹⁾.

فلم يكن بنو سام أول من شكل مجتمعا قوميا في وسط وادي الرافدين الخالد، بل هناك من سبقهم إليه بشر من العصور الحجرية ثم ما قبل عصر السلالات وعند فجرها وكذلك مع بداية الملكية، فكان لهم أن شكلوا فيه مجتمعات متحضرة لها مجد وكيان، هذا إن لم تذهب وراء العصور الجليدية المتفاوتة التي ساقطت آخرين إليه من وراء الجبال الشمالية القاسية، فانحدروا صوب الجنوب واستقروا بين السلاسل الجبلية الواطئة في شمال بلاد الرافدين واتخذوا كهوفا مأوى ومسكنا لهم قبل أن يمروا صوب الجنوب وغيرهم رحالة وراء الماء⁽²⁾ والكأ والتي سميت بالموجة السامية⁽³⁾.

هنا يركز الآثاري "سيتون لويد" على هذه النقطة بالتحديد، ويوضح ذلك في قوله: "إن الموضوع الذي سنعالجه هو حصيلة أبحاث في التطور الاجتماعي وفي أصول الشعوب التي انحدر منها سكان بلاد الرافدين خلال العصور التاريخية، وما يزال الخيط الذي يربط هؤلاء الناس بإنسان العصر الحجري القديم غامضا ومثيرا للجدل، ومع ذلك فإن هذا الأمر لا يمكن تجاهله ولو أننا وضعنا حلولا اعتباطية للمنطقة الجغرافية موضوع الدراسة فإنه لمن الخطأ أن نهمل الأدلة التي تم

تجفيف حماية من الفيضانات وسدود الماء لأيام الجفاف حفر الآبار، فتحول وادي الرافدين إلى منطقة خصيبة. ينظر: عزمي سكر، المرجع السابق، ص 22.

(1) -عباس فاضل السعدي، التركيب الإثنولوجي لسكان العراق، مجلة كلية الآداب، العدد 68، جامعة بغداد، العراق، (د.ت)، ص 108، 109.

(2) -نظرا لأن الحضارة العراقية القديمة كانت ولا زالت في قسمه الجنوبي والأوسط حضارة إروائية- نهريّة، إذ اعتمدت على مياه الأنهر والقنوات في سقي المزروعات، ولأهمية الزراعة في توفير الحاجات الضرورية للسكان من مواد غذائية وغيرها، فقد كانت مصادر الإرواء تمثل مواقع مهمة واستراتيجية للسلطات الحاكمة آنذاك، ونتيجة للتزاحم والتوسع كانت تظهر الحاجة الملحة للسيطرة عليها، لذا كانت سببا مباشرا لقسم كبير من الحروب في العراق القديم. ينظر: محمد فهد القيسي، أثر المياه على الحروب في العراق القديم (3000-293 ق.م)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 52، جامعة واسط، 2016م، ص 04.

(3) -جرجيس جبرائيل هومي وعبد العزيز هام، القوميات العراقية ماضيها وحاضرها، مطبع الإرشاد، بغداد، 1959م، ص 15.

العثور عليها ضمن هذه الحدود على الاستيطان البشري⁽¹⁾ الذي سبق نهاية العصر الحجري القديم، وبشكل طبيعي فإن هذا الموضوع يمتزج مع أو ينبعث من التاريخ الجيولوجي لمنطقة جنوب غرب آسيا، ومع ذلك فإن اهتمامنا يجب أن يتركز على الفترات الأخيرة من هذا التاريخ وسوف نعمل في البداية على ذكر تسلسل الأحداث التاريخية⁽²⁾.

نفس الرأي تقريبا يذهب إليه المؤرخ "رشيد الناصوري"، حيث يقول: "ويحتمل وجود فجوة حضارية بين عصر حضارة جرمو وعصر حسونة، الذي يمكن اعتباره أنه يمثل صميم عصر القرى المستقرة بصورة أكيدة...وعصر حضارة حسونة يمثل حضارة قريبة مستقرة خلال العصر الحجري الحديث، ولم يعثر الأثريون على أي معدن، أي أن أصحاب هذا العصر الحضاري لم يصلوا إلى استخدام النحاس بل يمثلون صميم العصر الحجري الحديث، فقد تمكنوا من زراعة النباتات وخاصة القمح وكذلك استأنسوا الحيوانات⁽³⁾ كالغنم والماعز والخنزير، وبنوا منازلهم من كتل الطين، ولم يصل الأنثروبولوجيون إلى التعرف على جنس أصحاب هذه الحضارة"⁽⁴⁾.

نستخلص نقطتين مهمتين من هذا القول: أولاً اعتراف المؤرخ بوجود فجوات تاريخية أو حلقات مفقودة ميزت سلسلة عصور ما قبل التاريخ في المنطقة، إضافة إلى جهل الأنثروبولوجيين

(1) -يعود الاستيطان البشري المعروف في العراق إلى ما قبل 100 ألف عام ق.م، وتشير المكتشفات الأثرية إلى أن أقدم استيطان واسع في بلاد الرافدين القديمة كان إبان العصر الحجري القديم الأوسط في حدود 60 ألف سنة ق.م، علماً أن تاريخ الاستيطان المعروف في المنطقة قد بدأ مع العصور الموغلة في القدم والتي تقع ضمن ما يصطلح عليه اسم دور "وورم" أي آخر العصور الجليدية التي يرجع زمنها للفترة الممتدة ما بين 120 ألف سنة ق.م إلى 15 أو 10 آلاف سنة ق.م. ينظر: عامر حنا فتوح، المرجع السابق، ص 25.

(2) -سيتون لويدي، المرجع السابق، ص 27.

(3) -عرف الرافديون القدماء العديد من الحيوانات البرية الغير أليفة، ولعل أهم ما تم ذكره منها ضمن النصوص الأدبية هو الغزلان والوعول والثعالب والأسود، وجاء ذكرها بصيغ بلاغية وكمضرب أمثال لسرعتها أو قوتها أو مكرها، أما عن أهم الحيوانات المستأنسة فنجد الكلب حيث يعد أولى الأنواع التي رباها الإنسان ودربها على الصيد، ومن ثم اعتاد الإنسان استئناس الحيوانات الأخرى التي تمكن من استئناسها، والتي كان يصطادها لمأكله وكذلك للاستفادة من لحومها وجلودها وفرائها وحتى أصوافها في كسوته وغذائه، فضلاً عن استخدامها في حراثة الأرض كالثيران. ينظر: سعدون عبد الهادي برغش، الحيوانات المستأنسة والحيوانات البرية في أدب العراق القديم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، الجزء 03 من العدد 28، كلية التربية، جامعة واسط، العراق، 2018م، ص ص 479-482.

(4) -رشيد الناصوري، المرجع السابق، ص 18.

بالجنس الذي مثل أول مجموعة بشرية مستقرة والذي يمكن أن يشير إلى الأسلاف المباشرين للعنصر السومري، الذي لربما تمتد جذوره إلى فترة ما قبل العصر التاريخي.

فبشكل يكاد يكون غير ملحوظ، تحقق أحياناً الإنسانية العز وتقدماً مفاجئاً بعد فترات طويلة من الفتور أو التطور البطيء، وهكذا تبدو وكأنها تتحفز مدخرة قواها لتجتاز بقفزة واحدة العتبة التي تفصل بين العصر الحجري-النحاسي⁽¹⁾ والعصر النحاسي البحت، تلك العتبة التي تتفق ومرحلة فجر التاريخ في جنوب بلاد ما بين النهرين المسمى ببلاد سومر على الخليج العربي⁽²⁾.

وللمؤرخ "أحمد سوسة" رأيه الخاص في هذا الموضوع، حيث يقول: "... فتاريخ السومريين يبدأ مع بداية العصور التاريخية التي تتوافق مع عصور "فجر السلالات"، أما قبل ذلك فلا نملك أية معلومات أو أي دليل أو إشارة يمكن الاستدلال بها على أن السومريين تواجدوا في جنوب العراق خلال عصر ما قبل التاريخ، لذلك فإن كل ما نعرفه عنهم يعود إلى عصر فجر السلالات، فقد تميز هذا العصر ببروزهم في الميدان الحضاري، وخلالهم تعرفنا لأول مرة على الكتابات السومرية بلغتها الفعلية والخط المسماري وذلك بعد ظهور وسائل الكتابة والتدوين عن طريق سلالة "لجش"⁽³⁾ الأولى والتي ساهمت في تكوين حضارة سامية-سومرية"⁽⁴⁾.

ويمثل العصر السومري عصر بداية الأسرات في بلاد النهرين، وتبدأ هذه المرحلة المهمة بحدث هام في تاريخ المنطقة وهو حدوث الطوفان المشهور، ويمثل ذلك أصول المفاهيم

(1) شهدت بلاد الرافدين في أواخر عصر حضارة حلف بداية النشاط الحضاري في مناطقها الوسطى الجنوبية، وتمثلت المراكز المبكرة لهذا النشاط في كل من أريدو وحجي محمد، ارتبطت أهم أنشطة هذه الفترة بتطور صناعي جديد ربما بتحركات شعبية أو قبلية جديدة أيضاً، أما التطور الصناعي فهو بداية معرفة استخلاص معدن النحاس استخدامه على نطاق ضيق جنوباً إلى جنب مع الأدوات الحجرية فيما يعرف اصطلاحاً باسم "العصر النحاسي- الحجري أو "عصر بداية المعادن". ينظر: عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، 2012م، ص 571.

(2) أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 31.

(3) أول من اكتشف موقع هذه المدينة "أرنست دي سارزاك" عام 1877م، حكم هذه المدينة "سرجون" وخلفاؤه ومن أهم حكامها "جوديا" في حوالي 2700 ق.م، ومن أهم مكتشفاتها "لوح النسر" إلى جانب بعض تماثيل "جوديا" ومنحوتات أخرى، واكتشف فيها على حوالي 30000 لوح طيني ضمن أرشيف إدارة المعبد الخاص بها. ينظر: نخبة من العلماء، الموسوعة الأثرية العالمية، إش: ليونارد كوترييل، تر: محمد عبد القادر محمد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م، ص 345، 346.

(4) أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 32.

السومرية، فلقد كانت عملية النقلة إلى بداية عصر الأسرات عملية بيئية بحتة وغير مطمئنة للإنسان ومصيره، مما أدى إلى اعتبار هذا الحادث أساساً لتحديد المراحل السابقة لعصر الأسرات وما تلاها فيما بعد⁽¹⁾.

فجغرافياً قد كانت طبيعة أرض العراق بجمالها وهضابها وسهولها ونهرها العظيمين وبينهما الوادي الخصب والدلتا موطن حضارة العراق الأولى، وهي كلها الخلفية الجغرافية المثالية التي هيأت لإنسان العراق الأول المواطن الطبيعية والظروف البيئية المناسبة التي مكنته من التقدم السريع في مضمار التمدن بعد استقراره وإقامته في أولى قراه الزراعية، وقد كان ذلك الإنسان فريداً في نوعه ومهاراته في الصناعات الحجرية خلال عصوره الأولى⁽²⁾.

فقد نشأت الحضارة السومرية في وسط زراعي ضيق ومحدود، إلا أن السومريين عملوا على استصلاحه وتطويره، فكانت حضارتهم حضرية، ولئن هي انطلقت من أصول زراعية إلا أنها ما لبثت أن واكبت الصناعة⁽³⁾ في مجالاتها المتعددة من بناء وهندسة إلى مبتكرات صناعية غزيرة وأحكام ودقة في التنظيم الاجتماعي⁽⁴⁾.

أما المؤرخ "خزل الماجدي" فيبين الأسبقية النوعية للحضارة السومرية، حيث يقول: "أرى أن التاريخ البشري على مستوى الإنجاز الحضاري والمادي والثقافي قد أمدنا بثلاث معجزات نوعية كبرى، كانت كل معجزة منها الأساس الراسخ لحقبة بشرية طويلة ظهرت فيها حضارات عديدة، المعجزة الأولى هي المعجزة السومرية وأستطيع أن أسميها معجزة التأسيس أو معجزة الأصول، فقد وضعت الحضارة السومرية الأسس الأولى الراسخة والنوعية والمتينة المادية والثقافية والروحية التي

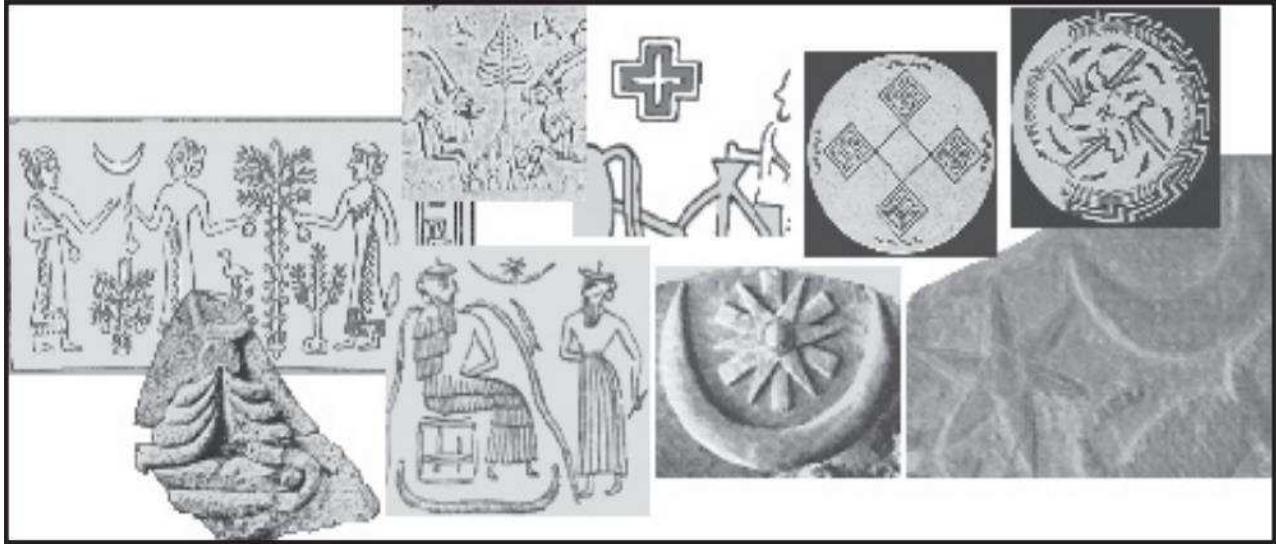
(1) - أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى)، ج 05، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ت)، ص 155.

(2) - بهنام أبو صوف، المرجع السابق، ص 07.

(3) - اهتدى السومريون إلى صناعة المعادن منذ أيامهم الأولى وبرع فيهم من عرفوا طرق النحاس وصبه، وقد يكون هؤلاء قد اكتشفوا صناعة البرونز، ومن النحاس ابتكروا الأسلحة والآلات وأدوات الزينة، كما اتقنوا صناعة الذهب والفضة والرصاص ولقد استخدموا الخامات من الخارج، وارتقوا بصناعة النسيج بفضل الأغنام التي تمتعت بها مراعيهم، واكتشفوا القوة الحيوانية المحركة والعربات ذات الدواليب ودولاب الخزف والآجر والختم. ينظر: عزمي سكر، المرجع السابق، ص 66.

(4) - نفسه، ص 64.

سارت عليها البشرية بعدها، مثل الكتابة والتشريع والدين والعلوم والآداب والصناعات والحرف والفنون والقيم الأخلاقية والطب⁽¹⁾ والعمارة⁽²⁾ والري والفكر، وقد أطلق السومريون على نواميس الحضارة هذه مصطلح ال "مي"⁽³⁾ التي أحصى منها الباحثون أكثر من مائة ناموس حضاري⁽⁴⁾.



-مجموعة من الرموز الدينية التي تؤكد أسبقية بلاد الرافدين في ابتكارها- (عامر حنا فتوحى، المرجع السابق، ص 285). الملاحظ في الطرف الأيسر للملحق تمثيل لموضع آدم وحواء.

- (1)-من بين الأدوية النباتية المستعملة: البذور "زيرو" والجذور "شورشو"، الساق "جذرو"، الأوراق "أرتو"، الشعير "شينو"، القمح "قيمو"، البصل "بصرو"، الثوم "شومو" والحمص "خلو"، ومن المصادر الحيوانية: صدفه السلحفاة "خاصا بشيلبي" ودم القنفذ "دمي شيكي"، جلد الماعز "ماشاك انزي" وقد بلغ عدد هذه المواد حوالي 180 مادة، ومن المصادر المعدنية المستخدمة: البيرة "شيكارو" والخمر "كارانو"، الخل "طاباتو"، ودهن الخنزير "تاخو"، البول والدم، وبلغ عدد موادهم المعدنية 120 مادة. ينظر: سامي سعيد الأحمد، الطب العراقي القديم، مجلة سومر، مج30، ج1+2، مديرية الآثار العامة، العراق، 1974م، ص ص 119، 120.
- (2)-خلال الألف السابع والسادس قبل الميلاد كان الشكل الدائري للوحدة السكنية الأساس الذي تطور عنه الشكل المستطيل والمربع، فكان الشكل الدائري الأكثر ملائمة مع نوعية وطبيعة المواد الأولية المستخدمة في البناء، إضافة إلى طبيعة الظروف التي استلزمت احترازاً دفاعياً خاصة ضد عمليات الغزو، وكانت بعض هذه البيوت معروفة في مناطق شمال العراق في زاوي جمى، ملفعات وأم الدباغية، وشاع استخدامها أثناء عصر "تل حلف" واستمر استعمالها في المناطق المجاورة للموصل واستمر الأخذ بهذا المخطط حتى في دور السكن خلال فترة الألف الخامس والرابع قبل الميلاد ولكن على نطاق محدود. ينظر: وليد جادر، العمارة حتى فجر السلالات (حضارة العراق)، ج3، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1985م، ص 78.
- (3)-تعني هذه الكلمة نواميس الآلهة المقدسة التي يستطيع بها الإنسان أن يتحكم ويستخدم الأشياء أو ظواهر الأشياء والطبيعة، فإذا كانت "تم" تحدد طبيعة الشيء ذاته، فإن ال "مي" تعبر عن الشيء كموضوع خارج ذاته أي الوجه الاجتماعي والحضاري والفني الذي يستخدم فيه ولذلك فإن كلمة النواميس الإلهية أو المقدسة ترجمة صالحة له، والمقابل الأكدي لهذه الكلمة هي "قرضو" أو "برضو" أو "برصو" وهي تشير إلى كلمة "قرض" العربية وتدل على القوانين المفروضة الثابتة للطبيعة أي الفروض. ينظر: خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 258.
- (4)-نفسه، ص 11.

فالمؤرخ "توينبي" يؤكد على المنطق الأصيل للمدنية السومرية⁽¹⁾، فيقول: " تسمية المدنية السومرية بهذا الاسم أمر مطابق للواقع لأن شق الغرين في وادي دجلة والفرات⁽²⁾ الأدنى والاستيطان فيه وهو إنجاز قامت به قوة بشرية جماعية هي التي أنجزت هذه المدنية، كان عمل شعب واحد هو الشعب السومري، الذي كانت له لغة وديانة وحضارة مشتركة وعلى كل فلم يكن للقوة البشرية الجماعية لهذا الشعب في أول الأمر وحدة سياسية تجمع شملها في دولة تتحكم في المجال الغريني⁽³⁾ الذي كان السومريون قد امتلكوه، والعمل الرائد قامت به فئات سومرية مختلفة، ونستدل على هذا من التركيب السياسي للعالم السومري الذي نجده في أقدم الوثائق المدونة بالكتابة السومرية، ففي فجر تاريخ المدنية السومرية كانت سومر قطعة فسيفساء مكونة من عدة مدن - دول محلية ذات سيادة، والوحدة الثقافية التي عرفها عالمهم لم تكن بعد قد وازنتها وحدة أخرى على المستوى السياسي⁽⁴⁾.

ويثبت صحة مرجعية هذه الفكرة نفس المؤرخ، حيث يقول: "وكان على الإنسان في سبيل استغلال هبة الرافدين من الغرين (الطمي) أن يطبق تقنية الري الصناعي التي حدقها على مقياس

(1) -مع تقدم الزمن تزداد قناعة المؤرخين بأن كل ما ورثناه من نواميس حضارية وثقافية وفنية وروحية يعود في أصوله إلى البذور السومرية التي هي أقدم بذور حضارة الإنسان وثقافته في مطلع ما يسمى بالعصور التاريخية، كانت المتن الأولى للإنسان في حقول الدين والشرائع والملاحم والآداب والفنون والأساطير والرياضيات والطب والفلك والكيمياء متونا سومرية ولا خلاف على ذلك اليوم بين مؤرخي الحضارات القديمة، لقد امتلك كل حقل من هذه الحقول، مع ظهور سومر = جهازا معرفيا واصطلاحيا، وحفل بنصوص غزيرة كانت الأساس الذي بنيت عليه منطلقات هذه الحقول عند الأمم الوارثة أو المجاورة لسومر. ينظر: خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 07.

(2) -تحكمت خصائص النهرين الطبيعية بتاريخ أسباب تركيز المستوطنات البشرية بالدرجة الأولى على الفرات دون دجلة ولاسيما في مراحل الاستيطان الأولى في السهل الرسوبي ما بين الألفين الخامس الثالث ق.م، وأبرز عامل في ذلك أن الفرات أقل عنفا وتقلبا في فيضانه بالنسبة إلى دجلة، كما أن كمية مياه الفيضان في هذا الأخير أكثر منها في الفرات، وقد قدرت الزيادة في فيضان دجلة بزهاء 31% أكثر من فيضان الفرات، والمرجح كثيرا أن يكون للمنخفضات الطبيعية المحاذية لصفاف الفرات الغربية في منطقة الرمادي مثل: منخفض الحبانية وهور أبو دبس أثر في تقليل شدة فيضان الفرات، ولعل العراقيين القدماء أفادا من هذه المنخفضات الطبيعية لتخزين المياه الفائضة فيها لاستعمالها إبان شح الماء في النهر. ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، شركة الوراق للنشر، بيروت، لبنان، 2009م، ص ص 57، 58.

(3) -تضم السهول الغرينية في وسط جنوب العراق وقد تكونت أرض هذه المنطقة من رواسب حملتها الأنهار من المرتفعات، وقد عاش هنا إنسان العصر الحجري المعدني (الكالكوليتي Chalcolitic) وهنا ستزدهر حضارات بلاد الرافدين القديمة. ينظر: عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 15.

(4) -أرنولد توينبي، المرجع السابق، ص 92.

كبير، وكان يتطلب تعاوناً بين عدد من الناس أكبر بكثير من أي عدد من الناس تعاونوا من قبل في أي مشروع كان، وهذا الفرق في مقياس التعاون لم يكن مساوياً للفرق في الدرجة فقط بل كان فرقاً في النوع، وقد كانت هذه ثورة اجتماعية ولم تكن ثورة تكنولوجية⁽¹⁾.

في حين يوافق المؤرخ "بهنام أبو صوف" على محتوى هذه الفكرة ويعزز مصداقيتها في قوله: "حقق إنسان العراق الأول الثورة الزراعية أو ثورة إنتاج القوت قبل أكثر من عشرة آلاف سنة حيث توصل إلى إنتاج قوته بنفسه، وكان هذا أخطر انقلاب في حياة البشرية، وبهذا الإنجاز وضع فلاحو بلاد الرافدين الأوائل نهاية لعهد من البدائية المتسمة بالسعي وراء الحيوان لصيده والنقاط ما في الطبيعة من ثمار ونبات، إن تحقق إنتاج الغذاء⁽²⁾ وتدجين الحيوان من قبل سكان العراق الأوائل قادهم إلى الالتصاق بالأرض والسكن قرب حقولهم وحيواناتهم الأليفة"⁽³⁾.

بينما يحاول المؤرخ "غلين دانيال" إثبات وجود الصيغة التمدنية للعنصر السومري، حيث يقول: "...فلنتفحص الخواص الأساسية لهذا المجتمع المتحضر⁽⁴⁾ الأول. الأولى أن السومريين كانوا سكان مدن وكانت مدنها تحيط بها أسوار من الطابوق وخنادق وتسود فيها المعابد والزقورات المبنية على أرض صلبة عالية، وخارج الأسوار كانت توجد الحدائق والحقول والسبخات والقنوات والملاجئ، فكانت أسوار أوروك تتكون من ميلين مربعين، ويروى أن "لجش" كانت تتألف من ستة ثلاثين ألف ذكر. ربما ذكر بالغ. ولهذا فلعلها كانت مدينة أو بلدة تضم ما بين ثمانين إلى مائة

(1)-أرنولد توينبي، المرجع السابق، ص 76.

(2)-وردت الأدلة عن الغذاء في بلاد الرافدين من عدة مصادر، وتشير البقايا النباتية والحيوانية المتحجرة التي عثر عليها في المواقع التي جرى التنقيب فيها إلى وجود نباتات وحيوانات صالحة للأكل في المنطقة، وتصور المشاهد في الأختام الأسطوانية ودبابيس الزينة والنقوش البارزة أشخاصاً يأكلون يطبخون، وتتضمن النصوص المسمارية تفاصيل عن المحاصيل التي كانت تزرع والحيوانات التي كانت تربي والطعام المقدم إلى الآلهة والملك وحاشيته وإلى الناس العاديين. ينظر: روز ميري اليسن، غذاء العراقيين القدماء، مجلة المؤرخ العربي، العدد 46، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1995م، ص 115.

(3)-بهنام أبو صوف، قراءات في الآثار والحضارات القديمة، مر: الأب ألبير أبونا، دار نجم المشرق، بغداد، 2008م، ص 105.

(4)-إن المجتمع السومري في بواكير عهده، كان مجتمعاً معقداً منظماً تنظيمياً عالياً، يتبين ذلك في الدرجة العالية من المهارة في الزراعة والصناعة والفنون وفي الكيان الاجتماعي المتفرع المراتب والذي يشخص في قمته النبلاء ورجال الكهنوت المتخصصون، يليهم في المرتبة الكتبة والصناع والتجار والجنود والفلاحون. ينظر: كرستوفر لوكاس، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، تر: يوسف عبد المسيح ثروة، دار الجاحظ، 1980م، ص 12.

ألف نسمة وهو تقريبا حجم المدن الإنجليزية الحديثة، ويقدر أنها في أعلى أطوار اتساعها كانت تضم نصف مليون نسمة عاشوا داخل الأميال المربعة الأربعة لأور، ولا بد أن كيش⁽¹⁾ وأريدو⁽²⁾ ولجش ونفر⁽³⁾ في لحظات ازدهارها كانت تضم نظائر هؤلاء من السكان⁽⁴⁾.

"لكن المؤرخ والباحث في علم اللاهوت والديانات "سهيل قاشا" يتخذ منحنا مغايرا في نمط تفكيره، حيث ينفي ارتباط الأسس الحضارية بالأصل السومري وهو يشارك في هذا الموضع بالذات ما أكدّه المؤرخ "نائل حنون" في اعتقاداته"، حيث يقول: "وقد استخدمت صفة سومري للدلالة على النسبة إلى سومر وهو اصطلاح جغرافي يدل على الإقليم الجنوبي من أرض العراق القديم، وليس لكلمة سومري أي مدلول عرقي وإنما لها مدلول جغرافي سياسي ولغوي ولذلك يمكن أن توصف الشعوب القديمة في الشرق العربي بأنها عربية اصطلاحا، لأنها بكل بساطة وإن تكن بالأصل مصدرة من حوض البحر المتوسط، إلا أنها تتحرك على الأرض العربية في حركة دائمة عبر التاريخ من واحات الجزيرة إلى الحضر في وادي الرافدين، ومن الرحلة والتنقل إلى الإقامة والاستقرار والاستيطان وإن وصف اللغات التي تنطق بها هذه الشعوب بأنها لغات عربية_أرامية الأصل يمكن أن يكون أكثر دقة من اصطلاح اللغات السامية حين يوضع ضمن نظرية جديدة في تاريخ اللغة العربية عبر العصور"⁽⁵⁾.

(1)-كانت هذه المدينة مركز أربع سلالات مبكرة في تاريخ وادي الرافدين، والفرنسيون هم أول من نقب فيها بإدارة "هنري دي جينواليايك" وذلك خلال عام 1927م، وفيما بعد فريق من الإنجليز والأمريكان ما بين أعوام 1923م-1933م، وعثر فيها على قصر سومري إضافة إلى مقبرة تعود إلى سلالة مبكرة. ينظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 545.

(2)-تقع على مسافة 40 كم من الناصرية تعرف حاليا باسم "تل أبو شهرين" وهي المدينة المقدسة الثانية بعد "نيبور" وتعد مركز عبادة الإله "أنكي"، تدل آثارها أنها تعود إلى فترة "العبيد" ومن أشهر معالمها المعمارية الزاخرة التي شيدها الملك "أورنمو". ينظر: عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، ط3، مطبعة العرفان، لبنان، (د.ت)، ص 85.

(3)-من بين مكتشفاتها "فهرس الكتب"، وهو مدون صغير الحجم عثر عليه في حالة سليمة من طرف الباحث "صمويل كريمير" الذي أقر أن مؤلف هذا الفهرس تمكن من فهرسة 62 عنوانا من المؤلفات الأدبية نقشت على وجهي اللوح المتضمن لمواضيع متنوعة. ينظر: صمويل كريمير، المرجع السابق، ص ص 371، 372.

(4)-غلين دانيال، الحضارات الأولى الأصول والأساطير، تر: سعيد الغانمي، ط1، دار الصدى، دبي، 2009م، ص 82.

(5)-سهيل قاشا، الحكمة السومرية في العراق القديم، ط1، دار بيسان، بيروت، لبنان، 2001م، ص 19.

ونفس الفكرة تقريبا يؤكد لها لنا المؤرخين "محمد حرب فرزات وعيد مرعي" في قولهما: "...وينبغي أن نشير إلى أنه خلال العصور التاريخية استخدمت صفة سومري للدلالة على النسبة إلى سومر، وهو اصطلاح جغرافي يدل على الإقليم الجنوبي من أرض العراق القديم، وقد حصلنا على اسم السومريين من ألقاب الملوك الأكديين والبابليين الذين اتخذوا لقباً مزدوجاً "ملك سومر وأكد"، أما الاسم المقابل لكلمة سومر في اللغة السومرية فهو (كي - إن - جي / ر)، فليس لكلمة سومر أي مدلول عرقي، وإنما مدلول جغرافي - سياسي ولغوي بالدرجة الأولى في مجتمع مزدوج اللغة، سادت فيه اللغة السومرية ثقافياً قبل أن تسلم الدور إلى اللغة الأكديّة، فالمزارعون والفلاحون في المجتمع السومري هم من عناصر السكان المحليين الذين ينحدرون من عصر العبيد وهم أسبق من الذين عرفوا باسم السومريين⁽¹⁾.

من خلال هذا الرأي نلاحظ أن المؤرخ يشير إلى أن اسم سومر يدل على نطاق جغرافي معين دون أن يحمل أية دلالة عرقية أو جنسية، لكنه من جهة أخرى يناقض رأيه الأول بصفة واضحة حيث يشير إلى أن اللغة السومرية كانت سائدة قبل اللغة الأكديّة، وهذا اعتراف منه على وجود شعب سومري فلا تسمية للغة محكية أو مكتوبة دون وجود شعب قد قام بابتكارها، وأنه ليس من المنطقي أن يكون الشعب أكدياً ولغته تحمل اسماً سومرياً، وهو الأمر الذي نرى أنه يبعث على الشك في محتوى الرأي ودلالاته.

لكن خلافاً لرأي الباحث اللاهوتي "سهيل قاشا" والمؤرخين محمد حرب فرزات وعيد مرعي نجد في إحدى القصائد السومرية القديمة والمسماة "قصيدة المعول" الدلالات الظاهرة على وجود شعب سومري، طبعاً إذا أخذنا بعين الاعتبار مصداقية الترجمة الحرفية للقصيدة من باب التحفظ، والتي نصّها ما يلي:

السيد الإله أنليل قد جعل كل ما هو نافع يبدو ناصعاً.

(1) - محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 54.

وبعد ذلك عمل على أن يظهر الإنسان الأول⁽¹⁾.....

وخلق المعول، وعندما انتهى النهار، ثم قرر واجبات العمل وقرر المصير...

وعندما بدأ يظهر البشر مثل الحشيش من الأرض.

كان الإله أنليل ينظر إلى شعبه السومري مرتاحا.

ووقفت إلى جانبه آلهة الآنوناكي⁽²⁾ واضعة يدها على أفواهها.

وهي تقدم الصلوات للإله أنليل ووضعت المعول في أيدي الشعب السومري⁽³⁾.

وفي قصيدة أخرى وصلتنا ضمن أسطورة سومرية والتي تبين وجود شعب سومري،

فمحتواها يتحدث عن نشاط الإله "أنكي" الخاص بتنظيم العالم وتيسير أسباب الحياة والحضارة،

ولكن الجزء الأول من النص وهو الجزء الأساسي مشوه بشكل لا نستطيع معه تعيين معنى

واضح، وعندما يصبح اللوح الفخاري قابلاً للقراءة نجد أن الإله "أنكي" قد وصل في طوافه الكوني

إلى بلاد سومر فيتوقف هنا يعين لتلك البلاد مصائرهما، ولعل أهم ما جاء في محتوى القصيدة

نذكر ما يلي:

سومر، يا أعظم بلدان العالم. أيها المغمور بالنور الدائم، والشرائع المطاعة.

أقدارك عظيمة لا تتبدل. وقلبك واسع عميق، لا يسير له غور.

أما الآنوناكي، الآلهة العظيمة. ففي وسطك قد أقامت مساكنها.

وفي غاباتك الواسعة تتناول طعامها. سومر، لتتضاعف اصطبلاتك وتتكاثر أبقارك⁽⁴⁾.

ومن محتوى قصيدة أخرى تدعى "مرثية مدينة أور" والتي تؤرخ لسقوط مدينة "أور"

السومرية على أيدي الغزاة الأعداء كما تسميهم الآداب السومرية القديمة، نستنتج وجود منطقة أو

(1)-خلق الإله أنكي الإنسان من طين العمق بمساعدة الإلهة "نمماه" أم الولادة، ثم سكر أني ونمماه فخلقت من الطين ستة أنواع من البشر ناقصي الخلقة منهم العاقر والخصي، وفي بدء وجود المجتمع البشري كان كمال البدء. ينظر: وديع بشور، المرجع السابق، ص 211.

(2)-تسمية كان يطلقها السومريون والبابليون على آلهة الأرض والمياه والجحيم تمييزاً لها عن آلهة السماء أو الهواء المعروفة باسم "أجيحي". ينظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص 31.

(3)-نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج 1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985م، ص 166.

(4)-فراس السواح، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة (سوريا، أرض الرافدين)، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، 1988م، ص 43.

بالأحرى بلاد تسمى "سومر"، مع التحفظ دائماً حول صدق الترجمة الحرفية والصحيحة للرقيم أو اللوح الأصلي الحاوي للقصيدة والتي تقول في مضمونها:

سيق الناس من وطنهم إلى بلدان الأعداء مأخوذِينَ.

السوباريون⁽¹⁾ يحقرونهم عند الأصيل وعيلام⁽²⁾ في الشرق تشبّعهم إهانة.

وأسفاه أن ملك سومر غادر القصر وذهب "أبي - سين"⁽³⁾ إلى بلاد عيلام.

إلى البلاد البعيدة حيث بلاد أنشان. كأنه طير هجر عشه كغريب لن يرى وطنه أبداً⁽⁴⁾.

من خلال الكلمات المسطرة وبعض معاني القصيدة إشارة واضحة إلى وجود بلاد سومر وأنها لا تعد فقط ظاهرة جغرافية أو لغوية على حد قول بعض الباحثين واستشهاداتهم.

(1) -ورد ذكرهم لأول مرة على ما يرجح في أخبار حاكم مدينة "لجش" المسمى "إياناتوم" وفي أخبار فتوح "سرجون الأكدي" وكثر ذكرهم بعد ذلك في النصوص التاريخية، وكثيراً ما يرد اسم قوم آخرين معهم وهم "الحوريون" و"الخوريون"، أما عن أصلهم ولغتهم فغير معروفين، وكل ما قيل عن لغتهم أنها ليست من عائلة اللغات الهندية - الأوروبية، وأنهم كانوا من الأقوام الجبلية في الجهات الشرقية مثل: الكوتيين واللوبيين وكانوا يقطنون في شمالي ما بين النهرين في منطقة الجزيرة العليا من العراق التي عرفت كذلك باسم "بلاد آشور". ينظر: طه باقر، المرجع السابق، ص 97، 98.

(2) -الاسم الحديث "عيلام" هو نسخ أوروبي من العبرية التوراتية وهو يتوافق مع السومرية "عيلام" والأكدية "إلمتو" و"إلميت" حاتمتي وهلتامي، وتتمثل حالياً في الدولة الإيرانية الحديثة، وهي تتكون في حقيقتها من مجموعة شعوب استوطنتها ما بين أوائل الألفية الثالثة إلى منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد، وطبقاً للمصطلح الجغرافي الحالي فتضم عيلام القديمة منطقة خوزستان وفارس، وكذلك أجزاء من محافظة كرمان، لورستان ومقاطعة كردستان. ينظر: Elizabeth Carter and Matthew w. Stolper, **Elam**, *Surveys of Political History and Archaeology*, Near Eastern Studies, Vol 25, University of California Press, Library of Congress, USA, 1984, p 103.

(3) - (2028 - 2004 ق.م) يعتبر خامس وآخر ملوك سلالة أور الثالثة، وتشير المصادر السامرية إلى أنه توج ملكاً على عرش دولته في الشهر العاشر من السنة التاسعة لحكم والده الملك "شوسين" (2037 - 2029 ق.م)، وقد تسلم الحكم لمدة 24 عاماً واشتملت دولته حينها على معظم بلاد الرافدين من شمالها وجنوبها وبعض المدن والأقاليم المجاورة للبلاد. ينظر: أحمد ناجي سبيح، **أور في زمن الملك (أبي - سين 2028 - 2004 ق.م)**، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، المجلد 02، العدد 02، قسم الآثار، جامعة بابل، العراق، 2012م، ص 212.

(4) -محمد كامل روكان، سقوط أور ونهاية العصر السومري في حضارة بلاد الرافدين، المجلد الثاني عشر، العدد 04، قسم الآثار، جامعة القادسية، العراق، 2009م، ص 160.

وكذلك من خلال قصيدة تنسب لفترة حكم الملك "لوجال"⁽¹⁾ زاجيزي"، يتبين وجود منطقة تحمل اسم "سومر" وهذا الأمر يدل ضمناً على وجود "شعب سومري"، حيث تقول القصيدة: عندما قال أنليل ملك البلاد (كركر Kurkur).

بإعطاء ملك البلاد كالاما Kalama (سومر) إلى لوجال زاجيزي. عندما لفت أنليل أنظار الأمة (كالاما) إليه. وضع البلاد الأجنبية (كركر) تحت أقدامه. وعندما أحال إليه كل شيء من الشرق إلى الغرب.

وفي هذا اليوم فتح الإله "أنليل" كل الطرق أمامه من البحر السفلي (الخليج الفارسي). وعلى امتداد نهري دجلة والفرات إلى البحر العلوي (البحر الأبيض المتوسط)⁽²⁾.

من خلال العبارة المسطرة في القصيدة نلاحظ ورود معلومات عن وجود بلاد تدعى كالاما وهي "سومر"، وهذه إشارة واضحة إلى وجود شعب بهذا المسمى، مع التنويه دائماً إلى وجود مبدأ التحفظ على مصداقية الترجمة الخاصة باللوح الأصلي.

من جهة أخرى كان استقرار الشعب السومري قديماً على المرتفعات التي لا تصلها الفيضانات، وكانوا يعيشون من الصيد والزراعة⁽³⁾ بالمنكاش ومن تربية المواشي ويصنعون الخزف⁽⁴⁾ الملون وأدوات نحاسية كالخطاطيف والسكاكين، كما كانوا يقطنون أكواخاً من آجر وخيزران بالإضافة إلى أنهم لم يكونوا على علم بمفهوم الفارق الاجتماعي والرزقي، كما تشهد

(1)- يحمل هذا الاسم معان منفصلة في الترجمات الحديثة اعتماداً على السياق الذي توجد فيه الكلمة بشكل أساسي، فهو يستلزم الذكور الذين يمارسون قدراً من التحكم في السلطة على شيء ما أو مكان ما، ومن ثم استخدامه كعنوان للحكام المستقلين بصفته لقباً للآلهة في ظل ظروف معينة، ويستعمل كمصطلح فخري أو شرفي والخاص بإيصال رسالة ما. ينظر: Jakob Andersson, *Kingship in the Early Mesopotamian Onomasticon 2800- 2200 BCE*, Uppsala Universitet, Sweden, p 66.

(2)- نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 72.

(3)- شجع التقدم في الأساليب الزراعية على تشييد مخازن لحفظ الغذاء وكانت له نتائج مهمة جداً في حياة الناس، منها تزايد عدد السكان وتأسيس المدن وتبعاً لذلك حدث تغير ملموس في بنى المجتمع، ويبدو أنه بدأ حينئذ بتخطيط نماذج دول - المدن التي عرفنا بعض أخبارها من المصادر السومرية. ينظر: محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 78.

(4)- يتصف خزف "مرحلة العبيد" بأنه مدهون بلون كامد وحيد يميل إلى الخضرة الفاتحة والمواضيع التزيينية وهي هندسية على الأغلب، هي أكبر حجماً ومرسومة بشكل أقل اتقاناً وأكثر ثباتاً مما هو في حضارة "تل حلف"، ونوع العجينة التي صنع منها هذا الخزف هو بصورة عامة أقل نعومة، وشواء الأدوات المصنوعة هو أقل جودة. ينظر: نفسه، ص 25.

وحدة شكل القبور⁽¹⁾، والمآتم ونصب المرأة الآجرية المكتشفة تجعلنا نقول أن عهد الأم في سومر دام حتى النصف الأول من الألف الرابعة ق.م⁽²⁾.

وقد بدأ السومريون حياتهم في وادي الرافدين بتجفيف المستنقعات القائمة عند رأس الخليج العربي وذلك قبل سنة 3500 ق.م، وانتشرت أكوأهم المنشأة من القرميد واللبن بين بغداد حالياً ومصب النهرين، ولضغط المياه تعلموا كيف يقيمون الجسور وكيف يوزعون الماء في قنوات الري، ويحصدون الحبوب⁽³⁾، والري هو أساس الحضارة السومرية وأضخم منجزاتها، وكان من أسمى الواجبات الملقة على حاكم المدينة⁽⁴⁾ السهر على تنظيم الري، لأن القنوات والجسور كانت تتطلب عناية مستمرة لئلا تتوقف فتزول المحاصيل وتحدث المجاعة⁽⁵⁾.

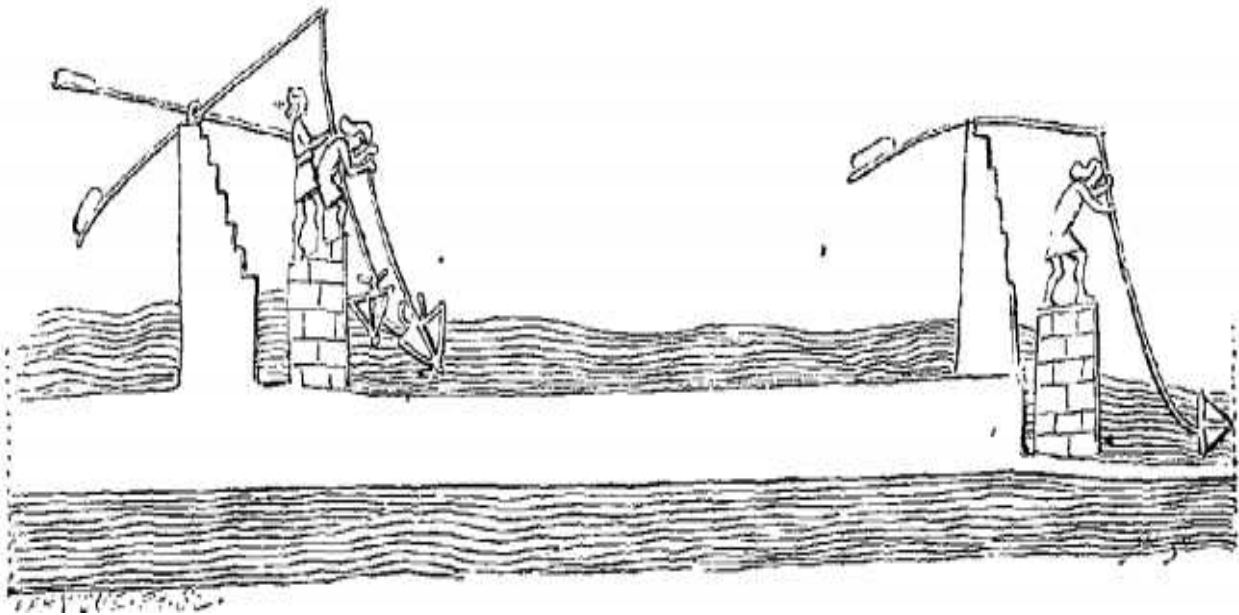
(1)-إن ممارسة دفن الأموات تحت أرضيات المساكن كانت الأكثر شيوعاً في بلاد الرافدين القديمة، أما الدفن في مقابر خارج مواطن السكنى فقد كانت أقل انتشاراً وكذلك الدفن بين بيوت السكنى سواء في المساحات الفارغة أو في البيوت المهجورة، ومن هنا فإن عملية الكشف عن القبور تبدأ من ملاحظة المنقبين الآثاريين لاختلاف لون التربة ودرجة تماسكها إن كان تنقيبهم يجري في ركام متكدس في الموقع الأثري. ينظر: نائل حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة (دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار)، ج1، ط1، دار الخريف، دمشق، 2006م، ص 75.

(2)- ف.دياكوف وس.كوفاليف، المرجع السابق، ص ص 82، 83.

(3)-تشكل الحبوب الجزء الرئيسي من النظام الغذائي للرافديين القدامى، ويمكن تحضيرها وتناولها كاملة ضمن عدد من الأطباق، أو يمكن طحنها وتحويلها إلى دقيق وتجهيزها كخبز، ويمكن أيضاً خلطها مع الماء لتصنع منها العصيدة، وكذلك يصنع منها مشروب قد يكون مخمراً للغاية. ينظر: Elizabeth Rosemary Ellison, A Study of Diet in Mesopotamia (c.3000- 600 BC) and Associated Agricultural Techniques and Methods of Food Preparation, Institute of Archaeology, University of London, 1978, p 105.

(4)-تعد المدينة العراقية القديمة من بين أولى المدن القديمة التي نشأت على ضفاف الأنهار أو عند مصباتها، إذ يمتد عمرها إلى منتصف الألف الرابع ق.م بصفتها الحاضنة الحضرية والحضارية التي ظهرت في جنوب حوض الرافدين قرب (بلاد سومر) والتي تنطبق عليها الخصائص الحضرية للمدينة المعاصرة من حيث كبر الحجم الجغرافي والتنوع الديموغرافي للسكان وقدرتها على تأمين عيشها من خلال الوفرة في الإنتاج الزراعي للأراضي التابعة لها، فضلاً عن بروز الشخصية الحضرية المميزة لها التي تعد من أهم عوامل جذب السكان إليها، وقيامها بإضفاء السمة الحضرية على الوافدين إليها وإذابتهم ودمجهم في مجتمع المدينة الذي يتيح لهم التعايش والتفاعل الاجتماعي الإيجابي الذي يحقق الأهداف الفردية والاجتماعية على حد سواء. ينظر: أحمد لفقة رهمة القصير، المدينة والمدنية في الحضارة العراقية القديمة (دراسة مقارنة في التكامل الحضاري للمدن العراقية القديمة)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد 04، العراق، 2008م، ص 200.

(5)-عزمي سكر، المرجع السابق، ص 65.



-استخدام تقنية الري الاصطناعي للمزروعات في بلاد الرافدين القديمة- (النحت مأخوذ

من قصر الملك سنحريب بنينوى⁽¹⁾). (François Lenormant, **Histoire ancienne de** L'Orient jusqu'aux guerres médiques, 9 éme édit, Tome : 05, Librairie A. lévy, (Paris, 1887, p 75.



-ختم أسطواني يبين استعمال تقنية "الشادوف" (2200 ق.م)- (D.T. Potts, **A Companion to the Archeology of the Ancient Near East**, Blackwell Companions to the Ancient (World, Vol 01, USA, 2012, p 265.

⁽¹⁾ -يبدو أن آشور ابن سام قد أسس هذه المدينة الشهيرة على الضفة اليسرى لنهر دجلة، وكانت منافسة لمدينة بابل، كما أنها عاصمة الإمبراطورية الآشورية لعدة قرون، وفي حدود عام 2000 ق.م وسع "تينوس" حدود مملكته وأعطاه اسمها. ينظر: M.A.Mazure, illustrations, **Ruines et Souvenirs des Capitales anciennes et modernes**, P.C. Lehuby Libraire éditeur, Paris, (s.d), p 18.

فمنذ الألف الثامنة ق.م أخذت شعوب الشرق الأدنى القديم⁽¹⁾ التي كانت تحمل ملامح النموذج المتوسطي المشابه لملامح العناصر الحالية تستقر على سفوح الجبال المحيطة بالسفوح الرافدي، وقد أخذت هذه الجماعات تؤسس لنفسها نظاما اقتصاديا يقوم على الزراعة والرعي⁽²⁾ محل نظام جمع الطعام، ولكن يبدو أن الوسائل البسيطة التي كان يملكها الناس للمحافظة على وجودهم لم تكن لتسمح لهم بالتوسع أكثر نحو السهول لاحتلالها ولذا كانوا يفضلون التحصن بالمرتفعات وأقاموا على الهضاب التي كانت تتلقى نسبة من الأمطار تكفي لمحصول مناسب، ويمكن التعرف على آثار هذه الجماعات في مناطق كثيرة من فلسطين وسورية وشمال بلاد الرافدين حيث تقع قرية "جرمو"⁽³⁾ أقدم تجمع قروي في المنطقة (6800 ق.م) فيها آثار رعي الماعز وزراعة الشعير ثم صناعة الفخار⁽⁴⁾.

(1)-تاريخ الشرق الأدنى القديم يتضمن العديد من التحركات البشرية (مجموعة من الشعوب)، ويمثل العراق القديم منطقة جذب لكثير منها سواء الحامية أو السامية الوافدة من شبه الجزيرة العربية أو التحركات الهندو أوروبية الخارجة من القارة الهندية، ولقد ترتب عن تلك الهجرات المتعددة استقرار الكثير من العناصر السامية والسومرية بالإضافة إلى العناصر العيلامية والجلبية في العراق القديم. ينظر: نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 42.

(2)-لم تقتصر الحياة الاقتصادية خلال العصر الحجري الحديث وخلال فترة قرى المرحلة الأولى على زراعة الحبوب فقط، بل لعب الرعي دوره أيضا في الحياة الاقتصادية لسكانها، فمن خلال الأدلة الأثرية المتوفرة لوحظ أن السكان قد دجنوا أربعة أنواع رئيسية من الحيوانات هي: الأغنام والماعز والخنازير والكلاب، واستمر الاعتماد على هذه الحيوانات الأربعة بشكل كبير في الحياة الاقتصادية خلال جميع المراحل الحضارية اللاحقة في العراق القديم. ينظر: غيث حبيب خليل، الحياة الاقتصادية في العراق في مرحلة إنتاج القوت والقرى الزراعية (العصر الحجري الحديث/ العصر الحجري الحديث المعادن)، مجلة الدراسات التاريخية الحضارية، قسم التاريخ، جامعة تكريت، العراق، (د.ت)، ص 60.

(3)-تقع عند سفوح جبال زاغروس إلى الشرق من مدينة كركوك العراقية، حيث قام عالم الآثار الأمريكي "روبرت بريدوود" بالتنقيب فيها خلال خمسينيات القرن الماضي لإثبات الفرضية القائلة بأن الزراعة نشأت في المواطن الأصلية الطبيعية للحبوب البرية، وقد وفق في العثور على حبوب مزروعة يعود زمنها إلى حوالي عام 6750 ق.م، وأعتقد أنها أقدم قرية زراعية، حيث وجد فيها حالي 25 مسكنا من الطين رفع بعضها على أساس من الحجر، تحتوي على عدد من الغرف المربعة التي كانت تستخدم للنوم والتخزين وتشمل على التناوير والمواقف. ينظر: أحمد أرحيم هبو، تاريخ الشرق القديم 2 (بلاد ما بين النهرين)، ط1، دار الحكمة اليمنية، صنعاء، اليمن، 1996م، ص 22.

(4)-محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 75.

وقد عثر المنقبون في بلاد سومر على أنواع شتى من الأحجار، ولم تكن البلاد نفسها تحويها⁽¹⁾، فمن المعروف أن أهل هذه الحضارة سكنوا دلتا دجلة والفرات التي تكونت من ترسيبات الغرين⁽²⁾ على مر السنين، ولم توفر كبيئة لسكانها غير البوص وأشجار النخيل والظمي، فإذا استعمل السومريون أنواعا شتى من الأحجار مثل الحجر الجيري والأبستر والمرمر والديوريت والعقيق، ثم إذا حذقوا صناعة صهر الذهب والفضة والنحاس فمعنى هذا أن كل هذه الأحجار والمعادن كانوا يستوردونها من خارج البلاد⁽³⁾، وطبعاً دل هذا أيضاً على وجود علاقات تجارية واسعة النطاق امتدت إلى بلاد الهند شرقاً وآسيا شمالاً وسوريا غرباً ثم مصر جنوباً⁽⁴⁾.

في هذا الصدد يقول المؤرخ "وديع بشور": "إن ندرة الحجر في جنوب الرافدين لم تفتح المجال للسومريين كي يبقوا لنا تلك الآثار الضخمة من معابد ومقابر وأعمدة وتماثيل كما في مصر، ولم يبق لنا سوى بعض التماثيل وبقايا المعابد الدينية من الطوب المشوي⁽⁵⁾، لكنهم خلفوا

(1) -يربط المؤرخ "أحمد أمين سليم" مادة الحجارة بالسومريين، حيث يقول: "هذا ويمكن أن نرى في كثرة استخدام السومريين للمادة الحجرية وما سجلته العديد من نماذج النحت على الحجر من مناظر تمثل الحاكم ذي السمات المميزة التي لا تتغير، مناظر الحروب التي لم تخل بأي حال من تمثيل هذا الحاكم ما يعبر أنهم كانوا شعباً جبلياً مقاتلاً فرض نفسه عن طريق الحرب، ويرجح أن يكون الموطن الأصلي الذي وفدوا منه هو المنطقة الشمالية من النخوم الشرقية جنوب ديالي وهي منطقة متفوقة حضارياً فضلاً عن طبيعتها الجبلية التي تتوفر فيها الأحجار والتي تضيف على ساكنها صفة المقاتل، وقد يؤكد هذا الموطن الأصلي أيضاً ما قدمته مرحلة ما قبل الكتابة من صناعة معدنية وخاصة النحاس الذي يمكن أن يكون مصدره المنطقة الجبلية الشرقية التي وفد منها السومريون. ينظر: أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر العراق إيران، ص 253.

(2) -تحمل أنهار بلاد الرافدين ولاسيما النهران العظيمان كميات كبيرة من الطمي والغرين ترسبها في قيعانها كل عام، فتسبب بذلك مشاكل خطيرة منها ارتفاع قاعي النهرين عن مستوى السهل الرسوبي وأثر ذلك في التصريف الداخلي في المزارع وازدياد خطر الفيضان وتكوين الجزر الرملية في مجاري النهرين وتقليل سعة جداول الري، وإهمال هذه الجداول بمرور الزمن لتعذر تطهيرها، بحيث يصبح فتح جدول جديد أسهل وأقل كلفة من تطهير الجدول القديم. ينظر: طه باقر، المرجع السابق، ص 50.

(3) -من بين أبرز الحقائق التي يكتشفها المتتبع لتاريخ المنطقة الخصائص الطبيعية إضافة قدرات العراقيين الذاتية، فقد كان افتقار الأرض العراقية للمعادن والأخشاب والحجارة سبباً بارزاً دفع بسكانها للسعي بالوسائل المختلفة لأجل توفيرها، كما دفع توفر هذه المواد في مناشئ مختلفة لاتساع دائرة الاحتكاك والتفاعل والمتاجرة، ومما ساعد على حرية الحركة والاتصال انعدام المعوقات الطبيعية الصعبة في حدود العراق الغربية والجنوبية، إضافة إلى توفر المنافذ الطبيعية للاتصالات في الأقسام الحدودية الأخرى وبخاصة عند الأطراف الشرقية والشمالية الشرقية. ينظر: ك. ماتيف وأ. سارونوف، المرجع السابق، ص 27.

(4) -سعيد إسماعيل علي، التربة في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب، القاهرة، 1999م، ص 113.

(5) -استخدم السكان في جنوب بلاد الرافدين نوعاً من الطوب لم تكن صفحته العليا مسطحة ولكنها منتفخة وسميت "Plano-Conex" وكان هذا الطوب يحرق ليصبح قوياً، وبينما كان الطوب الذي يتماسك بالملاط من الطين، أما الطوب المحروق فكانت تبنى مداميكه بواسطة القار (الزفت) وجاء وصف ذلك المذكوراً في سفر التكوين (11، 3) حينما تحدث عن المواد التي استخدمها

أهم من ذلك وهو عشرات الألوف من الألواح الطينية تغطيها الكتابات المسمارية، تروي لنا قصة بدء التاريخ وحضارة مدن "سومر" الميته، والفخار⁽¹⁾ المشوي يحفظ لآلاف السنين، لكن السومريون لم يشووا كل تلك الألواح وبعضها كان مجففا في الشمس فأصابه التلف أثناء الحفر أو النقل، هذه الآلاف من الألواح أخذت تتراكم منذ بدأ الألف الثالثة ق.م حتى العصور المسيحية حافظة لنا سلسلة من الوثائق التي تغطي كل أصناف المعرفة عبر تلك القرون⁽²⁾.

أما عن أصول الحضارة فالمؤرخ "أرنولد توينبي" فينسبها إلى العنصر السومري، حيث يقول: "والمدينة السومرية هي أقدم المدن الإقليمية التي نملك وثائق تتعلق بها، وهي أيضا الوحيدة التي من المؤكد أنها تطورت عن مجتمع أو مجتمعات ما قبل المدينة والتي لم تنقل عن أي مجتمع شبيه بها كان قائما قبل ذلك، بل ولم تكن نتيجة إحياء من أي مجتمع من هذا النوع، وقد أظهر التنقيب الأثري الحديث التطور التدريجي فيما يتعلق بناحيتين متميزتين من المدينة السومرية وهما الكتابة والمعمار الديني"⁽³⁾.

في حين يرى المؤرخ "أحمد أرحيم هبو" رأيا مخالفا لرأي سابقه، حيث يقول: "لم يكن السومريون أقدم سكان بلاد الرافدين الجنوبية، وإنما كان الساميون يشاطرونهم العيش في تلك المنطقة إضافة إلى عناصر أصيلة كان لها الفضل في إقامة الحضارات الأولى السابقة، ومنها حضارة أوروك والعبيد، وتشير إلى ذلك شواهد لغوية تضمنتها اللغة السومرية واحتفظت بها اللغات الأخرى، من تلك الألفاظ: دجلة (اديكلات) والفرات (بورانون) وعدد من أسماء المدن: أريدو،

الناس الذين قاموا ببناء برج بابل" كان لديهم طوب كالحجارة وطين لزج (قار) كان يستخدم كمؤونة". ينظر: عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 45.

(1) - عند تتبع المراحل المتلاحقة لنشوء حضارة ما قبل السلالات نذكر الفخار مؤكداين أهميته كدليل ستراتيجرافي، وفي معظم الأحيان كان فخار مرحلة بداية الكتابة خاليا من الزخارف، وكانت خصوصيته التقنية موضوع الكثير من الدراسات المتخصصة، وهناك استثناء وحيد لهذا التعميم وهو الفخار الملون الجيد الذي ظهر في حوالي نهاية عصر "جمدة نصر"، ومن أكثر الأواني شيوعا في هذه الفترة الجرار الفخمة ذات الأعناق والمزينة برسوم هندسية باللونين الأحمر والأصفر والتي تشكل لوحات تظهر فيها رسومات لحيوانات وأوراق أشجار وحتى لكائنات بشرية في بعض الأحيان. ينظر: سيتون لويد، المرجع السابق، ص 84.

(2) - وديع بشور، المرجع السابق، ص 06.

(3) - أرنولد توينبي، المرجع السابق، ص 77.

شروباك⁽¹⁾، أور، لجش، نيبور وغيرها من الألفاظ التي تتصل بالحياة الاقتصادية ولاسيما الزراعية، وقد تبين أنها ألفاظ⁽²⁾ ليست من صلب اللغة السومرية ولا هي من الألفاظ السامية، ولعالم السوماريات المعروف باسم "لاندربرجر Landsberger" وجهة نظر تتصل بأولئك السكان المجهولين ولغاتهم القديمة، فيرى أنهم كانوا يستوطنون جنوبي بلاد الرافدين ومناطق الفرات الوسطى، ويطلق عليهم اسم "الفراتيون الأوائل Proto-euphrats" وينسب إليهم أسماء عدد من المدن، كما ينسب إليهم أسماء عدد من المهن الزراعية والحرف⁽³⁾ الصناعية الضرورية لمجتمعهم وقد وافقه على رأيه العالم المشهور "جيلب Gelb"⁽⁴⁾.

حول نقد هذا الرأي يرى الأستاذ "محمد فهد حسين" أنه من الأدلة على نفي وجود السومريين أن جل أسماء المدن والمواقع في العراق القديم ليست سومرية بل تعود لأقوام يسمون الفراتيون الأوائل، أنه رأي لا يصلح دليلاً على نفي وجود السومريين، فإن السهل الرسوبي بعد اكتمال تشكله سكنته أقوام يعرفون بالفراتيين الأوائل بحسب رأي المؤرخ "لاندربرجر" الذين سبقوا

(1) -مدينة سومرية على بعد ستين كيلومترا من "الديوانية" اليوم، موطن "أوتونابشتم" بطل ملحمة الطوفان. ينظر: سعد صائب، دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994م، ص80.
(1) - محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1977م، ص 11، 12.

(2) -بخصوص لغة الفراتيين الأوائل نشر عالم الأشوريات الألماني "لاندربرجر" في أنقرة مقالة مهمة عن السومريين تبني فيها رأي الباحث "Speiser" في تشخيص الكثير من أسماء المستوطنات المهمة في جنوب بلاد الرافدين ومن ضمنها أور، أوروك، لارسا، أدايا، نفر وسيبار بأنها ليست سومرية، غير أن "لاندربرجر" ادعى أن كثيرا من المصطلحات الثقافية الشائعة أمثال: فلاح (انكار)، راعي (أودول)، صياد سمك (شوها)، محراث (آيين)، نخلة (جيشمار)، تمر (زولوم)، صانع الأدوات المعدنية (تبييرا)، حداد (سيموك)، نجار (نكار)، صانع الجلود (أشكاب)، بناء (شيتيم) وربما تاجر (دامكار) كانت غير سومرية. ينظر: صلاح رشيد الصالحي، بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، ج1، ط1، الشؤون الثقافية العامة، العراق، 2017م، ص 102.

(3) -تدل المخلفات التي عثر عليها علماء الآثار في تل حسونة، تل العبيد والوركاء وجمدة نصر على مدى التقدم الذي حققه قدماء العراقيين خلال عصر فجر السلالات وما قبله في حقل الصناعة اليدوية، ولاسيما الحفر في الآبنوس وأنواع المعادن المختلفة، وقد وجدت بين هذه المخلفات تحف فنية مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص، وقد استدل العلماء من دراستها أن الصناع الذين قاموا بعملها كانوا يعرفون عملية خلط المعادن ولحامها وصقلها وطرقها وترصيعها وتطعيمها أو تكفيتيها، هذا فضلا عن الأدوات والأواني التي صنعوها من الحجارة والفخار والخشب والعظم وغير ذلك. ينظر: برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 269.

(4) -أحمد أرحيم هبو، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين، ط1، دار القلم العربي-دار الرفاعي، 2003م، ص 27، 28.

السومريين والأكديين في سكنى السهل الرسوبي، وهذا لا يمنع أنهم سكنوا فيه ثم جاء إليهم السومريين أو أنهم نزحوا من الجزء الشمالي من العراق القديم، وبالتالي فهذا لا يعد دليلاً على نفي وجود السومريين⁽¹⁾.

تكملة لهذا الرأي فيرى المؤرخ "خزل الماجدي" بأسبعية بعض العناصر المحلية في سكنى المنطقة وذلك قبل أن يجعلها السومريون قاعدة لبناء نواميسهم الحضارية، حيث يقول: "ويبدو مع الزمن، في حدود الألف الخامس ق.م، ظهر في المناطق التي حول نهر دجلة في أراضي جنوب وادي الرافدين الخصبة أقوام أطلق عليهم اسم الدجلويون الأوائل⁽²⁾ وهم أبناء حضارة سامراء، أما الذين تتبعوا نهر الفرات في أراضي جنوب وادي الرافدين فأطلق عليهم اسم الفراتيون الأوائل⁽³⁾، وكان لكل من هؤلاء لغة تختلف إلى حد ما عن الأخرى، وباندماجها في مدن السهل الرسوبي ظهر ما نسميهم بـ العبيديون الذين يمكن أن نطلق عليهم اسم السومريين الأوائل، حيث شكلوا الأجداد المباشرين للسومريين⁽⁴⁾.

من خلال رأي هذا المؤرخ نلاحظ اعترافه بوجود نمطين من السكان ارتبط اسمهما بالنهرين وهم سباقين إلى سكنى المنطقة، وضمناً يعني هذا خلال فترة ما قبل التاريخ، وأنه بانصهار العنصرين بشريا وحضاريا كانت النتيجة ظهور العبيديين الذين يعتبرون الأجداد المباشرين لأحفادهم السومريين، أي رأي المؤرخ أن البوتقة الحضارية كانت دائماً محلية وبقيت كذلك، لكن

(1) -محمد فهد حسين، حقيقة السومريين بين النفي والإثبات، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد السابع، 2012م، ص ص 381، 382.

(2) -Proto- Tigradians وهم الأقوام الذين سكنوا حول النصف الجنوبي من نهر دجلة واستقروا في النصف الأعلى من السهل الرسوبي، وقد بحث المختصون في ما تبقى من أسماء لغتهم فوجدوا أن هناك أسماء بعض الآلهة مثل: دكان، زبابا، رب الشمس "أمبا"، عشتار وأدد، وبأن المنطقة قد سكنت من قبل العناصر المتكلمة باللغات السامية بأقوام تختلف عن الفراتيين الأوائل، أطلقوا عليهم اسم سكان دجلة الأوائل. ينظر: خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 36.

(3) -Proto- Euphratic وهم النازحون الشماليون الذين أسسوا مدنهم على نهر الفرات وشكلوا أغلب سكان النصف السفلي من جنوب العراق، وقد قام "لاندرجر" بدراسة بعض مفرداتهم التي شملت أسماء مدن معروفة وأسماء حرف وصناعات ضرورية وأساسية للمجتمع الزراعي السومري فيما بعد، وقد أطلق هذه التسمية على هؤلاء الأقوام وشخص ما يقرب من 35 مفردة لهم، ثم أضاف لها الباحث "جيلب Gelb" مفردة أخرى. ينظر: نفسه.

(4) -نفسه.

المؤرخ من جهة أخرى في ريب من ذلك حيث يقول الذين يمكن... في إشارة منه إلى احتمالية الانحدار الحضاري أو أنه يفتقر للدليل المادي لإثبات ذلك على الأقل.

كما يرى المؤرخ والباحث اللاهوتي "أنستاس ماري الكرملّي" أن هناك اختلاف واضح بين الحضارة المصرية ونظيرتها الرافدية حيث يقول في إطار شرحه لأصول المجتمع الرافدي: "... في وادي النيل كان لجميع الأهالي لسان واحد، أما هنا في وادي الفراتين في الأرض التي تسميها التوراة أرض شنعار فكان فيها أقوام من سلالتين مختلفتين، ولهم لغتان كل منهما تختلف عن صاحبتهما، ويسمى القطر الشمالي أكد وسكانه ساميو الأصل أولاد عم العرب والعبريين والفينيقيين والسرّيان، طويلو اللحي سوداء و متموجة، وقد احتل القطر أجدادهم في زمن موغل في القدم، وأما القطر الجنوبي المجاور لمصب الرافدين فاسمه شمر وسكانه أقوام لا رابط يربطهم بقوم من أقوام الأرض الذين نعرفهم، مخلوقة لحاهم وشواربهم وشعور رؤوسهم، وأنوفهم بارزة دقيقة الأطراف، وشفاهم رقيقة حسنة، فأى الفريقين كان الأول إلى الديار الفراتية؟ فلا يمكننا الإجابة عنه الآن، وهذان الفريقان وإن كان أحدهما يختلف كل الاختلاف عن صاحبه، إلا أنه من البديهي الذي لا ينكر أن كلا منهما استعار من الآخر معارف شتى⁽¹⁾.

فكانت رقعة الأرض التي اكتشفها أولئك الذين هبطوا من الجبال والمرتفعات نحو السهول الممتدة بين دجلة والفرات هي التي دعيت لأول مرة باسم عرفت به وهو سومر الذي أطلق على المناطق الجنوبية بينما عرفت المناطق الوسطى بعدئذ باسم "أكد" ثم "بابل"، وقد تعلم الناس أن عليهم أن يعملوا ليأكلوا فقد احتلوا أراضي تشكلت على مر آلاف السنين من تراكم الرواسب التي حملتها المياه، فعملوا على تصريفها وردم المستنقعات التي تشكلت فيها وشقوا الأقبية لاستغلال أراض غنية التربة في أقدم نشاط زراعي عرفه التاريخ وبوسائل أولية وأدوات بدائية بسيطة وإلى جانب تلك التلال والمرتفعات كانت تمتد الأراضي المغطاة بالأعشاب المائية والقصب⁽²⁾ والبرك

(1) -أنستاس ماري الكرملّي، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، 2020م، ص 16.

(2) -نبات طبيعي، مما لا شك فيه أنه يعتبر من أقدم النباتات المعروفة في بلاد الرافدين، حيث وجد المنقبون بقايا آثاره في كثير من المواقع الأثرية ومنها تنقيبات مديرية الآثار العراقية في موقع مدينة "أريدو"، حيث وجدوا أقدم نماذج لبيوت السكنى وهي أكواخ

الغنية بالسّمك⁽¹⁾، فالمياه الوفيرة كافية للري في الصيف ولإرواء قطعان الماشية من الماعز والغنم⁽²⁾.

وتدعيما للرأي السالف، تلمح قصيدة سومرية قديمة وهي "ملحمة الخليقة" إلى طبيعة البيئة التي نشأ فيها السومريون الأوائل"، حيث تقول:
وضع "مردوك" قسبة على وجه المياه، كون التراب وصبه إلى جانب القسبة...
كون البشر ومعه الإلهة "أرورو" خلقت بذرة البشر.

كون وحوش الحقل والأشياء الحية في الحقل، خلق دجلة والفرات وأقامهما في مكانهما.
أعلن عن اسميهما بطريقة إلهية، خلق العشب وفورة الهور والقسبة والغابة.
الأرض، والأهوار والمستنقعات، البقرة الوحشية وصغيرها وخروف الحظيرة.
البساتين والغابات، المعزى ومعزى الجبل، بنى المولى "مردوك" (مردوخ) سدا إلى جانب البحر.
كون القصب وخلق الأشجار.

وضع الآجر⁽³⁾ وأقام المباني، بنى البيوت وأسس المدن، بنى "أوروك"⁽⁴⁾.

كما تعتبر القبائل التي نزحت إلى المنطقة الجنوبية وساعدت في زيادة السكان بعد انحسار مياه الفيضان أكثر تقدما من حضارة "العبيد"، وكان من بينهم السومريون القدماء، والظاهر أنهم

القصب، وأن أقدم استخدام له في المنطقة هي في بيوت "المضايف" التي لا تزال موجودة إلى يومنا هذا، وأشكال حضائر الحيوانات الممثلة على الأختام الأسطوانية، وقد ورد ذكر كوخ القصب في النصوص المسمارية بصيغة gj-pad في السومرية وفي الأكديّة utug-utukku. ينظر: نواله أحمد المتولي، القصب عند السومريين (دراسة لغوية)، مجلة آداب الرافدين، العدد 61، 2012م، ص 299.

(1) -تعدد الثروات عند السومريين فقد كان قوام طعامهم السمك الذي كانوا يبحثون عنه ويتتبعونه في الأنهر والبحيرات إلى منطقة الخليج الفارسي، والطيور المائية وفارقت التلال والجبال أسراب الوحوش والطرائد، وانصرف الإنسان في موطنه الجديد إلى الصيد، ثم تعلم العزق فبدأ الفلاحة، وظهرت زراعة الحبوب كالشعير وسواه والبقول، كما أطلت باكرا شجرة النخيل ثم السمس ثم نشأت تربية الحيوانات، وشرع البشر في استصلاح الأراضي بعد أن أخذوا بالتجفيف ووقاية المزارع من الفيضانات وإدخال الماء لأيام الجفاف، وظهرت السدود والأقنية والآبار وانتظم الري وامرعت بقاع الفرات ودجلة. ينظر: عزمي سكر، المرجع السابق، ص 25.

(2) -محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 76.

(3) -تم إنتاج الآجر أو الطوب الطيني بشكل شائع ضمن قوالب خشبية طويلة تفتح من الأعلى والأسفل عادة منفردة ولكن في بعض الأحيان ثنائية أو ثلاثية، ويمكن استخدام معظم التربة كوسيط كما كان استعمال القش المفروم أو الروث هو الأكثر شيوعا.

ينظر: Kadim Hasson Hnaihen, *The Appearance of Bricks in Ancient Mesopotamia*, Athens Journal of History, vol 06, Greece, 2020, p 76.

(4) -غلين دانيال، المرجع السابق، ص 95.

كانوا قوما على كثير من الحضارة، حذقوا استعمال العجلة في عمل الأواني الفخارية، واستبدلوا صناعة الأواني الفخارية المستوحاة من السلال بعمل أوان ملونة بلون واحد، وكانت الأواني تزين أحيانا بالحفر، وهناك ما يدل على استخدامهم للعجلة التي عرفوها في صناعة الفخار في عربات تجرها الثيران أو الحمير⁽¹⁾.

فبعد أن برزت عناصر الحياة في شكل تجمعات بشرية شمال البلاد وتوجت بأعظم ثورة اقتصادية في تاريخ البشرية وهي الزراعة وظهور القرى الزراعية لتمتد تدريجيا نحو السهل الجنوبي، بدأت اشراقة حضارة أصيلة متكاملة بالظهور التدريجي من أقصى جنوب وادي الرافدين، ومع أن هذه المنطقة فقيرة من حيث الموارد الأساسية اللازمة للبناء الحضاري مثل: الأخشاب والأحجار وخامات المعادن، لكنها غنية بثلاثة مصادر أخرى هي: ضوء الشمس، الماء والتراب ومن الطين بنى الرواد الأوائل حضارتهم وعليه كتبوا تاريخهم، فأتاحوا للإنسان المعاصر أن يرى الماضي على مدى أكثر من خمسة آلاف سنة هي الفترة الفاصلة بين الحاضر وبين الحضارة السومرية⁽²⁾.

كما يمكن القول وكتسلسل منطقي وكرونولوجي للأحداث في تكوين السهل الرسوبي والأقوام القاطنة فيه، فإنه بعد أن اكتمل تشكله نحو الألف السادس قبل الميلاد⁽³⁾، مثلت مدينة أريدو أقدم استيطان فيه، حيث نزحت الأقوام إلى السهل الرسوبي من منطقتين الأولى من الشمال وهي أقوام العصر الحجري الحديث ويمكن أن يكون السومريون من ضمنهم، أما الأقوام الجزرية فقد نزحت إليه من الجنوب الغربي، وبالتالي فقد حصلت حالة من الانصهار العرقي والثقافي بين الأقوام

(1) -نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، دار المعارف، مصر، 2010م، ص 45.

(2) -عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا (العقيدة الدينية. الحياة الاجتماعية. الأفكار الفلسفية)، ط1، دار المدى، سوريا، 2004م، ص 43.

(3) -عندما بدأ القسم الجنوبي من العراق بالظهور منذ بداية الألف الخامس قبل الميلاد، بدأت الأعداد الفائضة عن الحاجة بالهجرة إلى مناطق، وهذه الأخيرة كانت ولا تزال غير كافية الأمطار لنمو الزرع ولكنها كانت صالحة للزراعة المعتمدة على الري، فضلا عن أن خصوبة تربتها كانت عالية جدا، مما تسبب ذلك في إبعاد مكانة الإله "أنليل" إله الهواء وإحلال مكانه إله الماء والأرض الإله "أنكي" في الجنوب، ولهذا السبب بالذات جعل سكان الجنوب هذا الإله هو الخالق للإنسان بدل إله الهواء. ينظر: عامر عمر سلام، ملاحم وأساطير خلق الكون والإنسان والبحث عن الخلود في بلاد ما بين النهرين، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ، إش: فوزي محمد رشيد والريح سنهوري الريح، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2004م، ص 41.

المختلفة سواء كانوا من الفراتيين الأوائل والسومريين والجزريين بموجاتهم الأولى منذ الألف الخامسة قبل الميلاد وصعوداً، وهذا يفسر عدم وجود فوارق عرقية سلالية وأنثروبولوجية في الهياكل العظمية المكتشفة بعد الألف الثالثة قبل الميلاد، وبالتالي لا يمكن أن نعد ذلك دليلاً حاسماً على عدم وجود السومريين، وربما عند اكتشاف هياكل عظمية تعود إلى الألف السادس والخامس والرابع قبل الميلاد سيحل بعضاً من هذه الفوارق⁽¹⁾.

ضمن هذا الإطار كذلك يؤكد المؤرخ "عباس فاضل السعدي" التنوع العرقي لسكان العراق القديم والعوامل المحددة لانتشار السلالات المستوطنة فيه تبعا للعوامل الجغرافية المتحركة، حيث يقول: "...إن التوزيع الجنسي للسكان في العراق بسلالاته المختلفة، يوضح مدى تأثير البيئة الطبيعية وخاصة العامل الطبوغرافي منها في تكتل السكان ودرجة اختلاطهم ومدى انصهارهم مع بعضهم، فيلاحظ من هذا أن جماعة الأكراد التي جاءت إلى الإقليم الجبلي استطاعت أن تحافظ على صفاتها الأنثروبولوجية واللغوية بسبب عزلتهم، بينما المجموعة الثانية التي تسكن السهول وهي المجموعة العربية قد تمكنت من إشغال جميع المناطق السهلية، الأمر الذي ساعدها على الاختلاط بالسكان القدامى (هنا يقصد بذلك إما العبيدين أو الفراتيين الأوائل أو السومريين) للإقليم حتى تمت لهم الغلبة في صهر تلك المجموعة البشرية وطبع سكانها بالصفات الأنثروبولوجية واللغوية والاجتماعية والدينية التي يتصف بها العرب، أما المجموعة الثالثة شبه الجبلية فهي تمثل منطقة اختلاط لأجناس ثلاث هي العريضة الرأس كالأكراد والمغولية كالتركمان والعرب المنحدرين من سلالة البحر المتوسط، وإن اختلاط وتباين الصفات الهيكلية والسطحية بين الجماعة الواحدة نفسها من سكان العراق القديم يجعل من تتبع أصولها موضوعاً معقداً"⁽²⁾.

كما يبين لنا المؤرخ "ستار نوري العبودي" أن العراق القديم قد شهد خلال مراحل زمنية متعددة موجات من التحركات البشرية والتي شكلت إلى حد ما شخصيته التاريخية المعاصرة، حيث يقول في هذا الصدد: "...كما توافدت على العراق أقوام جبلية شمالاً وشرقاً ومعظم تلك الأقوام الجبلية

(1) -محمد فهد حسين، المرجع السابق، ص ص 380، 381.

(2) -عباس فاضل السعدي، المرجع السابق، ص 107.

الوافدة إليه من بلاد فارس أو بلاد الأناضول⁽¹⁾ فارسية، تركمانية والأقوام المجاورة الأخرى من جهة ثانية، فضلا عن تواجد سكانه الأصليين القدامى من الأقوام السومرية، البابلية والآشورية⁽²⁾، وبصرف النظر عن النظريات الخاصة بتلك المسميات، فإن الم كانت عبر التاريخ ملتقى ومصهرا اجتماعيا أو بوتقة اجتماعية لعدة أقوام متنوعة ومتجاورة، دخلت في مراحل طويلة من الصراع والحوار والتعايش السلمي، خاصة وأنه تمتع منذ القدم بثروات مختلفة كبيرة طبيعية وغير طبيعية كانت كافية لاستيعاب تلك الجماعات من جهة وخلق حالة من التفاعل والتوازن الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي، بين جميع تلك المكونات عبر مسيرة طويلة من الزمن⁽³⁾.

في حين تطورت الحضارة السومرية تطورا كبيرا جعل الشمال يتخلف عن الجنوب فتوسعت المدن⁽⁴⁾ حول المعابد وظهر التنظيم والسلطة الإدارية التي تمكنت من حفر قنوات الري⁽⁵⁾ وزيادة

(1) -اسم مشتق من أناضولو، الاسم التركي لشبه جزيرة آسيا الصغرى، وهي هضبة تتحدر نحو إيجة غربا وترتفع شرقا لتشكل منطقة جبلية عالية، وهناك المزيد من السلاسل الجبلية التي تفصلها إلى الشمال والجنوب عن السهول الساحلية، وقد ازدهرت في هذه المناطق الجغرافية والمناخية المختلفة حضارات متباينة، ولكن منطقة الأناضول قد باتت منذ الأزمان الغابرة جسرا بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب. ينظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 46.

(2) -كانت بلاد آشور تحتل منطقة جغرافية تقع شمال العراق بالقرب من نهر دجلة، وقد وتم استيعاب هذه البلاد من قبل الإمبراطورية الأكديّة في حوالي عام 2300 ق.م، ثم عاد الأمن بشكل مؤقت بحلول القرن التاسع عشر ق.م وذلك تحت حكم الملك العموري "شمشي -أدد الأول" والذي وطد أركان أول إمبراطورية آشورية، وبعد سقوط حكم آخر حاكم آشوري في حدود عام 600 ق.م، عادت المنطقة لتخضع لسلسلة من القوى الخارجية على غرار الميديين، الفرس، الإغريق، الفرثيين، الساسانيين

والعرب. ينظر: Don Nardo, *Ancient Mesopotamia*, Green haven press, USA, 2006, p 40.

(3) -ستار نوري العبودي، الشخصية التاريخية للمجتمع العراقي، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية، العدد 02، جامعة بابل، العراق، 2011م، ص 05.

(4) -حسب ثبت الملوك السومريين لمرحلة ما بعد الطوفان وما أظهرته الحفريات الأثرية لهذه المرحلة نستطيع تقدير التاريخ المعروف لبدء مرحلة المدن والسلاسل السومرية تقريبا في حدود عام 3000 ق.م، ويحدد بعض العلماء هذه المرحلة ما بين 2800 و2900 ق.م وهي تقترب زمنيا من مرحلة الظهور، ولكنها تمتاز عنها سياسيا وحضاريا وثقافيا في تقدمها الهائل وانتشارها الكبير. ينظر: خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 43.

(5) -يعد من أهم الأنشطة التي تعتمد عليها الزراعة، وقد ظهر لأول مرة خلال عصر سامراء (5000 سنة ق.م)، أما في جنوب بلاد الرافدين فقد ظهر خلال عصر العبيد (4500 سنة ق.م) بالمنطقة المجاورة لمدينة أريدو وذلك خلال منتصف الألف الخامس ق.م، ويتطلب السقي أدوات عدة، ولهذه الأدوات أهمية كبيرة في الحقول التي تحتاج إلى السقي بالواسطة، واختلفت أنواع هذه الأدوات باختلاف ارتفاع أو انخفاض الأرض المزروعة، ومن بينها نجد: الدلو، الدالية أو الشادوف، البكرة، الناعور. ينظر: أحمد كاظم طاهر وفاتن منصور محمد، الآلات والأدوات الزراعية في بلاد الرافدين، مجلة الآداب، العدد 129، الهيئة العامة للآثار والتراث، العراق، 2019م، ص ص 362 - 364.

الإنتاج الزراعي وظهور الصناعات ودولاب الخزف والختم الأسطواني واختراع الكتابة قبل الألف الثالث قبل الميلاد، كان هذا التقدم نتيجة التطور الداخلي في الهلال الخصيب، والسومريون جزء من شعبه الذي ظل يشغله وليسوا نتاجاً لهجمة غريبة، إن هذا التطور الذي دام آلافاً من السنين كان يحدث نتيجة للعملية التاريخية ذات القوانين الثابتة⁽¹⁾.

أما المؤرخ "جورج سارتون" فيضيف لنا بعض المعلومات بخصوص هذا الشأن، حيث يقول: "حين تنشأ حضارة جديدة في بيئة جغرافية تشبه في خصائصها بيئة بلاد ما بين النهرين ينبغي لنا أن نتوقع صراعاً ثلاثياً بين الحضرة المستقرين في الحواضر وهم أهل تلك الحضارة وبين البدو المتنقلين عبر البادية وفي أطراف الأراضي المزروعة وبين أهل الجبال الممرنين على حياة أصعب وأقسى من حياة السهل الطامعين أبداً في سهولة العيش عند أهل السهول، على أن العلاقة بين السومريين المتحضرين بهاتين الجماعتين لا نعرف عنها سوى النزر القليل، فيصفون البدو في أقدم النصوص السومرية⁽²⁾ بأنهم القوم الذين لا يعرفون سكنى البيوت والذين لا يزرعون القمح، والواضح من هذه العبارة أن أولئك السومريين الأقدمين لم يعتبروا أنفسهم محدثين من الناحية الحضارية بل أنهم يتذكرون ماضياً بعيد الغور إذ سبق لهم قبل 3000 ق.م بزمن طويل أن استطاعوا ردم الأهوار⁽³⁾ قرب الخليج الفارسي وعلى طول مصب نهر الفرات الأسفل"⁽⁴⁾.

(1) -أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، ط1، دار المستقبل، دمشق، 1991م، ص 174.

(2) -إن أقدم النصوص السومرية المعروفة ونحن نقصد بذلك المتطورة منها وليس التي هي في شكل جداول ترجع إلى حوالي 2800 ق.م، وذلك بعد الانتقال من المرحلة الصورية إلى المرحلة التي تعتمد على القواعد اللغوية بما في ذلك الرموز والمقاطع. ينظر: Carole le Roche, *Découverte des Ecritures Anciennes Ecritures Cunéiformes de Mésopotamie et du L'evant*, édit Maison de L'orient et de la Méditerranée, Lyon, 2005, p 04.

(3) -اختلف المفسرون والباحثون في تفسير ظاهرة نشوء الأهوار، فمنهم من يرى أنها تكونت نتيجة الخصائص التكوينية لأرض السهل الرسوبي وتأثير التحركات التكتونية خلال الزمن الجيولوجي الثالث كان من جرائها حدوث تقعر في مناطق العراق الوسطى والجنوبية أدى إلى توغل مياه الخليج العربي لتغطي ذلك التقعر، إلا أن الدراسات الحديثة لم تستطع إثبات صحة هذه النظريات، كما أنه لا يوجد أي دليل تاريخي على أن رأس الخليج العربي كان في السابق شمال موقعه الحالي، هذا إلى جانب البحوث التي أثبتت أن مياه الأهوار عذبة منذ زمن تكوينها بينما مياه الخليج العربي مالحة دوماً وهذا ما يدل على أن المنطقة لم تكن مغمورة يوماً ما بمياه الخليج العربي. ينظر: شيماء ياس خضير العامري، أهوار الجنوب العراقي بين عراقة الماضي السومري ولاحة اليونيسكو للتراث العالمي (هور الحويزة أنموذجاً)، المؤتمر الدولي العالمي، جامعة واسط، 2021 م، (د.م)، ص 837.

(4) -جورج سارتون، المرجع السابق، ص 146.

فهناك نص أدبي يعرف بأسطورة "مارتو" ورد فيها حديث الكاتب السومري حول الأموريين، هم من الأقوام الجزرية والذين ينتمي الأكديون إليهم، ويمكن أن نستشف منه حالة التمايز العرقي⁽¹⁾ والفروق الثقافية بينهم وبين السومريين، إذ يقول:

المارتو الذين لا يعرفون الحبوب.

المارتو الذين لا يعرفون البيت ولا المدنية.

أجلاف الجبال.

فالنص يتحدث عن فروق اجتماعية وحضارية وليست قومية⁽²⁾، فلم تحظ تخوم أرض سومر وأكد في الشرق والغرب بتقدير السومريين الذين سموا العيلاميين والسوباريين بشعب الدمار والخراب ونعتوا العيلاميين بالجشع والضعف، كما وصفوا "المارتو" بالبداوة أي لا يعرفون القمح⁽³⁾.

فقد سبق ملاحظة أن الزراعة أساس بناء المجتمع السياسي المنظم والتمدن والحضارة التي بدأت تاريخيا شمال البلاد (جرمو 7000 ق.م)، بينما عرفت الأقوام الجبلية في الشرق بحياتهم الهمجية، فقد أطلق عليهم السومريون اسم "ثعابين الجبال"، بينما وصفوا الأقوام الجزرية بأنهم بدو الصحراء لا يعرفون الزراعة والحضارة، أما السومريون فكانوا على خلاف هذه الأقوام شعبا متحضرا شديد التعلق بأرضه الطينية (السهل الرسوبي) وكانوا يتحسبون دائما للبدو الأجلاف في المناطق الغربية والذين دأبوا على مهاجمة قوافلهم ومدنهم وقراهم، إن النزاع التقليدي لمجتمع السهل الرسوبي والقبائل البدوية تملأ فصولا طويلة من تاريخ العراق القديم، بمعنى أن أهل بلاد الرافدين كانوا الأكثر تحضرا وتأهيلا لبناء ومواصلة الطريق الحضاري⁽⁴⁾.

(1)-في بلاد الرافدين القديمة كان أهم تقسيم وتمايز عرقي هو وجود تعارض بين الشعوب البدوية والمستقرة، أي بين سكان المدن وسكان الأرياف، وعلى سبيل المثال: فمن ناحية معينة لم يشعر الرافديون أنهم مطالبون بالحفاظ على طقوس الزواج داخل نفس المجموعة العرقية، كما أنه لم يتم تمييزهم على أساس صفات عرقية أو فيزيولوجية، فمن خلال التماثل نجد أن شكل الوجه، العينين، الأنف أو لون البشرة والجلد غير موصوفة، كما أنه لا يمكننا العثور على أية معايير أثرية قائمة على أساس متين لتحديد رفات مادية لمجموعة عرقية خاصة أو متميزة. ينظر: Henri Limet, *Ethnicity (A Companion to the Ancient Near East)*, Blackwell Publishing, USA, 2005, p p 370, 371.

(2)-محمد فهد حسين، المرجع السابق، ص ص 377، 378.

(3)-محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 188.

(4)-عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 44.

وقد اعتمدت المدن السومرية أو الأحياء الكبرى على ازدهار الزراعة، وكان الشعير⁽¹⁾ هو المحصول الرئيسي ولكن كان يزرع أيضا القمح والحنطة النشوية والدخن والسمسم والنخيل، وكانت هناك خضر وفواكه وقطعان أغنام مدجنة⁽²⁾، وينبغي أن يظل في البال أن السهل الذي تسقيه في الوقت الحاضر مياه دجلة والفرات هو أرض غنية بالزراعة⁽³⁾ لكنه كان أغنى قبل أن تحدث الملوحة الكبيرة، وأمكن لسكان المنطقة بأكملها أن يعيشوا على نتاج الأرض⁽⁴⁾ ويقايضوا الفائض بما كانوا يحتاجونه من الخارج، ومن الضروري أن نتذكر أيضا أن هذه لم تكن زراعة معيشية بل

(1) -ورد ذكر محول الشعير في المصادر المسمارية بالمصطلح السومري "Se"، وفي الأكديّة بالمصطلح "Se'u"، وكان بلا شك أهم حاصلات الحبوب في جنوب بلاد الرافدين، إلى حد أن الكلمة السومرية "Se" أصبحت تستعمل عموما لجميع الحبوب، وتعد هذه المادة من بين المواد الغذائية الرئيسية للسكان، وقد دخلت في تصنيع العديد من المواد الغذائية التي هي مصدر أساسي في حياة الأفراد مثل: أقرص الخبز، لذلك فإن قلة توفر هذه المادة سيؤدي بلا شك إلى حدوث اضطرابات اقتصادية منها ضيق المستوى المعيشي للسكان. ينظر: زين العابدين موسى جعفر آل جعفر، محصول الشعير في ضوء النصوص المسمارية، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد 13، العدد 03، 2015م، ص 216.

(2) -تظهر الدلائل المادية المكتشفة في قرية "جرمو" أن اقتصاد العصر الحجري الحديث المنتج للزراعة وتدجين الحيوان قد تطور لأول مرة في أقطار الشرق الأدنى منذ الألف الثامن قبل الميلاد، ومن هذه الحيوانات الأغنام والتي تعد أولى الماشية التي ربيت على شكل قطعان وبطريقة رعي بدائية في كهوف وملاجئ الإنسان القديم في شمال بلاد الرافدين، حيث وجدت بقاياها العظمية في كهف "زواي جمي" وفي كهف "شنايدار"، وهذا الموقع يمثل أول مرحلة لتدجين الأغنام بدليل أن صيد الماعز البري خلال تلك الفترة أصبح غير ضروري. ينظر: باسل أياد سعيد، الثروة الحيوانية في العراق القديم، رسالة ماجستير، إيش: أحلام سعد الله صالح الطالب، جامعة الموصل، 2008م، ص ص 20 - 55.

(3) -كانت الحضارات التي سادت في الأقسام الشمالية من بلاد الرافدين حضارات زراعية، تعتمد في إنتاجها بصورة رئيسية على المطر، فكانت العبادة في تلك المناطق ذات الأمطار الفصلية الكافية هي تقديس فكرة الخصوبة ورمز هذه العبادة هي الآلهة الأم، ولكن بتزايد السكان وزحفهم جنوبا إلى وسط بلاد الرافدين حيث الأمطار الفصلية المتذبذبة والقطط، فقد بدأت مشكلة الطعام وكفايته تحتل مكانا بارزا في تفكير الناس وتنافس فكرة الخصوبة وتدفع البعض إلى التفكير في عبادة الظواهر الطبيعية كبديل لآلهة الخصب. ينظر: صبحي الشاروني، فن النحت في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين دراسة مقارنة، ط 01، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1993م، ص 30.

(4) -بخصوص إنتاجية الأرض فإن الانتقال من حفر الأرض بالمعزقة إلى الفلاحة بالمحراث دل على تقدم كبير في تطور قوى الإنتاج، وفتحت إمكانية استصلاح مساحة زراعية أوسع، ولكن كان من الضروري الاستيلاء على هذه المساحة من الطبيعة، فتطلب الأمر تجفيف المستنقعات وحماية الحقول من الفيضانات وإيجاد ماء احتياطي لأوقات الجفاف في خزانات اصطناعية، ومن أجل ذلك كان من الضروري أن تشق القنوات وتقام السدود أو تحفر الآبار في البقاع المرتفعة، ومع الزمن تطورت وسائل ري الحقول حيث لم تكن الأمطار كافية وتهطل بصورة رئيسية في فصل الشتاء، وهكذا بفضل جهود أجيال عديدة تحول وادي دجلة والفرات إلى منطقة خصبة تعطي محاصيل كثيرة تفوق خمسين محصولا. ينظر: نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم

السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، دار الفكر، دمشق، 1972م، ص 17.

زراعة منظمة ذات نظام معقد من قنوات الري، وكان الري والتصريف ينطويان على جهود تعاونية معقدة تتطلب السيطرة والتنظيم ومجتمعاً⁽¹⁾ يمتاز بالمركزية⁽²⁾.

فمن الراجح أن مستوطنات الألفين الخامسة والسابعة التي أقيمت في جنوب بلاد الرافدين قد غمرتها المياه الجوفية المتعالية باستمرار حتى ذهبت بمدن الجنوب العراقي في البحيرات أثناء الألفين الأولى والثانية قبل الميلاد، ولم تكن هذه البحيرات أهواراً بحرية مغلقة بل مياه وكانت تتسرب إلى الأسفل على الدوام، ولقد حالت الغابات النابتة على ضفاف الأنهار دون استيطان البشر وأودت بحياة جماعات رعوية بأسرها، وأدرك القوم صلاح الأرض للتسميد والري على خلاف تربة الجبال خلال الفيضانات وافتقرت الأرض لرسوبيتها إلى الحجارة فكثر طلبهم للصوان والأبسيديون وأخشاب البناء واضطر السكان إلى استيراد ذلك⁽³⁾.

(1) - قام المجتمع الرافدي أساساً على طبقتين رئيسيتين هما: الأحرار العبيد، ضمت طبقة الأحرار فئات وشرائح عديدة منها الحاكمة ومنها الطبقة التي ضمت عامة الناس، وتقف على رأس الفئة الحاكمة الأسرة المالكة التي اكتسبت وفق ملحمة الخليقة مركزاً خاصاً باعتبار الملك نائب الإله في أرضه يتمتع بالتفويض الإلهي وبذلك أصبح مصدر السلطات والامتيازات، أما العبد فلم يعترف بشخصيته، بل عومل بصورة متدنية اجتماعياً قانونياً، كان يميز عن بقية أفراد المجتمع بطريقة قص شعره أو وسمه كالحيوان رمزاً للملكية، ويتم ختمه عادة بقطعة حديد محمية كالجمر على جلده مباشرة، إلا أن شريعة الملك "حمورابي" وضعت عقوبات شديدة بشأن قطع أو حرق أو وسم العبد وأصبح هذا التصرف يعرض مرتبه لعقوبة قطع اليد أو الموت، وكان الكثير منهم يعمل في الحرف والصناعات لتنمية موارد أسيادهم. ينظر: عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 131، 132.

(2) - غلين دانيال، المرجع السابق، ص 83.

(3) - عزمي سكر، المرجع السابق، ص 22، 23.



-جنوب بلاد ما بين النهرين عام 3200 ق.م (شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص 09).

أما بخصوص دور العامل المناخي والجيولوجي في ترسيخ الموطن الأول للسومريين يقول البروفيسور "جاك لابيري" أكبر علماء المناخ في أوروبا اليوم في هذا الصدد: "إن حضارات القدامى بزغت وتلاشت بفعل حركة ارتفاع أو انخفاض منسوب البحر والمياه فوق مستوى الأرض، لنأخذ مثلا السومريين، لقد ظهرت فجأة منذ حوالي ستة آلاف سنة عند نهري دجلة والفرات، كانوا يملكون أسلحة متطورة بالنسبة إلى ذلك الزمان ويعيشون حضارة نشيطة فمن أين جاءوا؟⁽¹⁾.

إن علم المناخ والأرصاد يدل على أنه حين كان سطح المحيط منخفضا أي أقل ارتفاعا عما هو بمائة متر فالسومريون كانوا موجودين في مكان ما، ومن المؤكد أنهم كانوا قرب نهر يؤمن لهم الشرب واستمرارية الحياة، آنذاك كان بحر الخليج أرضا يابسة يجتازها النهر المذكور، كان سهلا واسعا وخصبا، وفي هذا السهل ومنذ آلاف السنين حيث كان مستوى البحر منخفضا مئة متر حدثت

(1)-أحمد داوود، العرب والساميون والعبانيون، ص ص 23 - 26.

حتمًا عملية انتقال الإنسان من حالة العصر الحجري القديم إلى حالة العصر الحجري الأخير أي المزارعين الثابتين، لقد تم ذلك منذ حوالي ثمانية أو تسعة آلاف سنة، وقد ظل سطح البحر يرتفع منذ سبعة آلاف سنة دافعا بالسومريين الأوائل إلى منطقة الشمال الغربي فبلغ البحر ومنذ خمسة آلاف سنة المستوى الحالي الذي نعرفه، فاستقر السومريون في مدينة "أور" وضواحيها، والمعروف أن المدن الكبرى القديمة في بلاد الكلدان توجد على بعد مئة وأربعين كيلومترا تقريبا من الأراضي وهذا المستوى كان الأقصى الذي بلغته مياه البحر منذ خمسة آلاف وخمس مئة سنة، وحين انحسرت مياه البحر بقي السومريون حيث كانوا⁽¹⁾.

أما المؤرخ "غلين دانيال" فيؤكد على دور العوامل الطبيعية الجيدة في تهيئة الأرضية الخصبة لقيام الحضارة السومرية في جنوب بلاد الرافدين، حيث يقول: "...يبدو لي أن سهل الغرين في دجلة والفرات قدم بيئة محفزة تتطلب عناية، وقد أقامت جماعات الناس الذين شقوا بأيديهم جنوبا من الأراضي العليا حيث تطورت الزراعة الابتدائية والقرى الأولى التي تحققت في الوجود في بيئة صغرى غنية كانت عرضة للفيضانات وتحتاج إلى الري بواسطة القنوات والأعمال التعاونية، ونتيجة هذه الخصوبة وهذا التعاون ازدهرت القرى ونمت فحدثت معجزة الحضارة الأولى: أي حصل الاتحاد السومري في المدن⁽²⁾.

ويواصل المؤرخ "عزمي سكر" شرحه ودعمه لهذه الفكرة، حيث يقول: "...وكان أن امتلأ القسم الشمالي برواسب الرافدين، فأبّت مياه الخليج⁽³⁾ لتبقى مكانها السهل المستنقي، ولم يكن بمقدور الإنسان خلال العصر الحجري القديم أن يعيش هناك، ومع بداية العصر الحجري الحديث بدأ البشر يغادرون المرتفعات القريبة ويأتون جموعا إلى جنوب بلاد الرافدين، وقد يكون حملهم

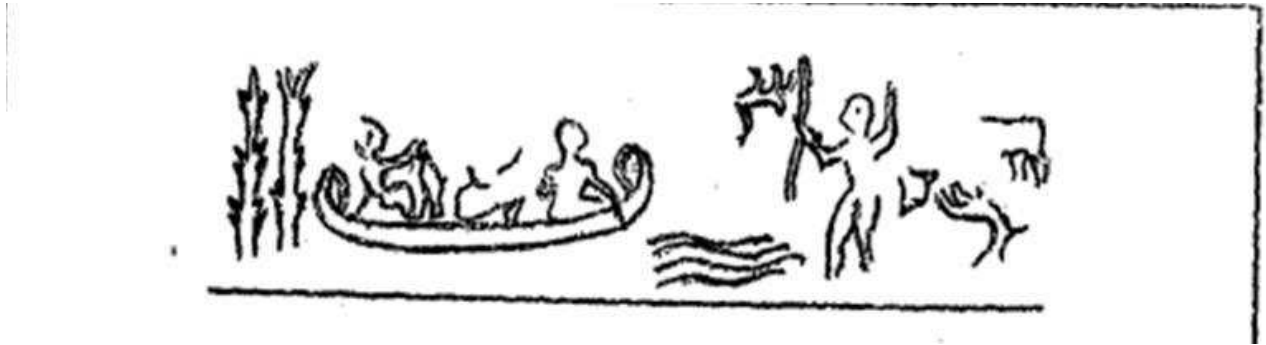
(1) -أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون..، ص ص 23 - 26.

(2) -عزمي سكر، المرجع السابق، ص 102.

(3) -تراجع ساحل الخليج بين الألف الرابع والأول قبل الميلاد مسافة حوالي 250 كيلومترا إلى الجنوب من موقعه الأصلي القديم، ثم أخذت الجزر تتكون في البحر قريبا من الضفاف وبينها الخلجان الصغيرة والبحيرات، فانسحب البحر إلى الجنوب، وبعد أن كان داخلا في البلاد على شكل مثلث رأسه الأعلى قريبا من العمارة تراجع الساحل في القرن الرابع قبل الميلاد، امتد من شمال البصرة إلى جنوب الأهواز على خط أفقي في شماله جزر وبحيرات ومستنقعات، ثم جفت البحيرات واتصلت الجزر ببعضها البعض فانسحب حتى أخذت ضفافه شكلها الحالي. ينظر: برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 189.

على الإقامة في تلك البيئة غير الملائمة للحياة أحوال قاسية كانوا يمرون بها كندرة الغذاء ووطأة الأعداء هذا إلى جانب اشتداد الجفاف وانتشاره، الذي تفاقم خطره مع نهايات العصر الحجري القديم، فحمل هذا الأمر الإنسان في عهد بزوغ الحضارة على الترحال إلى وادي الرافدين بعد أن ثقف مبادئ الري، وألم بصناعة الفخار⁽¹⁾.

تماشياً مع هذا الرأي، يوضح لنا كذلك نفس المؤرخ رأيه حول الاستيطان في العراق القديم، حيث يقول: "...ولم تعرف المنطقة خلال العصر الحجري القديم حياة لم يستطع الإنسان البقاء فيها، أما خلال العصر الحجري الحديث فقد تسلسل السكان المقيمون في الجبال المجاورة إلى تلك البقاع يحملهم الجوع والهروب من الأعداء، وهبطت معهم الثيران والغزلان وحمر الوحش، فانطلق السكان للعمل في الصيد⁽²⁾، ثم في الزراعة فغرست الأرض بالشعير وسواه وبالخضار، وبعدها عرفت زراعة أشجار النخيل والسمسم، وجرت تربية الحيوانات استصلاح أقسام أوسع من الأرض، بما يستلزم ذلك من تجفيف وحماية من الفيضانات وسدود الماء لأيام الجفاف وحفر الآبار، فتحول وادي الرافدين إلى منطقة خصيبة"⁽³⁾.



-صيد الأسماك ضمن البيئة النهرية لبلاد الرافدين عثر عليها في "أوروك" (جون كلود

مارغرون، المرجع السابق، ص 165).

(1)-عزمي سكر، المرجع السابق، ص 24.

(2)-كشفت أعمال التقيب الأثرية نماذج رائعة من المنحوتات والرسوم تعكس مشاهدنا الأساليب المستخدمة في الصيد في بلاد الرافدين مما توجي بأنه كان من الممارسات الراسخة في تلك المجتمعات، إذ برع الفنانون النحاتون وخصوصاً الآشوريون في نحت مناظر صيد الحيوانات المختلفة وأنواع الأسلحة المستخدمة، كما تعطي لنا فكرة واضحة عن أصناف الحيوانات البرية التي كانت منتشرة آنذاك في البيئة العراقية. ينظر: لقاء جليل عيسى، فنون الصيد في العراق القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد 55، العراق، 2009م، ص 12.

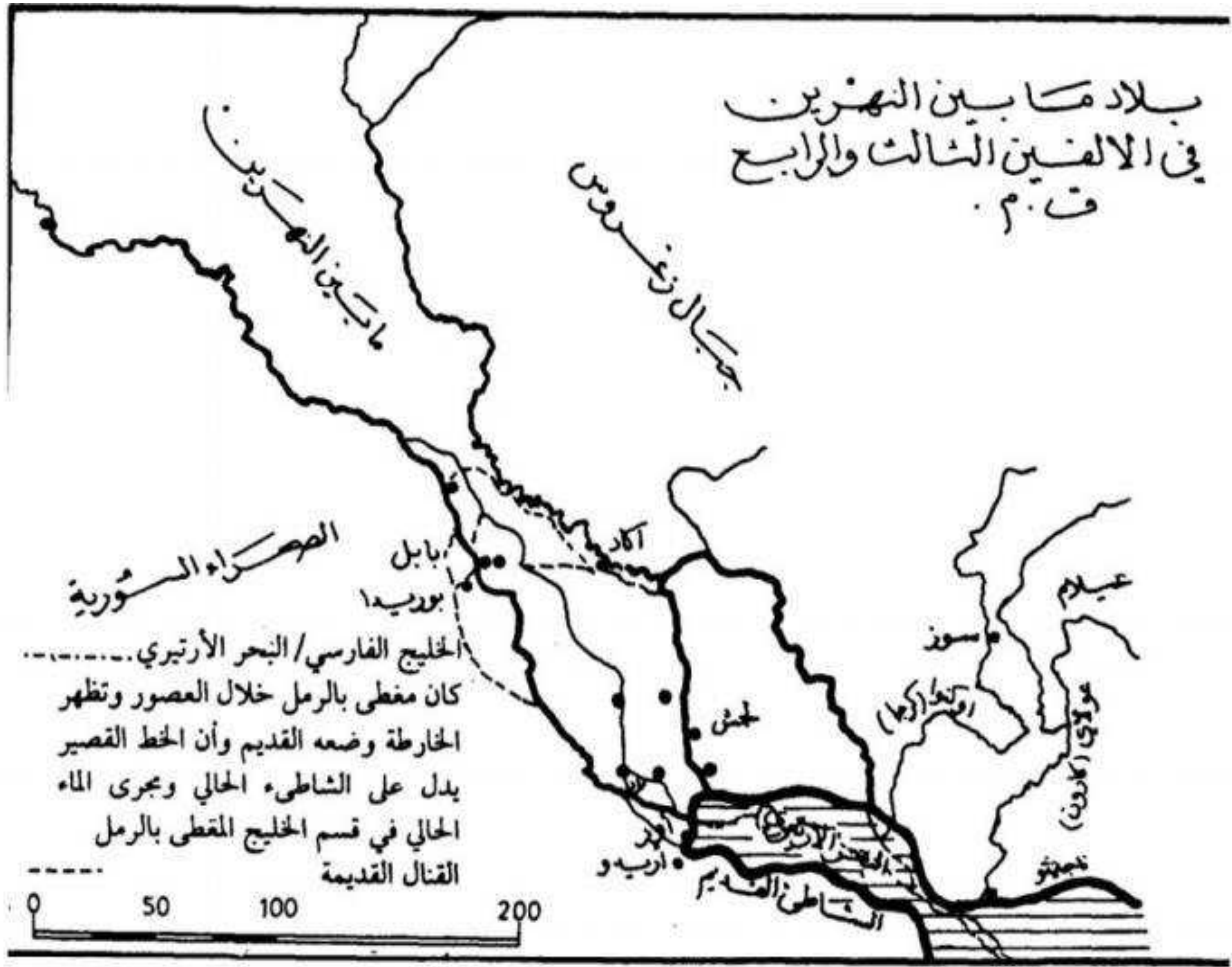
(3)-عزمي سكر، المرجع السابق، ص 22.

فعند نشأة أقدم ممالك المدن السومرية كانت "أور" تقع على ساحل الخليج، وكانت الأراضي المحيطة بها تتكون في الإجمال من مستنقعات ومراع غالباً ما لعبت دوراً هاماً في الحياة الريفية، وكثيراً ما تذكرها الكتابات القديمة عدا عن وصفها بعد ذلك بزمان طويل في مدونات الملك الآشوري "سنحريب" التي تمثل "حربه في المستنقعات" بتصوير مجسم جدير بالمشاهدة، لم تكن الحياة سهلة في تلك المراعي والسهول الرطبة الحارة، ومن المعتقد أن السكان الأوائل الذين تمتعوا بوفرة من الأسماك⁽¹⁾ والطيور كان أكثر ما طاب لهم هو أشجار النخيل المعطاء، عدا عن العديد من المنتجات الأخرى مثل: نبيذ التمر والألياف لصنع الحصير والسلال والحبال، ثم الجذوع التي كانت تستخدم في دعائم البيوت، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تشكل أجساماً مليئة بالقصب فيها الحصى والصفاف الرملية التي كانت تغمرها مياه الفيضان وأقنية متعرجة تجري فيها المياه الآسنة باتجاه الخليج، غير أنه بالمقارنة مع الصحاري القريبة منها فإن تلك الأجسام الرطبة على المجرى الأسفل لكل من الفرات ودجلة كانت على الرغم من كل شيء تبدو للناس وكأنها الفردوس⁽²⁾، ولو تمكن الإنسان من ترويض مياه الفيضان وتوجيهها في أقنية وتصريف مياه المستنقعات وري الصفاف الجافة لغدت هناك بساطتين تقدم الخير الوفير⁽³⁾.

(1) -تتواجد أسماك العراق القديم في نهري دجلة والفرات والأنهر الصغيرة، وإن للآشوريين ما يبرز وصفهم للمياه والأنهر والبحيرات أو المستنقعات حيث كانت مليئة الأسماك بمختلف أنواعها، وفي الفن تم رسم أنواع عديدة ومختلفة منها، بحيث أنه من الممكن تمييز المياه العذبة من المياه المالحة على الرغم من أن النوعين تم وصفهما في المياه نفسها، وتم العثور على قطعة من الخزف في منطقة "العربية" عليها رسم سمكة ذات ذنب طويل، ولكن هناك من الأسباب التي تبرز أن القشرة تم استيرادها من سامراء، حيث تم هناك رسم أسماك تسبح على حافة خارجية لإناء أو أنه تم اصطيداً بواسطة الصنارة، في حين هناك رسم لسمكة سوداء كبيرة في داخل الإناء، ولكن من المؤسف أن هذه السمكة بدون رأس كونه مغمور في الموجات. ينظر: حسيب الياس حديد، دراسات في حضارة بلاد الرافدين، مر: حسن طه السنجاري وعامر الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ص 198.

(2) -بعد خلق الإنسان كان العصر الذهبي عصر السعادة والفردوس حين كان البشر يعيشون بلا كد ولا كفاح، وهذه نصوص تعبر لنا عن حالة السعادة هذه جاءت إلينا من الحضارة السومرية "في تلك الأيام، لم يكن هناك حية ولا عقرب ولا ضبع، لم يكن هناك أسد ولا كلب شرس ولا ذئب، لم يكن هناك خوف ولا رعب، لم يكن للإنسان من منافس"، في تلك الأيام كانت "شوبور" أرض المشرق أرض الوفرة وشرائع العدل، وسومر أرض الجنوب ذات اللسان الواحد أرض الشرائع الملكية و"أوري" أرض الشمال الأرض التي يجد فيها كل حاجته، و"مارتو" أرض الغرب أرض الدعة والمن، وكان العالم أجمع يعيش في انسجام تام، وبلسان واحد يسبح الكل يمجّد أنليل. ينظر: سهيل فاشا، تاريخ الفكر في العراق القديم، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، لبنان، (د.ت). ص 100.

(3) -عبد الله الحلو، المرجع السابق، ص 31.



-بلاد ما بين النهرين خلال الألفين الثالث والرابع ق.م- (عبد الله الحلو، المرجع السابق، ص 31). (مع تبيان الخريطة لموقع مدينة "أور" بالمقارنة مع موقع الخليج الفارسي قديماً).

في حين أن المؤرخين تيوفيل أومول "Théophile Homolle" وإيميل مال "Émile Male" فيعتقدان بمفهوم آخر عن السومريين حيث يقولان: "يكفي أن نذكر أن الشعوب الآسيوية قد غزت كل بلاد الرافدين، ومن بينها الشعب الذي نصلح عليه اسم السومريون بعد احتلالهم لدلتا النهرين، مثل النيل"⁽¹⁾.

وفي هذا الموضع بالذات يضيف لنا المؤرخ "سيتون لويد" فرضيات مرجحة للبدايات المتعلقة بالأصل الحضاري، حيث يقول: "...وينبغي أن نعود الآن لدراسة الأبحاث المشابهة التي كانت تجري في شمال العراق ودراسة سلسلة الأحداث المختلفة التي كشفتها هذه الأبحاث، وفي

⁽¹⁾ Théophile Homolle et Émile Male, *Monuments et Mémoires*, tome 25, édit Ernest Leroux, Paris, 1921-1922, p 309.

عملنا هذا فإننا سنجد أن خيط الارتباط مع حضارة السومريين الناشئة ربما كان ضعيفا بينما نجد في نفس الوقت أن التأثير الحضاري لمناطق حدود الرافدين أكثر أهمية، ولهذا السبب فإن اصطلاح "ما قبل السلالات" ليس مناسباً للفترة الفاصلة بين العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي المبكر عندما بدأ الإنسان يعرف عملية صهر المعادن⁽¹⁾، وربما يجب أن نستبدله باسم العصر الحجري النحاسي كما هي العادة في الأقطار الأخرى من مناطق غرب آسيا، ومرة ثانية يجب أن نرسم صورة لسلسلة من الاكتشافات قبل أن نناقش بالتفصيل تسلسل المراحل التاريخية⁽²⁾.

كما تشير الدلائل الأثرية واللغوية والتاريخية كذلك إلى تعدد أصول السكان⁽³⁾ في بلاد الرافدين، حيث تتألف مجتمعاتها القديمة من عناصر أصيلة وجدت في البلاد قبل عصر الكتابة ومن عناصر وافدة، فالمناطق الرعوية والزراعية الخصبة جذبت القبائل غير المستقرة من البوادي العربية المجاورة من جهة ومن الجبال والهضاب الشمالية والشرقية من جهة أخرى، ولا يختلف التركيب السكاني للبلاد من حيث أصول الناس وصفاتهم العرقية وحسب بل إنهم يتميزون من حيث طراز حياتهم وفعاليتهم الاقتصادية، وخلال عصور ما قبل التاريخ لم يكن من الإمكان معرفة أسماء الشعوب والقبائل التي سكنت البلاد وأنشأت أسس حضارتها ولكن بعد ابتكار الكتابة

(1) -كانت المعادن نادرة جدا كالصخور بل مفقودة، ولكن بالرغم من صعوبة الحصول عليها استوردت بكميات كبيرة أحيانا من البلاد المجاورة، وأقدم المعادن التي عرفها الإنسان النحاس (أورود في السومرية وسيبارو في الأكديّة) الذي يبدو أنه ظهر للمرة الأولى في الهضبة الإيرانية أو هضبة الأناضول، حيث استعمل في عهود مبكرة جدا حوالي الألف السادس قبل الميلاد في حالته الطبيعية قبل أن يتعرف الإنسان بعد ذلك في عصر الحجر والنحاس على عملية التذويب والصب وإلى مزج النحاس بمعادن أخرى وحصل على ما يمكن تسميته بالسبيكة، وكان على بلاد الرافدين أن تستورد النحاس من مناطق مختلفة، آسيا الصغرى، أرمينيا، إيران، عمان وقبرص. ينظر: محمود أمهز، المرجع السابق، ص 18.

(2) -سيتون لويد، المرجع السابق، ص 89.

(3) -إن التكوين الاجتماعي للعراق القديم هو نتاج طويل من التمازج السكاني عبر التاريخ. وإذا كان ذلك التكوين هو الفرز الطبيعي لذلك التاريخ الذي شهد جملة هائلة من الإيجاب والسلب وأنتج تنوعات ثقافية وسلوكية غاية في التعقيد والقوة، وقد سكن العراق بفضل موقعه الجغرافي وظروفه المناخية التي ساهمت بشكل كبير في تكوين حضارته أقوام عديدة دخلت في التكوين السكاني لمجتمعه، ويمكن تمييز عنصرين أساسيين من خلال مخلفاتهم المادية والكتابية وكان لهم الدور الأبرز وهما السومريون والأكديون. ينظر: غيث حبيب خليل، التكوين السكاني للمجتمع العراقي القديم حتى سقوط بابل 539 ق.م، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 01، جامعة تكريت، العراق، 2009م، ص ص 304 - 307.

أضحى بالإمكان معرفة لغاتهم على الأقل، وهكذا عرفت أسماء الشعوب والقبائل التي احتلت ساحة التاريخ من لغاتها المتداولة فيما بينها⁽¹⁾.

في حين أن المؤرخ "عيد مرعي" يلخص لنا رأي المؤرخ "أحمد داوود" حول مشكل التأصيل الحضاري في المنطقة، حيث يقول: "...يرى أحمد داوود أن هذه الأقوام لم تأتي إلى المنطقة من الخارج، بل العكس كان دائما هو الصحيح وأن كل الغزوات⁽²⁾ التي نكبت بها المنطقة من الشمال والشرق إنما كانت غزوات همجية تدميرية لا غزوات حضارية تنقل أسباب المدنية من أوطانها التي لم تعرف بعد باعتراف المؤرخين "صمويل كريمر" و"ويل ديورانت" نفسيهما، فكيف يحق لهما بعد ذلك أن يزعموا بأن حضارة بدأتها قبائل بدائية غير سامية أطلقوا عليها زورا اسم السومرية، في حين أن السومريين جزء من الشعب العربي السوري وحضارتهم في نهر الفرات ودجلة الأدنى تشكل مع حضارة أكد الحقل الشرقي من المزرعة الحضارية العربية السورية، ثم كيف لمؤرخ مثل كريمر أن يدعي بأن الإيرانيين هم الذين حملوا الزراعة إلى المنطقة في الوقت الذي تزخر فيه المنطقة بالمكتشفات الأثرية التي تؤكد حقيقة أن الاستقرار الزراعي الأول في العالم كله إنما كان في هذه المنطقة وقبل أن تظهر في فارس على الوجود قبل آلاف السنين⁽³⁾.

في رأي المؤرخ عدة تناقضات حيث يشير إلى أن كل الشعوب الغازية لبلاد الرافدين همجية وهذا غير صحيح تاريخيا في كل المواضع، أضف إلى ذلك قوله أن "السومريين جزء من الشعب العربي" إذا لماذا اللغة العربية اليوم لا تمت بأي صلة للغة السومرية في جميع النواحي باستثناء

(1) -محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 51.

(2) -إن النصوص التي خلفها لنا سكان بلاد الرافدين تشير إلى استخدام السومريين كلمات للتعبير عن الغزاة الأعداء والغرباء، وأن تلك الكلمات ربطتهم بفكرة الخارج (أي القادمين من خارج الحدود)، ودلت على معاني ومفردات مثل: عدائي، غريب، من خلف الحدود، وهذا واضح في الكلمات السومرية مثل كلمة "Bar" وتقابلها كلمة "Ahu" الأكديّة والتي تعني عدو أو أجنبي أو غريب أو القادم من خلف الحدود، وهذه الكلمة استخدمت في النصوص السومرية لكل ما هو غريب وغير عادي، ومن خلال النصوص التي وردت فيها تلك الكلمات يتضح أن الغرباء الأجانب ارتبط اسمهم بالغزو والعداء. ينظر: وقيد بدر مهدي، الغزاة الأعداء في نصوص بلاد الرافدين القديمة (دراسة تاريخية في ضوء النصوص المسمارية)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 03، العراق، 2020م، ص 197.

(3) -عيد مرعي، اللسان الأكدي (موجز في تاريخ اللغة الأكديّة وقواعدها)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م، ص

بعض الألفاظ الشحيحة فقط، وكيف يشير إلى عبارة "الشعب العربي السوري" ونحن نعرف أن أصل العرب هو شبه الجزيرة التي أتوا منها في شكل موجات مهاجرة، فإذا هو يعود إلى رأيه الأول القائل بهمجية المهاجرين، وهذا حسب رأينا رأي مريب غير مقبول.

كما تشير المؤرخة "نبيلة محمد عبد الحليم" بطريقة صريحة أن السومريين أغراب عن أرض الرافدين، حيث تقول: "...وتاريخ الشرق الأدنى القديم يتضمن العديد من التحركات البشرية، ويمثل العراق القديم منطقة جذب لكثير من تلك تحركات البشرية سواء الحامية أو السامية الوافدة من شبه الجزيرة العربية (في هذا الموضع بالذات هي تقصد الأكديين) أو التحركات الهندو-أوروبية⁽¹⁾ الخارجة من القارة الهندية (ربما قصدوا حضارة واد السند)، ولقد ترتب عن تلك الهجرات المتعددة استقرار الكثير من العناصر السامية والسومرية⁽²⁾ بالإضافة إلى العناصر العيلامية والجبالية في العراق القديم"⁽³⁾.

على حد قول المؤرخة فإن العناصر السومرية مثل العناصر السامية والعيلامية قد وفدت إلى بلاد الرافدين عن طريق هجرات خارجية أو ما يصطلح عليه سلسلة التحركات البشرية، وهذا

(1)-دخلت أرض الرافدين عبر ممرات الجبال الشرقية الشمالية موجات غازية من الأقوام والشعوب الجبلية التي تنتمي لغويا إلى عائلة اللغات الهندو-أوروبية، والتي اختلطت بسكان المنطقة والشرق العربي عامة اختلاطا واسعا وتركت آثارها في شمال العراق، في نوزي، بالقرب من كركوك وهي أهم مراكز الحضارة الحورية، وكونت في الإمبراطورية الميتانية الطبقة الأرستوقراطية العسكرية المعروفة باسم ماريانو، وقد شاركت في تكوين حضارة البلاد وثقافتها وبخاصة في الفنون التشكيلية من نحت ونقش وأختام، وقد هاجم بعض هذه الشعوب دول بلاد الرافدين وعمل على تفويضها، فقد أضعف صراع الملوك الأكديين مع الغوتيين، واللوبيين مملكة أكد وأدى إلى انهيار حكمها في أواخر الألف الثالث، وعمل العيلاميون والكاشيون على تدمير دولة بابل الأولى، ودخل الحثيون المسيطرون على آسيا الصغرى في حروب مريعة مع الآشوريين في أواخر الألف الثاني ق.م وكذلك الأورارتيون الذين شكلوا مملكة مهمة حول بحيرة "وان" خلال الألف الأول ق.م. ينظر: محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 61.

(2)-ضمن هذا الإطار يربط مؤرخون بورجوازيون مثل: "سبيسر" و"باروت" التطورات الاقتصادية والثقافية إلى غزو أعراق جديدة: وإلى هذا الزمن يرجعون غزو السومريين الآتين من الخارج، حاملين الكتابة، النقش أو الحفر والأختام وفق البناء الدقيق والجميل، إن هذه الفكرة التي تنكر إجمالا فكرة الارتقاء التقدمي وتقيم مقامه تقدم هجرة شعب ما هجرها بعض الأخصائيين الغربيين بخاصة "فرانكفورت" و"تسايلد" اللذين أثبتا وجود استمرارية بين السكان الزراعيين البدائيين لبلاد الرافدين السفلى وسومري النصف الثاني من الألف الرابع ق.م، لذا يدعو "تسايلد" سكان هذه المنطقة الأقدمين "قبائل أجداد السومريين". ينظر: ف. دياكوف وس. كوفاليف، المرجع السابق، ص 83.

(3)-نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 42.

يدل حسب تفسيرها على وجود عناصر محلية أصلية تتحدر من العناصر البشرية ما قبل تاريخية في المنطقة، أي كون العناصر السومرية الصانعة للحضارة أجنبية عن المنطقة.

لكن أرض سومر في واقع الحال هي المنطقة الممتدة من جنوبي بغداد إلى الخليج العربي، وهي سهول خصبة تشكلت من تراكم الطمي الذي يحمله النهران دجلة والفرات وتسميه التوراة سهل "شنعار" ويذكر الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين بوضوح نصه⁽¹⁾: "وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة 2 وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك 3 وقال بعضهم لبعض: "هلم نصنع لبنا ونشويه شيا". فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر مكان الطين. 4 وقالوا: "هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسما. ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل أرض"⁽²⁾. ...فشئت الرب من هناك على وجه كل الأرض، وتوقفوا عن بناء المدينة لذلك دعي اسمها بابل، ومن هناك بددهم الرب من المنطقة على كل الأرض"⁽³⁾.

2. أساطير انطلاق الحضارة:

يمثل الأساس الأسطوري للبدايات التاريخية للأسرات السومرية مسألة في غاية الأهمية لفهم طبيعة الخط الذي اعتمدت عليه المصادر المكتوبة لتلك الفترة والتي جمعت بين قوائم الملوك من ناحية وأسماء الآلهة والملاحم والأساطير المرتبطة بهم من ناحية أخرى، وقد واكب ذلك بالطبع اختراع الكتابة منذ عصر الوركاء، ولتدخل الحضارة العراقية عصورها التاريخية منذ الألف الثالث قبل الميلاد⁽⁴⁾.

لعل أهم الأساطير التي اعتنت بمفاهيم تشكل الحضارة هي أسطورة "الفأس"، وهي أسطورة طولها 108 سطرا تبدأ بذكر الفأس وكيف أعطاها الإله "أنليل" هدية للإنسان لكي يعمل به، ثم يذكر مواصفات الفأس:

هو الذي جاء بالفأس إلى الوجود وخلق اليوم. هو الذي خلق العمل وقدر المصير.

(1)-نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 28.

(2)-سفر التكوين: 11 (1-4).

(3)-Morten Braten, *Ancient Kingdoms Mesopotamia*, third Edit, Wizards of the coast, Canada, p 03.

(4)-حسن محمد محي الدين السعدي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق-إيران-آسيا الصغرى)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995م، ص 54.

إن فأسه من الذهب ورأسها من حجر اللازورد. فأس بيته... من الذهب والفضة.
فأسه التي ... هي من حجر اللازورد⁽¹⁾.

وتذكر في قصيدة سومرية أخرى كذلك معلومات عن انطلاق بواذر العمل وبناء أسس حضارية (هذا حسب السياق المعبر عنه في مضمون القصيدة)، ومما جاء فيها:
صنع الفأس وكان نهار. وأودع في الفأس والسلة الحول والقوة.
ومجد أنليل فأسه. وفرض العمل وقرر المصائر.
وبحضرة الآنوناكي الذي أحاطوا به. وضعها منحة في أيديهم.
لقد صلوا وسبحوا أنليل. وأعطوا الفأس إلى البشر ليعملوا بها⁽²⁾.

ثم يخصص النص ذكره للناس من ذوي الرؤوس السود وكيف أن الإله "أنليل" خصهم بالفأس التي وضعها كهدية في أرضهم، وبعد ذلك تنتهي القصيدة بذكر فوائده:
الفأس والسلة تبني المدن، الدار الثابتة الأركان بنتها الفأس.
الدار الثابتة الأركان أنشأتها الفأس، الدار الثابتة الأركان هي التي سببت الازدهار.
الدار التي ثارت ضد الملك، الدار التي لا تستسلم لملكها.
الفأس يجعلها تستسلم للملك، للردىء... النبات تحطم الرأس.
تجتث الجذور، تسقط على التاج. الفأس تطعن... النبات.
الفأس قرر مصيرها الأب (أنليل). المجد للفأس⁽³⁾.

ويذكر نص بابلي كذلك إشارات عن قصة البدء مع تنويعات طفيفة، وما جاء فيه:
بعد أن شكلت الأرض وسويت، بعد أن تحددت مصائر الأرض والسماء.
بعد أن استقرت شطآن دجلة والفرات، عندها الآلهة الكبار أنو وأنليل وإيا وبقية الآلهة المبجلين.
جلسوا جميعا في مجلسهم المقدس، تذكروا ما قاموا به من أعمال الخلق:
أما وقد حددنا مصائر السماء والأرض، وجرت القنوات في مجاريها، استقرت شطآن دجلة والفرات.

(1)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 173، 174.

(2)- وديع بشور، المرجع السابق، ص ص 221، 222.

(3)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 174.

ماذا نستطيع بعد أن نفعل؟ ماذا نستطيع بعد أن نخلق؟ ثم توجه الحضور من الآلهة المبجلين، توجهوا بالقول إلى أنليل لنذبح بعض الآلهة الحرف، ومن دمائهم فلنخلق الإنسان، فنوكله بخدمة الآلهة على مر الزمان، سنضع في يديه السلة والمعول، فيبني للآلهة هياكل مقدسة تليق بمقامهم. ويسقي الأرض بأقاليمها الأربعة، يخرج من جوفها الخيرات الوفرة، يستخرج الماء العذب ويحتفل بأعياد الآلهة، سنخلق زوجين ويكون اسمها أوليجار وألجار⁽¹⁾.

بالرغم من أنه لم يعثر إلى الآن على أسطورة "كوزموغونية" كونية سومرية خاصة مثل أسطورة الخليقة البابلية ولكن هذا لا يعني عدم وجودها فربما ستجود بها أرض سومر ذات يوم، فهناك العديد من مقدمات بعض القصص والأساطير والأغاني والأناشيد والتراتيل التي تعطينا تصورا نشكونها كونيا واضحا عند السومريين ومنها قصة "جلجامش وأنكيو" ومقدمة أسطورة "الماشية الحنطة" وأسطورة "خلق الفأس" وبعض الإشارات هنا وهناك⁽²⁾.

فبعد أن أخذ الكون شكله⁽³⁾ وانتظمت دورة النهار والليل وحركة الفصول، وبعد أن أخرجت الأرض زرعها وشجرها وتفجرت ينابيعها وبعد أن ظهرت الحيوانات بأنواعها، صار المسرح مهيبا لظهور الإنسان، الذي ترى الأسطورة السومرية أنه خلق لكي يحمل عبء العمل ويرفعه عن كاهل الآلهة، فقبل ظهور الإنسان على الأرض كانت الآلهة تقوم بكل الأعمال التي تحفظ حياتهم وتيسر معاشهم من فلاحه وزراعة وحصاد وما إلى ذلك⁽⁴⁾.

وعن أساطير بدء الحضارة كذلك فيذكر لنا شاعر سومري لم يذكر اسمه أن الإله السومري "أنكي" قد استعد لتقرير المصائر فيعمد بادئا بسومر نفسها فيمجد أولا أرضها المختارة المقدسة بذواتها الرفيعة التي لا تمس حيث اتخذ الآلهة مساكنهم، ثم يبارك قطعانها من الأغنام

(1)-فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص 14.

(2)-خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 66.

(3)-يمكن تقريب صورة الكون بتقديم موجز لأفكار السومريين حول مفهومه، إذ تصوره منقسما إلى قسمين، السماء من فوق، وما يقابل السماء من تحت، أي العالم السفلي، وهو نصف كرة كبيرة مجوفة تسبح في مجموعة مياه خيالية، وكان تصميمها القطري مكونا عند الوسط من امتداد أرض البشر المتمحور حول بلاد الرافدين ذاتها، وهو مستقر على طبقة واسعة من الماء العذب الذي كان يتفجر منها بالآبار والينابيع. ينظر: وداد الجوراني، الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1998م، ص 36.

(4)-فراس السواح، مدخل إلى نصوص..، ص 11.

والماشية ومعابدها ومحاربيها، ومن سومر يتقدم إلى "أور" التي يعظمها بلغة بلاغية رفيعة وبيباركها بالرفاهية وتفوق الامتياز، ومن "أور" يذهب إلى "ميلوها" فيباركها بسخاء الأشجار والبوص وبالثيران والطيور وبالذهب وبالقصدير والبرونز، وفي أعقاب ذلك يتقدم لإمداد "دلمون وعيلام ومرهاشو ومارتو" ببعض ما يلزمها⁽¹⁾.

ومن محتوى قصيدة أخرى في وصف مدينة "أور" السومرية، نذكر أهم ما جاء من وصف عنها: لقد جاء إلى أور، أنكي ملك الماء الذي لا يسبر غوره وقدر مصيرها. أيتها المدينة التي ازداد طعامها وغسلت بالوفير من المياه، ووقفت كالثور الراسخ. يا دار الرخاء المقدسة على وجه الأرض، أيتها المتضرعة، إنك خضراء كالجبل. إنها غابة (هاشور) الوارفة الظل...، هو الذي قدر مصيرك على أحسن وجه. (أنليل) الجبل⁽²⁾ العظيم هو الذي لفظ اسمك المقدس، أيتها المدينة التي قدر مصيرها (أنكي). أيتها البقعة المقدسة، يا أور لتشمخي برأسك نحو السماء⁽³⁾.

كما يذكر نص وصلنا ضمن أربع أو خمس نسخ مشوهة، وهو نص يعود إلى الألف الثاني ق.م، قد قام عالم السومريات⁽⁴⁾ "صمويل نوح كريمر" بنقله خلال عام 1964م ونشره، ولعل أهم ما يهمنا ما جاء ذكره في المقدمة البدئية:

(1) -صمويل نوح كريمر وآخرون، أساطير العالم القديم، تر: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974م، ص 80.

(2) -يأتي الموروث الأدبي العراقي القديم في مقدمة المصادر التي تناولت مكانة الجبل وقديسيته حيث حظيت الجبال باهتمام كبير في الكتابات المسمارية والملاحم والأساطير والقصص الرافدية، إذ يرد الجبل في النصوص المسمارية بصيغة KUR في اللغة السومرية ويقابله Sadu في اللغة الأكديّة، كما ورد ذكره في عدة مواضع ذات طابع أسطوري وديني مقدس في نصوص وأساطير وملاحم منها ما يتعلق بأصل الكون وخلقه وتنظيمه. ينظر: أحمد لفته رهمة، دراسة في قدسية الجبل وقصة نمرود في ضوء المصادر المسمارية ونصوص التوراة، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 47، العراق، 2017م، ص 02.

(3) -يوسف حبي، الإنسان في أدب وادي الرافدين، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1980م، ص 31.

(4) -يعتبر علم السومريات أضيق الاختصاصات لأنه يقتصر على دراسة تاريخ الشرق الأدنى فقط من كل العالم وعلى عصور ما قبل الإسكندر المقدوني من هذا التاريخ، كذلك لأنه يقتصر على البحث في ألواح الطين المكتوبة بالمسمارية في أرجاء الهلال الخصيب، لكن رغم ذلك يستطيع عالم السومريات أكثر من معظم العلماء أن يشبع لهف الإنسان في بحثه الدائم المتطلع نحو "أصول الأشياء" أو "أوائل الأشياء" في تاريخ الحضارة. ينظر: عزمي سكر، المرجع السابق، ص 09.

عندما (في الأزمنة الموعلة في القدم)، تم إقرار مصير ملائم، وعندما وضع (آن وأنليل) مخططهما المتعلق بالكون، نوديمود الأمير النبيل سيد الذكاء، أنكي الإله الذي يقرر المصائر تدخل للتنفيذ.

فجمع مياه جميع المناطق، ووزع مواضع الأماكن القابلة للسكن، جلب بيديه المياه المحيية. التي سوف تنتج البذور فائقة الخصوبة، جلب معه دجلة والفرات، جعل المياه ترفدهما من كل صوب، نظف أقل الأقدية أهمية وحتى أنه حفر مجاري الري، نشر أنكي المبجل الحضائر والزرائب.

معينا لها الرعاة والبقارين، أسس في البلاد المدن والقرى، وجعل فيها الرؤوس السوداء تتكاثر. ولرعايتهم منحهم ملكا، نصبه على رأسهم كأمر لهم، جعله يشع في كل مكان مثل نور لا ينطفئ. بعد ذلك نظم أنكي منطقة الأهوار: جعل أصول القصب العتيقة، ونباتات القصب الغضة تنمو فيها، زود المستنقعات والأهوار بالأسماك والطيور، جاعلا منها غذاء لكل ما هو حي⁽¹⁾.

ولعل أهم ذكر لأساطير نشوء الحضارة التي صاغها الإله "أنكي" ووضع مصيرها فيما بعد بأيدي السومريين، هو ما ورد ذكره في ثانيا القصيدة الآتية:

من طين الأنهر جبل (صنع) القرميد المربع وعين "كبتا" على قالب القرميد.

ودبر آلة البناء ووضع أسس المساكن وأوكل شؤونها للإله "مشدما".

بناء أنليل العظيم وعلم الصّناع "ذوي الرؤوس السود" كيف يبنون الجدران والمدن مدمكا فوق مدماك ويزينوها بخشب الأرز.

وحول كل مدينة بنى أنكي سدودا ليحتجز المياه للري في فصل الجفاف.

وملاً السهول بالأعشاب والنبات والحياة الحيوانية وعين "سموقان" ملك الجبل" على شؤونها.

ثم شيد أنكي الحضائر والزرائب وملاًها باللبن والزبد وعين على أغنامها الإله الراعي "دموزي".

وفي الحدائق الغناء غرس أشجار النخيل وأخذ يوشوش بريح الجنوب⁽²⁾.

(1)-قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور (الكتاب الثاني الآلهة والبشر)، تق: أدونيس، ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1997م، ص ص 46، 47.

(2)-وديع بشور، المرجع السابق، ص ص 223، 224.

3. أصل تسمية سومر (المسميات التاريخية):

في أقصى جنوب بلاد الرافدين برزت إلى الوجود "أرض سومر" أو "شومر" كما كان سكانها يدعونها، أو "شنعار" بحسب التوراة بل وجدناهم يطلقون على بلادهم أحيانا اسم "كلم Kalam" ويعني ذلك الأرض، ودعي الحاكم "ملك الأرض"⁽¹⁾.

وتفسر "Lugal- Kalamma" ملك البلاد بأنها تقابل أو تعني بلاد سومر، فبعد أن اتسع "لوجال زاجيزي" غربا نحو البحر الأبيض المتوسط، كما ورد في بعض نصوصه بأنه حكم من مشرق الشمس إلى مغربها وضم أقاليم أخرى إلى إقليمه، اتخذ لقباً جديداً هو "Lugal Kur- Kur-ra" وتعني ملك البلدان (البلدان الأجنبية)، ومع أن Kalamma تعني بلاد سومر، فإننا نجد في بعض الألقاب من الفترة نفسها اسماً آخر يعني بلاد سومر أيضاً وهو (Ki-En-Gi) الذي تلقب به ملك "سلالة الوركاء الثانية" مع اللقب السابق الذي اتخذه وصيغة هذا اللقب "En-Sa-Kus-an" "Lugal Ki-En-Gi Lugal Kalamma" بمعنى "اينشاكوشانا ملك سومر ملك البلاد"، والتي ترد أيضاً بصيغة "En-Ki-engi Lugal Kalamma" سيد سومر ملك البلاد، ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن كلمة "Ki-en-gi" السومرية تعني أو تترجم بـ "بلاد سيد القصب"، من هذا اللقب نستطيع أن نستنتج أن (كي - أن - جي) تمثل "اسم علم" لبلاد سومر و Kalammm كالامما تكون اسماً معنوياً لها، وقد أشار الباحث "King" إلى أن كلمة "Ki-en-gi" السومرية تقابل كلمة "Matu" الأكديّة، ولكن الأرجح أن كلمة "Matu" الأكديّة تقابل "Kalam" السومرية، ولعل ما يؤيد ذلك ويؤكد هذا التفسير هو مصطلح "mat-sumerim" بلاد سومر، وهي المنطقة الممتدة من خط العرض 33 درجة تقريبا جنوبي بابل، وتمثل مدينة "نفر" على الأرجح حدها الشمالي إلى سواحل الخليج العربي⁽²⁾.

واسم "شومرو" كلمة عربية قديمة وهي في القاموس السرياني تعني "المخلص"، المنقذ والشجاع، وكتبت بالخط المسماري "جي أنجي" أي أرض المخلص، المنجي⁽³⁾.

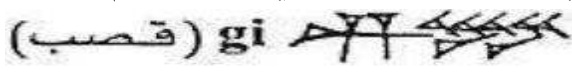
(1) -عزمي سكر، المرجع السابق، ص 23.

(2) -عبد الكريم عبد الله، ألقاب حكام السلالات واسم أكد، قسم الآثار، جامعة بغداد، (د.ت)، ص 237.

(3) -أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم، ص 189.

في حين أن المؤرخ "محمد بهجت قبيسي" يربط تسمية "سومر" باللغة العربية، حيث يقول: "من المهم جدا أن ننتبه إلى أن كلمة "سومر" هي كلمة غير سومرية، بل هي عربية -أكادية، فقد سمى السومريون أنفسهم (إي-إن-جي) ثم أخذوا بعد ذلك هذا الاسم وقالوا نحن سومريون عندما أخذوا اللهجة العربية الأكادية أساسا في حضارتهم وتمثلت في دولة "أور الثالثة، فالحضارة السومرية من الناحية اللغوية لا تمت بشكلها العام للعربيات بصلة فهي لغة ملصقة غير قابلة للتصريف، وكلمة "سومر" تعني "الحراس" ومنها السمير والسمر والشمر، ثم انتقل السمير (الحارس) (حيث أنتقل دائما حارسا كلامه جميل) فانتقل المدلول إلى السمير ذي الكلام الجميل"⁽¹⁾.

أما المؤرخ وعالم المسماريات "نائل حنون" فلهذا آراء يمكن اعتبارها إلى حد بعيد منطقية الطرح فيما يخص أصل التسمية، حيث يقول: "...ولقد اتجه كريم في بحوثه اتجاه خطيرا حين أخذ يترجم مصطلحات سومرية بغير ما تعنيه مما أدى إلى اعتماد ترجماته دليلا على وجود شعب سومري بطريقة لا تسمح بأي مناقشة أو شك، فمصطلح "كلام Kalam" الذي يعني باللغة السومرية البلاد، الإقليم، السهل أو البر ويرادف كلمة "Matu" الأكادية يظهر في ترجمات كريم بصيغة سومر، ومصطلح "سود الرؤوس" بالسومرية SAG.GIG "صلمات ققدم Salmat qaqqadim" يترجم من قبله "الشعب السومري"، وحين يقرأ المرء ترجمات "كريم" للنصوص السومرية يقتنع أنها تكرر ذكر اسم سومر والشعب السومري والحقيقة غير ذلك"⁽²⁾.

في حين يرى المؤرخ "سعيد إسماعيل علي" بنفس رأي الباحثين "محمد حرب فرزات وعيد مرعي" حيث يقول: "...ويشارك فرزات ومرعي الباحثين أحمد سوسة وطه باقر بقولهما أننا حصلنا على اسم السومريين من ألقاب الملوك الأكديين والبابليين الذين اتخذوا لقباً مزدوجاً "ملك سومر وأكد أي شر شومري أو أكدي"، أما الاسم المقابل لكلمة سومر في اللغة السومرية فهو "كي-إن-جي" ر/  (قصب) فليس لكلمة سومر في أي مدلول عرقي، وإنما

(1)-محمد بهجت قبيسي، حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي، ط2، دار طلاس، دمشق، 2008م، ص 36.

(2)-نائل حنون، حقيقة السومريين، ص 24.

لها مدلول جغرافي وسياسي ولغوي بالدرجة الأولى في مجتمع مزدوج اللغة سادت فيه اللغة السومرية ثقافياً قبل أن تسلم الدور للغة الأكديّة⁽¹⁾.

نفس الرأي يتطرق إليه المؤرخ "نائل حنون"، حيث يقول: "إن لقب بلاد سومر وأكد لم يستعمل للدلالة على مفهوم قومي أو جغرافي بقدر ما استعمل للدلالة على بسط السلطة مثل بقية الألقاب الملكية القديمة، فالألقاب التي كان لها دلالة جغرافية هي التي تتضمن أسماء المدن مثل: ملك أور، ملك أوروك، ملك أكد، وكان اللقب الذي استعمله ملوك السلالة الأكديّة هو ملك كيش بالدرجة الأولى و"ملك البلاد" (بالسومرية Lugal Kalam) وملك مدينة أكد، وقد استعمل ملوك سلالة أور الثالثة لقب ملك سومر وأكد باللغة السومرية (لوكال.ك.اين.ك.أور Lugal Ki.En.Gi.Ki.Uri) بدون كلمة بلاد، وظهر لقب (ملك سومر Lugal Ki-En-gi) باللغة السومرية في نصوص الملك الأكدي "شار-كالي-شري" ومما يدل على أنه لم تكن لهذا اللقب دلالة جغرافية أو قومية شيوع استعماله في الألقاب الملكية لملوك بلاد بابل باللغتين السومرية والأكديّة مسبقاً بكلمة بلاد وذلك في الألف الثاني قبل الميلاد، أي بعد الاختفاء المفترض للسومريين من المسرح السياسي في بلاد الرافدين، وقد ترجم الأكديون هذا اللقب إلى لغتهم "shar mat shumerim u akkadim"⁽²⁾.

وقد يدل اللقب "Ki-en-gi" "أرض سيد القصب أو الأحراش" ولعل المقصود بسيد الأحراش "أنكي"⁽³⁾ أو "إيا"، وما قيل كذلك في معنى سومر أنه مشتق من أحد أسماء مدينة "نفر" القديمة التي كانت أولى مدينة في الحد الشمالي من بلاد سومر وإلى الشمال من نفر تبدأ بلاد "أكد"⁽⁴⁾.

لقد حصلنا على اسم السومريين من ألقاب الملوك البابليين الذين لقبوا أنفسهم بملك سومر وأكد (Sar Sumeri U akkadi) وإضافة إلى ذلك فقد جاء في الكتابات الأكديّة أن كلمة

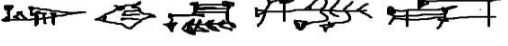
(1) -سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 112.

(2) -نائل حنون، حقيقة السومريين، ص 25.

(3) -إن المصطلح أنكي Enki مركب من مقطعين هما: المقطع En وتعني بالسومرية "سيد" ويقابلها بالأكديّة الكلمة belu، والمقطع Ki ويعني بالسومرية الأرض ويقابلها بالأكديّة الكلمة ersetu فيكون معنى الاسم "سيد الأرض". ينظر: شيماء صلاح أحمد الجنابي، الإله أنكي في حضارة بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير آداب في الآثار القديمة، إشر: نواله أحمد المتولي، جامعة بغداد، 2007م، ص 03.

(4) -طه باقر، المرجع السابق، ص 75.

(Sumeru) يقابلها في السومرية (ki-en-ge (-r) وقد ظهر هذا الاسم لأول مرة في كتابة تعود إلى ملك الوركاء "انساكوسانا (Ensakusanna)" في حوالي 2450 ق.م وكان يطلق على المنطقة المحيطة بمدينة نمر ولكن بعد ذلك التاريخ بدأ يطلق كذلك على القسم الجنوبي من العراق ومن

المصطلح (ki-en-ge (-r) جاءت التسمية  Lu-ki-en-ge-ra أي رجل من سومر وكذلك التسمية التالية: Eme-ku-ki-en-ge-ra أي اللغة السومرية⁽¹⁾.

ولعل أول ظهور لاسمي سومر وأكد في النصوص العراقية القديمة إنما يرجع إلى عهد ملوك أور الذين أطلقوا على أنفسهم لقب "ملوك سومر وأكد" Lugal Ki-en-gi-ki-uri الذي ترجمه الأكديون إلى لغتهم "Shar mat shumerim u akkadim"، ونجد أنه في عصر موغل في القدم أن أهل الجنوب قد أطلقوا على بلادهم اسم "Kalam" أي الأرض، وعرف حاكم البلاد باسم "ملك الأرض"، أما العالم خارج هذه البلاد فكان يعرف باسم "كركور" ويعني البلاد الأجنبية، ونلتقي في نصوص الملك "أياناتوم" و"لوجال زاجيزي" و"أنشاج كوشانا" بلفظ "كي أن جي" الذي يعني سومر أو شومر على الأصح، وقد حرفت الكلمة إلى "كنجي" وتعني كذلك البلاد أو الأرض ويقصد بها شومر⁽²⁾.

كما أطلق عالم الآثار "يوليوس أوبرت Jules Oppert" خلال عام 1869م محاضرة أعلن فيها بأنه ينبغي أن يسمى السكان الذين أطلق عليهم المنقب "رولنسون" اسم البابليين والأكديين بالسومريين وتسمى لغتهم بالسومرية استنادا إلى ما جاء في عدد من ألقاب الملوك الأوائل من السومريين والأكديين، إذ ورد في أحد هذه الألقاب اسم "بلاد سومر وأكد" على النحو الآتي:

LUGAL KI.EN.GI Û URI ^{KI}	لُوْغَال كِي . اِبْن . كِي اَو - اَوْر كِي

والتي يقابلها في اللغة الأكديّة

šar šumeri ù akkadi	شَر شُمَير أ - اَكَد

والتي تعني "ملك بلاد سومر وأكد"

(1)- فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 25.

(2)- محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق القديم)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990م، ص 86.

حيث يعني اسم بلاد سومر باللغة السومرية حرفياً "بلاد سيد القصب"، وكان أول من لقب بملك بلاد سومر وأكد أحد ملوك الوركاء وهو الملك "إين.شا.كوش.إن.نا En.Sa.Kus.An.Na الذي حكم في حدود عام 2450 ق.م، وكان اسم بلاد سومر يطلق على المنطقة المحيطة بمدينة نفر، ثم اتسع مدلول الاسم واستعمل للدلالة على القسم الجنوبي من بلاد الرافدين⁽¹⁾.
أما المؤرخة "فاطمة جود الله" فتعطي التسمية معنا أدق وأكثر توضيحاً، حيث تقول: "...كلمة سومر أو شومر أو سومرو أو شومرو تعني بلاد الماريين نسبة إلى مارو أي "بلاد السادة" أو "أرض الأرباب" لأن كلمة "شو" تعني المدى أو المجال، وكلمة "مرو" تعني السادة إذن سومرو = أرض السادة⁽²⁾.

بينما نجد أن المؤرخ الروسي "صلوات كولياموف" يربط اسم تسمية سومر بأصل كردي أو هندو-أوروبي، ومما جاء في خلاصة قوله: "إن اسم الآلهة الكوردية الثعبان شامر يتطابق مع اسم سومر نفسه فيما يتعلق بمناقشة اسم بلاد سومر نفسه Ki-Kin (البلد المنطقة) بكل معانيها المحددة تشير مباشرة إلى الجذر الهندو-إيراني لهذا الاسم، لأنه في اللغات الإيرانية كلمة Kin-Kand تعني بشكل مباشر المدينة المستوطنة وأيضاً المنطقة-البلاد، وعلى العموم لا يمكن الحديث عن اسم سومر كمرادف لاسم Kin إلا بالإشارة إلى التطابق التام لهذه الكلمة مع تسمية زاغروس (بلاد-مستوطنة-قلعة)-Kin-gin-Kingi عند الجبليين الجوتيين الكوردستانيين الذين أثناء عبورهم من شمال ميزوبوتاميا إلى الجنوب خلال عصر حلف، أرسوا في أريدو وأوروك أسس كل حضارة سومر-كنجيرا القادمة، فعلى كل الأراضي القديمة للهندو-آريين من كوردستان حتى الهند تلتقي المصطلحات (Toponymy) مع اشتقاق Kan، قارن: Kangagar. Kangi. Kangri، كما وجدير بالإشارة التطابق التام لتسمية سومر-أريدو مع الكوردية (War De) التي تعني مكان الوصول أو محطة القبيلة⁽³⁾.

(1)-خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي، اللغة السومرية وأثرها في اللغة الأكديّة، أطروحة دكتوراه، إيش: عامر سليمان إبراهيم، جامعة الموصل، العراق، 2006م، ص 14.

(2)-فاطمة جود الله، سوريا نبع الحضارات (تاريخ جغرافية أهم الآثار في سوريا)، ط1، دار الحصاد، سوريا، 1999م، ص 62.

(3)-صلوات كولياموف، آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، تر: إسماعيل حصاف، ط1، مطبعة روزمه لات، كوردستان، 2011م، ص 57.

وفيما يخص مسألة النقاش حول تسمية سومر، فيفتح المؤرخ "فاضل عبد الواحد علي" المجال أمام العديد من الآراء التي وردت عند أهم المتخصصين في دراسة الحضارة السومرية، حيث يقول: "...ومن الجدير بالذكر في هذا الشأن أن عدم ورود اسم سومر صراحة في التوراة دفع بعض المختصين من المستشرقين إلى مزيد من البحث والتنقيب في المفردات التوراتية عسى أن يجدوا فيها ما يمكن أن يكون أصلا لكلمة سومر، إننا نشير هنا ضمنا إلى أستاذ السومريات الدكتور "بوبل" الذي نشر بحثا في عام 1941م أراد أن يثبت فيه أن الاسم العبري Shem (في العربية سام) مشتق من كلمة "Shumer سومر"، وعلى الرغم من أن رأي هذا الباحث لم يحض باهتمام المختصين لصعوبة الأخذ به، إلا أن الدكتور "كريم" تبدو مقنعة في قوله أن السومريين يميلون إلى إسقاط الحرف الصحيح من آخر الكلمة (هو هنا حرف R في كلمة Shumer) عندما لا تكون الكلمة متبوعة بحرف علة، لأنها ظاهرة معروفة وغير مقصورة على السومرية، إلا أنه لم يقنع أحدا من الباحثين على ما يبدو بالتفسير الذي قدمه حول قلب حرف العلة U في Shumer إلى e في Shem، وأهم ما في الأمر أن الدكتور كريم لا يتوقف عند الحدود اللغوية في محاولته إرجاع اسم سام إلى سومر، لكنه يتطلع إلى حدود أبعد من ذلك بكثير عندما يقول: " وإذا ما صحت فرضية "بوبل" بأن كلمة Shem هي Shumer ذاتها، فعلينا أن نفترض أن المصنفين العبرانيين للتوراة أو على الأقل بعض منهم، عد السومريين الأجداد الأصليين للعبرانيين، صحيح أن اللغة السومرية لغة ملصقة لا صلة لها بعائلة اللغات السامية التي تشكل العبرية جزءا منها، ولكن من الجائز أن يكون هناك قدر كبير من الدم السومري في عروق أجداد إبراهيم⁽¹⁾ عليه السلام الذين عاشوا أجيالا عديدة في "أور" أو في مدن سومرية أخرى، أما ما يتعلق بالثقافة والحضارة السومرية فليس هناك من سبب الشك في أن طلائع العبرانيين هؤلاء قد استوعبوا وهضموا كثيرا من مفاهيم الحياة السومرية⁽²⁾.

(1)-إبراهيم أو أبرام أو أبراهام، ابن تاري أو تارح، ولد في مدينة "أور" مدينة الكلدان، قضى السنوات الأولى من حياته في منزل والده أين تعبد الأصنام، لكنه اهتدى إلى الطريق الصحيح وهذا ما يعطه عرضة لجميع أنواع الاضطهاد من أبناء منطقته، وهو الأمر الذي دفعه لترك موطنه. ينظر: Jean Augustin Bost, *Dictionnaire de la bible ou Concordance raisonnée des Saints écritures*, Librairie Protestante, Paris, 1849, p 35.

(2)-فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص ص 20، 21.

4. قائمة الملوك كمصدر أثري لتأريخ العصور السومرية المبكرة (تحليل ونقد المحتوى):

لعل ما يعرف بقوائم الملوك "King Lists" وبخاصة قوائم الملوك السومرية كانت من أبرز المصادر التي عرفتنا بفهم العراقيين القدماء للتأريخ، وزودتنا تلك القوائم بأسماء الكثيرين من الملوك وسنوات حكمهم وفي بعض الأحيان أسماء عواصمهم، ولم تخل مثل تلك القوائم من الإشارة إلى أحداث تاريخية وبخاصة تلك المتعلقة بالحروب والانتصارات، فكان ينص في قائمة الملوك السومرية مثلاً على ضرب مدينة ما أو بلد ما بالسلاح ونقل الملوكية إلى مدينة أو بلد آخر، وبالرغم من ذهاب بعض الباحثين إلى أن العراقيين القدامى لم يعرفوا حدثاً تاريخياً فاصلاً يمكن بموجبه معرفة مدى عمق الامتداد التاريخي لهذا البلد، إلا أننا نرى وبكل وضوح أن كاتب تلك القوائم يشير إلى الطوفان⁽¹⁾ باعتباره الحدث الفاصل ما بين السلالات التي حكمت قبل حدوثه والسلالات التي جاءت بعده، وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الأمور المتعلقة بهذه القائمة لا تزال غامضة، وكمثال على ذلك نشير إلى الأرقام الكبيرة لسني حكم بعض الملوك وعدم ذكر بعض السلالات الحاكمة، وكل ما نستطيع قوله بهذا الخصوص هو أن سني الحكم الكثيرة ربما تخص مجموعة سلالات وليس الحاكم المذكور فقط، أما لإغفالها ذكر بعض السلالات التي عرفناها من خلال التنقيبات الأثرية فيمكن أن يكون السبب هو ما كان قائماً من عداوة أو حروب بين تلك السلالات والسلالات التي جاءتت منها تلك القائمة، وبالرغم من كل هذا وذاك تبقى هذه الوثيقة الخاصة بتدوين التأريخ الأولى من نوعها في العالم⁽²⁾.

بعد تحليل هذا النص نستطيع أن نستنتج أن قوائم الملوك الرافدية وبالأخص السومرية منها كتبت بنوع من الإيديولوجية وهذا لوجود عداوات بين الأسر الحاكمة، عندما يتعلق الأمر بإغفال ذكر بعض السلالات الحاكمة، وهذا الأمر يقطع حلقة التسلسل الخاصة بتتبع تاريخ السومريين،

(1) - عثر على ألواح طينية تدل على وجود تشابه بين رواية العهد القديم والرواية البابلية، واتفقت جميع الروايات على حدوثه في بلاد الرافدين خلال موسم الفيضان الذي غمر دلتا النهرين مع تخريبه للمنشآت، وتتفق الروايات السومرية-البابلية مع ما ورد في محتوى العهد القديم، حيث امتازت الوثائق السومرية-البابلية عن التوراة في وصفها للظواهر الطبيعية، ولا شك أن طوفان "نوح عليه السلام" هو نفسه المذكور ضمن النصوص السومرية وأن مكان حدوثه واحد وهي الأراضي الواقعة عند دلتا النهرين شمال مدينة "أور"، وما تجدر الإشارة إليه أن الشعب العبراني قد أخذ هذه الرواية فيما بعد. ينظر: عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 11-08.

(2) - نائل حنون، حقيقة السومريين، ص 116.

وهو الأمر الذي يرهن نوعية وجودة المعلومات التاريخية المستقاة من هذه القوائم على حد تصورنا، إضافة إلى كون بعض السلالات لم تكن متتابعة في الحكم بل كانت متعاصرة، أي دونت طريقة "التاريخ المعاصري" وهو الأمر الذي أحدث نوعاً من التداخل في نقل المعلومات بشكل صحيح.

كما تتسم المعلومات الموجودة ضمن هذه القوائم بكونها كانت منظمة ومرتبطة في شكل متناسق، حيث كان يكتب اسم المدينة والأسرة الحاكمة الموجودة بها واسم الحاكم وسنوات الحكم وفي بعض الأحيان كانت تسجل ملاحظات مختصرة عن بعض الأحداث المهمة أو التفصيل عن بعض الاحتفالات الملكية وكان هذا هو الاستطراد الوحيد في القوائم، وتقدم هذه الأخيرة كذلك صورة عن اتحاد ممالك المدن التي شكلت واحدة منها سيادة كاملة على المدن الأخرى في وقت من الأوقات، ولقد تم تسجيل تسلسل السلالات وفق ذلك، كما ارتبطت كل واحدة منها بإحدى المدن حيث كان الحكام يورثون السلطة لأبنائهم وتحولوا بعد ذلك من قادة إلى ملوك، وتحتوي أيضاً القائمة على معلومات تتعلق بالأنساب بالإضافة إلى بعض الوقائع التاريخية التي تشرح انتقال السلطة من مدينة لأخرى، وأدت كذلك دوراً بارزاً في توضيح المفهوم العام لدى السومريين عن الأرض ووجودها، كما أنها تجسد للمرة الأولى فهرساً بأسماء المدن السومرية مثل: سيبار⁽¹⁾، شوروباك، أور، كيش، أداب، ماري، أكشاك⁽²⁾، لجش، ايسن⁽³⁾ ولارسا⁽⁴⁾.

(1) -أو تل أبو حبة، تقع على ضفة الفرات الشرقية، على مسافة 32 كم جنوب غرب بغداد، ضمت زاقورة مكرسة للإله شمش والإلهة أنونيتوم، رمم الملك حمورابي أسوارها وفتح خندقاً للمياه. ينظر: وديع بشور، المرجع السابق، ص 61.
(2) -تقع شمال أكد، تغلب عليها "إيانانوم" ملك لجش بعد أن احتل "كيش" نحو عام 2500 ق.م، بعد قرون استعادت سيطرتها على سومر وأكد، موقعها غير معروف بالضبط إلا أن كتابات "ماري" توحى بأنها كانت قريبة من "أشنونا" في وادي دالي. ينظر: نفسه.

(3) -من المدن العراقية القديمة، ورد ذكرها منذ العصور التاريخية المبكرة، حيث كتب اسمها في نصوص عصر فجر السلالات والعصر الأكدي القديم بصيغة "إنسن" و"ايسن" ويلاحظ أنها كتبت بالمقطع الرمزي الواحد (Logog) ra (m) حيث استعملت العلامة "INKi" للدلالة على اسم هذه المدينة الذي لم يرد مدوناً بالمقاطع قط في نصوص هذين العصرين. ينظر: عباس علي الحسيني، مملكة إيسن بين الإرث السومري والسيادة الآمورية (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004م، ص 14.

(4) -أحمد أمين سليم، تاريخ العراق القديم منذ أقدم العصور وحتى الغزو الإيراني 639 ق.م، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012م، ص 35.

ما يهمنا كثيرا من خلال هذا القول هو احتواء قوائم الملوك السومرية على معلومات تتعلق بالأنساب، أي يمكن للباحث من خلال دراسة محتواها تتبع شجرة الأنساب الخاصة بالملوك والتي قد تميظ اللثام عن الانتماء العرقي للعنصر السومري وهي معلومات غاية في الأهمية، غير أن ما يعيق تتبعها هو غياب أسماء بعض السلالات التي تم تغييب دورها وذلك لوجود عداوات سياسية بين الأسر المتصارعة على السلطة أي وجود قطيعة في التسلسل التاريخي للأسر والملوك الأوائل الذين حكموا في أرض سومر.

والبيانات التي نستمدّها من قائمة الملوك السومرية عن الأسرات السابقة ابتداء من أول هذه الأسرات وهي "كيش الأولى" ذات نسق معين: فهي تذكر اسم المدينة مقر الملكية، واسم الملك الحاكم ومدة حكمه ثم اسم من خلفه ومدة حكمه، وتعني بإيضاح ما إذا كان هذا الخلف ابنا للملك الأسبق، كما تورد أحيانا بيانات مختصرة لبعض أحداث الملك الحاكم، ثم تعطي في نهاية بياناتها عن المدينة مقر الملكية إحصاء إجمالي عدد الملوك ومجموع سني حكمهم، وتعقب ذلك بإيضاح يعرف بقهر المدينة وانتقال الملكية منها إلى مدينة أخرى هي المدينة التالية لها في القائمة، ثم تكرر نفس الأسلوب السابق في بياناتها عن هذه المدينة التي أصبحت المقر الجديد للملكية⁽¹⁾.

من خلال ما تقدم تظهر لنا الفوائد الكثيرة لهذه القوائم في تتبع الخيط الذي يوصلنا لمعرفة التسلسل التاريخي لنظام الحكم لدى السومريين، وبالرغم من أنها لا تشير إلى أصولهم بشكل واضح ومباشر إلا أنها على الأقل تذكر كيفية تعاقب الملوك وهل هم من نفس السلالة، مع تتبع انحدارهم الأسري، مع إعطاء تفصيلات حول المدن الرئيسية مقر الحكم الملكي والذي يوصل في الأخير على حد تصورنا إلى معرفة أصول النظام السياسي عند السومريين، مع ذكرها لأحداث معاصرة للملوك أو ما يسمى بالتاريخ المعاصري فيمكنها على الأقل أن تمدنا بنتائج ولو بسيطة عن أصل العنصر السومري مستقبلا.

(1)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 196.

وهذه القوائم ما هي سوى نصوص سومرية وأكديّة تتضمن قائمة بأسماء الملوك القدامى بحسب السلالات أو التسلسل الزمني⁽¹⁾ لحكمهم، في اللغة السومرية وجدت قائمتين من هذا النوع جمعت معلوماتهما ودونتاً خلال العصر البابلي القديم، وهاتان القائمتان هما "قائمة الملوك السومرية" و"قائمة ملوك لجش"، وهما مهمتان جدا في إلقاء الضوء على السلالات الحاكمة الأولى وخصوصا في عصر فجر السلالات، وإذ تقتصر القائمة الثانية على أسماء ملوك سلالة واحدة فقط وهي سلالة لجش، نجد أن القائمة الأولى تتضمن ملوك خمس وعشرين سلالة منذ ظهور الملكية وحتى الملك الرابع عشر من سلالة "إيسن" الأولى أي في حدود عام 1817 ق.م.⁽²⁾

فهي تستخدم كإطار لدراسة كرونولوجية تاريخ بلاد الرافدين، وقد تم العثور على ستة عشر نسخة يشار إليها بالحروف (A.B.C...P) كلها مدونة باللغة السومرية، على الرغم من أن بعضها يظهر بوضوح تأثيرات أكديّة، ويبدو أن النص قد دون في أواخر الألف الثالثة ق.م في أيام "سلالة أور الثالثة" وقد تم تحديده فيما بعد خلال عصر "سلالة إيسن الأولى"، ويظهر أن تسلسل المدن الأولى يتماثل بشكل ملحوظ مع "أسطورة الخلق" من "أريدو" وأن النسخة التي تمت ترجمتها أدناه دونت باللغة السومرية وعثر عليها في مدينة "لارسا" ويعود تاريخ النسخة إلى عصر "إيسن-لارسا"⁽³⁾.

كما تعد هذه الجداول من المصادر المهمة التي اعتمدها الآثاريون الباحثون في حضارة العراق وتاريخه القديم، وتتضمن هذه الجداول أسماء ملوك خمسة وعشرين سلالة من "أوليم" الذي حكم قبل الطوفان إلى "دامق-إيليشو" الملك الخامس عشر من سلالة إيسن.

(1) -من حيث الترتيب الزمني تتناول القوائم الفترة التي تبدأ من ظهور الملكية لأول مرة قبل الطوفان إلى سلالة "إيسن" (حوالي عام 1900 ق.م)، وردت ضمنها مدن مثل: أور، أوروك وكيش وأيضا ثلاثة مناطق غير رافدية وهي أوان في الشرق، همازي في الشمال وماري في الغرب، أما العناصر الأيديولوجية المعبر عنها في النص هي أنه لا يوجد سوى حاكم شرعي إلهي واحد في وقت واحد، وأن الملكية المهيمنة المنتشرة بين عدد محدود من المدن التي تم دمجها فيه كانت قوائم سلالات الملوك من مدن مختلفة. ينظر: Marc Van De Mierop, A History of the Ancient Near East ca 3000-323 BC, second édition, Blackwell Publishing, USA, 2007, p 43.

(2) -نائل حنون، حقيقة السومريين ودراسات..، ص 116.

(3) -أسامة عدنان يحيى، وثائق من الشرق الأدنى القديم (القوائم الملكية والتاريخية في بلاد الرافدين)، أشور بانينبال للثقافة، العراق، 2019م، ص 17.

ورغم أهميتها في تحديد السلالات الملكية والمدن الحاكمة في بلاد الرافدين إلا أنها لا تخلو من بعض الملاحظات وأهمها أن كاتب الجداول ذكر بعض السلالات المتعاقبة على الحكم، وفي الواقع هي كانت تحكم بمدنها في العصر نفسه، فضلا عن ذلك فقد أغفل الكاتب توثيق بعض السلالات الحاكمة خلال عصر فجر السلالات مثل سلالة "الجش"⁽¹⁾.

كما يؤخذ على القائمة أيضا أنها افترضت وجود حاكم واحد للمدن المتعددة في وقت واحد، وكان هو الأساس الذي كتبت عليه القائمة، وهذا الأمر بعيد جدا عن الحقيقة، وهو يبطل الوثيقة كلها كعمل تاريخي، حيث أنه من الثابت من مصادر تاريخية أخرى أن العديد من هؤلاء الحكام كانوا يتولون أمور الحكم في مدنهم المختلفة في آن واحد، ولم يحرصوا على الدخول في منازعات مع بعضهم البعض من أجل الزعامة على بقية المدن، ومن ناحية أخرى، نجد أن القائمة قد تجاهلت العديد من الحكام وخاصة في العصر السومري المبكر، رغم العثور على الكثير من الآثار لهم والتي تشير إلى دورهم الكبير خلال هذه المرحلة، كما أن هناك من يرى أن الكهنة الذين كتبوا هذه القائمة في ظل حكم أسرة "إيسن" قد تعمدوا إغفال بعض الملوك عن عمد وذلك لأغراض سياسية، وعلى أي حال، فإنه يمكن اعتبار القائمة كمصدر غير نهائي لتاريخ العراق في هذه المرحلة المبكرة، فهي مجرد سجل تمت استعادته وجمعه في وقت لاحق ونتيجة لمعلومات تقليدية⁽²⁾.

من خلال ما تقدم فقد ذكر إغفال القائمة لبعض حكام العصر السومري المبكر لأغراض ودوافع سياسية أي وجود عداوة أو ربما نزعات سلطوية فوقية، وهذا الأمر من شأنه أن يكون حلقة مفقودة في تاريخ السومريين رغم ما تحتويه القائمة من دلالات تاريخية جد مهمة في تتبع التسلسل التاريخي لأدوار الحكم.

ومن أهم السلالات الحاكمة التي ورد ذكرها بالترتيب، والتي تعطينا صورة واضحة عن "عصر السلالات المبكر" هي الآتي ذكرها:

(1)-محمد كمال روكان، جداول الملوك السومريين ملاحظات جديدة في ضوء التنقيبات، كلية الآثار، جامعة القادسية، العراق، (د.ت)، ص ص 347-349.

(2)-أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق-إيران-آسيا الصغرى)، ج 05، ص 45.

- 1- أسرة "كيش الأولى": عدد ملوكها 23 ملكا بلغ مجموع سني حكمهم 24510 عاما ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ونصف، وأغلب مدد حم هؤلاء الملوك خرافية إذ تعد بمئات السنين بل وتتجاوز أحيانا الألف سنة، عدا ملك واحد في الأسرة وهو "مس زاموج" والذي حكم 140 عاما.
- 2- أسرة "الوركاء الأولى": عدد ملوها 12 ملكا، بلغ مجموع سني حكمهم 2310 عاما، مدد حكم الملوك الثلاثة الأولى من هذه الأسرة خرافية، إلا أنه ابتداء من الملك الرابع وهو "دموزي" ينخفض معدل سني الحكم إلى الحد المعقول (أقصاه 126 عاما، مدة حكم "جلجامش").
- 3- أسرة "أور الأولى": عدد ملوكها أربعة ومجموع سني حكمهم 177 عاما.
- 4- أسرة أوان: عدد ملوكها ثلاثة تهشمت أسماؤهم في القائمة وبلغ مجموع سني حكمهم 356 عاما⁽¹⁾.
- 5- أسرة "كيش الثانية": وعدد ملوكها ثمانية، بلغ مجموع سني حكمهم 3195 عاما، ومعظم مدد الحكم الفردية خرافية.
- 6- أسرة "خمازي": تضم ملكا واحدا هو "خاتانيش" الذي بلغت مدة حكمه 360 عاما، وهي فترة حكم خرافية.
- 7- أسرة "الوركاء الثانية": عدد ملوكها ثلاثة، بلغ مجموع سني حكمهم 187 عاما.
- 8- أسرة "أور الثانية": عدد ملوكها أربعة تهشمت أسماؤهم في القائمة، وقد حكموا 116 عاما.
- 9- أسرة "أدب": تتضمن ملكا واحدا وهو "لوجال أني موندو" الذي بلغت مدة حكمه 90 عاما.
- 10- أسرة "ماري": عدد ملوكها ستة، بلغ مجموع سني حكمهم 136 عاما.
- 11- أسرة "كيش الثالثة": وتتضمن اسما واحدا هو "كوباو" وهو لسيده حكمت 100 عام.
- 12- أسرة "أكشاك": عدد ملوكها ستة، بلغ مجموع سني حكمهم 99 عاما.
- 13- أسرة "كيش الرابعة": عدد ملوكها سبعة، بلغ مجموع سني حكمهم 391 عاما، وينفرد ثاني هؤلاء الملوك وهو "أور - زابابا" بفترة حكم خرافية مدتها 400 عام.

(1)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص ص 194، 195.

14- أسرة "الوركاء الثالثة": تتضمن ملكا واحدا هو "لوجال زاجيزي" الذي بلغت مدة حكمه 25 عاما⁽¹⁾.

وقد تناقل السومريون الأقدمون كذلك أسماء حكامهم وأبطالهم وزعمائهم الأوائل شفويا في سياق الأساطير، وخلطوا بينهم وبين أسماء أربابهم وظلوا يحتفظون بها حتى دون خلفاؤهم أخبارهم الأسطورية التي عرفوها عنهم ضمن قوائم مختلطة، وذكروا أن العمران تركز قبل الطوفان في خمس مدن كبيرة متعاقبة وهي: أريدو، بادتيبيرا، لاراك، سيبار وشروباك، وأضافوا أنه حكم كلا من هذه المدن على التعاقب عدد من الأرباب وأنصاف الأرباب لفترات دامت آلاف السنين حتى أغرقها الطوفان، وعندما عاد العمران إلى أرض الرافدين بعد انحسار الطوفان ظهرت مدن أخرى كثيرة مثل: كيش⁽²⁾، أوروك، أور آداب وماري، ونسبوا أوائل الحكم في هذه المدن إلى شخصيات أسطورية أيضا قيل إنها عمرت هي الأخرى قرونا كثيرة، ثم تواضعوا ونسبوا إلى بعض من عرفوهم من الحكام الفعليين قريبي العهد من عصورهم التاريخية عشرات محدودة من السنين، بيد أن مهما يكن في هذه الأخبار الأسطورية التي تضمنتها "قوائم الملوك" من مبالغات واختلافات، فهي قد تضمنت حقيقتين وهما: فكرة حدوث طوفان قديم في أرضهم، ثم قيام أوضاعهم السياسية على أساس وجود المدن المستقلة المتفرقة⁽³⁾.

وكانت هذه القوائم من حيث الأهمية تعد أبرز المصادر التي عرفتنا على مفهوم التاريخ حسب المنظور الرافدي والتي بينت عمليات الغزو ونقل العواصم، ويعد الحدث الفاصل في كتابتها هو "الطوفان" بحيث ذكرت قوائم لملوك حكموا البلاد قبل حدوثه وبعده، مع وجود بعض الأخطاء التدوينية بجعل مدة حكم الملوك طويلة مع إغفال ذكر العديد من الحكام الذين عثرت على آثارهم البعثات الأثرية، ويرجح أن يكون السبب المباشر لهذا النوع من الممارسات هو وجود العداوة بين

(1)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 196.

(2)- ما يلاحظ من خلال دراسة أسماء ملوك الأسرات المختلفة كما هي مذكورة في قائمة الملوك السومرية أن أسماء ملوك أسرة أكشاك وأسرة كيش الرابعة أسماء سامية، وهذه الظاهرة يمكن اتخاذها كدليل على انتشار بعض العناصر السامية في أسرات حكومات المدن السومرية خلال عصر فجر السلالات مما سيكون له أثره الفعال في تغلبهم في نهاية هذا العصر وتأسيس الدولة الأكديّة. ينظر: رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 54.

(3)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 621.

السلالات الحاكمة، ورغم هذه النقائص تبقى هذه الوثائق ذات خاصية فريدة كونها القوائم الأولى التي تعنى بتدوين التاريخ⁽¹⁾.

لعل أهم الانتقادات الموجهة لهذه القوائم والتي تعتمد على حادثة الطوفان السومري كمرجع للفصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي أو نزول الملكية الأولى قبله ثم الثانية بعده هو الخلط بين عصر البطولات وعصر بداية الأسرات السومرية حيث أعطي الحكام صفة الألوهية مع إطالة مدة حكمهم بشكل خيالي، فامتزج الطابع الأسطوري بالواقع التاريخي هو الأمر الذي صعب على المؤرخين الفصل في مضامينها.

كما احتلت هذه القائمة كذلك مكانة مهمة لأنها تقرر بالأسطورة، إذ تتميز هذه القوائم بطول فترة حكم الملوك قبل الطوفان، فبعد نزول صارت مدينة "أريدو" مركز للسلطة فحكم "أوليم" في "أريدو" 28800 سنة و"ألاجار" 26000 سنة، وبعدها انتقل الحكم إلى مدينة "بادتيبيرا" فحكم "أنيمين-لوانا" مدة 43200 سنة، وتنص قائمة قديمة أن عدد الملوك الذين حكموا خلال فترة ما قبل الطوفان ثمانية حكام حكموا ضمن خمسة مدن لمدة 241200 سنة⁽²⁾، وتقلصت مدة الحكم بعد الطوفان⁽³⁾، وقد ذكرت القائمة أرقاماً خيالية لمدة حكم الملوك لهذا لا يمكن الفصل بين نهاية العصر الأسطوري وبداية الفترة التاريخية، كما أثبتت التنقيبات أن بعض حكام مدينة "لجش" لم ترد أسماؤهم ضمن هذه القوائم ورغم هذه النقائص فإن العثور على نصوص تاريخية للحكام يمثل دليلاً قاطعاً على وجودهم وحكمهم الذي يرتب حسب الأسبقية في اعتلاء العرش⁽⁴⁾.

حسب تحليلنا لمعظم المعلومات المتعلقة بقوائم الملوك السومرية نلاحظ المبالغة في ذكر أرقام خيالية لفترات حكم الملوك، وربما يعود السبب إلى تأثر كتابها بالأسطورة وعقيدة تأليه الملوك

(1)-نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985م، ص ص 270-273.

(2)-تمثل مدة حكم الملوك العشرة الأوائل الذين حكموا قبل الطوفان حسب لائحة الملوك السومريين، وكتبت هذه الوثيقة في حوالي الألف الثاني ق.م هذه الفترة نفسها تقدر بحوالي 432000 سنة في تاريخ "برسوس (برعوشا)" أحد كهنة الإله "مردوخ" في بابل، و الذي خلال القرن الثالث ق.م وكتب تاريخ بلاده باللغة اليونانية. ينظر: محمود أمهر، المرجع السابق، ص 107.

(3)-كلكتشوف، الحياة الروحية في بابل (الإنسان، المصير، الزمن)، تر: عدنان عاكف حمودي، منشورات المدى، دمشق، 1995م، ص 25.

(4)-ديلا بورت، بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية، تر: محرم كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص 346.

أو حسب سنين حكم الآلهة الأنوناكي (هم المسؤولون فيما بعد عن خلق الإنسان) في كوكب نيبورو والذي تختلف فيه مدة السنة عن المعروفة في كوكب الأرض، لذا يكون الاعتماد على مصداقيتها أمرا بعيدا عن الواقع، ولعل كذلك ما يجعل الأخذ بها أمرا صعبا هو اختلاط العصر الأسطوري أو عصر البطولات بالعصر التاريخي، لكن على الأقل يمكن الاعتماد على محتواها من ناحية ترتيب الملوك والأسر الحاكمة التي تعود لفترات زمنية موعلة في القدم.

المدينة	الحاكم	مدة الحكم
أريدو	1-ألوليم	28800 سنة
بادتبييرا	2-الإلجار	36000 سنة
بادتبييرا	3-انمينلو - آنا	43200 سنة
	4-انمينجال - آنا	28800 سنة
	5-الإله داموزي - راعي	36000 سنة
لاراك	6-السيبازي - آنا	28800 سنة
سيبار	7-أنميندور - آنا	21000 سنة
شروباك	8-أوبار - توتو	18600 سنة

-جدول يمثل المدن الخمسة لفترة ما قبل الطوفان وأهم حكامها- (أحمد أمين سليم، دراسات في

تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق-إيران-آسيا الصغرى)، ج 05، ص 44).

وقد قام الآثاري "ثوركليد جاكوبسن" بجهد وافر في جمع المصادر السابقة وضع إثبات للملوك الذين حكموا المدن السومرية أو بالأحرى دويلات المدن، وقد ميزت تلك الأثبات أو الجداول الملكية بين مرحلتين الأولى ما قبل الطوفان والثانية بعد الطوفان...والواقع فإن الربط بين الملكية وأسباب السماء أسطوريا لم تختلف فيه العقائد العراقية القديمة عن غيرها من الحضارات القديمة، والتي تجعل من الحاكم وفقا للمعتقدات السائدة مفوضا من طرف الآلهة في حكم البشر إن لم يكن هو الإله بذاته أو على الأقل شبه إله، وقد كانت مرحلة مهمة لتثبيت فكرة الحكم المرتبط بالكيان السياسي للمدينة دولة، وهو ما يفسره فيما يغلب الظن تلقب حكام المدينة دولة في العراق القديم بثلاثة ألقاب وهي إين، إينسي ولوجل، والذي يشير أولهم وثانيهم إلى بعض

الواجبات الدينية الكهنوتية، في حين يضطلع الثالث بالمهام الدنيوية الحامية، دون إغفال ضرورة وجود حملة اللقبين السابقين بجانبه للمساعدة في شؤون الحكم الدينية⁽¹⁾.

كما يقدم لنا الآثاري "سيتون لويد" صورة واضحة عن محتوى قوائم الملوك ودورها في إلقاء الضوء على بداية التاريخ السومري، حيث يقول: "...نقدم بعض الملامح لقائمة الملوك ما نعرفها اليوم⁽²⁾، وهي تعرض لنا أسماء ثمانية من الحكام شبه الأسطوريين قبل الطوفان وأسماء المدن التي ارتبطت أسماؤهم بها، وبعد الطوفان كما علمنا هبطت الملكية"⁽³⁾ من السماء، ثم يقدم لنا سجل أكثر واقعية عن اتحاد ممالك المدن التي شكلت واحدة منها سيادة كاملة على المدن الأخرى في وقت من الأوقات، ولقد تم تسجيل تسلسل السلالات وفق ذلك وقد ارتبطت كل واحدة منها بإحدى المدن، حيث كان الحكام يورثون السلطة لأبنائهم وتحولوا بذلك من قادة إلى ملوك، وتحتوي القائمة أيضا على معلومات تتعلق بالأنساب بالإضافة إلى بعض الوقائع التاريخية التي تشرح انتقال السلطة من مدينة إلى أخرى، وتحتوي هذه القائمة كما يرى بعض العلماء الحديثين على الكثير من العيوب، فالأزمة الطويلة المحددة للممالك على سبيل المثال خيالية ومبالغ فيها، ورغم ذلك فإن قائمة الملوك قد أدت إلى توضيح المفهوم العام لدى السومريين عن الأرض ووجودها، كما وأنها تجسد للمرة الأولى فهرسا بأسماء المدن السومرية الرئيسية مثل سيبار، شروباك، أور، كيش، أداب، ماري، أكشاك، لجش، إيسن، لارسا بالإضافة إلى مدن أخرى معلوماتنا عنها قليلة⁽⁴⁾.

لكن مقابل ما ورد من معلومات سابقة حول دور قائمة الملوك في إبراز الأساس التاريخي للتواجد السومري، فالمؤرخة "نبيلة محمد عبد الحليم" تؤكد على محدودية هذا المصدر، حيث

(1) -حسن محمد محي الدين السعدي، المرجع السابق، ص 55.

(2) -سيتون لويد، المرجع السابق، ص 124.

(3) -كان الاعتقاد السائد بين الرافديين أن الملكية مقرها في السماء، ثم هبطت قبل الطوفان في مدينة أريدو ثم صعدت إلى السماء أثناء الطوفان، ثم نزلت مرة ثانية إلى مدينة كيش كما يرد هذا في جداول الملوك السومريين، وكانت من المظاهر الإلهية، وكان أول من تقلد وظيفة الملك في السماء والأرض هو "أنليل"، وجسد العراقيون القدماء الملكية برموز خاصة أطلق عليها عادة "شارات الملوك"، وهي التاج والصولجان ورباط الرأس والعصا التي صورت بأنها كانت مودعة في السماء أمام "أنو": كبير الآلهة السومرية. ينظر: محمد حمزة الطائي، أهم شارات الملكية في العراق القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد 50، 2008م، ص ص 01، 02.

(4) -سيتون لويد، المرجع السابق، ص 124.

تقول: "...إن التحديد التاريخي للعصر السومري متضمنا ترتيب ملوك هذا العصر يعتبر من الصعوبة بما كان في التأريخ لهذه المرحلة نظرا لافتقار الحقائق المؤكدة، ولو أن النصوص المعاصرة للملوك وكتابات المؤرخين المتقدمين والتركة الأثرية التي خلفوها قد تلقي بعض الضوء عن تطور الأحداث التاريخية في عصور ملوك هذه المرحلة، ولكنها لا تقدم لنا الدليل على التتابع السليم لحكمهم، ويحدد لنا "ل. كينج L. King" من دراسته لأسطوانة "نبويد" الموجودة بالمتحف البريطاني عام 3200 ق.م لحكم نارام- سين، بينما يحدد فريق آخر من المؤرخين 3750 ق.م وعام 3800 ق.م لسرجون الأول، ومن ذلك استنتج "كينج" بأن بداية التاريخ السومري يعود إلى عامي 6000 أو 5000 ق.م، ولو أن الرأي الأخير للمؤرخين يخالف هذا التقدير بألف سنة⁽¹⁾.

ونفس محتوى هذه الفكرة يؤكد لها لنا المؤرخ "محمد عبد اللطيف محمد علي" حيث يقول: "...ونفتقر خلال مرحلة عصر الأسرات المبكرة إلى البيانات التاريخية إلى أدنى حد، ولذلك فإن ملوكها هم الأبطال الأسطوريون الذين حكموا خلال فترة ما قبل الطوفان والذين سبق أن لاحظنا من بيانات قائمة الملوك السومرية مدد الحكم الخيالية التي تنسب إليهم، ويعتبر الطوفان نهاية لهذه المرحلة، وخلال مرحلة عصر الأسرات المبكرة حصلنا على بعض البيانات أو الروايات القليلة عن بعض ملوكها ولكنها بقي بالتحقق منهم كشخصيات حقيقية، وتعتبر أسرة كيش الأولى وهي أولى أسرات ما بعد الطوفان بداية لعصر الأسرات المبكرة، وكذلك الملوك الأربعة الأوائل من "أسرة الوركاء الأولى" والذين يمكن أن ننسبهم إلى هذه المرحلة، شخصيات غامضة، إلا أنه يمكن التعرف على عدد منهم والتأكد من تعاقبهم في الحكم من واقع ما تفيد به الأدلة الأثرية، وبالنسبة لمرحلة عصر الأسرات المبكرة فتزيد فيها التسجيلات المكتوبة بل وتتوفر أيضا المادة التاريخية التي تلقي الضوء السياسي على الصلات فيما بين حكومات المدن السومرية"⁽²⁾.

لكن وبشكل عام فحول هذه القائمة تدور العديد من الآراء التي تفند محتواها الأساسي في تتبع أثر السلالات المبكرة، وفي مقدمتها رأي المؤرخ "سيتون لويد" والذي يقول: "... لا يمكن لقائمة الملوك بالطبع أن ترد تحت عنوان الوثائق المعاصرة، فهي مجرد سجل تمت استعادته

(1)-نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 47.

(2)-محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 199.

وجمعه في وقت لاحق ونتيجة لمعلومات تقليدية، ويصح هذا الأمر أيضا على الملاحم السومرية العظيمة كقصّة جلجامش التي حفظت لنا بسبب نسخها بشكل متكرر باللغة الأكديّة واللغات الأخرى في عصور لاحقة، ولذلك ينبغي أن نلقي الآن نظرة على المعلومات التاريخية الحقيقية التي تم الحصول عليها بشكل متزايد من كتابات السومريين القدماء، ونلاحظ المدى الذي وصلت إليه الدراسات المستفيضة في العصور الحديثة، والتي أدت إلى توثيق الكثير من أجزاء تراث بلاد الرافدين⁽¹⁾.

ونستنتج مما سبق دراسته وتحليله في هذا الفصل مجموعة من النتائج التي صغناها على النحو الآتي:

1- ساهم في صناعة الحضارة الرافدية عنصرين أساسيين هما السومريين الذين تعتبر أصولهم الإثنية غير معروفة لحد الآن، والأكديين الذين ينتسبون إلى السلالة السامية التي تعود أصولها لشبه الجزيرة العربية، وهذا الرأي هو الأصح أو على الأقل الأكثر قبولا على الساحة العلمية استنادا إلى المخلفات الأثرية والمصادر التاريخية والتي تفند فكرة أحادية النضج الحضاري المنسوب فقط للعنصر السومري.

2- لعبت العوامل الجغرافية البيئية الدور الحاسم في تحديد نمط الوجه الحضاري الذي صيغت حسب الحضارة السومرية، فتغير المناخ وطبيعة المجاري المائية كانهسار الخليج الفارسي وتكون السهل الرسوبي فرض بيئة جديدة المعالم وخصبة الأرضية لصياغة وتوطين مبادئ المدنية.

3- عدم اتفاق جمهور العلماء والباحثين حول تسمية "الظاهرة السومرية" وتحديد أبعادها في كون مصطلح "سومر" ذو دلالة جغرافية فقط أم إثنية تتعلق حقيقة بمجموعة عرقية لها وجود فعلي، ولعل هذا الاختلاف ناتج عن اختلاف توجهات وتخصصات هؤلاء الباحثين واختلاف مدارسهم، طرق بحثهم، وسائل استنتاجهم وبالأخص أهدافهم ومصادقية مرجعيتهم العلمية.

(1)- سيتون لويد، المرجع السابق، ص 124.

4- صعوبة الفصل بين الخيط الذي يربط بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي وذلك راجع بالأساس إلى تشابك المعطيات الأثرية وتشوه وضياح الكثير منها، إلى جانب ذلك شح الدلائل الأثرية المباشرة التي تحمل أغلبيتها فقط دلالات أسطورية، وتتميز بكونها بعيدة عن الواقع.

5- من الأمور التي تزيد من مسألة التقصي عن أصل السومريين صعوبة هو ما يسمى بموجة التحركات البشرية أو الهجرات التي استهدفت منطقة بلاد الرافدين، فانصهار العديد من المجموعات البشرية مختلفة الأصول عبر فترات تاريخية وغير تاريخية جعلها تكون قوميات متشابهة إن لم نقل متماثلة، وللنقاش فقد تكون إحدى نظريات نزوح أجداد السومريين خارج هذه الأراضي واردة وقابلة للطرح والتحقيق.

6- اختلفت الآراء في تفسير كلمة "سومر" والتي أعطيت أبعادا إما سياسية أو دينية أو جغرافية أو حتى طبيعية بيئية، لكن ما اتفقت عليه هذه الآراء في الأخير هو وجود وطن قومي سمي "سومر" اعتمادا على ما ورد ضمن شواهد مادية مأخوذة من حقل الآثار، وذلك بالرغم من وجود بعض الآراء التي تتادي بتغييب الوجودية السومرية وأنها فقط ابتكار التيار الفكري الغربي المعادي للتيار العروبي المساهم في ظهور حضارات الشرق الأدنى القديم ككل.

7- من بين المصادر المهمة في تتبع أصل السومريين "قوائم أو ثبت الملوك السومريين" التي تعد إحدى المصادر المباشرة في معرفة عصر فجر السلالات أو الأسرات المبكر، لكن هذه القوائم بقيت حبيسة العديد من العوامل السلبية التي جعلتها غير وظيفية للبحث في مشكلة التأصيل الحضاري كتعرضها للتشويه والتكسير أثناء عمليات التنقيب الأوروبي الأولي العشوائي، خضوعها لترجمة الباحثين الأجانب الذين أخضعوا محتواها لرغباتهم وأهدافهم في بعض المسائل، مع احتواء هذه القوائم على عدة تناقضات في دلالاتها التاريخية لكنها تعطينا معلومات جد وفيرة ساعدت الباحثين كثيرا في وضع كرونولوجية العصور السومرية ولو بالتقريب.

المفصل 11 ثاني

نظريات الأصول السومرية

1. نظريات الأصول الآسيوية:

- أ- نظرية الأصل الخليجي والجزيري.
- ب- نظرية الأصل السندي الهندي.
- ت- نظرية الأصل العيلامي.
- ث- نظرية الأصل الأناضولي.
- ج- نظرية الأصل القوقازي.
- ح- نظرية الأصل الصيني.
- خ- نظرية الأصل المحلي.
- د- نظرية الأصل الأرميني.
- ذ- نظرية الأصل الشامي (سوريا وفلسطين).

2. نظريات الأصول الإفريقية والمتوسطية:

- أ- نظرية الأصل الزنجي.
- ب- نظرية الأصل الإيجي.

3. نظريات الأصول الأوروبية:

- * نظرية الأصل الهنغاري.

منذ أن سلط الضوء على أولى مخلفات الحضارة السومرية قبل قرن من الزمن والبحث مستمر لمعرفة أصل السومريين، الذين عُدوا من أقدم الشعوب التي استطاعت وضع الحضارة الأولى في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين وما يزال شأنهم ودورهم يتضح بصورة أكبر كلما استجدت مكتشفات أثرية أو نصوص سومرية جديدة لتكشف عن جوانب مشرقة من منجزاتهم الحضارية ودورهم في إغناء مسيرة الشعوب بالمعرفة في مختلف جوانب الحياة، ولم يقدم دليل قاطع في أصل السومريين إذ أن كل باحث يعطي رأيه معتمدا إما على أدلة كتابية أو هياكل عظمية أو يقوم بمقارنات بين الحضارة السومرية وغيرها من الحضارات و لم يتوصلوا إلى رأي نهائي محدد⁽¹⁾.

فلا أحد يعرف من هم الأجداد القدامى للسومريين، ولا أحد يعرف على وجه الدقة أصلهم، رغم أنه لا أحد يعرف أيضا أصل الكثير من الأقاليم المعاصرة لهم أو التي ظهرت قبلها بقرون أو بآلاف السنين، إلا أنه بسبب الأهمية الحضارية لتاريخ السومريين من مراحل ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية ولأسباب أخرى معروفة وضعت نظريات عديدة، فهناك ما يقرب من العشر نظريات أو الافتراضات التي تبحث في أصولهم⁽²⁾.

1. نظريات الأصول الآسيوية:

أ-نظرية الأصل الخليجي والجزيري:

أظهرت المكتشفات الحديثة وجود مخلفات أواني الفخار المنسوبة إلى تقاليد صناعة ثقافة العبيد في أكثر من خمسين موقعا على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي⁽³⁾، من المنطقة

(1)-غيث حبيب خليل، وادي الرافدين في عصر فجر السلالات ، رساله ماجستير في الآثار القديمة ، إشراف: محمد طه محمد الأعظمي ، جامعة بغداد ، 2004 م، ص 05.

(2)-خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 28.

(3)-تعود التأثيرات الحضارية بين شعوب بلاد الرافدين وشعوب الخليج على الأقل إلى منتصف الألف الخامس قبل الميلاد تقريبا، والملاحظ أن معظم المواقع العبيدية في الخليج الفارسي كانت قريبة من الساحل، لذا فقد تم الاتصال بينها وبين مراكز جنوب العراق عبر السفر في مياه الخليج، وكانت مجاميع من الصيادين أو التجار تخرج تباعا من "أور" و"أوريڤو" في رحلات بحرية في الخليج الفارسي صوب المستوطنات المعاصرة لها، وتقيم هناك بعض الوقت وتنقل في رحلاتها كميات من المؤونة اللازمة في جرار وأواني فخارية، حيث أهملت كسر الأواني المهشمة لتعكس بطريق غير مباشر لاحقا عن صلات مبكرة لجنوبي العراق مع مراكز حضارات مع الخليج الفارسي. ينظر: سلطان مطلق محمد صطام الدويش، المواقع الحضارية على الساحل الغربي

الشرقية من شبه الجزيرة العربية حتى دولة الإمارات مؤخرًا، ورغم هذا الظهور للفخار العبيدي في المنطقة إلا أنه اقترن باستمرار إنتاج وصناعة الأدوات الحجرية الصوانية فيها⁽¹⁾.

وقد أثار وجود الفخار العبيدي في المنطقة اهتمام الباحثين ومحاولة تقصي أسباب ظهوره فيها فظهر الاختلاف والجدل حول هذه الأسباب، وقد أشار "ع. مصري" في بداية دراسته لظاهرة وجود الفخار العبيدي في المنطقة إلى إمكانية كون هذه المنطقة الموطن الأم للثقافة العبيدية، وقد انتقلت هذه الثقافة مع العبيديين أثناء تحركهم نحو الشمال إلى بلاد الرافدين، ثم ما لبث الباحث السابق أن صرح بأن الفخار العبيدي في المنطقة يعود إلى أسباب طبيعية تتعلق بالتأثر بعوامل المناخ والبيئة من جفاف وتصحر في المقام الأول أدت إلى اضطراب بعض سكان المنطقة المحليين إلى القيام بهجرات موسمية أو شبه موسمية إلى مناطق الشمال أي بلاد الرافدين، المناطق التي ظهر فيها استخدام الأواني العبيدية وصناعتها، وبعد عودة تلك الأقوام النازحة إلى مناطقها الأصلية كان ظهور الفخار العبيدي المصنع محلياً أي تقنية صناعته أتت بها سكان المنطقة بعد عودتهم من جنوب بلاد الرافدين⁽²⁾.

هذا الجزء يسمى قديماً دلمون⁽³⁾ أو تلمون وكان يؤلف قطراً كبيراً كان له صلات بالسومريين والبابليين والآشوريين منذ الألف الثالثة ق.م واستمرت هذه العلاقات إلى عام 500 ق.م تقريباً، وقد ظهرت دلمون في الآداب السومرية والمصادر المسمارية، وقد جاء في أخبار أيام "سرجون الثاني" أن الملك "أوفيري" ملك دلمون يعيش كالمسكة إلى مسافة بيرو والبيرو ساعة بابلية تعادل ساعتين حالياً، في وسط البحر الذي تشرق منه الشمس، والجدير بالذكر أن

للخليج العربي حتى القرن الثالث قبل الميلاد (دراسة أثرية مقارنة)، ط1، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 2015م، ص 21.

(1) -هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ (صلات دلمون بآمورو وبالأموريين 1530-2000 ق.م)، إ.ش: هشام بدر الدين الصفدي، ط1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1997م، ص ص 44، 45.

(2) -نفسه، ص 45.

(3) -إن توفر المياه العذبة ووجود الأشجار والمزروعات والطيور والحيوانات جعل من أرض دلمون تبدو كأنها جنة في وسط ذلك المحيط الطبيعي القاسي الذي تمثله الصحراء القاحلة في غربها ومياه الخليج المالحة في شرقها لذلك فإن وصفها في الأساطير والمدونات السومرية هو وصف نسبي بالمقارنة مع ذلك المحيط الطبيعي الذي يحيط بالجزيرة. ينظر: أحمد حسين أحمد، الصلات التجارية بين السومريين والمراكز التجارية في الخليج العربي (دلمون/ ماجان) أنموذجاً، مج: آداب الفراهيدي، العدد 19، 2014م، ص 282.

الآشوريين أطلقوا على الخليج العربي اسم "روق الشمس" أو "البحر الأسفل" و "البحر المر" أي المالح، وجاء في بعض آثار الملك "آشور بانيبال"⁽¹⁾ أخبار عن دلمون وأنها تقع وسط البحر الأسفل، وقد قام علماء التاريخ والآثار القديمة بتقدير بعد جزر البحرين عن أسفل الفرات على حسب ما جاء في أخبار الملك سرجون الثاني بحوالي 300 ميل، وذكر المؤرخ الروماني أريان Arrien أن Tylos (غالبا مشتقة من الاسم السومري دلمون أو تلمون وغالبا هو الاسم الذي أطلقه الكتاب الإغريق والرومان على البحرين) تبعد عن الفرات بمسيرة يوم وليلة لسفينة شراعية⁽²⁾.

لقد اعتقد الكثير من العلماء أن منطقة دلمون التي جاء ذكرها في النصوص السومرية إنما تنطبق على البحرين، ويعتمدون في ذلك إلى أن بعض هذه النصوص قد أشارت إلى أن الوصول إلى دلمون كان يتطلب نحو ستين ساعة ملاحية من مصب نهر الفرات، أي أن دلمون كانت تبعد نحو 300 ميل، وهي نفس المسافة من مصب نهر الفرات إلى البحرين.

ويشير إلى ذلك أيضا تطابق ما جاء بالأساطير السومرية من وصف لدلمون مع البحرين وذلك من حيث توافر المياه بها وتقديس الماء واعتباره إله، وعلى ذلك فإنه يمكن القول أنها كانت تمتد على طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية من الكويت حتى مدخل الخليج عند مضيق هرمز، وأن البحرين كانت هي المركز الرئيسي أو العاصمة لهذه المنطقة⁽³⁾.

وتصنف عدد من الوثائق والنصوص المسمارية⁽⁴⁾ الاقتصادية رحلات بحرية انطلقت من المدن الرافدية القديمة الجنوبية كأور ولارسا ولجش ونفر وأكد متجهة إلى موانئ دلمون على

(1)-ملك آشور (668-626 ق.م) ابن الملك "أسرحدون"، وخليفته فضل توليته الحكم بدل أخيه "شمش شوم كين"، اسمه الآشوري "آشور بن أبلّي" وأطلق الإغريق اسم "سردنابالوس" كان محنكا في أمور الدولة وامتدت سلطته من مصر السفلى إلى منطقة عيلام وغرب آسية الصغرى وبلغت الإمبراطورية في عهده أوج ازدهارها، واقتزنت نهاية حكمه بفقدان مصر وتزايد خطر الميديين والسكيثيين من الشمال. هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 103.

(2)-عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 116، 117.

(3)-أحمد أمين سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009م، 253.

(4)-إن أقدم النصوص المسمارية مفهومة اللغة أشارت إلى أن الدوافع السياسية لابتكار الكتابة كانت اقتصادية بحتة لتدوين واردات المعابد، وهو شيء واضح إذ ضمت تلك النصوص علامات صورية تشير إلى مواد مختلفة وإلى جانب كل علامة من تلك العلامات إشارات بسيطة على شكل دوائر أو خطوط تعبر عن الأرقام، ويمكن تقسيم النصوص المسمارية إلى قسمين: حيث يتضمن النوع الأول النصوص المتعلقة بالسلطة الحاكمة سواء أكانت دينية ممثلة بالكهنة والمعابد أو دنيوية ممثلة بالملوك والحكام،

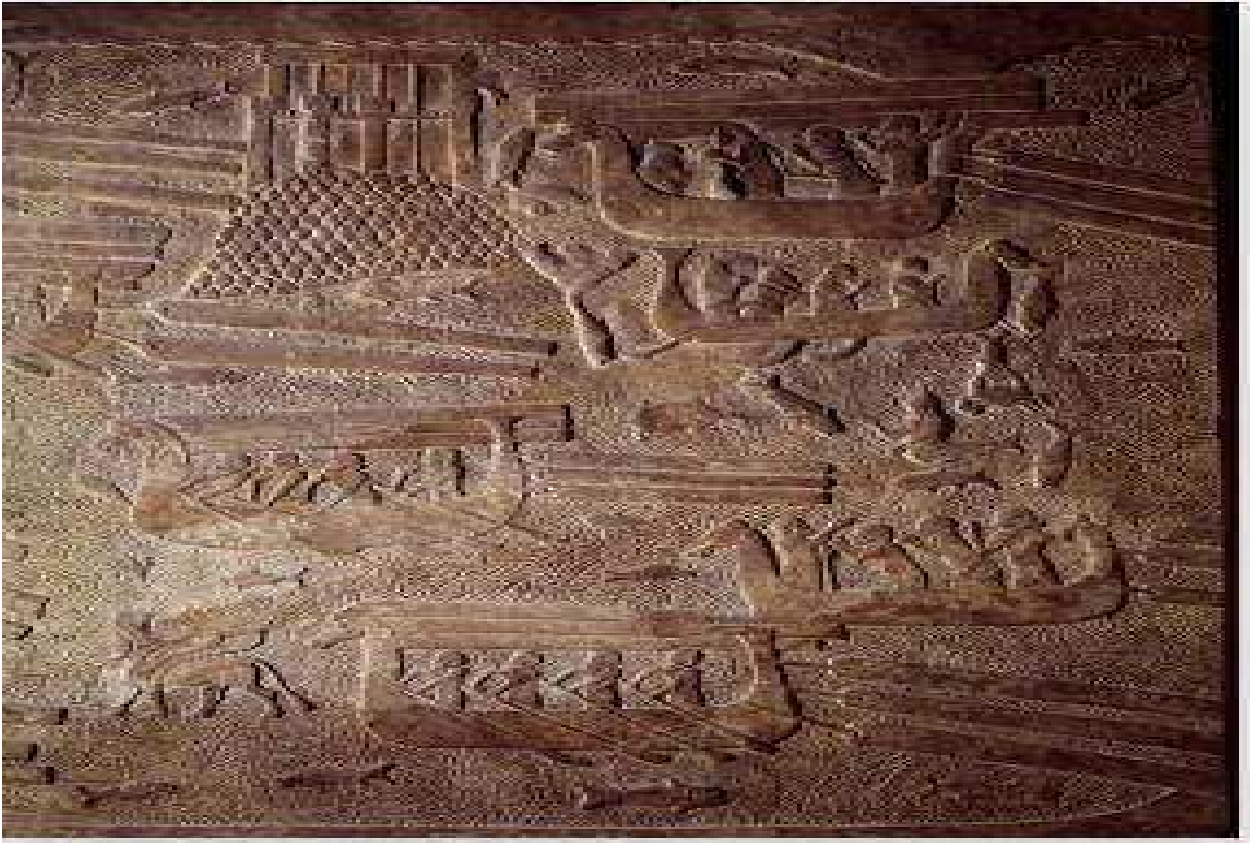
الساحل الغربي للخليج العربي، وجاءت أقدم هذه الوثائق من زمن أحد ملوك سلالة لجش الأولى في حدود سنة 2520 ق.م يذكر فيها أن سفنا من دلمون محملة بالخشب⁽¹⁾ وصلت إلى لجش قادمة من مدن عدة (مدن حوض السند) كما يذكر الملك "سرجون الأكدي" أن سفنا من دلمون كانت ترسو في مينائه بأكد، كما أن هناك احتمال كبير في أن الحريق الذي أصاب قلعة دلمون قد يكون نتيجة لحملة هذا الملك أو حفيده "نرام-سين" في مطلع القرن الثالث والعشرين ق.م، وهناك نص آخر للملك "جوديا"⁽²⁾ يذكر فيه أن زوجته أرسلت إلى دلمون الحبوب والجبن مقايضة بمعدن النحاس، وهناك أيضا نصوص مسمارية اكتشفت في مدينة "أور" والتي يرجع تاريخها إلى الربع الأخير من الألف الثالث ق.م تذكر عقودا تجارية أبرمت بين تجار مدينة "أور" من السومريين وتجار من إقليم "دلمون" البحري⁽³⁾.

أما النوع الثاني فيختص بالنصوص المتعلقة بالحياة العامة للناس العاديين والنصوص ذات المضامين العلمية، التاريخية والجغرافية. ينظر: عبد الله علي محمد التميم، **النصوص المسمارية ومصادقيتها**، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 03، قسم التاريخ، جامعة تكريت، العراق، 2010م، ص 345.

⁽¹⁾ -عرفت مادة الخشب بالسومرية بالمفردة "Gis" وباللغة الأكديّة بالمفردة "Isu"، وقد استخدمت العلامة التي تدل عليه كدالة تسبق أسماء الأشجار والأخشاب والأشياء المصنوعة منها، ونظرا لأهميته في حياة الرافديين فقد فسر اسم الإله "ننكشزيدا Ningiszida" على أنه سيد الصولجان الكبير أو بأنه سيد الخشب المخلص، كما يعد الخشب مادة ضرورية كونه يستخدم وقودا للطبخ وللتدفئة شتاء، فضلا عن استخدامه في صناعة الأثاث المنزلي كالأسرة المعدة للنوم والكراسي والأرائك والأبواب والبوابات على اختلاف أنواعها، فمنها البسيطة التي استخدمها عامة الناس ومنها الأثاث الملكي الفاخر الذي زينته به القصور الملكية، وكثيرا ما ظهر في المنحوتات الجدارية الآشورية، كما استخدمت هذه المادة في صناعة السفن والقوارب والعربات وفي تسقيف البيوت والمعابد والقصور. ينظر: أزهار هاشم شيت، **الأخشاب، مصادرها، أنواعها، مجالات استخدامها عند الآشوريين**، مجلة آداب الرافديين، العدد 55، 2008م، ص 01.

⁽²⁾ -حاكم مدينة لجش (2144-2124 ق.م)، عثر على نحو خمسة عشر تمثالا لهذا الملك منها اثني عشر تمثالا بمتحف اللوفر بباريس وهي منحوتة من حجر الديوريت الأخضر، وعلى التماثيل كتابة مسمارية تذكر فيها اسم الملك وإهداء التمثال إلى أحد الآلهة وقد عثر عليها وهي في حالة سليمة. ينظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 325.

⁽³⁾ -بهنام أبو صوف، التاريخ من باطن الأرض، ص 145.



نحت بارز من بلاد الرافدين: مشهد بحري يمثل نقل الأخشاب من فينيقيا تفاصيل الباستر بارزة منخفضة من خورسباد خلال فترة حكم "سرجون الثاني" (710 ق.م) متحف اللوفر بباريس: اطلع عليه بتاريخ 2022/04/03م، رابط الموقع على الأنترنت:

<https://www.meisterdrucke.ae/fine-art-prints/Mesopotamia> -

فقد ساهمت وسائل النقل النهري أيضا في تعزيز العلاقات الخارجية مع أقطار الخليج العربي وسوريا، وتعد الاكتشافات الحديثة للمستوطنات العبيدية على الساحل الغربي للخليج دليلا على قدم الاتصالات بين المنطقتين، وهذه الآثار العبيدية أبرزها أثار فخارية تنحصر بين موقع "أبو خميس" القريب من الحدود السعودية الكويتية شمالا إلى شبه جزيرة قطر جنوبا وتنتشر أيضا في البحرين وفي مناطق تبعد عن الساحل بنحو سبعين كيلومترا، ومن المؤكد أن مدينة "ماري"⁽¹⁾

⁽¹⁾ -يرجع تاريخها إلى الألف الثانية والثالثة ق.م وظهرت أهميتها عندما سيطر الأموريون في بداية حكمهم على مناطق الحواف في بداية منطقة الشام فخضعت ماري لنفوذهم، وهي تقع جنوب مصب نهر الخابور في شمال وشمال شرق "أبو كمال" على الضفة الغربية للفرات، وبسبب هذا الموقع في أطراف بادية الشام ولقربها أكثر من هذا النهر فإن بعض الباحثين يضعونها ضمن إطار حضارة وادي الرافدين. ينظر: رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، ج2، ط1، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2002م، ص 71.

كانت مركزاً رئيسياً على الفرات في أقسامه الوسطى ويتكرر اسمها كثيراً في النشاط التجاري مع بابل وإيسن ويقترن اسم ماري بالقوارب مثل اسم "ماجان" (1) و"دلمون" (2).

وكان الآثاري "هنري رولنسون" أول من ربط البحرين و"دلمون" مشيراً إلى احتمال أن تكون جزر البحرين في الخليج العربي هي موقع دلمون القديمة، أو عاصمتها على الأقل وقد استند في رأيه هذا إلى كتابة مسمارية كان قد عثر عليها الكابتن "ديورانت" في البحرين عام 1879م وهذه الكتابة تتألف من ثلاثة أسطر بالخط المسماري وباللغة السومرية جاءت على حجر وبشكل قدم إنسان وترجمتها:

قصر ريموم. خادم الإله آنزك. من (قبيلة) أكاروم.

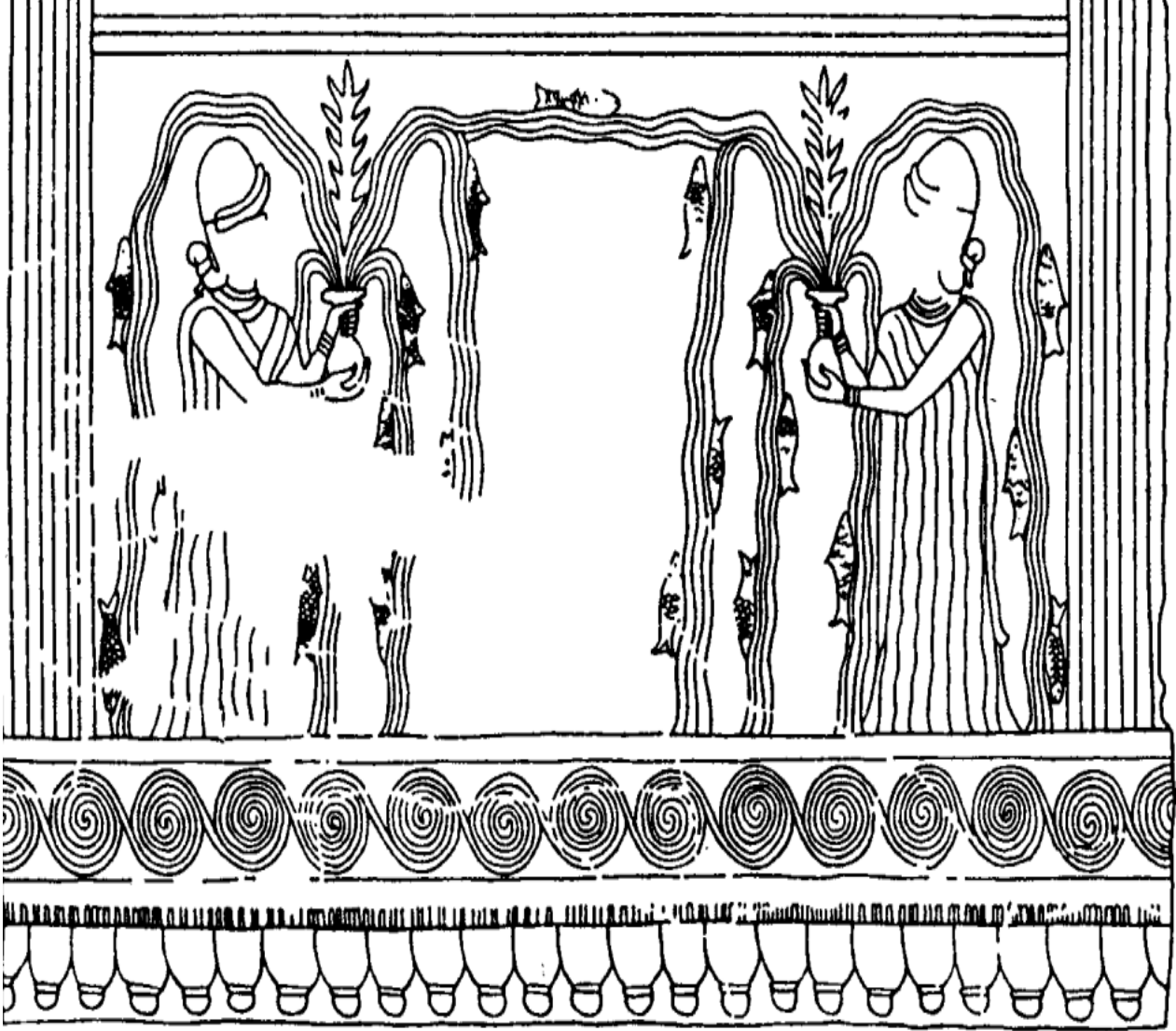
وقد ورد ذكر الإله آنزك (3) في قائمة الآلهة في بلاد الرافدين على أنه كبير آلهة دلمون، كما عرف في جميع عهود العراق القديم الحضارية بأنه حامي جزيرة أو جزر دلمون والمناطق الساحلية، وقد جاء وصف لها في الكتابات المسمارية من بلاد الرافدين بأنها جزر فيها الكثير من المياه العذبة تبعد عن بلاد الرافدين مسافة يومين بطريق البحر إذا صاحبته رياح طيبة وهناك ترتيلة سومرية يرجع تاريخها إلى نحو ألفي سنة قبل الميلاد تحكي: "إن دلمون أرض مقدسة باركها الإله أنكي إله المياه العذبة ومنحها الماء بطلب من إلهة دلمون نن-سيكال وإذا يستجيب أنكي إلى طلبها وببركة "أوتو" إله الشمس يصل الماء العذب إلى دلمون وتختتم الترتيلة بهذه الكلمات:

(1) -جميع المعطيات والدلائل التي توفرت حتى الآن قد خلفت رأياً جماعياً لدى الباحثين في أن "ماجان" هي المنطقة المعروفة اليوم بعمان الواقعة عند النهاية الجنوبية الشرقية لشبه جزيرة العرب، ويدعم هذا الرأي اعتبار النصوص المسمارية لماجان أنها أرض النحاس، وقد ثبت بالفعل أنها كانت من مراكز إنتاج النحاس قديماً، وقد بات معلوماً من خلال الدراسات الجيولوجية أن مصدر النحاس كان الجبل الأخضر في عمان حيث اكتشفت بقايا المعادن والبراكين، كما اكتشف المعدن هناك ويقدر أنه استهلك من معادن هذا الجبل حوالي مائة ألف طن خلال العصور القديمة. ينظر: عارف أحمد إسماعيل، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية (منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد)، ط1، مركز عبادي للدراسات والنشر، اليمن، 1998م، ص 58.

(2) -نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج1، ص 54.

(3) -تبدأ الأسطورة بوصف دلمون، في أسطرها الستة الأولى على أنها مكان طاهر ونقي ومشرق، تتحدث الأسطر الستة التالية (7-12) عن جماع كان قد تم بين إله المياه العذبة السومري أنكي وربة دلمون "ننسيكال" التي وصفت في هذه المرحلة المبكرة من الأسطورة على أنها زوجته. ينظر: خالد عبد الملك النوري، أسطورة دلمون ملامح من الأدب الأسطوري السومري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 26، جامعة الكويت، 2015م، ص ص 14، 15.

مدينتها تشرب الماء الوفير. دلمون تشرب ماء الرخاء. آبارها ذات الماء المر أنظروا.
 تراها قد صارت مياه عذبة. حقولها أنتجت الغلة والقمح. دلمون صارت درار للشواطئ.
 ومراسي الأرض. يا أرض دلمون الطاهرة. يا أرض دلمون المقدسة. يا أرض دلمون النقية⁽¹⁾.



-صورة جدارية تمثل عين الخلد⁽²⁾ التي تسقي جنة عدن- قصر ماري- (أحمد داوود،

تاريخ سوريا القديم، ص 358).

(1)-بهنام أبو صوف، قراءة في الآثار والحضارات، ص ص 95، 96.

(2)-عين الخلد أو الإناء الفوار، فعندما انتقل جماعة من السومريين سكان الأهوار إلى السهول المجاورة للمستوطنات السامية وأخذوا يؤسسون مزارع مرتكزة على الري أسوة بمجاوريهم الساميين في الشمال، اتخذوا الشعار السامي الأصل المعروف باسم "الإناء الفوار" الذي يمثل مجربي دجلة والفرات شعرا لهم، وصار الإله "أنكي" أو الإله "إيا" كما يسميه الساميون يظهر بعد ذلك وهو يحمل الإناء المذكور بصفته الإله الذي يرعى شؤون المياه، وهذا يرمز إلى تقديس النهرين الذين أصبحا مصدر حياة السكان الجدد بدلا من الغور "أبسو" في منطقة الأهوار. ينظر أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 30.



-مقتبسة من ملحمة الخليقة (تظهر من خلاله الأنهار الأربعة والغلال الوفيرة والقوة الربانية "أنكي" المسؤول والمدير عن الماء) - (قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الخلق الأول، ط1، كيوان للطباعة، دمشق، 2009م، ص 121).

وتأتي أسطورة تحدثنا عن جنة أو أرض دلمون حيث تقول:

أرض دلمون مكان طاهر، أرض دلمون مكان نظيف. في أرض دلمون لا تتعق الغربان.

ولا تصرخ الشوكة صراخها المعروف. حيث الأسد لا يفترس أحدا.

ولا الذئب ينقض على الحمل. ولا الكلب المتوحش على الجدي.

ولا الخنزير البري يلتهم الزرع...، وحيث لا يشتكي الرجل من الشيخوخة.

ولا تشتكي المرأة⁽¹⁾ من العجز، حيث لا وجود لمنشد ينوح ولا لحوال يصل.

ويؤكد هذه الفكرة المؤرخ "جون كلود مارغرون"، حيث يقول: "إن الله تعالى زرع بستانا-

عدن- في الشرق ووضع الرجل الذي خلقه فيه، كما أنبت الله في أرضه كل شجرة لذيفة الثمار

تبهج الناظر، كما زرع في وسطه شجرة الحياة، وشجرة معرفة الخير والشر، ولأجل سقاية هذا

البستان أخرج له نهرا من عدن ما لبث أن تفرع إلى أربعة فروع: فالأول بيشون pshan والثاني

(1)- كان للمرأة في العراق القديم مكانة مميزة حيث كان لها الحق في ممارسة أعمال ومهن مختلفة والقيام بواجبات ضمنها لها المجتمع والقانون، فقد شاركت نساء سومريات معروفات أزواجهن الأمراء والحكام في الإشراف على شؤون الدولة وتصريف الشؤون المالية وجمع الضرائب وتوزيع الأرزاق وشراء العبيد وترؤس الاحتفالات الدينية، كما برزت منهن حاكمات وكاهنات، وقد شغلت نساء بارزات في المجتمع الآشوري مناصب كبيرة في الدولة. ينظر: بهنام أبو صوف، التاريخ من باطن الأرض، ص 39.

غيلهون guilhon والثالث دجلة أما الرابع فهو الفرات ومن ثم أخذ الله الرجل وأسكنه في بستان عدن لزراعته وحراسته⁽¹⁾.

وقد عثر بين الألواح السومرية على لوحة تصف الفردوس وكمال البدء لما كانت السعادة كاملة غير منقوصة، يوم كان البشر يعيشون بلا كد ولا كفاح أو جهد، وقبل سقوط الإنسان، إن تلك اللوحة تصف تلك الفترة من الرخاء الأول والسعادة المطلقة في واحد وعشرين خطا قبل أن تغضب الآلهة على البشر وتنزل بهم عقابها العظيم المدمر المتمثل بالطوفان⁽²⁾.

فالسومريون أول من ابتكر فكرة مرور الإنسان من عصر ذهبي "الجنة" وذلك بالاعتماد على ما ورد في إحدى الأساطير التي تتحدث عن الأزمنة الغابرة: "...في تلك الأيام لم تكن الحية في الوجود، ولم يكن العقرب، ولم يوجد الضبع والأسد، ولم يكن الكلب الوحشي ولا الذئب، لم يكن خوف ولا هلع، ولم يكن للإنسان من غريم، في تلك الأيام كانت أرض الشرق موضع الخير العميم وموضع الأحكام العادلة، وكانت بلاد سومر ذات اللسان الواحد المنسجم، هي البلاد العظيمة التي نبعت عنها أحكام الإمارة... وكان الشمال، الأرض المحتوية على كل ما يحتاج إليه، وكانت بلاد الغرب آمنة مطمئنة... كان الكون جميعه، والناس كلهم يمجدون "أنليل" بلسان واحد⁽³⁾.

وورد كذلك ذكر "دلمون" ضمن "ملحمة جلجامش" التي أشارت إلى الطوفان، وذلك عن القصة السومرية لا البابلية، وتبدأ القصة بخلق الإنسان⁽⁴⁾ والحيوانات وإقامة المدن الخمسة التي أسست قبل حدوثه وهي "أريدو" و"باد-تيرا" و"أراك" و"سيبار" و"شروباك"، وقد عمل "أنكي" على تخليص البشرية، فأشار على لوح الطوفان السومري "زيوسودرا" أن يبني سفينة، وبعد أن

(1)-جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص 24.

(2)-أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم، ص 200.

(3)-عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 146، 147، Henri Frankfort, *Kings ship and the Gods (A Study of Ancient Near Eastern Religion as the integration of Society and Nature)*, The University of Chicago Press, USA, 1978, p 216.

(4)-عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 118.

صنع الفلك فاض التتور ودام سبعة أيام وليال، وذكرت الأسطورة⁽¹⁾ السومرية أن الآلهة قد أسكنت نوح السومري أرض "دلمون"⁽²⁾.

فمن أساطير الكاهن البابلي اليوناني "برعوشا"⁽³⁾ ومن قائمة الملوك ومدن ما قبل الطوفان هناك ما يشير إلى أن الرجل السمكة "أوانيس Oannes" الذي خرج من الخليج وجلب معه مقومات الحضارة⁽⁴⁾، وهذا ما يتفق مع الأفكار السومرية حول إله الحكمة أنكي والذي شكل الإله المحلي لمدينة "أريدو" وهي أقدم مرئية كانت تقع على ضفاف الخليج العربي ثم استوطنت المدن الأربعة الأخرى بنزوح من البحر من الجنوب الشرقي فصاعداً حتى الخليج العربي، أما النظرية التي تحمس لها "جيوفري بيبى" على أساس أن ما عثر عليه في دلمون من آثار سومرية ومن آلاف القبور تشير بوضوح إلى أن هذه الأخيرة هي الوطن الذي نزح منه السومريون عبر الخليج العربي مروراً بجزيرة فيلكا ثم إلى جنوب وادي الرافدين، ويعتمد في ذلك أيضاً أن السومريين كانوا يذكرون دلمون في أساطيرهم على أنها الجنة الخالدة وعلى أن

(1) - هي قصة أو حكاية رمزية بسيطة ومأثرة تلخص عدداً لا ينتهي من المواقف المتشابهة قليلاً أو كثيراً، أو بالمعنى الضيق للكلمة تترجم الأسطورة قواعد السلوك عند الجماعة الاجتماعية أو الدينية بعينها، فهي تنتمي بالتالي إلى العنصر المقدس الذي تكونت حوله هذه الجماعة والأسطورة لا مؤلف لها ويتعين أن يكون أصلها غامضاً. ينظر: حسن الباش، الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي، دار الجليل، دمشق، ط1، 1988م، ص50.

(2) - لقد وردت فكرة أصل الإنسان وعلاقته بالطبيعة عند الرافديين القدامى في الكثير من مؤلفاتهم الأدبية، وجاء بعضها باللغة السومرية وبعضها الآخر باللغة الأكديّة ومن أدوار حضارية مختلفة ولاسيما منذ مطلع الألف الثاني ق.م، فمن العصر البابلي القديم جاءت أسطورة خاصة بالولادة كشفت عن جانب مهم في رأي الرافديين القدماء عن كيفية خلق الإنسان ومادته الأولى، فترى هذه الأسطورة أن الآلهة الخالقة المسماة "مامي Mami" أو نامو - كما في بعض الروايات - قد اضطلعت بهذه المهمة بناءً على طلب الإله "أنكي" والآلهة الأخرى، وتم خلق الإنسان وفقاً لهذه الأسطورة من الطين. ينظر: عبد العزيز إلياس سلطان، العلاقة بين الطبيعة وخلق الإنسان في الأساطير والمعتقدات والعلم، مجلة آداب الرافدين، العدد 43، العراق، 2006م، ص 03.

(3) - أحد الكهنة البابليين واسمه اليوناني (Berossus)، عاش في عهد "أنتيوخوس الأول" (سوتير 280-261 ق.م)، وضع تاريخاً لبابل في ثلاثة أجزاء فإن ما وصل إلينا من تاريخه عن طريق مؤرخي اليونان لا يعدو جزءاً ضئيلاً لا يلقي كثيراً من الضوء عن تاريخ السومريين. ينظر: أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى، ص 349.

(4) - حسب رواية الخلق أتت معلومات صريحة عن شخصية أوانيس الأسطورية على النحو الآتي: "...عاش الإنسان بين الوحوش والمسوخ عارياً أعزلاً، إلى أن خرج من الخليج الفارسي حيوان اسمه "أوانيس" (هنا بالذات نلاحظ كباحثين موقع التناقض حيوان ويعلم الناس الحضارة) ليعلمه ويهذبّه وكان لهذا الحيوان جسم سمكة ورأس وصوت يشبهان الإنسان، وكان يقضي نهاره في تعليم الكلدانيين فنون الأدب وضروب العلوم وأصناف الصنائع وأصول الشرائع ومبادئ الهندسة وأوقات الزراعة وأيام الحصد، حتى إذا غربت الشمس آوى إلى البحر فغطس وأمضى الليل تحت لجة الماء ومن عهده إلى الآن لم يخترع شيء فائق". ينظر: غاستون ماسبيرو، تاريخ المشرق، تر: أحمد زكي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014م، ص 87.

الخالدين من البشر يسكنون فيها (زيوسودرا أو أوتونابشتم في ملحمة جلجامش) وأنها تذكر بالعصر الذهبي الذي عاشوا فيه، ويتوسع مناصرو هذه النظرية أكثر من ذلك عندما يقررون أن حضارة "ماجان" في عمان وحضارة "التاروت"⁽¹⁾ في الجزيرة العربية وحضارات "أم النار"⁽²⁾ والباربار" في دول الإمارات وقطر تشكل الخلفية الخليجية لحضارة دلمون وأن هذه الحضارات مجتمعة كانت أصل السومريين وموطنهم الأول قبل أن يظهروا في وادي الرافدين⁽³⁾.

ونفس الفكرة يؤيدها المؤرخ "أحمد داوود" حيث يقول أن المؤرخ البابلي الشهير "برعوشا" الذي عاش حوالي 250 ق.م كتب في حديثه عن السومريين ما يلي: "إن جيلا من الجبابرة يقودهم واحد منهم يسمى "عوان" خرج من الخليج العربي وأدخل في البلاد فنون الزراعة وطرق المعادن والكتابة"، ثم يقول: "وقد ترك إلى بني الإنسان كل الأشياء التي تصلح أمور حياتهم ولم يخترع من ذلك الوقت شيء ما حتى الآن"، ومن المفيد أن نذكر أن تسمية "الجبابرة" كانت مرادفة دائما للسكان الزراعيين المستقرين الذين بنوا المدن والأبراج وسوروا الأسوار⁽⁴⁾ وأنتجوا مختلف المنتجات الغذائية بأيديهم، إن هذه التسمية شملت كل قطاعات المجتمع الراعي العربي من الخليج إلى جنوب سوريا الحالية⁽⁵⁾.

(1)-أمدنتا جزيرة التاروت بثلاثة تماثيل نادرة تعود إلى فترة عصر السلالات الباكرا نفسها تقريبا، أحدهما من الحجر الجيري ويبلغ طوله 94 سم، لرجل عار حليق الرأس مضموم اليدين في هيئة وضع المتعبد الذي عرف في تماثيل بلاد الرافدين، كما يشير باحث يدعى "د. بوتس" إلى أن هنالك تماثلا من النحاس وجد في مدينة خفاجة يعود لفترة السلالات الباكرا الثانية يشابه تماثيل جزيرة التاروت. ينظر: هيا علي جاسم آل ثاني، المرجع السابق، ص 50، 51.

(2)-بدأت حضارة "أم النار" في المناطق الداخلية من شبه جزيرة عمان، ثم امتدت إلى السواحل وتفاعلت فيما بعد مع عناصر أجنبية عبر البحار، وهناك أدلة كثيرة على اتصالات خارجية لهذه الحضارة مع كل من وادي الرافدين ووادي السند، وفي تلك الحقبة تم استغلال معدن النحاس وتصديره إلى وادي الرافدين عن طريق دلمون، ووجد خزر اللازورد وأواني من الخزف، كشف عنها من أدوات عليها طبع ختم أسطواني على الطراز السوري. ينظر: سلطان مطلق محمد صطام الدويش، المرجع السابق، ص 59.

(3)-خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 32.

(4)-من بين الأسوار المشيدة باللبن المجفف في الشمس هو السور الذي يلف حول مدينة الوركاء، ويعتبر من أكمل الأسوار الدفاعية والأقدم في عموم بلاد الرافدين وأكثرها طولاً، حيث يبلغ طول محيطه حوالي تسع كيلومترات ونصف وعرضه أربعة أمتار ونصف مدعوم بعدد كبير من الأبراج الدفاعية، وهو يرتقي إلى الألف الرابع قبل الميلاد. ينظر: صالح عبد العزيز حميد، القلاع والتحصينات الدفاعية في بلاد الرافدين، المجلة العربية للثقافة، مج 26، العدد 50، تونس، 2007م، ص 10، 11.

(5)-أحمد داوود، تاريخ سوريا الحضاري، ص 144.

وربما كانت دلمون خاضعة لنفوذ السومريين أو على الأقل كانت علاقات على وثيقة معهم إذ نعرف من خلال ملحمة الطوفان السومرية (زيوسودرا Zue-Sedra) السومري بطل الملحمة وبعد نجاته من الطوفان فإنه يتوجه إلى دلمون وسكن فيها وأنه لم يكن ليقدّم على هذا الأمر إذا لم تكن دلمون أرضاً سومرية أو تابعة لبلاد سومر وأن سكانها من السومريين، ونقرأ في مقطع عن الملحمة:

وركع زيوسودرا أمام أنو وأنليل. الذين وهباه حياة أبدية مثل الآلهة.

والذين رفعاه إلى الحياة الأزلية مثل الآلهة. في ذلك الوقت⁽¹⁾ أسكن الإله الملك زيوسودرا.

الذي أنقذ بذرة الإنسان وقت الدمار. في بلد على البحر في الشرق في دلمون⁽²⁾.

كما قد عثر في حفائر "مسجد الخميس" بجزيرة البحرين على نص مسماري يطلق عليه "حجر ديوراند" يتضمن: "قصر ريموم، خادم الإله آنزك، رجل من قبيلة أجاروم"، نقش على حجر من البازلت الأسود وقد ظهر بجانب تلك الكتابة رسم لغصن نخيل وهذا يدل دلالة واضحة على دلمون وتمرها الذي اشتهرت به في النصوص المسمارية، وهذا ما يؤكد أن موقعها كان البحرين، كما رجح المؤرخ "أندرسون" تصوير الإله "أنكي" حيث عثر في بربار على خاتمين دلمونيين يبدو على أحدهما شكل للإله "أنكي" في قدس الأقداس المائي وفي الآخر منظر الزواج المقدس⁽³⁾.

كما تعتبر نظرية الأصل الجزيري التي جاء بها الدكتور "بهاء الدين الوردی" من أكثر النظريات إثارة ودهشة، ففي كتابه "حول رموز القرآن الكريم" يذهب الوردی إلى أن قوم "عاد" هم السومريون، وقد سعى باجتهاد واضح لإثبات ذلك ولكيفية نزوحهم من الجزيرة العربية معتمداً

(1) - للعراقيين القدماء الفضل في إعطاء تسميات للوقت وضبط تقسيماته بدقة متناهية، ولعل أصغر وحدة عرفوها هي الدقيقة التي عرفت في اللغة السومرية باسم Gis US والتي تعني كذلك درجة قياسية من الفلك، وهي تشكل 1 من 60 جزءاً من الساعة وهي مضاعفة عن الدقيقة في قياس الوقت الحالي، وتلي الدقيقة وحدة زمنية أخرى أكبر منها وهي الساعة التي تشكل 1 من 12 جزءاً من تقسيمات اليوم عند العراقيين، فقد عرفت دنا DANNA باللغة السومرية وهي ساعة مضاعفة عن قياس وقت الساعة المتعارف عليه بتوقيتنا الحالي أي كل واحد بيرو beru يعادل ساعتين بحسابتنا الحالية. ينظر: عامر عبد الله الجميلي، المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، دار دهوك، العراق، 2011م، ص ص 19، 20.

(2) - أحمد حسين أحمد، المرجع السابق، ص 282.

(3) - سلطان مطلق محمد صطام الدويش، المرجع السابق، ص 98.

على تحليل اللغة والكتابة السومرية، وقد اعتبر الوردى (الذي تأثر إلى حد كبير بأستاذه المستشرق رينو) أن "عاد" هم موجة سامية كاملة خرجت من الجزيرة العربية قبل الألف الرابع قبل الميلاد وتفرقت في الشمال العربي كله، ففي العراق صار العاديون سومريين وفي الشام صاروا الحيثيين وفي مصر صاروا الفراعنة وهكذا، ولا تعتمد هذه النظرية على أدلة أثرية كافية بل تحاول من خلال احتمالات تأويلية للغة والكتابة بسومرية وربطها بالعربية للوصول إلى حل مشكلات كثيرة، ولذلك يبقى التحفظ عليها قائماً وأساسياً⁽¹⁾.

كما يطلق عليهم نفس الباحث اسم "البشر العقارب"، حيث يقول بأن اسم "عاد" أطلق على شعب كثير العدد استقر بشمال الجزيرة العربية، عرف بالقوة والبأس في القتال، وترك العديد من الآثار في كل الأماكن التي حل بها ويمتد تاريخه إلى أكثر من ألفي سنة، ومعنى عاد في رأي الباحث "العقرب أو البشر العقرب" وترسم بالسومرية على شكل خنجر، وقد أورد مجموعة من الآيات القرآنية التي جاء فيها هذا الاسم ونذكر على سبيل المثال الآية 65-72 من سورة الأعراف، الآية 50-60 من سورة هود.

وبعد بحث مستفيض حول "عاد"، خلص المؤلف إلى عدة استنتاجات أهمها:

* ينتمي قوم عاد إلى فرع من فروع الأراميين. * عاد من أصل عربي.

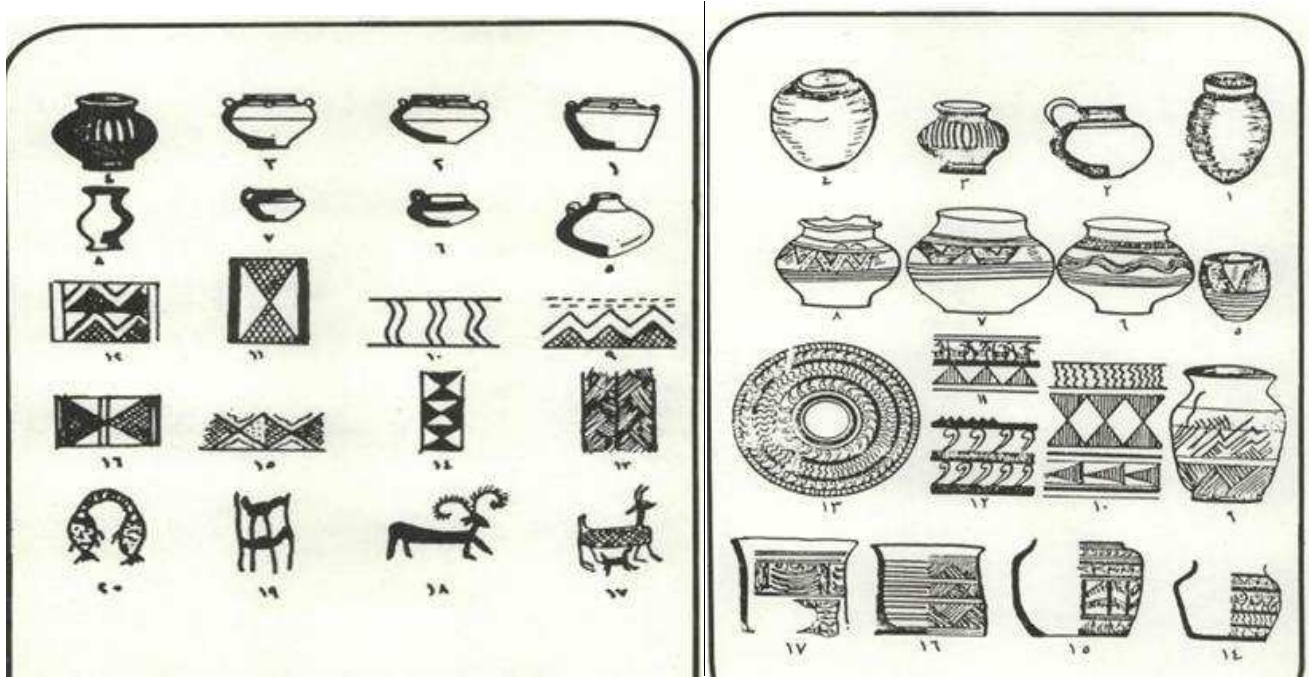
* عاد تكلمت بالعربية إلى أنها لم تفصح. * كانا من عبدة العقرب ومنها جاء اسمهم⁽²⁾.

مما سبق ذكره نرى الاعتراف الصريح للباحث "بهاء الدين الوردى" بالأصل العربي لقوم عاد وأنهم هم الذين مثلوا الجنس السومري، لكن في نظرنا تبقى هذه الحجج محل الشك والدليل على ذلك كون مفردات اللغة السومرية بعيدة تماماً عن مفردات اللغة العربية باستثناء بعض الكلمات، وأن قوم عاد قد عرفوا تاريخياً بالحجم الكبير والضخم في حين كانت معظم الأدلة الأثرية والتاريخية تشير إلى قصر قامة السومريين أو اعتدالها نوعاً ما.

(1)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 32، 33.

(2)- أحمد شحلان، آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات (قراءة في كتاب حول رموز القرآن الكريم)، ط1، منشورات كلية العلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2005م، ص ص 140، 141.

من هنا فاعتقد بعض الباحثين بقدم السومريين من الجنوب وربما عن طريق البحر⁽¹⁾، لأن بعض الأساطير والنصوص الأدبية والدينية وبخاصة ما يتصل منها بالرب "أنكي" إله الماء والأعماق، يمكن أن تربط أصول السومريين ببعض مناطق الخليج العربي التي بقيت في العصور التاريخية وثيقة الصلة بجنوب بلاد الرافدين مثل دلمون و"ماجان". (عمان) و"ملوخا" (ربما كانت وادي السند)، ولعل التنقيبات التي تجري حالياً على سواحل الجزيرة العربية من الخليج قد تؤدي إلى كشف تساعد في حل بعض جوانب المشكلة السومرية⁽²⁾.



-الفخار الخاص بالخليج العربي (على اليمين) ونظيره الخاص ببلاد الرافدين، فخار جمدة نصر(على اليسار) - (سليمان سعدون البدر، مكانة الخليج العربي في حضارة الشرق الأدنى القديم، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1980م، ص 28، 29). (نلاحظ التشابه الواضح في الصناعة الفخارية في كلتا الحضارتين ما يدل على وجود روابط حضارية قوية بينهما).

ويرى كذلك المؤرخ "عارف أحمد إسماعيل المخلافي" أن الموطن الأصلي للسومريين هو "دلمون" بحيث يحاول إثبات ذلك في قوله: "...إنهم جاءوا عن طريق البحر إلى جنوب بلاد

(1)-يتحدث الكثير من الباحثين عن هجرة السومريين ووصولهم إلى بلاد ما بين النهرين بحراً وذلك لأنهم أولاً ظهوروا قبل كل شيء في مصبات الأنهار، وثانياً لعب الدور الرئيسي في معتقداتهم الإله "أنكي" ذلك الإله الحكيم الذي كان بيته "أبسو" يقع بين المحيطين، وأخيراً ما كاد السومريون يقطنون ما بين النهرين حتى أخذوا يمارسون الري في الزراعة والإبحار وركوب السفن في الأنهار والمحيطات. ينظر: ك. ماتيف وأ. سazonوف، المرجع السابق، ص 60.

(2)-محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 53.

الرافدين في العصر السابق للوركاء أي في عصر العبيد، وأنهم سكنوا أول الأمر في دلمون التي تحمل مكانة بارزة في التراث السومري، ثم نزحوا بعد ذلك شمالا في اتجاه القسم الجنوبي من العراق والذي عرف فيما بعد باسم بلاد سومر، وذلك اعتمادا على العناصر الحضارية الجديدة التي تقترن عادة بوجود السومريين، والتي ظهرت في عصر الوركاء وجمدة نصر كالأختام الأسطوانية، النحت على الحجر، دولا ب الفخار والكتابة⁽¹⁾.

ب- نظرية الأصل السندي الهندي:

البعض الآخر يشير إلى قرابة اللغة السومرية باللغة الدراويدية⁽²⁾ في جنوب الهند، حيث يكتب العالم التشيكوسلوفاكي "ي. كليما": "إن التشابه الواضح بين مكتشفات مهنجودارو وخرابا⁽³⁾ الواقعة في أسفل نهر الهند وبين المكتشفات السومرية في جنوب بلاد ما بين النهرين تدعم هذه

(1)- عارف أحمد إسماعيل المخلافي، دراسات في تاريخ الشرق القديم (العراق وبلاد الشام)، ط1، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن، 2002م، ص 43.

(2)- نسبة إلى الدراويدين وهو الشعب الهندي الأصلي الذي كان يقطن المناطق الهندية الممتدة من الشمال إلى الجنوب ويتسم باللون الأسمر والأسود على حسب المناطق التي سكنها، لأن شمال الهند كان بعيدا عن خط الاستواء ولذلك اتسم سكانه باللون الأسمر المائل إلى الأبيض والأشقر في حين كان سكان جنوب الهند بسبب قربهم من هذا الخط قد سود لونهم، ولم نعثر بعد على آثار حضارية لهذا الشعب الأصلي منذ ظهور الإنسان على أرضنا حتى عام 2000 ق.م حيث عثر على مخلفاتهم الحضارية كالتماثيل والأدوات الحضارية الأخرى المحفورة لأن الشعب الذي تغلب على مقاليد الحكم في هذه الآونة كان أسود اللون، مما يدل على اندثار الجنس الأبيض الذي لم نتعرف على أصله على وجه التأكيد وإن كان من المرجح عند كثير من المؤرخين أنه كان ينتمي إلى المناطق الجبلية لبلوخستان وأفغانستان، ولذلك كان هؤلاء مشابهيي للسومريين إلى حد بعيد في ملامحهم العامة لأنهم جميعا ينتمون إلى نفس المناطق الجبلية. ينظر: محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، دار الشعب، القاهرة، 1970م، ص ص 56، 57.

(3)- تدل الاكتشافات الأخيرة على قيام حضارة راقية منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد في المناطق الشمالية والشمالية الغربية من الهند وهي الحضارة التي كثيرا ما تعرف بحضارة الهندوس Indus، وكانت البراهين القائمة حتى الفترة الأخيرة توحي بأن هذه الحضارة كانت مقتصرة على منطقتي موهنجودارو Mohenjodaro وخرابا Harapa وإن كان قد عثر على بعض آثارها في الحقبة الأخيرة في وادي نهر "ستلج Sutlej" في "جيسلمير Jaisalmer" من أعمال "راجستان Rajasthan"، وامتدت هذه الحضارة إلى أبعد من ذلك جنوبا قرب "أحمد آباد" وقد غدا من الواضح أن هذه الحضارة القديمة لم تنحصر في وادي الهندوس بل انتشرت شرقا وغربا فشملت نصف شبه القارة الهندية. ينظر: همايون كبير، التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث، تر: ذكر الرحمن، مر: عمر الأيوبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2003م، ص ص 07، 08.

الافتراضات بقوة⁽¹⁾، وفي نهاية المطاف طرح رأي يقول بأنه من الممكن اعتبار المقاطعة الغربية من الهند الصينية الموطن الأصلي للسومريين⁽²⁾.

وينافي المؤرخ "محمود أمهر" هذا الرأي تماماً حيث يقول: " كما لم يتوصل اللغويون رغم الجهود المتواصلة إلى اللغة السومرية بالدرافيدية (في جنوبي الهند) مع أن ثمة قواسم مشتركة نجدها في الحضارتين الهندية القديمة والسومرية كتقسيم المفردات إلى نوعين: أسماء الأشخاص وأسماء الأشياء وفق طريقة اتبعت في سومر والهند، لذلك يعتقد البعض أن السومريين أتوا من الشرق واستوطنوا مناطق إيران الجنوبية قبل أن يستقروا نهائياً في دلتا دجلة والفرات، ويتبين من دراسة أسماء الملوك الأوائل والأسماء الجغرافية القديمة أنه كانت هناك جماعة من الساميين وأخرى غير سامية خضع أفرادها لنفوذ السومريين"⁽³⁾.

وللبرهان على هذه الفرضية يستند الباحث "صمويل كريمر" إلى الملحمة السومرية التي تسمى "دلمون" تلك البلاد حيث "تبزغ الشمس منها" وهي أقرب ما تكون إلى حوض نهر الهند منها إلى جزيرة البحرين، كما ليس من السهل تحديد تاريخ وصول السومريين إلى الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين، وتتحدث المكتشفات الأثرية عن وجود قفزة ثقافية حادة في النصف الثاني من الألف الرابعة قبل الميلاد، ويفسرون ذلك بوصول شعب إلى هناك حيوي ذو مستوى رفيع من التطور من المتوقع أنه السومريون الذين عندما قدموا إلى جنوب ما بين النهرين لاقوا مقاومة عنيفة من السكان المحليين الذين عاشوا هنا منذ أقدم العصور، فأخذ السومريون يقطنون هذه البقعة من الأرض تدريجياً وبموجات ابتدأت من نهاية الألف الرابعة⁽⁴⁾ وحتى بداية الألف

(1) -من بين المكتشفات الأثرية أنه وجدت أحجار مصقولة تشير إلى وجود ألعاب عند حضارة وادي الهند تشبه ألعاب أرض الرافدين مثل لعبة النرد مكعبة الشكل وكذلك توجد إشارات أخرى بوجود تشابه بين الهند والعراق. ينظر: محمد إسماعيل الندوي، المرجع السابق، ص 34.

(2) - ك. ماتيف وأ. سازونوف، المرجع السابق، ص 53.

(3) -محمود أمهر، المرجع السابق، ص 19.

(4) -ضمن هذا الإطار أي سيطرة السومريين فيرى المؤرخ "جان بوتيرو" أن هؤلاء أقبلوا إلى هذه البلاد أي بلاد ما بين النهرين خلال الألف الرابع ق.م، ويبدو أنهم قدموا من الجنوب الشرقي، ولكننا لا نعرف شيئاً عن صلاتهم السابقة ويظهر أنهم قطعوا كل صلة بموضع سكنهم الأول الذي لم يتلقوا منه أبداً أي دم جديد (المقصود هنا انقطاع كلي للهجرات السومرية من مواطنها الأصلية)، وكانوا في البدء العنصر المهيمن في الجزء الجنوبي من البلاد الذي دعى بعدئذ "سومر". ينظر: جان بوتيرو، بلاد

الثالثة قبل الميلاد، وبذلك أزاحوا السكان المحليين الذين حسب رأي "كريم" هجروا ما بين النهرين متوجهين إلى حوض نهر الهند حيث قطنوه حوالي عام 2800 قبل الميلاد، لقد خلف هؤلاء السكان وراءهم ثقافة عالية انتقلت فيما بعد إلى السومريين، وبهذا الشكل ترسم معالم إحدى أهم التوجهات التي لم يشك العلماء فيها أبداً، وبكلمة أخرى يعتبر العبيديون أسلاف السومريين أو السومريين القدامى النازحين من مواطنهم الأصلية إلى بلاد مخنجو دارو أي إلى بلاد الهند، فهم لم يبقوا وينقلوا للسومريين جزءاً هاماً من ثقافتهم في ما بين النهرين فحسب بل ونقلوا جزءاً هاماً منها إلى مواطنهم الجديد⁽¹⁾ أيضاً ومن هنا يأتي التشابه الكبير بين ثقافتَي السومريين وموخنجو دارو⁽²⁾.

كما لا يمكن الفصل بصورة قاطعة في حقيقة السكان الذين استوطنوا منطقتي موهنجودارو وخرابا أو التثبت من الأماكن التي نزحوا إلى الهند منها، لكن البقية الباقية من آثارهم تشير إلى وجود تشابه مدهش بينهم وبين سكان "سومر" وللمؤرخين آراء شتى في تحليل هذا التشابه، فيرى بعضهم أن هذه الحضارة امتدت من حوض الهندوس باتجاه غربي حتى بلغت شواطئ دجلة والفرات، واعتقد بعضهم الآخر بأنها وصلت إلى الهند من سومر، ومهما يكن من أمر فإن هذه الحضارة كانت قد بلغت درجة من النضوج حوالي عام 3000 قبل الميلاد، لذا يجوز لنا أن نقرر بأن بدايتها ترجع إلى ما قبل ذلك التاريخ بخمسمائة عام⁽³⁾.

الرافدين (الكتابة-العقل-الآلهة)، تر: ألبير بونا، مر: وليد الجادر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1990م، ص 94.

⁽¹⁾ -بخصوص الهجرة فيشير المؤرخان "سعدون عبد الهادي و"عقيل عيد الله ياسين" إلى نقيض هذه الفكرة حيث يقولان: "والظاهر أن العلاقات بين بلاد الرافدين والهند لم تقتصر على التبادل التجاري، بل كان على ما يرجح استيطان في بلاد سومر، فقيام العلاقات التجارية تزامن معه ومنذ عام 2800 ق.م استقرار تجار هنود جاءوا من منطقة بلوخرستان (شمال غرب الهند) في بلاد سومر، وقد شكل هؤلاء التجار الهنود جماعات صغيرة منغلقة على نفسها في ممارسة طقوسها وعاداتها الخاصة بها في منطقة استقرارهم الجديدة". ينظر: سعدون عبد الهادي وعقيل عيد الله ياسين، الصلات التجارية والثقافية بين حضارتي العراق والهند في التاريخ القديم (2800-539 ق.م)، مجلة كلية التربية، العدد 10، جامعة واسط، العراق، ص 221.

⁽²⁾ -محمود أمهز، المرجع السابق، ص ص 54، 55.

⁽³⁾ -همايون كبير، المرجع السابق، ص 08.



-إحدى الأختام التي عثر عليها في منطقة واد السند والتي تدل على النضج الحضاري المبكر-

(Guy Metraux, **Histoire de L'humanité**, le courrier (UNESCO), 1963, p 08.)

(تمثل النقوش الخاصة بالثور عاملا مشتركا بين العديد من الحضارات والمدنات الأولى وهي: حضارة واد السند، الحضارة الرافدية وحضارة شتال هيوك⁽¹⁾ التركية وحتى شبه الجزيرة العربية⁽²⁾، الأمر الذي يدل على عمق وقدم الصلات الحضارية بين هذه المناطق).

(1)-تعتبر من أهم المواقع الأثرية في بلاد الأناضول فقد كشف عن هذا الموقع علم 1965م، كما يعتبر من أكبر مواقع الشرق الأدنى القديم والذي يرجع تاريخه إلى حوالي عام 6500 ق.م أو 5720 ق.م، ويبدو أن المنطقة التي كشف عنها كانت منطقة معابد ولها مساكن للكهنة ومبينة من الطوب اللبن ويغطي جدرانها طبقة من الجص وملونة، أما السقف فكان مبني من البوص ومسطح، وقد بنيت هذه المساكن بالقرب من بعضها البعض لذلك يمكن الوصول إليها عن طريق السقف، أما معابدها فكانت مزينة بنقوش من الجص على جدران صلبة، وتمثل هذه النقوش رؤوس حيوانات وخاصة رأس البقرة أو الثور، ولم يعثر على موائد للقرابين وقد عثر على معبد في المستوى السابع للحفائر وكان مزينا في الجانب الشرقي منه برأس ثور والذي عثر إلى جانبه على فتحة كانت مخصصة لوضع الأدوات التي كانت تستخدم في الطقوس. ينظر: رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 09.

(2)-عثر على رأس ثور من النحاس بمعبد باربار الثاني بمملكة البحرين ويبلغ ارتفاعه 18 سم، وتؤرخ هذه الرأس بنهاية الألف الثالث ق.م وبداية الألف الثاني ق.م، وهي محفوظة الآن بمتحف البحرين الوطني تحت رقم 44، وصنعت هذه القطعة بطريقة الشمع المفقود، كما يلاحظ أنها مجوفة من الداخل، وأن قمة الرأس بين القرنين مزخرفة ومزينة بخطوط بارزة كما يلاحظ أن العينين كانتا مطعمتين في الغالب، وقد عثر على رأس مشابهة لهذه الرأس في موقع "خفاجة" في مدينة "أور" ببلاد الرافدين. ينظر: وليد محمد صفائي، المصنوعات المعدنية في شبه الجزيرة العربية منذ بداية الألف الثالث ق.م وحتى نهاية الألف الأول ق.م دراسة مقارنة بمثيلاتها في حضارتي بلاد النهرين ومصر القديمة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، إش: علي رضوان، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر، 2012م، ص 98.



-إناء من الستاتيت مستورد من بلوخستان، يظهر فيه تمثال سومري وثعبان منقط وثور محدب الظهر وهو نوع حيواني غير معروف في بلاد الرافدين- (سيتون لويد، المرجع السابق، ص 163). -نلاحظ على الإناء بيئة شبه مطابقة لبيئة بلاد الرافدين وبالتحديد البيئة الموصوفة من طرف السومريين من حيث الجاموس الذي يربى في منطقة الأهوار، وجود مياه أو نهر في مؤخرة الإناء ونباتات أو بالأحرى ما يشبه القمح البري-

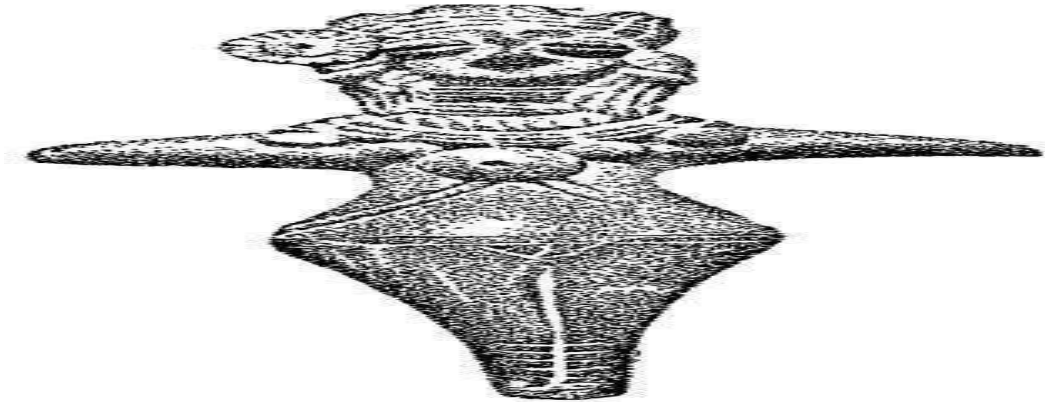
من ناحية أخرى فإن وجود ملامح متشابهة بين وجوه السومريين وسكان وادي نهر الهند دعا كثيرا من علماء الآثار إلى القول بأن السومريين كانوا من الأصل الهندي وقد نزحوا من المناطق الجبلية للهند والتي تسمى ببلوشستان واستولوا على مقاليد الحكم في أرض الرافدين وسميوا بالسومريين، وقد ألفت كتب ومقالات باللغات الإفرنجية في هذا الموضوع، كما يضيف نفس المؤرخ معلومات قيمة في هذا الصدد حيث يقول: "ولكننا نرى على ضوء هذه البحوث والنتائج الحفرية أن سكان المناطق الجبلية من بلوشستان (وهي الواقعة الآن في باكستان الغربية في الحدود المتاخمة لأفغانستان) وأفغانستان ومكران وعيلام كانوا كلهم من أصل واحد واتسموا بملامح متشابهة ولهجاتهم متقاربة وألوانهم متماثلة وكانت حياتهم تعتمد على خيرات الجبال لذا اشتهروا بالعنف والقوة والهمجية، وبما أن موارد تلك المناطق الفقراء المتوحشة كانت قليلة للغاية فقد اضطروا بين الحين والآخر إلى الزحف نحو المنطق السهلية الخصبة على ضفاف الأنهار وكان نهرا دجلة والفرات يقعان في الغرب وفي الشرق نهر الهند وروافده، ولذلك اتجهت القبائل

القريبة من نهر الهند إليه، والقبائل القاطنة في جبال عيلام إلى أرض الرافدين واستولت على مقاليد الأمور في تلك البلدان الغنية الخصبة بما أعطيت من القوة والبطش والبسطة في الجسم بسبب إقامتها في الجبال، وصورة مماثلة قد حدثت في نفس العصر تقريبا حينما نزحت الأمة الهندية الأوروبية الساكنة في جهة بحري قزوين والأسود إلى المناطق الأوروبية الخصبة والأناضول، وكذلك حينما نزحت الأمة السامية أو العربية القاطنة في الجزيرة العربية إلى أرض الرافدين وبلاد الشام⁽¹⁾.

وقد أثبت العالم الإنجليزي "وولي Wooley" العلاقة الوثيقة بين الثقافات العبيدية والهندية والسومرية، فقد عثر في تل العبيد على الشيء الذي يهتما في مسألة استقصاء الموطن الأصلي للسومريين، لقد كان ذلك ختم وشم يحمل صورة ثور أحذب على طراز موخنودارو، كما نقشته عليه مخطوطة تشبه كتابة سكان وادي نهر الهند، وتقع هذه المنطقة في منخفضات نهر الهند حيث اكتشف علماء الآثار هناك رقيمات أثرية تبين الثقافة الهندية القديمة العائدة للألف الثالث قبل الميلاد، إن هذه الرقيمات تشهد في الوقت ذاته على قرابة ثقافة هذه المنطقة وبلاد النهرين القديمة، وكتب الباحث "ي. كليما" عن العلاقات المتبادلة والتماثل بين السومريين وسكان الهند القدامى، حيث يقول: "وفي المقبرة الملكية عثر على خزرات من العقيق مرسوم عليها أشكالاً هندسية مصبوغة بنفس الطرق الكيميائية التي استعملت في معاملة المواد الأخرى في موخنودارو، ومن غير المعقول أن تكون هذه الطريقة قد اكتشفت في بلدين أحدهما عن الآخر في وقت واحد تقريبا ولا نشاهد في وقت متأخر في أور مثل هذه المعاملة للخزر، أما في الهند فيتطور هذا الفن ويزدهر تباعا حتى يومنا الحاضر⁽²⁾.

(1) -محمد إسماعيل الندوي، المرجع السابق، ص ص 25، 26.

(2) -ك. ماتيف وأ. سارونوف، المرجع السابق، ص ص 55، 56.



-أحدى المعبودات في وادي السند (2000 ق.م) - (رالف لنتون، شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث، تر: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو- مصرية، (د.ت)، ص 142). -نلاحظ من خلال الشكل التشابه الواضح بين معبودة وادي السند والمعبودة عشتار في وادي الرافدين، وهذا لربما يدل على الأصل المشترك للمعتقد الديني-

وقد عثر في بعض قلاع هارابا (في نهر الهند) وأطلاله المطمورة تحت الأرض على قطع فخارية صنعت بالعلجة⁽¹⁾ لم تكن لها علاقة بالهند بتاتا، وهي تشير إلى كون أهلها غير متحضرين ينتمون إلى بلوشستان ويرجع تاريخهم إلى عصر ما قبل حضارة هارابا، وكذلك حفريات أوأن فخارية كثيرة في مناطق عديدة من وادي نهر الهند وفي قرية أمري "Amri" بالذات في بلدة ماجوندار "Majundar" تشير كلها إلى أنها صنعت قبل ظهور حضارة وادي نهر الهند، وأنها بدائية للغاية صنعت بالعلجة وأشكالها وزخارفها مختلفة غامقة اللون ومزخرفة بالأنماط الجبرية زوايا الشكل متصلة الحلقات وتحمل فأسين أو ذات أضلاع متساوية وزاويتين حادتين متفرقتين أو مربعة الشكل مغطية ومرسومة بخطوط سوداء أو حمراء أو رمادية، وأنها تشير إلى بداية عهد وادي نهر الهند وحضارته إلا أنها كانت منتشرة ومعروفة في أرض الرافدين في حضارة "أوروك" خلال فترة 3200-3000 ق.م وهذه الظاهرة تذهب بنا إلى الظن باستيراد الهند لهذه الأدوات من أرض الرافدين ولكنها ليست قوية، والمرجع أن الهند حاولت محاكاة أرض الرافدين في أدواتها الحضارية خلال عصري "أوروك" و"جمدة نصر" ونجحت في هذه المحاولة وصنعها على أنماط

(1)-علجة يديرها الفخاري أو مساعده باليد ثم تطورت فصارت تدار بالرجل، ثم أضحت في الوقت الراهن تدار بقوة التيار الكهربائي، وحين تدور العلجة تدير قرصا مثبتا فوقها توضع عليه المادة التي تصنع منها الأنية الفخارية أو الخزفية، اخترعت هذه العلجة في مصر في حوالي 5000 سنة ق.م ولم تعرفها أوروبا إلى بعد 2500 ق.م. ينظر: شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، ط1، جامعة الكويت، 1981م، ص 763.

أرض الرافدين، وبهذا تم تبادل الخبرات الفنية بين المنطقتين كما تم تبادل السلع التجارية والحضارية من قبل⁽¹⁾.

وهناك عدة آراء تفرض وجود تشابه أوائل طرز الفخار السومري القديم وزخارفه في بلاد الرافدين مع نماذج الفخار القديمة التي انتشرت جنوباً حتى منطقة خرابا موهنجدارو بـ سهل "أكسند"، ذلك مما يوحي بروابط جنسية حضارية بدائية قديمة بين أهل هذه الناحية الذين سبقوا الأجناس الهندو-أوروبية في سكناها والذين يكفي أن يقال عنهم من الفروع المبكرة للسلاسل الآسيوية والآسيانية⁽²⁾، وذلك مع تقدير ما ألمحت إليه الأساطير السومرية أن أصحابها الأوائل هاجروا من الجنوب عن طريق البحر في عصور كان الناس على أربع على حد زعمها⁽³⁾.

فقد كان الخليج العربي طريقاً اقتصادياً هاماً يربط بين مدن جنوب بلاد الرافدين ودلمون وماجان من جهة وبين حضارة حوض نهر السند المعروفة باسم ملوखा أو ملوفا من جهة أخرى، كما تدل على ذلك نصوص وكتابات بلاد الرافدين التي أكدت وقوع هذه الحضارة في مكان خارج منطقة الخليج العربي وتأتي في ترتيبها الثالث بعد دلمون وماجان، وقد ضمت ملوखा أراض واسعة من شبه القارة الهندية تشمل حوض نهر السند بأكمله وشمال أفغانستان إضافة إلى مناطق كبيرة من شمال غرب الهند، وشبه جزيرة الكوجرات، وكان لهذه الحضارة ثلاثة مراكز رئيسية هي هارابا وهي الواقعة الآن بالقرب من قرية كبيرة تدعى "مونتجومري" في الجزء الجنوبي الغربي من إقليم البنجاب، وكانت في القديم مدينة محصنة ويبدو أنها تعرضت للغزو ما أدى على إحراقها كما هو واضح من آثارها، ويتضح من تخطيط المدينة أنها صممت لتضم أناساً كثيرين وبها شوارع وممتنزهات وبيوت فخمة وحمامات عامة، و"موهنجودارو" (تل الموتى) الواقعة على بعد 575 كم من بلدة "رحمان ديري" و"كاليباجان"، وتعتبر أكبر المواقع الأثرية في حوض نهر السند إذ تغطي مساحة 250 هكتاراً، إضافة إلى شمولها حضارياً لبقية أراضي حوض نهر السند، ولم تكن هذه المدينة محصنة قديماً ولعلها كانت مفتوحة باستثناء قلعة كانت موجودة بها، ودلت آثارها على

(1)- محمد إسماعيل الندوي، المرجع السابق، ص ص 29، 30.

(2)- هي تسمية أطلقت على مجموعة شعوب تميزا لها عن الشعوب الآسيوية ومن بينها: الغيلاميون، الكاشيون، الحوريون، الكلدانيون. ينظر: محمود أمهز، المرجع السابق، ص ص 29، 30.

(3)- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر. العراق. إيران)، ص 252.

حضارة متميزة، وكشفت عن مخططات مدن⁽¹⁾ وبقايا بيوت ومخازن غلال وأوان فخارية وبرونزية، ويبدو أن التجارة كانت السبب الرئيسي في ازدهار هذه الحضارة إذ كانت ترتبط في الداخل بشبكة طرق تجارية برية، كما كان لها ارتباط بالبحر والملاحة والتواصل مع العالم الخارجي⁽²⁾.



-وادي السند والخليج العربي مع بيان مناطق الاتصال البحري- (وضح القرب الجغرافي للمناطق الحضارية المبكرة دلمون، وادي السند وبلاد الرافدين، وهذا الأمر قد يفسر إلى حد مدى وجود روابط حضارية قوية بين هذه المناطق) (غلين دانيال، المرجع السابق، ص 131).

في حين يرى المؤرخ "وادل" أن وحدة النوع والمصدر للحضارات السومرية الرافدينية الهندية المصرية على وفاق مع التكوين الجسماني للشعب الحاكم في جميع هذه البلاد الثلاثة، والذي يظهر في صورههم ومنحوتاتهم بقايا هياكلهم العظمية، والتي هي برؤوس طويلة شعر أشقر وعيون

(1)- لم يكن تخطيط المدن غير معروف في بلاد وادي الرافدين، ففي العصور الأولى نمت المدن تدريجياً حول منطقة المعبد، ولكن في العهد الآشوري الحديث خلال الألف الأول ق.م قام الملوك في حالات عديدة ببناء مدن جديدة وفق مخططات معينة ومن أمثلة ذلك مدينة "كالح" (النمرود الحالية) والتي قام بتعميرها وتجديدها الملك "ناصر بال الثاني" خلال فترة حكمه الممتدة ما بين (883-859 ق.م)، وقد اتخذها عاصمة له، وكانت مثل هذه المدن الملكية تخطط بعد أن تؤخذ المستلزمات العسكرية بنظر الاعتبار، ومثال آخر "دور شروكين" (خرسباد) التي خططت وشيدت من طرف الملك "سرجون الثاني" كعاصمة جديدة على موقع قرية صغيرة. ينظر: رائد راكان قاسم عبد الله الجواري، المفاهيم الجغرافية البشرية في حضارة وادي الرافدين، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 04، العدد 02، جامعة الموصل، العراق، 2006م، ص 155.

(2)- أحمد محمد بن صراي، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي شرقي آسيا من القرن 3 ق.م إلى القرن 7 ق.م، الجمعية التاريخية السعودية، الإمارات، 2006م، ص ص 27، 28.

شهباء أو زرقاء، عرفها المعاصرون على أنها قد كانت علامات مميزة للقسم الآري من الجنس القوقازي⁽¹⁾.

الواضح من الفكرة أنها بعيدة نوعاً ما عن الواقع، ودليل ذلك أن الصفات الغالبة اليوم على المجتمع الهندي هي البشرة السمراء والشعر الأسود خلاف ما تمت الإشارة إليه في الفقرة، وكذلك هو الأمر بالنسبة للشعب المصري القديم، والذي تظهره الرسومات والمنحوتات بملامح حامية أكثر منها آرية.

وبالرغم من أنه جرت تنقيبات واسعة في المواقع الرئيسية في هارابا وموهنجودارو، كما أجريت مجسات في أماكن أخرى كثيرة، إلا أن أصول هذه الحضارة لا يزال غير معروف، وكما قال "سير مورتيمر هويلر: " إنه لمن الصواب أن نثبت أن فكرة المدينة قد جاءت إلى السند من أرض النهرين التوأمين (العراق)، وفي الحقيقة بالرغم من وجود اختلافات كثيرة في التفاصيل إلا أنه من الصعب أن نقترح أي بديل معقول " ⁽²⁾.

ت-نظرية الأصل العيلامي:

يعتقد بعض الباحثين أن التحول المفاجئ في بداية عهد أوروك يرتبط بمجيء شعوب جديدة تجيد صناعة المعادن، وتحمل بعض المعالم الحضارية الخاصة فينسب إليهم اكتشاف عجلة الخزاف ونوع من الخزف⁽³⁾ ذي لون واحد حل محل أواني العبيد الفخارية الملونة، واستناداً إلى هذه المظاهر الجديدة تبين أن هؤلاء الغزاة الجدد انتشروا في رقعة جغرافية واسعة شملت أعالي دجلة والفرات، وكذلك الهضبة الإيرانية حيث انتشر الخزف الجديد رغم استعمال النحاس،

(1)-عبد المنعم المحجوب، أصوات بابل (مقاربات جينالوجية في اللغة والحراك السوسيو ثقافي الأفروآسيوي)، ط1، تانيت للنشر والدراسات، (طرابلس، تونس، الجزائر، الرباط)، 2014م، ص ص 30، 31.

(2)-حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص ص 341، 342.

(3)-يتصف خزف العبيد عادة بأنه مدهون بلون كامد وحيد يميل إلى الخضرة الفاتحة، والمواضيع التزيينية وهي هندسية على الأغلب هي أكبر حجماً ومرسومة بشكل أقل إتقاناً وأكثر ثباتاً مما هو في حضارة حلف، ونوع العجينة التي صنع منها هو بصورة عامة أقل نعومة وشواء الأدوات المصنوعة هو أقل جودة وقد حل هذا الخزف محل خزف حلف، وقد يدل انتشاره الواسع من زاجروس إلى البحر المتوسط وإلى شواطئ الخليج العربي، واكتشاف آثاره في حوض الخابور والبلخ في الجيرة على قدوم عناصر جديدة من السكان كانت أشد بأساً وأكثر قوة من سكان حلف، ويمكن أن يلاحظ أن قسماً من هذا الخزف صنع بالدولاب وهو أداة تساعد على إنتاج أكثر غزارة على حسب الإتقان في الصنع، ولكن صناع "عصر العبيد" يبرهنون على تفوقهم على سابقيهم من حيث المقدرة على استخدام المادة وتنويع الأشكال. ينظر: محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 25.

وقد تبين أن هذا الخزف ظهر في مناطق أخرى مثل شوش وسيلك⁽¹⁾ وحيسار وأناو وفي عشرات من مواقع في الهضبة الإيرانية تعتبر جميعها متأخرة تاريخيا عن أوروك، ويبدو أن شوش⁽²⁾ القريبة من منطقة الخليج أخذت هذه المعالم الحضارية عن جنوبي بلاد الرافدين وقبل أن تنتقل إلى سيلك ومن ثم إلى مناطق إيرانية أخرى، إلى حيسار وأناو في أقصى الشمال، وهكذا يبدو أن انتشار هذه المعالم الحضارية كان من الغرب نحو الشرق⁽³⁾.

إضافة إلى ذلك عثر في مدينة "شوش" على أعداد كبيرة من الأختام، كثير منها نصف كروي ويعبر عن تطور النحت في المدينة، فرسومها إما خطية أو حيوانية ذات مظاهر هندسية قاسية وهي تشبه النماذج التي عرفت في بلاد الرافدين في نهاية عهد العبيد وبداية أوروك⁽⁴⁾. ولقد كثرت الأدلة على وجود قبائل بدائية سكنت البلاد الإيرانية قرب وديان الأنهر منذ بداية الألف الخامس قبل الميلاد، حيث عثر في "سوزا"⁽⁵⁾ الواقعة جنوب شرق بلاد النهرين على

(1)- تقع في هضبة إيران وفي جنوب شرق طهران، عثر الباحث "جيرشمان" في أوطأ طبقات إحدى التلال على بقايا قرية من عصر مبكر جدا، وقد احتوت هذه القرية على منازل مبنية وكان لدى أهلها نوعان من الفخار، كما عثر فيها المنقبون على أدوات من المعدن لات عدو بضع دبابيس من النحاس المطروق، وهي تمتاز بذلك دون سائر القرى الأخرى التي يرجع تاريخها إلى هذا العصر، وكانت من عادة سكان سيلك دفن موتاهم تحت أرضية بيوتهم وتغطية أجساد الموتى بمادة المغرة الحمراء. ينظر: أحمد فخري، المرجع السابق، ص 20.

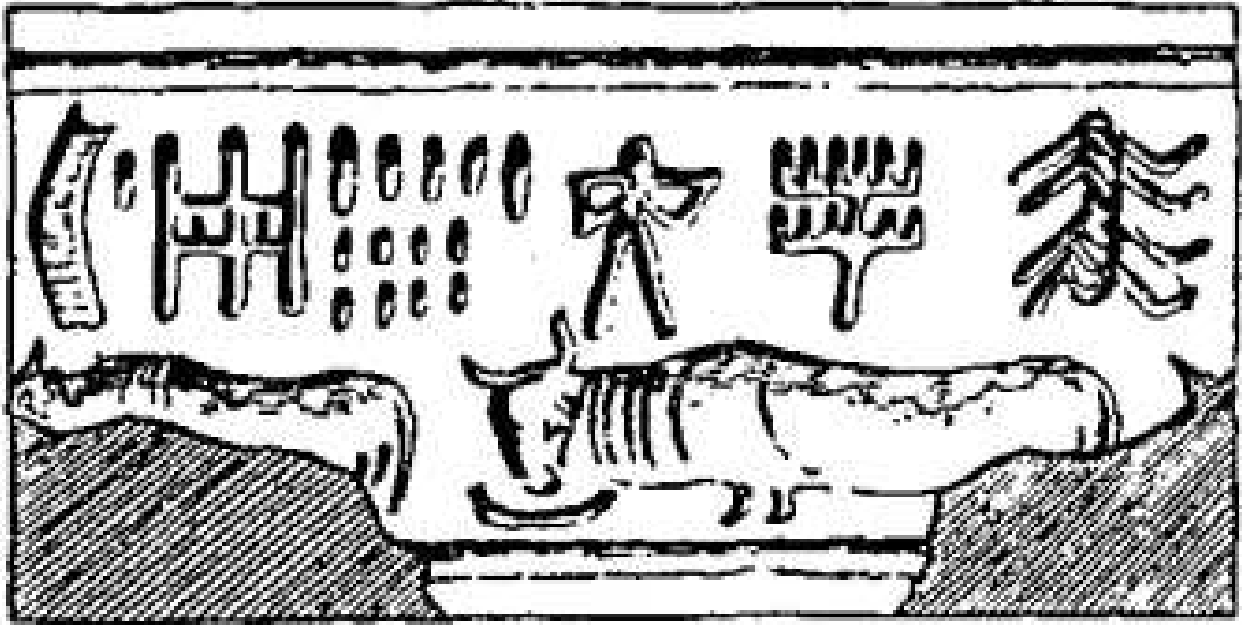
(2)- بخصوص التشابه الحضاري ففي نهاية شوش (A) يبدأ عهد جديد يتمثل في تنوع كبير في الآثار المكتشفة التي قسمها الباحث "بروتون" إلى ثلاثة مراحل (B.C.D) تقابل الفترة ما بين عهد أوروك وبداية العصور التاريخية، لذا التي تهم هما المرحلتين (B.C) ففي المرحلة الأولى شهدت شوش (B) تحولا كبيرا تميز بتقاربها من أوروك في الوقت الذي تحققت فيه منجزات حضارية عظيمة في جنوبي الرافدين، كان لها تأثير كبير حتى في المناطق البعيدة مثل سيلك في الهضبة الإيرانية، وخزف هذه المرحلة صنع بواسطة الدولاب وهو يشبه في بعض أشكاله خزف أوروك، وكثرت أيضا الأواني الغير ملونة التي تعكس أشكالها محاولة تقليد الأواني المعدنية، وفي المرحلة (C) شهدت شوش تحولا حضاريا تمثل بظهور الكتابة التي جاءت كما في سومر لتعبر عن حاجات اقتصادية، وكتلت هذه اللوحات المعروفة باسم "ما قبيل العيلامية" بالأشكال الصورية القريبة من الكتابة السومرية واستعملت هذه الكتابة حتى عهد إمبراطورية أور للتعبير عن اللغة المحلية. ينظر: محمود أمهز، المرجع السابق، ص 89.

(3)- نفسه، ص 19.

(4)- نفسه، ص 88.

(5)- كان هدف الحفريات الكشف عن ثلاثة مواقع وهي التلال الأثرية في المنطقة والساحة الرئيسية للقصر وأخيرا المدينة الملكية، وقد تم الحفر إلى غاية المستوى الثاني بمعنى 25 مترا بسمك يتراوح ما بين 7 و 11 مترا، وقد تم استغلال مستوى اصطناعي سمكه متر ونصف ما بين سنتي 1912م و 1913م وكذا عام 1922م، وقد بلغ مستوى الحفريات في الجزء الجنوبي الغربي القاع الصخري (في حدود 9 متر)، وخلال عام 1908م حدد شمالا باستعمال الآجر لكن هذا التوسيع ما بين عامي 1909م و 1910م لم يأت بنتائج، وقد حفر كذلك في الجزء الجنوبي الشرقي في نفس المستوى لكن دون فائدة رغم بلوغها المستوى الثالث (20 متر) وبلوغ الحفائر تربة قديمة دون العثور على وثائق. ينظر:

أحسن مجموعة من الأواني الفخارية المزخرفة برسوم سوداء أو بنية على أرضية بيضاء، وتمثل هذه الزخارف حيوانات وطيورا تأخذ أشكالا هندسية، ويظهر في الجزء الأوسط لزخارف إحدى هذه الأواني حيوان ذو قرون منحنية، ونلاحظ بأعلى الإناء رسوما لحيوانات من ذوات الأربع جالسة، بينما نرى حول العنق صفا من الطيور المائية ذات السيقان الطويلة مرسومة في وحدات متكررة زخرفية، وتدل صناعة هذه الأواني بالإضافة إلى ما عثر عليه من دبابيس وأختام على حضارة مبكرة في إيران، وتقابل هذه المرحلة "عصر ما قبل العبيد" في بلاد النهرين، ولقد ظهرت وحدات حيوانية مرسومة فوق أواني بلاد النهرين تطابق تماما الحيوان ذا القرون المنحنية المرسوم على أواني حضارة "سوسا"، ولكن هذه الرسوم الأخيرة تدل على تميز القبائل الإيرانية بذوق فني عن القبائل المعاصرة في بلاد النهرين، كما تؤكد أن "أهل العبيد" هاجروا من الهضبة الإيرانية⁽¹⁾.



-ختم أسطواني متطور عثر عليه في سوزا- (J. De Morgan, *Les Premières Civilisations*) études sur La Préhistoire et L'Histoire jusqu'à la fin de L'Empire Macédonien, édit Ernest Leroux, Paris, 1909, p 188.

-يلاحظ على الختم صورة لثور، وهو يشترك في هذا الموضع مع أختام بلاد الرافدين، منطقة شتال- هيوك في بلاد الأناضول وكذلك حضارة نهر السند، وهو الأمر الذي يدل مبدئياً على وجود صلات حضارية وثيقة بين هذه المناطق-

V. Scheil et F. Thureau -Dangin, *Revue D'Assyriologie et D'Archéologie Orientale*, Vol 21, 1924. P 14.

(1)-نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص 63.

كما عثر على ثقافات حضرية للمزارعين ومربي الماشية العيلاميين في أودية روافد دجلة، ثم في بلاد الرافدين العليا وتعد في حقيقتها الجوهر الأساسي في النجاحات التالية لثقافات هذه البلاد، وترجع هذه الثقافة إلى الألف السادسة قبل الميلاد سميت بثقافة "حسونة"⁽¹⁾.

ويؤكد هذه الفكرة المؤرخ "أحمد أمين سليم" حيث يقول: "...وتمت الصلة بين إيران والعراق كذلك من خلال الأنهار التي تصب في نهر الفرات، وبصفة خاصة نهري الزاب وديالي"⁽²⁾، ولقد انتشرت بواسطة هذين النهرين العديد من المظاهر الحضارية بين المنطقتين وبصفة خاصة بعض أنواع الأواني الفخارية وزيناتها، وكان لامتداد سلاسل زاجروس ناحية الشرق عند نهايته الجنوبية أثر كبير في اتساع الصلات ما بين منطقة السهول في جنوب العراق ومنطقة سوزيانا⁽³⁾. الإيرانية، فهذه المنطقة من إيران من الناحية الجغرافية لا يمكن التفرقة بينها وبين المنطقة المجاورة لها في جنوب العراق، ووجدت بالفعل في عصر حضارة الوركاء في العراق القديم صلات مميزة في الفنون والمنحوتات بين المدن السومرية ومنطقة سوسة، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح في نماذج الأختام الأسطوانية⁽⁴⁾ التي كانت تنحت أحيانا في أشكال متطابقة في كلا المنطقتين⁽⁵⁾.

نلاحظ من خلال رأي المؤرخ صعوبة الفصل بين الحضارتين في عدة نواحي وهذا حسب اعتقادنا لا يمكن اعتباره كدليل على الأصل الواحد المشترك وإنما ربما يدل على التشابك والتشابه الحضاري للمنطقتين تبعا للعوامل الجغرافية والتاريخية.

(1)-ديكانوف ي.م وآخرون، تاريخ الشرق القديم (نشوء المجتمعات الطبقيّة القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية)، ط2، تر: محمد العلامي، مر: خلقي خنفر، دار الفكر، الأردن، 2014م، ص 69.

(2)-نهر في بلاد الرافدين طوله حوالي 442 كم، آخر الروافد المهمة على شاطئ دجلة الأيسر قبل شط العرب، قامت على ضفافه مدن مزدهرة منذ العصور القديمة عثر فيها على معابد من مختلف العهود وعلى قصور وتماثيل وخزف يرقى عهدها إلى الألف الثالث ق.م ويمتد من فجر السلالة القديمة حتى السلالة البابلية الأولى. ينظر: هنري س. عبودي، المرجع السابق، ص 408.

(3)-تمثل تماما منطقة "خوزستان"، واحدة من أهم المقاطعات ضمن الإمبراطورية الفارسية القديمة، وكانت تقع ما بين منطقتي بابل وبلاد فارس. ينظر: M.N. Theil, *Dictionnaire de Biographie, Mythologie, Géographie Anciennes*, Librairie de Firmin Didot Frères et fils, Paris, 1865, p 596.

(4)-كان ظهورها خلال العصر الشبيه بالكتابي وهي من العناصر الحضارية المميزة إذ كانت في العصور السابقة من النوع المنبسط، وقد تميز كل عصر من أدوار حضارة وادي الرافدين بأنواع خاصة من الأختام الأسطوانية وعلى هذا تكون هذه الأخيرة على جانب كبير من الأهمية في تحديد وتزمين الطبقات الأثرية أثناء عملية التنقيب. ينظر: أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 529.

(5)-أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة، مصر، 2000م، ص 222، 223.

ويشير المؤرخ "خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي" تقريبا إلى نفس الفكرة حيث يقول: "...ومن تلك الآراء أن السومريين قد جاءوا من بلاد عيلام، واستند أصحاب هذا الرأي إلى أن سكان الأهوار في غرب إيران اليوم يعيشون في ظروف مشابهة لما يعيشه سكان الأهوار في جنوب العراق والأهوار والمستنقعات هي امتداد عبر البلدين حتى الوقت الحاضر، وأيضا وجود زخارف هندسية شديدة التشابك استخدمها السومريون والعيلاميون على حد سواء وخلال الفترة الزمنية نفسها⁽¹⁾.

كما أن أحدث الاكتشافات لسلسلة من الفخار الملون في الوديان بين زاجروس وأذربيجان وكردستان ولورستان تدل بوضوح على وجود صلات مع بلاد الرافدين أو عيلام، لكن هذه الاتصالات لم تكن مباشرة دائما، كما وإن افتتاح طريق الحجر اللازوردي للتجارة إلى أفغانستان يمكن في الوقت الحاضر تحديده زمنيا بمرحلة العبيد، إن حجم وعدد المستوطنات القديمة تترك قليلا من الشك على نشوء الزراعة بشكل جيد في شرقي جبال زاجروس حتى ولو كانت المعلومات التفصيلية عن حجم هذه المستوطنات متوفرة، هناك مستوطنات تعود للعصر ما قبل السيراميكي (الفخاري) لم يعثر عليها بعد ولكن عثر على فخار ملون يرجع للألف السادسة قبل الميلاد، كما عثر على فخار ملون باللون البرتقالي في الجنوب بالإضافة إلى الفخار الملون بالأحمر في الشمال وكان مزينا باللونين البني والأسود⁽²⁾.

فقد افترض المؤرخون خروج هجرات لأصحاب حضارة النحاس في هذا العصر من جنوب غرب إيران أو فيما يحتمل عبره إلى العراق قبل أوائل الألف الرابعة ق.م، إثر حدوث تغير مناخي وأشاع الجفاف الشديد في مواطنهم الأولى، وعثر من مصنوعاتهم في بلدة "أريدو" على فخار ملون شديد الاحتراق ذي أرضية تميل إلى الاخضرار يشبه الفخار المميز لمعاصريهم في أرض عيلام جنوب غربي إيران، وقيل أن أولئك النازحين كانوا على معرفة بطريقة البناء باللبن التي يحتمل

(1) -خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي، المرجع السابق، ص 16.

(2) -جيمس ميلارت، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، تر: محمد طلب، دار دمشق، ط1، سوريا، 2000م، ص 98.

أنهم مارسوها أيضا قبل انتقالهم إلى سهول النهرين، وعندما نجحوا في الاستقرار في مواطنهم الجديدة تشجعت هجرات أخرى على النزوح إلى ما يلي مواطنهم شمالا من بلاد النهرين⁽¹⁾.

نفس الطرح يتشاركه معه المؤرخان "ك. ماتيف" و"أ. سارونوف" حيث يقولان: "...كانت الحياة الرعوية وكذلك عوامل أخرى مثل النكبات وغيرها السبب في تحريك السومريين من أماكن إقامتهم الأصلية، وأخذوا يهاجرون بما في ذلك إلى بلاد الرافدين (حوالي الألف السادس والخامس قبل الميلاد)، وفي المنخفض جمعوا تلا ركاميا عاليا لإلههم الرئيسي "أنليل" قصد شكره للرعاية الدائمة لهم، ولأنه قادهم إلى واد خصب ذو أنهار غزيرة، فقد سمو هذا التل الاصطناعي الذي جمعه بأيديهم "بيت على الجبل" أو "بيت الجبل" وبالسومرية "إيكور"⁽²⁾.

وفي هذا الصدد تشير العديد من القصائد السومرية إلى نوع البيئة التي يقطنها هؤلاء: ...نيبور-المزار الذي يسكن فيه الأب، "الجبل العظيم". الجبل الشامخ، المكان الطاهر...، أميرها "الجبل العظيم"، الأب أنليل. قد أسس مقعده على سدة إيكور، المار الرفيع. المعبد-مراسيمه كالسما لا يمكن إسقاطها،...ومعبد إيكور، الدار اللازوردية، المقام الرفيع. ...لولا أنليل الجبل العظيم، لما بنينا المدن ولا تأسست المستوطنات. ولما عمرت معال الدواب، ولما أنشئت الزرائب. ولما تنصب الملك، ولا ولد بير الكهنة. ...والأنهار لما كانت مياه طوفانها تفيض،...وفي السماء لما أتت الغيوم المنساقاة برطوبتها. ...ولما أغلت الأشجار المزروعة في الغابة الجبلية بثمرها⁽³⁾.

نلاحظ من خلال ما تقدم لنا من هذه الأبيات الطبيعة الجبلية للبيئة الموصوفة لدى السومريين، وهو ما يعزز إمكانية أن يكون الموطن الأول للسومريين هي أراضي جبلية، حيث كتبت هذه القصائد غالبا في فترات سحيقة يمكن أن نصلح عليه اسم "عصر البطولات".

وفي أسطورة أخرى نجد ذكرا لسومر وعلاقتها بالإله "أنكي" حيث تقول:

يا سومر أيها البلد العظيم، يا أعظم بلد في العالم.

لقد غمرتك الأضواء المستديمة، والناس من مشرق الشمس.

(1)-عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 571، 572.

(2)-ك. ماتيف وأ. سارونوف، المرجع السابق، ص 57.

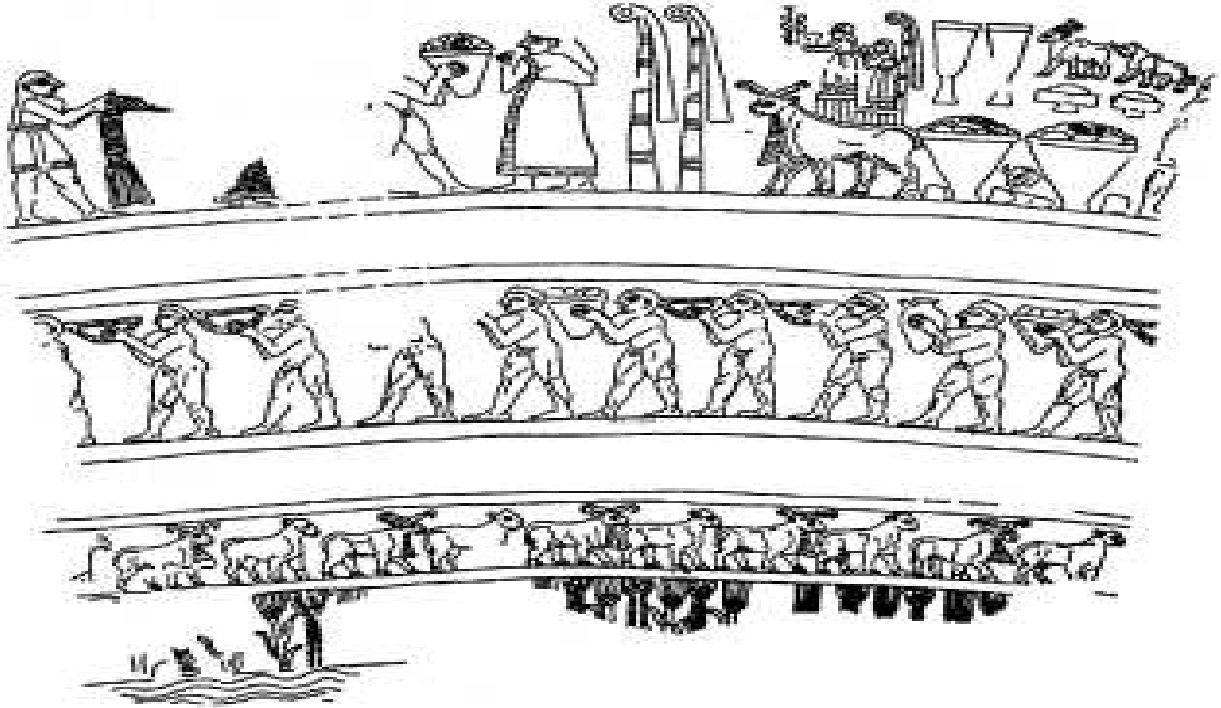
(3)-جيمس ميلارت، المرجع السابق، ص 16-18.

إلى مغربها، هم طوع شرائعك المقدسة. إن شرائعك سامية لا يمكن إدراكها. وقلبك عميق لا يمكن سبر أغواره. إن...كالسما لا يمكن بلوغها. الملك الذي تلده يزين نفسه بالحلي الدائمة. الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس. ربك هو رب معظم، مع (آن) يجلس في المكان المقدس في السماء. الملك هو الجبل العظيم، هو الأب (أنليل)، وهو مثل...أب البلدان جميعها. الآنوناكي، الآلهة العظام، في وسطك اتخذوا محل سكناهم. في بستانك الكبير، يأكلون طعامهم. إيه يا دار سومر عسى أن تكثر إسطبلاتك، عسى أن تكثر أبقارك. عسى أن تزداد زرائبك، عسى أن تكثر أغنامك بحيث لا يمكن أن تعد أو تحصى⁽¹⁾. من خلال هذه الأبيات نلاحظ الاعتراف بأن سومر هي بلد بحد ذاته، إضافة إلى ذكر العديد من المصطلحات التي تشير بشكل صريح ومعبّر إلى البيئة الجبلية لموطن السومريين الأوائل، لكن مع الأخذ بعين الاعتبار صدق الترجمة الحرفية المعتمدة لتفسير محتوى الألواح الطينية. وفي قصيدة أخرى كذلك نجد إشارة واضحة إلى الأصل الجبلي للسومريين، وهي قصيدة تخص بالذكر الإله السومري "أنليل" حيث تقول في أبياتها:

لم يكن ممكنا بناء أي مدينة وتأسيس أي مسكن.
 لم يكن ممكنا إقامة أي حضيرة ونصب أي زريبة.
 ولم تكن الأنهار لتجعل مياه فيضها الخيرية تطفح.
 ولا أسماك البحر لتضع بيوضها في منافع الأسل.
 وطيور السماء لم تكن لتبني أعشاشها موزعة على الأرض الفسيحة.
 والغيوم الشاردة في السماء المحملة بالأمطار لم تكن لتسقط رطوبتها.
 والزرع والأعشاب فخر الخريف لم تكن تثبت.
 وفي الحقول والسهول لم تكن الحبوب الغنية لتتمكن من الأزهار.
 والأشجار القائمة بالغابة الجبلية لم تكن لتعطي ثمارها. ولا البقرات لتلد في الحضائر.

(1) -خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 180، 181.

وفي الزرائب لم تكن النعجات لتضع حملانها. والحيوانات الوحشية ورباعيات القوائم لم تهتم بتغذية صغارها⁽¹⁾.



—مشهد من الكأس النذري لمدينة أوروك - (خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 47).

يظهر لنا بوضوح ما يحمله هذا الكأس من رسومات تشير إلى البيئة الجبلية خاصة في أعلى وأسفل المشهد حيث تظهر مجموعة ماشية من أغنام وماعز جبلي وفي الجهة السفلى أقصى اليسار نلاحظ بوضوح مصدر مائي ربما يمثل واديا أو جدولاً وأمامه أشجار وأعشاب.

كما لاحظ بعض الباحثين أن السومريين يستعملون لفظ "Kur" للتعبير عن معنى "جبل" و "بلاد"، وأخذوا بعين الاعتبار ظهور المصطبة (الزقورة⁽²⁾ فيما بعد) التي صارت المعابد تبنى فوقها ابتداء من دور الوركاء، كما لاحظوا أيضاً اهتمام السومريين برسم الأشجار الجبلية العالية

(1) -نعيم الرضوي الحصونه، ملامح التوحيد في الديانة العراقية القديمة، مر: عادل هاشم علي، دار الفيحاء، لبنان، 2019م، ص ص 109، 110.

(2) - هذه الكلمة المتداولة حالياً مأخوذة من الكلمة الأكديّة Ziqqurretu، وقد اختلف الباحثون في معناها، فقد فسرت على أنها برج المعبد وأنها أيضاً معبد عال، كما تعني أيضاً البرج المدرج، لكن جميع هذه التفسيرات متقاربة في المعنى ولا تخرج عن كون الزقورة بناية مرتفعة يعلوها معبد، كما أطلقت هذه الكلمة على قمة الجبل أيضاً، ويقابل كلمة Ziqqurretu المصطلح السومري U.Nir الذي فسر على أنه المعبد العالي أو مصطبة المعبد العالية. ينظر: أوسام بحر جرك، الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الآثار القديمة، إش: جابر خليل إبراهيم، جامعة بغداد، 1998م، ص 05.

والحيوانات الجبلية كالوعل والماعرز على الأختام الأسطوانية، إن هذه الملاحظات مجتمعة كانت من الأسباب التي أدت ببعض الباحثين إلى القول بأن الموطن الأصلي للسومريين كان في منطقة جبلية قبل أن ينزحوا إلى السهل الرسوبي في جنوب العراق⁽¹⁾.

وقد أدرك بعض الباحثين أن السومريين يستعملون في كتاباتهم ولغتهم رمزا واحدا لمدلولين هما الجبل والوطن (البلد) وهو "كور Kur" ورأوا في ذلك ما يدل على أنهم يعنون بأن وطنهم هو الجبل، ووضعو احتمالا لأقرب الجبال المحاذية لجنوب وادي الرافدين وهي "جبال زاجروس" وقد عزز هذا الرأي أن السومريين لم يبنوا معابدهم على أرض مستوية مثل البيوت والقصور بل على أرض مرتفعة ووضعو مصطبات بنيت عليها هذه المعابد، ثم بنوا المعابد على شكل زاقورات تشبه في شكلها الجبال العالية، وجعلهم هذا يربطون بين المعبد كمكان مقدس وبين الطين كمكان مقدس قدموا منه وأن هذا المكان هو الجبال الإيرانية شرق سومر⁽²⁾.

ولابد من الإشارة إلى ثلاثة أشياء عند نقاش مشكلة الأصل الجبلي للسومريين فالأول أن طراز المباني الأولى لدى السومريين كانت تقوم على تقليد بالعمل في الأخشاب، ثانيا أن الآلهة السومرية كانت دائما تصور وكأنها تقف على جبال، والزاقورة هي جبل اصطناعي⁽³⁾.

وهنا بالذات يمكن واستنادا إلى هذه الأدلة والشواهد أن نربط السومريين بالأصل الجبلي، بالإضافة إلى إمكانية نسبهم إلى هذه الأصول تبعا للباسهم الصوفي كدليل على أن أماكن عيشهم الأولى باردة، خاصة وإذا علمنا أن البيئة التي ميزت حياة السومريين تتميز بكونها حارة وذات رطوبة عالية أحيانا، الأمر الذي يجعل ارتداء السومريين للباس صوفي أمرا يصعب تفسيره.

ويؤكد على مصداقية هذه الفكرة الباحث "عبد العزيز صالح" في وصفه لأقدم المعابد السومرية حيث يقول: "... دل تخطيط معبد أريدو في مراحل الناضجة على تطورات مبتكرة، فشيء من جديد فوق مسطح يؤدي إليه درج، ويدعو الارتفاع بمثل هذا المعبد فوق المسطح ذي الدرج إلى أثر من افتراض واحد، فهو قد يعتبر تطورا معماريا محضا في أسلوب البناء، أو إجراء عمليا

(1)-فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص ص 21، 22.

(2)-خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 31.

(3)-غلين دانيال، المرجع السابق، ص 92.

محضاً للارتفاع بقاعدته عن مستوى الأرض الرطبة المحيطة به، أو يكون تعبيراً دينياً يدل على رغبة أصحابه في التسامي بمعبدهم ومعبودهم إلى العلى، أو يعبر عن فكرة شعبية تدل على أن أصحابه أتوا في بداية أمرهم من سكان المرتفعات الذين عبدوا آلهتهم "آلهة الربوات" فوق قممها العالية، فلما تركوا هذه الربوات والهضبات واستقروا على سهول النهرين استعاضوا عنها بمسطحات أو دكات من صنع أيديهم⁽¹⁾.

ويذهب إلى نفس الاتجاه الفكري المؤرخ "عبد العزيز صالح" حيث يقول: "...فقد جرى السومريون على عادة أهل بواكير العصر الكتابي الذين سبقوهم في مجالات الحضارة بالعراق من حيث تشييد بعض هياكل أربابهم فوق مسطحات اصطناعية مرتفعة، وصوروا الأرضيات التي يعتليها أولئك الأرباب في مناظرهم الدينية على هيئة مدرجات الجبال وأكوام الأحجار مما يعني أنهم قد شابهوا أصحاب حضارة الوركاء أو حضارة بواكير العصر الكتابي، في فكرة تعويض معابد آلهتهم عن قممها العالية في بيئات جبلية قديمة بإقامة المسطحات الاصطناعية العالية في سهول العراق لسبب أو أكثر من الأسباب⁽²⁾.

فكثرة استخدام السومريين للمادة الحجرية، وما حمله العديد من نماذج النحت على الحجر من مناظر تمثل الحاكم ذي السمات المميزة التي لا تتغير، ومناظر الحروب التي لم تخل بأي حال من تمثيل هذا الحاكم ما يعبر عن أن هؤلاء السومريين إنما كانوا شعباً جبلياً مقاتلاً فرض نفسه عن طريق الحروب⁽³⁾.

وقد افترض بعض الباحثين أن أجداد السومريين هاجروا إلى جنوبي بلاد الرافدين من المرتفعات الجبلية (الشمالية والشمالية الشرقية) بدليل أن السومريين أنفسهم كانوا يعبرون عن صلتهم بالجبال من خلال إقامتهم للمعابد فوق مسطحات اصطناعية مرتفعة، ويصورون أربابهم وهم يعتلون ما يشبه مدرجات الجبال من الأرضيات، ولعل ما يفسر ذلك تسمية معبد إلههم الأعظم "أنليل" في مدينة "نيبور" السومرية باسم "E.kur" الذي يعني "البيت الجبلي" بل وإضفاء

(1) -عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 573، 574.

(2) -نفسه، ص 587.

(3) -محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 90.

لقب "كورجال Kurgal" أي "الجبل العظيم" على الإله نفسه، وما وصفوا به "الربة إنانا"⁽¹⁾ في إحدى أساطيرهم بأنها "ملكة السماء" الجليّة التي تسكن جبال الأرض العالية "شوبا"، وأشاروا إلى رغبة معبودهم "أوتو" إله الشمس في الأسطورة نفسها في أن يبني له أتباعه معبدا متساميا كالجبل المقدس، ومما له صلة بالأصل الجبلي للسومريين ما تذكره واحدة من أساطيرهم عن الملك "إنمركار" الذي يعد بحسب القوائم السومرية ثاني ملوك مدينة "أوروك" بعد الطوفان، إذ تروي أن الربة "إنانا" اصطفته من بلاد "شوبا" الجبلية، وأنه الأمير المحتبى بالإمارة في البلاد الجبلية المحصنة وأنه الراعي الذي ولد في جوف الجبل⁽²⁾.

أما المؤرخين "ك. ماتيف" و"أ. سارونوف" فيدعمان هذه الآراء بقولهما: "...وخلصة القول لمجمل الفرضيات المطروحة عن الموطن الأصلي للسومريين كتب "م. بيليتسكي" يقول: تقع البلاد التي قدم منها السومريون وفق مجمل المعطيات في مكان ما في آسيا وعلى الأرجح في منطقة جبلية لكنها واقعة بشكل يسمح لساكنيها تعلم فن الإبحار، ويتفق رأي أغلب الباحثين -قليلًا أو كثيرًا- حول ذلك، والشاهد على أن السومريين قد قدموا من الجبال هو طريقة بنائهم للمعابد التي شيدت فوق دعائم اصطناعية أو على قوالب من الغضار أو الطوب فوق التلال أو المصاطب المرتفعة، وبالكاد يمكن أن تظهر هذه العادة عند لدى سكان السهول، وكان على سكان الجبال أن يجلبوا معهم من منشئهم الأصلي إلى جانب هذه العادة معتقداتهم المبنية لتمجيد الآلهة على قمم الجبال، كما أن هناك برهان آخر على ذلك لأن كلمة البلاد وكلمة الجبل في اللغة السومرية تكتبان بنفس الشكل⁽³⁾.

(1)-إنانا أو "إنيني Inini" إلهة سومرية، أصل اسمها في اللغة السومرية هو "نين-أنا" ويعني "سيدة السماء"، ورد اسمها في ملحمة جلجامش "إنانا/ عشتار"، وكذا في ملحمة التكوين، كما سميت بالبغي المقدس، كما هي معروفة بإلهة الحب والإبداع الجنسي للإنسان والحيوان، لكنها تبرز أيضا كإلهة حرب عظيمة، وقد سميت عشتار خلال الأزمنة السامية القديمة. ينظر: حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعابدات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م، ص 154، Charles Penglase, *Greek Myths and Mesopotamia (Parallels and Influence in the Homeric Hymns and Hesiod)*, edit Routledge, London and New York, 1994, p 13.

(2)-أحمد أرحيم هبو، تاريخ الشرق القديم، ص 53.

(3)-ك. ماتيف وأ. سارونوف، المرجع السابق، ص 59.

كما يبين الباحث "صلوات كولياموف" على الأصل المشترك بين السومريين و سكان جبال زاجروس الذي اصطلح عليهم اسم الكرديين⁽¹⁾ حيث يركز في إثباتاته على "المقاربة اللغوية" حيث يقول: "تبين النصوص المتوفرة باللغتين الكردية والسومرية بجلاء مدى التقارب بينهما قديماً شريطة عدم المس في تقليص احتياطات القاموس اللغوي في العصر النحاسي- الحجري، فالنصوص المقارنة كلها تثبت بأن السومريين انفصلوا عن الجبليين في زاجروس، ربما كان ذلك في عصر سامراء لأن كل المفاهيم الرئيسية في أساطير العبادة الدينية وأسماء النباتات⁽²⁾ الزراعية الضامنة لحياة البشر وأسماء بعض التخصصات دخلت الكتابات السومرية على ما يبدو من اللغة الجوتية- الكردية القديمة جداً لقاطني زاجروس، وعلى أن حاملي هذه اللغة وبدون أدنى شك مثلوا ثقافة سامراء، كما وإليهم يعود الفضل في الاستصلاح الكامل لميزوبوتاميا وبخاصة مناطق المستنقعات⁽³⁾ المنخفضة في ما بين النهرين الأدنى، والمقارنة التالية تكشف عن هذا التطابق اللغوي⁽⁴⁾.

(1)-نسبة إلى أمة تسمى "الجوتو Gutu" ومعناها بالآشورية المحارب، فعلماء الحضارات أثبتوا أن المدنية التي قامت في منطقة كرمناشاه وهمذان هي من نوع نفس المدنية التي خلفها الجوتو في الشمال في كاردوكيا وميديا وفي آشورية لأن قبيلة الكلهر تعتقد وتؤيدها الآثار التي تم العثور عليها في تلك المناطق أنها من نسل "جودرز" وهذه الكلمة معناها زعيم الجوتو، وتتفرع الأمة الكردية إلى أربعة شعوب وهي : كرمانج وكوران ولور وكلهر وهم من أقدم الشعوب الآرية التي أقامت مدنية وأنشأت حضارة زاهرة أرسى قواعدها في هضبة إيران والبلاد المحيطة بها. ينظر: أحمد تاج الدين، الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن، ط1، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2001م، ص ص 15، 16.

(2)-النبات الطبيعي في بلاد الرافدين القديمة قليل بصورة عامة ويغطي مساحات صغيرة من القطر تتوفر فيها الأنهار والأمطار، ومعظم هذه النباتات فصلي وينمو في مواسم ملائمة ثم يجف في المواسم الأخرى، وللنبات الطبيعي فوائد جمة فهو يحفظ التربة من الانجراف وهو مورد مهم لرعي الحيوانات وللوقود وله فوائد أخرى كالثمار التي تنتجها الأشجار والعقاقير والأدوية التي تستخرج من الحشائش، كما تغيد في صد الرياح الحارة والباردة وتلطف الجو تقلل من ضرر العواصف الرملية. ينظر: نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج 2، ص 46.

(3)-إن تكوين الأهوار والمستنقعات ظاهرة طبيعية تصاحب تكوين دلتا الأنهار، فهذه الأخيرة وفروعها تملأ عادة المناطق المجاورة لها أكثر مما تملأ المناطق البعيدة عنها، ولما غيرت الأنهار مجاريها عدة مرات خلال الأزمنة الجيولوجية القديمة كونت في المناطق التي جرت فوقها ضفافاً عالية وتركت أراضي واطئة بين مجاريها، وتتفاوت الترسبات في كميتها وفي شكل تجمعها في مناطق اتصال السهل الرسوبي بالأراضي العالية المجاورة له من الشمال والشرق والغرب ولذلك ترتفع مناطق وتبقى أخرى منخفضة تتجمع فيها المياه، ويفسر باحثان وهما "ليز" و"كالكون" وجود الأهوار والمستنقعات بهبوط السهل الذي انخفض ولا يزال كذلك لثقل الرواسب المتجمعة فيه وبسبب الحركات الأرضية. ينظر: نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج 1، ص 36.

(4)-صلوات كولياموف، المرجع السابق، ص 23.

المفردات	اللغة السومرية	اللغة الكوردية
القمح	Gi	Genim
الشعير	Se	Se
النحاس	Urudu	Ro
السمكري	Tibira	Timerce
الخبز	Nin(da)	Nan
الرقيق	Eren	Rat
رفش	Mar	Mar
ثور	Gyd	Ga
الحداد	Simy	Sim
النجار	Narar	Nashar

- نلاحظ من خلال مقارنة بعض الكلمات "السومرية" والكردية" التشابه الواضح بينهما وهذا ما يجعلنا نخمن بإمكانية الاشتقاق اللغوي الذي أخذته اللغة الكردية عن السومرية، وهذا الأمر يرجح فكرة أن الأصل الحقيقي للسومريين يمكن أن يكون كرديا إذا ما قسنا الأمر طبعا من الناحية اللغوية، لكن يبقى الإشكال الحقيقي "من اللغة التي اشتقت من الأخرى"، وفي ظل غياب دلائل كتابية عن اللغة الكردية فهذا يجعل من مهمة التأصيل اللغوي أمرا صعبا-

عربي	كردي	سومري
ماء	ثاف ثاو	ثا
سماء	ثاسمان	ثان
انا	منته ز	مو
صنوبر	كاز - كاش	كه ش
ثور ، بقرة	گا، چیل	گا
علم	زانين	زو
اسفل	كور ، خواروو	كوور
قال	گوت	گودیا
خشب ، شجرة	دار	دار
مخزن	ته مبار	ته مبار
لا اعرف	نازانم	نوموزم
نحن	مه. ته م	مي
جيل	كو. چيا	كور

-جدول يبين التشابه اللغوي بين اللغة السومرية والكردية- (سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، ص 310).

كما يبين لنا الباحث ديكانوف ي. م بمعية باحثين آخرين التقارب الصارخ بين السومريين والعيلاميين حيث يقول: "...إن تيار التطور في عيلام يشبه تماما التطور الذي حدث في

جنوب بلاد النهرين، ويبدو أنها متشابهة في مستنقعات الطمي والمسطحات والسهل القائضة ومزية عيلام أن سكان سهولها بهم علاقة وثيقة (أنهر الري) مع السكان الذين احتشدا من ثلاث جهات، وبخاصة في الأماكن التي تتوفر فيها المراعي والغابات، وربما استوطن السهول والجبال قبائل تحدثت بلغة واحدة (اللغة العيلامية القديمة، وربما في وقت ما على أراضي عيلام تحدثا بالسومرية، وهذه اللغة في أغلب الحالات اختفت قديما في الألف الثالث ق.م.)، شكلت الجبال السهول جزءا من مجموعة طبيعية واحدة نضجت في حدودها عملية الانتقال إلى المجتمع الطبقي والحضارة⁽¹⁾.

رأي آخر يرى به المؤرخ "أحمد سوسة" الصلة الموجودة بين السومريين العيلاميين حيث أنه يتفق مع العديد من طروحات المؤرخ "طه باقر" لكنه يختلف معه في بعضها ويظهر لنا هذا الاختلاف جليا في قوله: "...أما الرأي الثاني فلا نتفق معه بما ذهب إليه بسبب كون لغة السومريين لغة أجنبية غريبة عن المنطقة، فلا بد أن يكون السومريين قد جاءوا بهذه اللغة من مكان غير وادي الرافدين ذي اللغة السامية، الذي نرجحه أن هذا المكان هو منطقة عيلام البطائحية المجاورة لمنطقة الأهوار في جنوبي العراق والمشابهة في بيئتها الطبيعية يؤيدنا في ذلك الخبير الآثاري "هندوكك"، ويؤيد ذلك أيضا المؤرخ هنري فرانكفورت الذي يقول أنه لا يزال سكان المستنقعات في إيران الشرقية اليوم يعيشون على شواطئ البحيرة الكبيرة لنهر قارون، ومثل عرب مستنقعات جنوب العراق يبنون مراكب وأكواخا من القصب، ويصطادون السمك ويحتفظون بالجواميس والماشية، ولابد أن مثل هذه الأحوال كانت سائدة في كثير من أنحاء فارس في هذه الفترة، والمهاجرون من مثل هذه المناطق يكونون دوما على استعداد تام لمواجهة الحياة في منطقة كمنطقة دلتا دجلة والفرات.

ويضيف إلى ذلك قوله أن الخزف الذي صنعه السكان القدماء في جنوب ما بين النهرين يبين أنهم جاؤوا من فارس، وقد احتفظوا في البداية بالرسم الهندسية الشديدة التشابك التي كانوا يستعملونها في بلادهم الأصلية⁽²⁾.

(1)-ديكانوف ي.م وآخرون، المرجع السابق، ص 228.

(2)-أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 34.

نفس هذه الفكرة يؤيدها المؤرخ "ستار نوري العبودي" حيث يقول: "...وفي جنوب العراق وبخاصة في منطقة الأهوار، فإن الأغلبية السكانية كانت تعيش في بيوت من القصب والحصار وتنتقل في قوارب صغيرة طويلة ومدببة المقدمة، المصنوعة من الأخشاب المطلية بالقار تسمى محليا "المشاحيف"، وتتركز معيشتهم على حيوان الجاموس، وصناعة الحصران من القصب والمستخدمة في بناء البيوت وكفرش في المنازل، وتستخدم في الأهوار ما يعرف بظاهرة "الجببشة" وهي عبارة عن جزيرة صغيرة داخل الهور...، بل وجد مثال يؤكد حقيقة التقليد في الملابس أيضا، إذ لوحظ أن البابليين القدامى كانوا يرتدون الأردية الكتانية والصوفية الطويلة التي تصل إلى أقدامهم، كما كانوا ينتعلون الصنادل أو النعال وهي خاصة ببلاد الرافدين، ويلفون العمائم حول رؤوسهم ويتعطرون بالطيب وهذه الألبسة ما زالت شائعة إلى يومنا هذا⁽¹⁾.

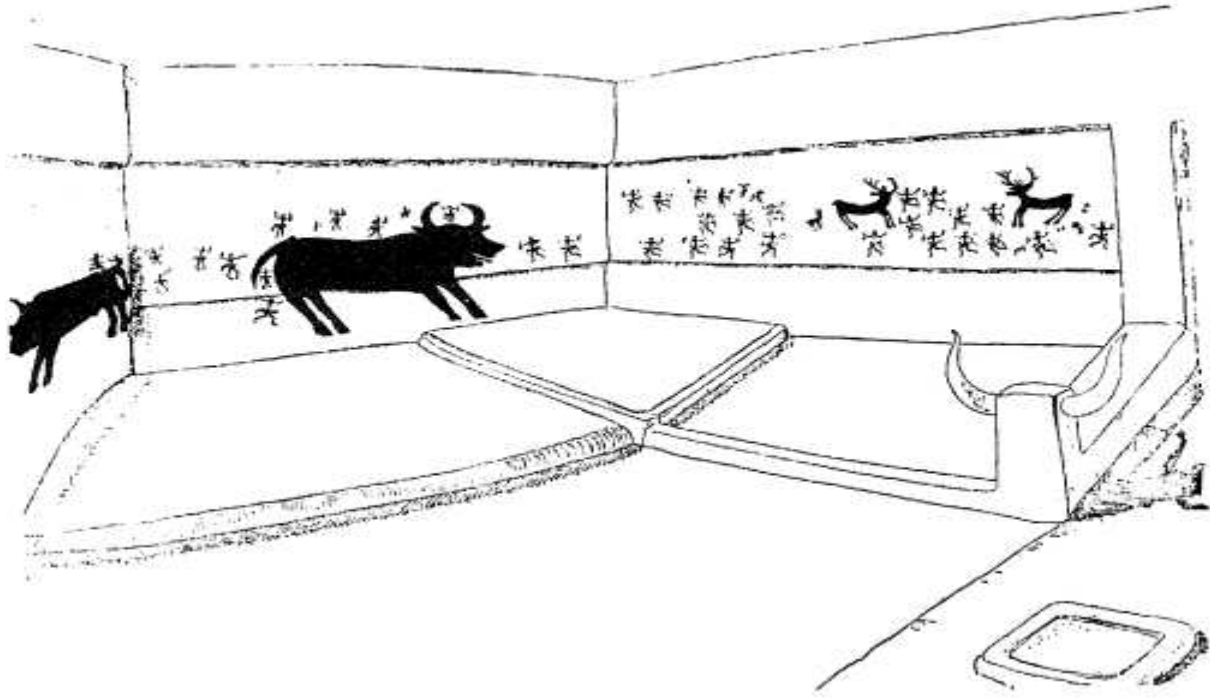
نلاحظ من النص المقدم حقيقة أن سكان الأهوار العراقية اليوم يعيشون معيشة مطابقة إلى حد بعيد لمعيشة أسلافهم البابليين وقبلهم السومريين، ونخص بالذكر اللباس الصوفي وتربية الجاموس والبيئة النهرية والقصب والتي تعد من بين المظاهر المصورة ضمن المنحوتات البارزة للحضارات القديمة في المنطقة.

ث- نظرية الأصل الأناضولي:

اعتمادا على نوع اللغة السومرية الملصقة والمتكونة من مقاطع غير قابلة للتصريف مثل اللغات الآرية أو السامية، ولها جذور لا تتغير ووحدتها القاعدية الأساسية هي المركب اللفظي وليس الكلمة المفردة، وقد قام بعض الباحثين بمقارنتها بالكثير من اللغات الملصقة الأخرى مثل التركية والهنغارية وبعض اللغات القوقازية وخصوصا اللغة الطورانية القديمة، حيث قام "رولنسون" في وقت مبكر بإثارة مثل هذا الرأي ثم تبعه "أوبرت" وكان أمر اكتشاف اللغة السومرية مازال في بدايته، وقد تحدث "صمويل نوح كريمر" عن احتمال كون اللغة السومرية تنتمي إلى نمط الطورانية، إلا أن "طه باقر" الذي لمح إلى ذلك أيضا في مقدمته حسم هذا الموضوع برأي علمي عندما قال: "مع أن أسلوب الإلصاق مستعمل في جملة لغات بشرية ملصقة قديمة حديثة مثل

(1)-ستار نوري العبودي، الشخصية التاريخية، ص 12.

العيلامية لغات عائلة "الأورال - الطاي" كالمغولية التركية ولغات أخرى مثل البولينية والباسكية وبعض اللغات القوقازية مثل الجورجية، بيد أنه يمكن القول أن اللغة السومرية لا تمت بصلة قربي إلى أي من هذه اللغات الملتصقة، ولعل أقرب فرضية لتعليل تفرد اللغة السومرية أنها من عائلة لغوية انقرضت في أزمان بعيدة عن عصور ما قبل التاريخ ولم يبق منها سوى اللغة السومرية التي تكلم بها السومريون في حضارة وادي الرافدين، وكانت أقدم اللغات المدونة في هذه الحضارة⁽¹⁾.



-غرفة معبد في منطقة شاتال هويوك الأناضولية- (سيتون لويد، المرجع السابق، ص 41).
الملاحظ صورة الثور ما يدل على التشابه مع الحضارة الرافدية وواد السند (وربما يرتبط هذا للأصول الزراعية التي قامت عليها هذه الحضارات التي ظهرت ضمن بيئات متشابهة نسبياً.
كما يمكن القول بأن الإنسان قد وجد في الأناضول منذ العصر الحجري القديم، ومن المناطق التي لها أهمية خاصة في هذه المرحلة منطقة آديمان التي تقع في حوض الفرات الأعلى بالقرب من ملاطيا، نظراً لأن الآثار التي عثر عليها فيها توضح تعاقب وجود الجماعات البشرية بها، كما أنها من ناحية أخرى تعد بمثابة حلقة الاتصال الأولى بين حضارات الإقليم السوري من جهة وبين تلك التي وجدت في كردستان القوقاز من جهة أخرى⁽²⁾.

(1)-خزل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 28-30.

(2)-أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات، ص 330.

ج-نظرية الأصل القوقازي:

قد ذهب إلى هذا الرأي المؤرخ "صمويل نوح كريم" والذي اعتبر أن أجداد السومريين قد بدوا مما وراء القوقاز أو مما راء بحر قزوين، واندفعوا نحو مناطق غرب إيران فيما يعاصر عصر العبيد أو أوائل عصر الوركاء، ونجحوا في اقتباس حضارة بلاد النهرين التي امتدت على حد رأيه عبر حدود إيران، ثم استعانوا بما تعلموه منها وبخفة الحركة البدوية في الاندفاع إلى جنوب العراق منذ الربع الأخير من الألف الرابع ق.م سيطروا عليه تدريجيا خلال فترة من فترات حضارة الوركاء، وإن لما أشاعوه به من الاضطراب حينذاك أثر في فترة ركود حضاري فيه، وإن يكن قد نشأ خلال هذه الفترة نفسها (حوالي القرن الثلاثين ق.م) عصر البطولة السومري⁽¹⁾.

ح-نظرية الأصل الصيني:

ذهب الباحثان "بالي Bali ولت Litt" إلى مذهب بعيد التفكير، فقد استدلا من خلال بحثهما الدقيق في الكتابتين المسمارية الصينية والسومرية في كتابهما (الصينيون والسومريون) إلى أن هناك تشابها صارخا بين المراحل الصورية الأولى من الكتابة الصورية المسمارية (التي اخترعها السومريون) والمراحل الأولى من الكتابة الصينية القديمة (الكو- ون)، ووضعوا معجما صينيا - سومريا مقارنا للكثير من الكلمات المشتركة في معانيها وأصواتها، واستنتجوا أن أسلاف الصينيين والسومريين جاءوا من أصول جبلية في وسط آسيا منحدرين باتجاهين، أحدهما ذهب إلى الصين والآخر اخترق إيران واستقر في جنوب العراق، وكان كل منهما يحتفظ بأصول الكتابة المشتركة البدائية لأسلافهما مع تصويطاتها المشتركة⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يرى المؤرخ "Percy S.P. Handcock" بوجود نظريات مقارنة بين الثقافتين السومرية والصينية، حيث يقول: "...ولكن على الأقل وفي هذا الصدد (أي انفرادية اللغة السومرية) هي تشبه اللغات المحلية المنغولية منها التركية، الفنلندية والصينية، وهذا ما دفع بعض العلماء للبحث عن العلاقة الموجودة بين الجذور السومرية وبعض الكلمات الصينية، ويجب على أي حال الاعتراف بأن هذا الارتباط المفترض هو إلى حد ما افتراضي في الوقت الحاضر، وقد

(1)-عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 589.

(2)-خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 30.

صنع من قبل الباحث "لاكوبيري Lacouperie" وباحثين آخرين لإنشاء أوجه تشابه بين الفن والثقافة الصينية وتلك الخاصة بالسومريين، لكن الأدلة ليست مقنعة تماماً⁽¹⁾.

خ- نظرية الأصل المحلي:

أهل "العبيد" وهم أول الساكنين، بل دعاهم علم الآثار بالعبيديين، وهم لا يزالون مجهولين وقد أقاموا طويلاً قبل اختراع الكتابة وبقيت لغتهم ماثلة في اسم النهرين دجلة والفرات، واشتهروا بالعبيديين انطلاقاً وانتساباً إلى رابية العبيد التي وجدت فيها بقاياهم الثقافية للمرة الأولى، ثم في الطبقات السفلى من عديد التلال التي تحفل بها أرض سومر، وقد جمعت تلك البقايا أدوات حجرية مثل المجرفة والقدوم والرحى ويد الهاون والسكين وآلات طينية صنعوا منها المنجل والقرميد والتماثيل الصغيرة وسواها، وقد جعلوا من الفخار مصنوعات تحمل طابعهم المتميز بالرسوم، فكان العبيديون المزارعون الأوائل الذين بنوا قرى ومدناً في البلاد جميعها وارتقوا بالاقتصاد الزراعي فتجاوز حد الاكتفاء وأدرك الغنى⁽²⁾.

وكان أناس هذه الحضارة يعيشون على الصيد⁽³⁾ والزراعة بواسطة المعزقة وعلى تربية المواشي، أي أنهم كانوا في مرحلة انتقال من حياة الصيد إلى الزراعة البدائية وتربية الحيوانات، وكانوا يسكنون أكواخاً بنيت من القصب المربوط ببعضه والمغطى بطبقة من الطين، وفيما بعد استعمل الطوب المجفف بالشمس في بناء المنازل، كما كان العبيديون خلال تلك الفترة لا يعرفون التمايز الاجتماعي وعدم المساواة في الثروة، ويؤكد ذلك تشابه الأثاث الجنائزي في مقابرهم، وتدعو دمي النساء المصنوعة من الطين التي عثر عليها إلى الافتراض بأن نظام الأمومة في سومر قد استمر حتى النصف الأول من الألف الرابع قبل الميلاد، وربما استمرت هذه الحضارة أربعة قرون، ويعتبر أصحابها الأسلاف المباشرين لأوائل السومريين، وبالرغم من التقدم الذي أنجزه العبيديون في المضمار الحضاري فإنهم لم يعرفوا الكتابة والتدوين⁽⁴⁾.

(1) - Percy S.P. Handcock, *Mesopotamian Archaeology An Introduction to the Archaeology of Babylonia and Assyria*, Library of Macmillan and co. Ltd and Philip Lee Warner, London, 1912, p 10.

(2) - عزمي سكر، المرجع السابق، ص 27.

(3) - نفسه.

(4) - برهان الدين دلو، المرجع السابق، ص 206.

وقد استعمل هؤلاء القرميد في بعض البيوت، ولكن وجد كوخ في "أريدو" من عصر "تل العبيد" مصنوع من الطين والقصب، وأما معابد "أريدو" فكانت مبنية من الطوب ومؤلفة من غرفة مستطيلة تبنى في زواياها غرف صغيرة وفيها تمثال للإله ومذبح وطاولة تقدمات، وكانت المعابد أهم الأبنية في قرى عصر "تل العبيد"، إن المدينة السومرية⁽¹⁾ قد نمت حول المعبد وليس حول قصر أو قلعة، ومرحلة "تل العبيد" هي بدء الحضارة السومرية⁽²⁾.

ووجد خلال هذا العصر دور للعبادة في شمال بلاد الرافدين ونماذج أبنية من اللبن⁽³⁾ بدلا من الطين الذي استخدم في مباني العهود السابقة، وانتشر في هذا العهد استخدام النحاس في القسم الثاني من عصر العبيد، وقد عثر على نموذج من سفن شراعية⁽⁴⁾ بين مخلفات لتل أبو شهرين ونموذج لعربة ذات عجلات وعثر كذلك في إحدى قرى العبيد (العقير) على نماذج هامة لها أبواب خشبية بسطوح مستوية كما عثر على إبر مصنوعة من العظم ومغازل، وفي الإمكان أن

(1)- اهتم الرافديون القدامى بالتركيب الوظيفي للمدينة والتخطيط لها، حيث قاموا بتقسيمها إلى عدة قطاعات لكل قطاع وظيفة معينة، إذ خصصت إحدى القطاعات للسكن وأخرى للعبادة، ومنها ما هو مخصص للزراعة، وهذا ما يعكسه النص المسماري- السومري الذي يعود إلى العقد الأخير من الألف الثالث ق.م (ثم وصلا إلى أوروك ذات الأسوار فقال جلجامش لأور شنابي، الملاح: أكل يا أور. شنابي، وتمشى فوق أسوار "أوروك" وافحص قواعد أسوارها وأنظر إلى آجر بنائها، تيقن أليس من الآجر المفخور، وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها، أن "شارا" واحدا خصص للسكن، و"شارا" واحدا لبساتين النخل و"شارا" واحدا لسهل الري، بالإضافة إلى حارة معبد "عشتار"، فتتضمن أوروك ثلاث شارات والحارة). ينظر: راند راكان قاسم عبد الله الجواري، المرجع السابق، ص 156.

(2)- أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم، ص 173.

(3)- كان الطين اللبن دائما مادة البناء الرئيسية في جميع أنحاء الشرق الأوسط وهذه الحقيقة قد أسهمت كثيرا في معرفتنا عن الماضي، وكان الآجر يصنع من الطين الذي كان يجبل على شكل قوالب، ويمكن استخدام التغيرات في شكلها وحجمها مقياسا تاريخيا، فالآجر المربع المقطع المسطح من جانب المحذب من الجانب الآخر ميزة خاصة بعصور الوركاء وجمدة نصر، ويعقبه الآجر المستوي المحذب في عصر فجر السلالات في وادي الرافدين، وإن الآجر يجفف بصورة عامة في الشمس لكن الآجر المفخور كان يستخدم قشة خارجية للبنىات الرسمية والمعابد، فقد استعمل لأول مرة في انجاز "باب عشتار" في بابل. ينظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 08.

(4)- فيما يخص السفن الشراعية فيحتوي متحف بغداد في القاعة السومرية على نماذج متنوعة لزوارق من الفخار والفضة والقار، وكان استخدامها يتطلب مهارة وقابلية في فن القيادة والتدريب على التجذيف، كما أن أنظمة الملاحة عرفت في بلاد الرافدين منذ القديم وهذا ما جرى تنظيمه ضمن الشرائع القديمة، وقد توزعت بين النهرين وعلى امتدادهما مراكز حضارية نشطة اعتمدت على الطرق المائية في مواصلاتها مما أدى إلى تسريع عملية صناعة السفن والقوارب، وكانت هذه الصناعة ذات تقنية عالية فكانت الزوارق تصنع من الجلود، القصب والبردي والخشب وبعض المواد الأخرى، وإن أقدم دليل على صناعتها يعود إلى عصر العبيد في أريدو وهو نموذج مصغر من الفخار لقارب شراعي والعثور عليه ضمن مقبرة يرمز إلى علاقته بمعتقدات ما بعد الموت. ينظر: كامل طه الويس، رياضة التجذيف في العراق القديم، مج 10، العدد 02، جامعة بغداد، 2001م، ص ص 55، 56.

نسمي أهل عصر العبيد الذين أقاموا في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين بأجداد السومريين ومما يدل على ازدهار ذلك العصر كثرة عدد القبور المكتشفة من هذه الفترة، إذ عثر في "أريدو" من أواخر عهد العبيد على ما يقارب ألف قبر⁽¹⁾.

كما أن هناك من المؤرخين من يذهب إلى أن حضارة العبيد ليست تطورا لغيرها من حضارات العراق القديم السابقة وإنما هي حضارة مستوردة من الهضبة الإيرانية، جاء أصحابها من غرب إيران في أوائل الألف الرابعة ق.م أو قبلها بقليل وذلك إثر حدوث تغير مفاجئ أشاع الجفاف في مواطنهم الأولى، كما أن مصنوعاتهم الفخارية شديدة الشبه بالفخار المميز لمصنوعات معاصريهم سكان أرض عيلام، وكان أولئك النازحون على معرفة بطريقة البناء باللبن في مواطنهم الجديدة ولو أنه ليس من الضروري أن نفترض أن المسرح قد خلا لهجرتهم حينذاك وإنما لا يبعد أنه كانت تقابلها في الوقت نفسه هجرات سامية شقت طريقها من الغرب إلى بلاد الرافدين⁽²⁾.

وتعتبر حضارة العبيد أول حضارة في العراق القديم تنتشر في الشمال والجنوب رغم كونها جنوبية الأصل، ويظهر الإنتاج الحضاري الجديد في العديد من المجالات مثل صناعة الأواني الفخارية الملونة والمزينة والأواني الحجرية والأدوات النحاسية والعظمية والطينية والعمارة في مجالاتها الدينية والمدنية، كما ظهر التفوق الحضاري كذلك في ظهور بعض المفاهيم الفكرية فيكل من المراكز الحضارية لحضارة العبيد في الشمال والجنوب⁽³⁾.

كما يمكن القول بأن المخلفات الأثرية الموجودة في أسفل طبقة الطوفان تحمل الكثير من الشبه مع حضارة العبيد مما يدل على احتمال حدوثه خلال تلك المرحلة، هذا بالإضافة إلى أن عملية بناء المدن قد تحققت لأول مرة في الجنوب ابتداء من عصر حضارة العبيد، فقد عثر في إحدى قرى هذه الفترة على نماذج من بيوت على جانبي شوارع ضيقة وكانت تلك البيوت تتميز بأبواب مصنوعة من الخشب أو القصب ولها سطوح مستوية ويحتوي كل منها على أربع أو ست

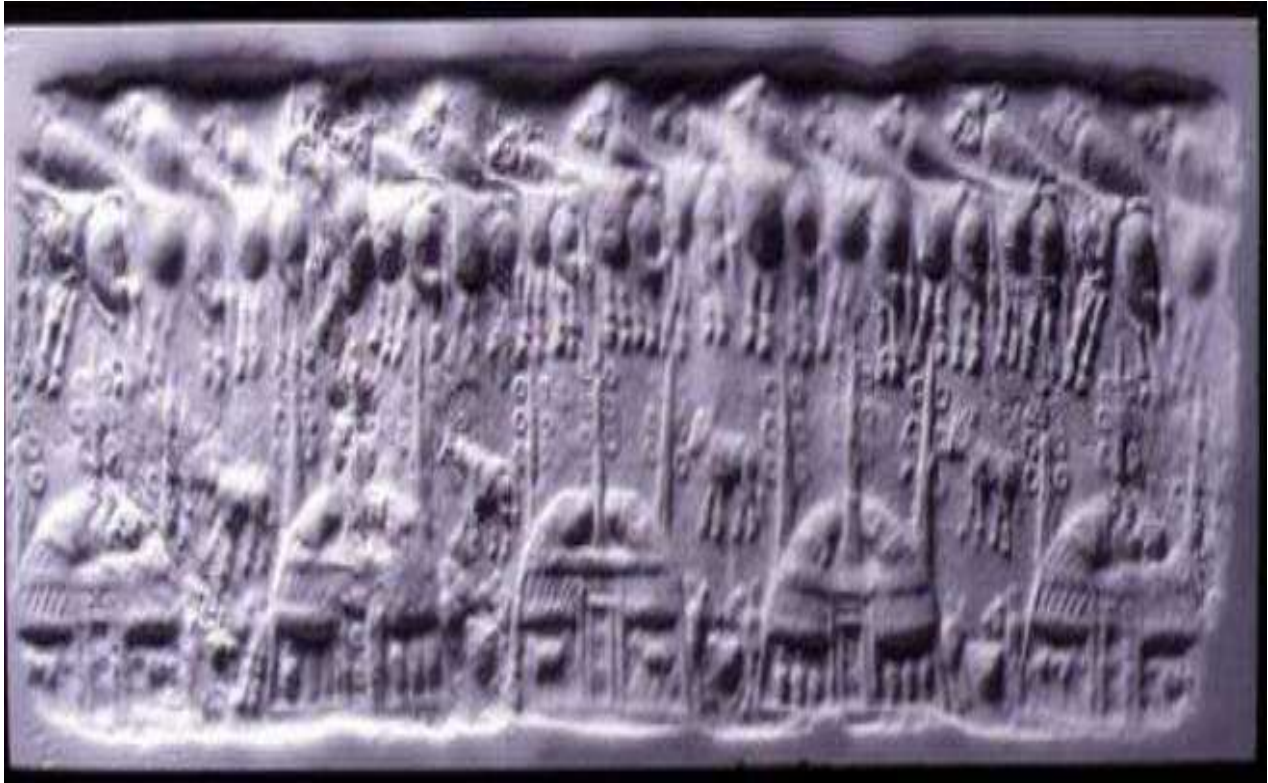
(1) -عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 28.

(2) -محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 30، 31.

(3) -أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر. العراق. إيران)، ص 236.

حجرات منسقة التخطيط، كما كانت مزودة بدرج للوصول إلى السطوح وعثر أيضا على بقايا مساكن مصنوعة من الآجر وتنتمي إلى حضارة هذا العصر⁽¹⁾.

فالحفريات التي أجريت في "تل العبيد" بالقرب من أور لتعطينا لمحة عن أحد الأقوام الذين استوطنوا القسم الجنوبي من دلتا الرافدين، فقد وجدت آثار قرية مشيدة على تل من طين يعلو قليلا عن مستوى الفيضان، وبيوتها من القصب المطلي بالطين ولها أسقف مستوية وتشبه طريقة صنع هذه البيوت ما نلاحظه عند سكان المنطقة نفسها اليوم (إذ أنهم يشيدون حزما من القصب ويقومونها بعد أن يربطوا رؤوسها فتصبح بشكل أقواس، ثم يغطونها بطبقة سميكة من الطين)، وكان لهذه الأكواخ أبواب تدور عضداتها على قاعدة من الحجارة التي كانت تستورد من الخارج، وتشغل المواقع حفرا في أواسط البيوت، أو تبنى من اللبن أحيانا⁽²⁾.



-طبعة ختم أسطوانة مناولة من أوروك حوالي 3300-3000 ق.م- (تبين بيوت القصب التي بناها السومريون ضمن بيوتهم النهرية). اطلع عليه بتاريخ 2022/04/03م. رابط الموقع على الإنترنت: <https://www.meisterdrucke.de/fine-art-prints/Sumerian>

(1)-نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 26.

(2)-ليونارد وولي، وادي الرافدين مهد الحضارة (دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ)، تر: أحمد عبد الباقي، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصر، 1948م، ص 19.



-بيئة الأهوار التي نشأ فيها المجتمع السومري القديم ونماذج من البيوت والحصران المستعملة-
(نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره (تاريخ مصور)، تر: سمير عبد الرحيم الجبلي، دار المأمون، بغداد، 1991م، ص 13).

إن الدليل على وجود استمرار في العقائد والشعائر الدينية يبدو مقنعاً بالنسبة لعلماء الآثار حيث قدمت ثلاثة مواقع أثرية مساهمات كثيرة لهذا الجدل، إن سلاسل العبيد نفسها المتمثلة بتل العقير وأريدو تبدأ زمنياً مع استيطان العبيد التقليدي وبالتناظر مع أريدو يمكن الافتراض باحتوائها على هيكل عبيدي أعيد بناؤه مرات عديدة، وفي هذين الموقعين تم إخلاء المستوطنات في زمن يتوافق مع نهاية العصر المسمى بعصر عبيد، وعلى الرغم من ذلك فإن المعبد الذي يشبه معبد أريدو قد أعيد بناؤه وتوسيعه خلال مرحلة بداية الكتابة، وفي العبيد بالذات أعيد بناؤه خلال عصر السلالات الباكرا، وفي أريدو اختيرت آثاره كموقع للزيقورات في زمن ملوك السلالة الثالثة في "أور"، وقد استعمل السومريون في عصر السلالات الهضبة العبيدية القديمة للمستوطنة كمقبرة لهم، وإذا وضعنا هذه الأمور في الذاكرة فإن البديل في أي عصر لمهاجرين مختلفين عن السكان المحليين يصبح فرضية غير مقبولة⁽¹⁾.

لكن إذا تتبعنا تطور العمارة في "أريدو" حيث يوجد الشكل الأساسي لتصميم المعبد والذي يمكن نسبته إلى عصر العبيد، عند ذلك نستطيع أن نقدر ظهور "السومريين" والتحقق من وجودهم قبل الوثائق المكتوبة التي كشفت عنها الأحافير، ومن ناحية أخرى إذا وضعنا في الاعتبار

(1)-سيتون لويد، المرجع السابق، ص ص 86، 87.

الاختراعات الملفتة للأنظار من عهد الوركاء: استخدام الفسيفساء المخروطي الشكل في الجدران، والزيادة المفاجئة في التعدين والتغيرات الواضحة في أشكال الفخار، وكذلك بعض التغيرات في عادات الدفن⁽¹⁾، كل ذلك يدفعنا إلى نسب تلك الاختراعات إلى أقوام جدد، هم أهل سومر⁽²⁾.

في حين نجد أن المؤرخين محمد حرب فرزات وعيد مرعي يؤكدان حقيقة معروفة بين نخبة المؤرخين وهي انفصال حضارة العبيد عن نظيرتها السومرية حيث يقولان: "...ويرى بعض الباحثين أن حضارة مجتمع تل العبيد يمكن أن تعد أقدم ما هو معروف من حضارات جنوب بلاد الرافدين المتعاقبة منذ أقدم العصور، وقد ترك ذلك المجتمع بصماته على لغته التي لا نعرفها والتي دخلت مفردات كثيرة منها في اللغة السومرية بعدئذ، وعلى الرغم من جهلنا بالاسم الذي كان يدعو به ذلك الشعب نفسه فإننا نستطيع أن نستنتج من بعض الباحثين أنه لم يكن سومريا، أما النصوص المكتوبة على رقم الفخار، وهي أقدم رقم مكتوبة بعلامات تصويرية فهي لا تمكن من التوصل إلى معلومات قاطعة، ولكنها تضع أمامنا بعض الملاحظات المفيدة، فاسما دجلة والفرات (إدجلات وبوراتوم) ليسا من اللغة السومرية وإلى لغة مجتمع العبيد تعود أسماء بعض المدن الرافدية التي قامت بأدوار مهمة خلال العصر السومري كأور ولجش وكيش ونيبور وأريدو ويؤكد المؤرخ "صمويل كريمر" أن مفردات هامة من لغة أولئك الناس انتقلت إلى اللغة السومرية وهي مفردات تتعلق بالمزارع والراعي والفلاح والنجار وكل هذه المفردات وأمثالها تدل على مستوى حضاري متقدم قام على قواعد من الخبرة الطويلة"⁽³⁾.

وبخصوص هذا الشأن يخالف المؤرخ "خزل الماجدي" رأي المؤرخين محمد حرب فرزات وعيد مرعي حيث يفترض بشكل رئيسي انحدار السومريين من العبيديين وصياغتهم لبذور

(1) -مورس الدفن تحت أرضيات البيوت خلال دور الوركاء ونفر منذ عصر فجر السلالات، وفي مدينة كيش منذ عصر فجر السلالات الأول سواء كانت تحت أرض غرف الأحياء أو الغرف المشيدة خصيصا للدفن، وكان القبر يحتل زاوية الغرفة، ويسمى قبر الميت (كيماخ) وهو مصطلح سومري يعني حرفيا الأرض العظيمة، وكان الملوك يدفنون في القصور الملكية كنوع من الامتياز الخاص بهم، أما المقابر المخصصة للأموات فقد كان يجري فيها الدفن إما في داخل المدن السومرية ضمن قبور منفردة كالذي حصل في نفر، أو بصورة مقابر منتظمة ما هو الحال في أور. ينظر: أحمد محمد شحود، الطقوس الجنائزية ودوافعها في بلاد الرافدين خلال العصر السومري (الألف الثالث ق.م)، مجلة جامعة تشرين للبحوث الدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 38، العدد 03، 2016م، ص 689.

(2) -عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 54.

(3) -محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 77.

الحضارة حيث يقول: "... وهم في رأينا الخليط الحضاري من الدجلويين والفراتيين الأوائل وجميع الفلاحين والحرفيين الذين نزحوا من شمال وادي الرافدين واستوطنوا سهله الجنوبي الرسوبي وأبدعوا في مجالات الزراعة وصناعة الفخار الخاص بهم واستعمال المعادن وبناء المدن... وكان زمن ظهورهم ينحصر بين (4000-3500 ق.م) وهم في رأينا السومريون الأوائل أو أجداد السومريين القريبون، وقد نشر العبيديون ثقافتهم وحضارتهم إلى شمال العراق والأناضول وسوريا والمتوسط وبلاد عيلام والجزيرة العربية والخليج وكانت إنجازات نوعية هامة على جميع المستويات، وهكذا فعل مثلهم أسلافهم السومريون الذين أكملوا نشر الحضارة الرافدية، ومع بزوغ السومريين بسبب الكتابة أدار هؤلاء القوم التاريخ من مراحل ما قبل التاريخ إلى أول المراحل التاريخية وهنا تكمن أهميتهم وفرداتهم⁽¹⁾.

وما قد يؤيد هذه النظرية فيما يخص التأصيل الحضاري للعنصر السومري بقريته العبيدي ما يلي: " الحضارة لا تأت من الخارج إلى الداخل، بل العكس كان دائما هو الصحيح، وإن كل الغزوات التي نكبت بها المنطقة من الشمال والشرق إنما كانت غزوات همجية تدميرية، لا غزوات حضارية تنقل أسباب المدنية من أوطانها التي لم تعرف بعد باعتراف المؤرخين صمويل كريمر وويل ديورانت نفسيهما، بدأتها قبائل بدائية غير سامية أطلقوا عليها زورا اسم "السومرية"⁽²⁾.

ففي هذه الفكرة بالذات المؤرخ "أحمد داوود" يرى أن السومريين قبائل بدائية غير متحضرة وهنا يريد الإشارة ربما أنهم أخذوا أسس الحضارة عن الأقوام الأصلية أي بمعنى العبيديين أو ربما الذين يطلق عليهم اسم الفراتيون الأوائل، وليس بالضرورة أنهم قد أخذوا مبادئ الحضارة يجعلهم همجا بل ربما أدنى مركزا حضاريا من سابقهم في وادي الرافدين.

في حين يرى المؤرخ "طه باقر" احتمال في وجود الأصل المحلي للعنصر السومري حيث يطرح رأيه على النحو الآتي "... فمن الاحتمالات أن السومريين لم يأتوا من جهات بعيدة خارج القطر، وإنما كانوا أحد الأقوام الذين عاشوا في جهة ما من وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الألف الخامس ق.م أو بعد ذلك الزمن عندما

(1)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص ص 36، 37.

(2)- أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم، ص 161.

أصبح هذا السهل صالحا للسكنى وأنهم لم يكونوا المستوطنين الوحيدين وإنما تعايشوا مع أقوام أخرى⁽¹⁾.

وقد أيد نفس هذا الطرح الباحث "عبد الوهاب حميد رشيد" حيث يقول في هذا الشأن: "...يقول جورج رو أن التراث الأدبي السومري يقدم صورة لقوم مثقف جدا ومتين جدا لكنه لا يعطي معلومات عن أصل السومريين، وتدور الحوادث والقصص والأساطير السومرية في وسط غني بالأنهار والبحيرات والبردي⁽²⁾ والنخيل، وهذه خلفية نموذجية لمنطقة جنوب البلاد وتعطي انطباعا قويا أن هؤلاء قد عاشوا دائما في ربوع هذه المنطقة، وليس هناك في كتاباتهم وآثارهم ما يؤكد أو يشير إلى وجود أي موطن سابق لهم يختلف عن وادي الرافدين، وهذا يعطي انطباعا متينا أنهم يمكن أن يكونوا قد تواجدوا دائما على أرض هذه البلاد منذ العصور الحجرية الحديثة المبكرة⁽³⁾.

ونحن لا نجد في المآثر السومرية وعلى رأس ذلك آدابهم وأساطيرهم وشعائهم الدينية ما يشير إلى أصل غريب عن بيئة وادي الرافدين الطبيعية ولاسيما في القسم الرسوبي منه، بل أن طابع حضارتهم المميز مشتق من بيئة نهريّة ذات أحراش وقصب ونخيل وظمي وغرين وفيضانات⁽⁴⁾.

كما تلقي بعض الآثار الأدبية التي خلفتها حضارة وادي الرافدين المزيد من الضوء على أصل السومريين منها إحدى أساطير الخلق السومرية والتي تدعى "قصيدة المعول" التي تعود جذورها الأولى إلى بدايات الثورة الزراعية في شمال البلاد حيث تقول: "...الإله أنليل بعد أن أسرع بفصل السماء عن الأرض عمل على خلق الإنسان الأول فحفر شقا في الأرض... ووضع بدايات

(1)- طه باقر، المرجع السابق، ص 80.

(2)- ينتمي إلى عائلة الحلفاء، كان ينمو بكثرة في مستنقعات مصر السفلى، وكان يستعمله المصريون في الماضي في أغراض كثيرة وخاصة في صناعة صحائف الكتابة، والسيقان التي يتراوح طولها بين عشرة إلى عشرين قدما (أي ما بين ثلاثة إلى ستة أمتار تقريبا)، كانت تقطع إلى أطوال يسهل تناولها ثم تنزع القشرة الخارجية ويشق اللب إلى سلخات سمكية، ترتب هذه السلخات بحيث تكون متوازية وأطرافها متداخلة بعضها فوق بعض، ثم توضع فوقها طبقة أخرى عمودية على السابقة ومفرداتها هي الأخرى متداخلة قليلا كالسابقة وأطراف بعضها فوق البعض. ينظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 151.

(3)- عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 45.

(4)- خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي، المرجع السابق، ص 17.

البشرية في الشق، وعندما بدأ البشر في الظهور كالحشيش كان "أنليل" ينظر مرتاحاً إلى شعبه السومري". وهذه المقولة توضح أن السومريين يكشفون عن أصلهم في الفقرة الأخيرة بأنهم أولئك الأسلاف رواد الثورة الزراعية في الشمال، وإذا قبلنا الجواب بالموافقة، حق لنا أن نؤكد بأن السومريين هم أصل الشعب العراقي⁽¹⁾.

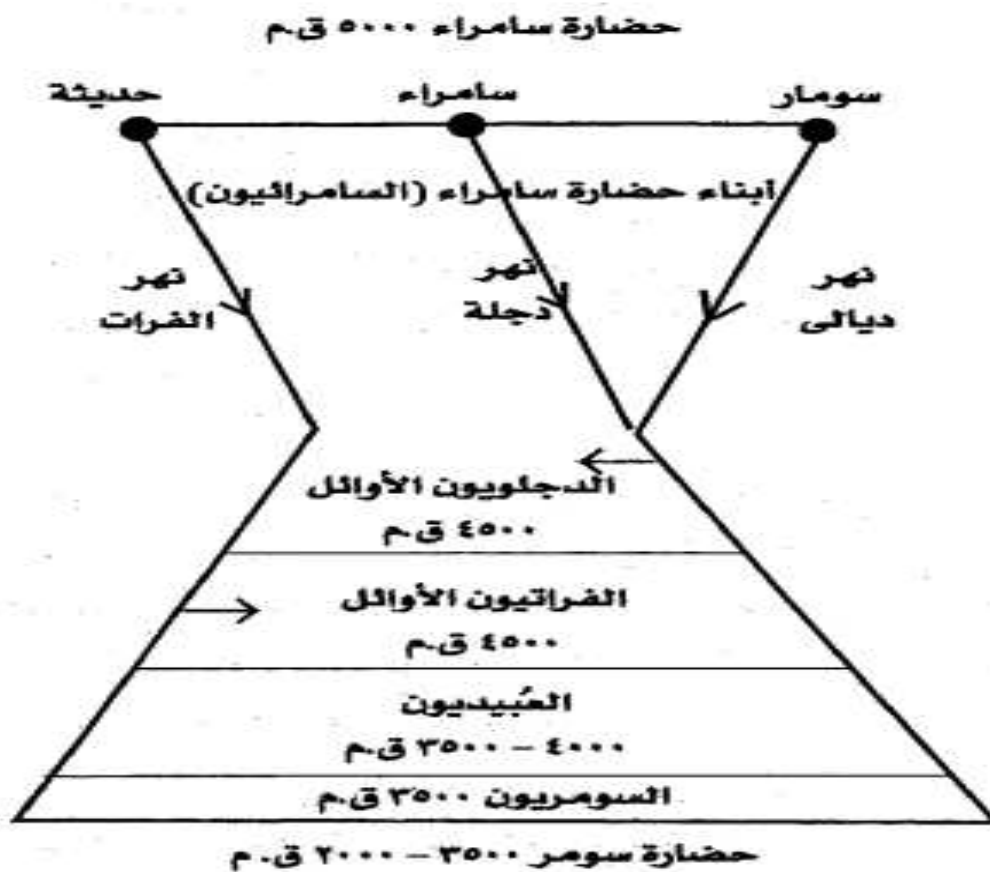
فهذه الأسطورة تشير إلى بداية ممارسة الزراعة المطرية التي بدأت في شمالي البلاد، وفي المقطع الأخير من القصيدة إشارة واضحة إلى أن السومريين وأهل الكهوف الذين اكتشفوا الزراعة لأول مرة في تاريخ البشرية ومارسوا الزراعة المطرية، هم أنفسهم أهل ميزوبوتاميا ممن انتشرت قراهم في كل أنحاء البلاد، وهذا التواصل الفكري - التاريخي يقدم دعماً آخر إلى أن السومريين هم أبناء أولئك الرواد الذين خرجوا من كهوف الشمال ونقلوا البشرية من عصر جمع القوت إلى عصر إنتاجه (الزراعة المطرية)، ثم انتشروا لغاية الجنوب (زراعة الري) ونقلوا البشرية من عصر ما قبل التاريخ إلى عصر التاريخ (ابتكار الكتابة)⁽²⁾.

كما يرى المؤرخ "خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي" بدوره أصالة العنصر السومري، وأنه لم يأتي نتيجة هجرات خارجية، ويظهر ذلك في قوله: "...ومن الآراء الأخرى أن هناك من يطرح فكرة أن السومريين من سكان الأقسام الشمالية من العراق وجاءوا إلى القسم الجنوبي منه على شكل جماعات مهاجرة وذلك بسبب تزايد السكان الذي حدث في الأقسام الشمالية أثناء فترة حضارتي سامراء وحلف، والذي أصبح لا يتناسب وكمية المواد الغذائية التي تنتجها المنطقة، فأدى هذا التزايد إلى هجرة الفائض، وبعد كل هجرة يبدأ من جديد تزايد عدد السكان الذي يؤدي إلى هجرة أخرى، وكانت كل جماعة مهاجرة تسكن في منطقة معينة من القسم الجنوبي، ثم إن المناطق التي سكنتها هذه الجماعات المهاجرة نمت وتطورت وكونت دويلات المدن السومرية المعروفة⁽³⁾.

(1)-خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي، المرجع السابق، ص ص 45، 46.

(2)-عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 161.

(3)-خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي، المرجع السابق، ص 17.



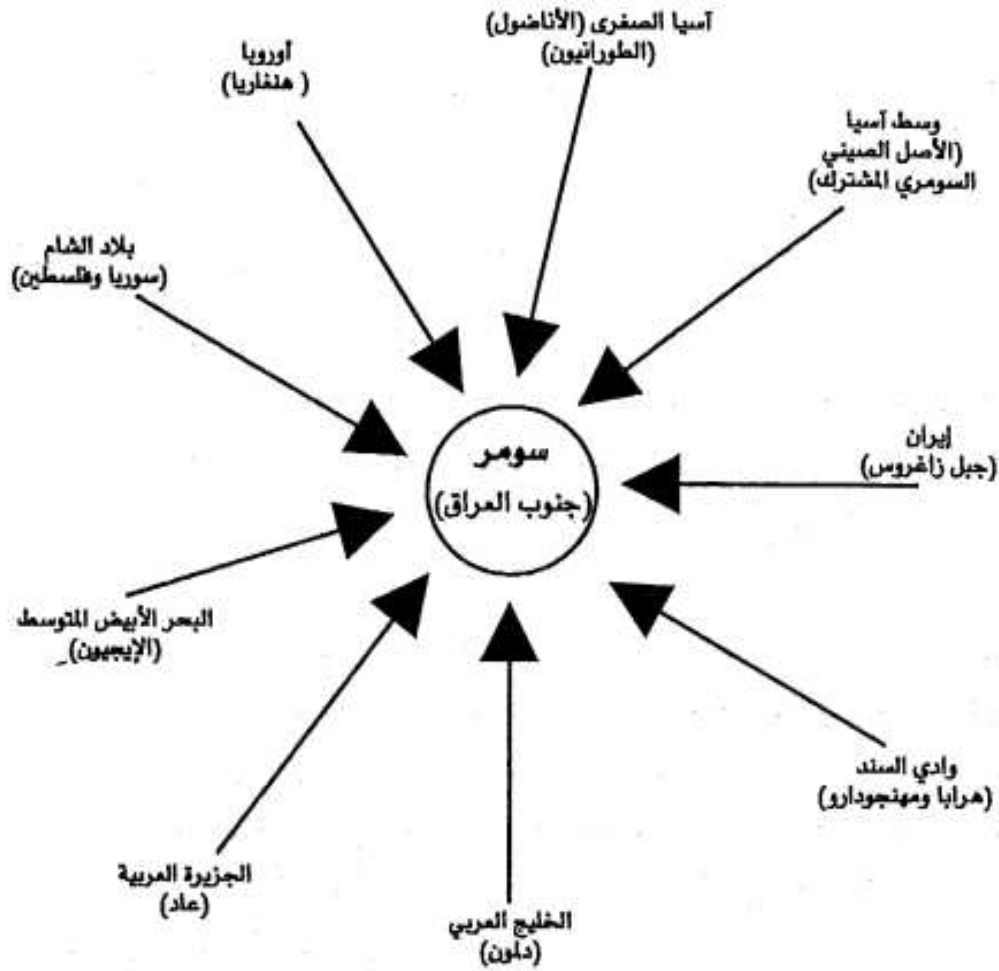
-مخطط مقترح للأصل الرافدي الشمالي ولكيفية تشكل أجداد السومريين في جنوب بلاد

الرافدين - (سيتون لويد، المرجع السابق، ص 37).

د-نظرية الأصل الأرميني:

اتجهت الآراء في تخمين الأصل الجنسي واللغوي للسومريين إلى عدة مذاهب، كل منها افترض أن أجداد السومريين هاجروا إلى العراق من المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية التي تحف به عن طريق أرمينيا وإيران، هو فرض قد يجد ما يزيكه في توافر البيئة الجبلية والخصائص الجنسية المومي إليها في هاتين المنطقتين، لولا أنه يمكننا أن نستبعد أرمينيا منها، على اعتبار أنه كان من المستبعد أن يهبط المهاجرون منها ويتجاوزوا المناطق الصالحة للاستيطان القريبة منها في شمال بلاد النهرين ليذهبوا بعيدا عنها ثم يستقروا في الأجزاء الجنوبية حيث تشتد ملوحة الأرض وترتفع المياه الجوفية والرواسب المعدنية للفيضانات، وحيث كانت أطرافها لا تزال وحشية الطابع تتطلب مجهودات كبيرة لتهديبها وتيسير الانقاع بها⁽¹⁾.

(1)-عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 588.



-نظريات أصل السومريين من خارج وادي الرافدين- (خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 29).

ذ-نظرية الأصل الشامي (سوريا وفلسطين):

يتخذ مناصرو هذه النظرية من فخار الوركاء السومري دليلاً على أن له ما يشبهه في شكله وألوانه الحمراء والرمادية والتي عثر عليها في شمال سورية وفلسطين، فرسموا طريقاً منحدرًا من تلك المناطق اختطه أجداد السومريين ثم استوطنوا منطقة سومر، وتضعف هذه الحجة أمام الأصل العبيدي والوركائي للفخاريات الشامية وليس العكس⁽¹⁾.

أي من خلال القول يستدل على ضعف حجة اقتباس السومريين من الشاميين بعض الأسس الحضارية والتي في مقدمتها الفخار، كون هذا الأخير قد اقتبسه الشاميون القدامى عن السومريين حسب ما وصلت إليه البحوث الأثرية.

(1)- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 33.

2. نظريات الأصول الإفريقية والمتوسطة:

أ- نظرية الأصل الزنجي:

يقول الملك "حمورابي" حول السومريين:

أنا حمورابي الملك الكامل. لقد أهداني إيل. ذوي الرؤوس السوداء،

وسلمني مردوخ منصب الراعي عليهم. لم أكن لنا عليهم، لم أضع يدي في حضني.

لقد بحثت لهم عن أماكن الرفاه. خففت لهم الشدائد وجعلت النور يسطع فوقهم....

وتذهب القصة السومرية إلى أن بلاد دلمون كانت تتمتع بقدسية خاصة، وكانت فيها آلهة

تعبد لها أهل العراق، وقد وصفت بأنها "أرض الخلود" إلا أنه ينقصها الماء العذب اللازم لحياة

الحيوان والنبات فأمر إله الماء السومري "أنكي" إله الشمس أن يملأها بالمياه العذبة النابعة من

الأرض، وهكذا تحولت دلمون إلى حديقة إلهية غناء مملوءة بالثمار والمروج والرياض، والكلمة

في اللغة العربية-السرانية "دعلمون" فالدال للتعريف وعلمون تعني الخلود⁽¹⁾.

وضمن قراءة لأسطورة أخرى نجد ذكرا للأصل الزنجي بعبارات واضحة وذلك في قولها:

المتوافقة اللسان. كنكي، الأرض العظيمة، ناموس النبالة. كيري، الأرض البهية.

أرض مرتو، المرج الآمن. كون الرؤوس السوداء وهم. يخاطبون الإله أنليل بلسان واحد⁽²⁾.

أما المؤرخ "محمد بيومي مهران" فيصفهم على النحو الآتي: "...ولدينا بعض المعرفة

بالكيفية التي أن يظهر بها السومريون وحياتهم الاعتيادية، كانوا قصار القامة ذوي أنوف معقوفة

كبيرة، وهم يصورون أنفسهم في تماثيلهم باعتبارهم أناسا مدوري الرؤوس، ذوي رؤوس سوداء

كبيرة، ولحي طويلة لكن دون شوارب⁽³⁾.

كما يضيف لنا نفس الباحث معلومات تذكر نفس الصيغة الواصفة للسومريين حيث يقول:

"...إن قائمة الملوك السومرية وكذا قصة الطوفان تقدمان لنا قائمة بأسماء المدن التي قامت فيها

الملكية الأولى لأول مرة في جنوب العراق، فتروي أنه بعد أن شكلت الآلهة (أنو وأنليل وأنكي

(1)-أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم، ص ص 128، 129.

(2)-عبد المنعم المحجوب، أصوات بابل، ص 32.

(3)-محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 91.

وننخورساج) ذوي الرؤوس السوداء وأوجدت الحيوان وأكثر من النبات قام الإله أنو بتأسيس المدن الخمسة (ما قبل الطوفان) (1).

أما أصل السود في العراق فيبقى الخيط الذي يربطهم بجذره الرئيسي ضعيفا، وهذا خلاصة رأي المؤرخ "سليم مطر" حيث يقول: "...من الصعب تقدير عدد السود في العراق، ربما بضعة مئات من الآلاف (حاليا) فليس هنالك أية دراسة عنهم ولا عن تاريخهم وثقافتهم، يتواجدون أساسا في المحافظات الجنوبية، ويكثر في البصرة، إنهم موجودون في المنطقة منذ العصور الحضارية القديمة، فالمنحوتات الأثرية تظهر أشخاص سود بشعر أجعد، ربما تم جلبهم من خلال التجارة مع سواحل جنوب الجزيرة العربية وإفريقيا" (2).

فلا ريب أن أرض الكلدانيين (3) سكنت قديما بعد الطوفان بقليل لأن موقعها مناسب لارتحال الناس إليها من متفرق الجنس الذي كان في هضبة أرمنيا أو شرقيها كما مر لأنهم يلتقون حالا نهر دجلة وينزلون منه إلى البقعة الواسعة المخصبة الواقعة بين النهرين، والظاهر من نص الكتاب المقدس (تك 11: 1 و2) أن قوما ارتحلوا إلى أرض شنعار أي أرض الكلدانيين قبل أن يختلف البشر لسانا، أما عن من استوطنوا بابل ونواحيها (يقصد بذلك أيضا أرض سومر التي تندرج ضمن هذا النطاق الجغرافي)، فحسب قول التوراة هم نمرود وقومه أي بني كوش وهم من نسل حام، غير أن أمة الكلدانيين ولغتهم ساميتان محضتان بخلاف نص الكتاب وتاريخ "بيرسوس"، وقد اختلف العلماء كثيرا حول هذه المسألة إلا أنه قد ظهر حديثا من آثار هذه المملكة القديمة المكشوفة في عصرنا أن لغتها تغيرت كثيرا من إنشائها، فمع كونها سامية محضة صارت في منتصف زمانها أواخرها غير ما كانت عليه، فإن فيها أصولا تشبه أصول لغات إفريقية

(1)-محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 100، 101.

(2)-سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، ص 33.

(3)-يرجع علماء الآثار وطن الكلدانيين الأصلي إلى شواطئ الخليج الفارسي في جنوب العراق، حيث أسست هناك منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد أو ربما قبل ذلك سلالة الأمراء التي عرفت عند المؤرخين بسلالة القطر البحري أو (سلالة بابل الثانية) التي كانت بالدرجة الأولى من بقايا السومريين، وقد تمكن ملوك هذه السلالة من بسط سيطرتهم ونفوذهم على سواحل الخليج الفارسي وأكثر المدن السومرية والأكدية في جنوب بلاد الرافدين، والكلدانيون هم من القبائل العربية القديمة وقد اشتق اسمهم من قبيلة (كلدي)، ويعددهم المؤرخون فرعا من الآراميين نزحوا من سورية إلى جنوب بلاد الرافدين، وقد ظهوروا لأول مرة في عهد الملك (شمسو - ايلونا) خليفة الملك (حمورابي). ينظر: حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 525.

الكوشية وأخرى تشبه أصول اللغات الطورانية وفي تقاليد اليونان وغيرهم، ما يشير إلى قدم أمة كوشية في إفريقية وغيرها في آسيا، فالظاهر من هذا أن نسل كوش أو حام سكن أرض الكلدانيين أولاً ثم أتى أناس من جنس الطورانيين والآريين والساميين أيضاً، حتى أن بعض ملك هذه المملكة يسمون أنفسهم في كتاباتهم ملوك اللغات الأربع كناية عن الأجناس الأربعة وفي نفس اللغة ما يؤيد ذلك التركيب، الظاهر أن هذه المملكة تأسست قبل أن تختلف الأجناس واللغات كثيراً.

أما الكوشيون الذين سكنوا هذه الأراضي فلم يرتحلوا إليها على ما يظهر من الشمال بل أتوها من ناحية خليج العجم، واستوطنوا ما يليه أولاً ففي تلك الناحية أقدم الآثار، ومن ذاك ظن الحاميون أنهم ارتحلوا أولاً إلى إفريقية ولاسيما مصر، كما مر وامتد الكوشيون فيها ثم رجعوا عن طريق بوغاز باب المندب إلى جزيرة العرب ولازموا شطوطها الشرقية حتى وصلوا إلى رأس خليج العجم، فإن لهم آثاراً على شطوط الجزيرة، ولا ريب أن الآثار في جنوبي أرض الكلدانيين لهم وعمران تلك الجهات أول عمران المملكة، أما الطورانيون غيرهم فأتوا من الشمال والشمال الشرقي واختلطوا معهم وتغلب الساميون أخيراً على الجميع⁽¹⁾.



-الملاحح الحالية لسود العراق (الأصل المحتمل للعنصر السومري)- (سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية..، ص32).

كما يؤكد المؤرخ "رشيد رونوكو" من جهته الأصل الزنجي للعنصر السومري حيث يقول: "أطلق السومريون على أنفسهم اسم ذوي الرؤوس السوداء، ولابد من أنهم كانوا واحداً من العديد من المستعمرات الكوشية-النيلية التي تم إنشاؤها في أوائل آسيا وذلك بالاستناد إلى ما جاء في

(1)- هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1991م، ص ص 38، 39.

التوراة عن النمرود أنه ابن كوش... كما أطلق الإغريق والرومان على الكوشيين لقب إثيوبيين والذين احتلوا جميع السواحل الجنوبية لكل من آسيا وإفريقيا⁽¹⁾.

ب- نظرية الأصل الإيجي:

ضعفت كثيرا نظرية احتمال كون السومريين من أقوام البحر الأبيض المتوسط والتي اعتمدت بالدرجة الأساس على تحديد صنف الجماجم التي عثر عليها في المقابر السومرية من أنها تمثل جنس البحر المتوسط الناتئ الفك، الغليظ العظام والكبير الأسنان نوعا ما، وذهب البعض إلى أن أغلب مؤخرة الجماجم السومرية مستقيمة هو ما يمثله جنس البحر المتوسط، بالإضافة إلى المؤثرات الثقافية المشتركة المبكرة مع بعض الجزر الإيجية⁽²⁾.

ما يمكن قوله حول ربط السومريين بالعناصر الإيجية قياسا على النتائج الحاسمة لدراسة الجماجم المتشابهة بين الطرفين حجة غير دامغة، باعتبار أن وجود هجرات بشرية وكذا اختلاط الأجناس البشرية تمثل عوامل لا يمكن تجاهلها عند تحديد السمات الأنثروبولوجية المشتركة.

3. نظريات الأصول الأوروبية:

* نظرية الأصل الهنغاري:

قام الدكتور "بندك" من جامعة "بوينس آيرس" بإصدار كتاب "الأعجوبة السومرية" عام 1974م، حاول أن يثبت من خلاله أن السومريين جاءوا من "هنغاريا"، وأغرب ما في هذا الكتاب قائمة تحتوي على عشرات من المفردات السومرية التي أوجدها المؤلف بطريقة أو بأخرى، وما يوازيها في الهنغارية معنا ولفظا، وقد خلص الباحث في نهاية الأمر إلى رسم خريطة توضيحية لهجرة السومريين من الأراضي الهنغارية إلى بلاد الأناضول وصولا إلى مناطق الفرات العليا ومن ثم النزول باتجاه جنوب وادي الرافدين نحو ما يعرف ببلاد سومر⁽³⁾. وتبقى هذه الفرضية مجرد خيال سببه أن الدكتور "بندك" بدلا من يأخذ بالحقيقة التاريخية المعروفة، وهي أن بعضا من مظاهر الحضارة السومرية وخاصة الكتابة انتشرت في عصر مبكر

(1) Rashidi Runoko, *The Kushite Origins of Sumer and Elam*, A Journal of African Studies, vol 12, California – Digital Library, p 216.

(2) -فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 21.

(3) -نفسه، ص 22.

جدا إلى مناطق بعيدة باتجاه الشرق إلى عيلام ومناطق أخرى في إيران وبتجاه الغرب إلى شمال سوريا والأناضول وصولاً إلى بعض دول أوروبا الوسطى، فإنه عزا وجود بعض رقم الطين التي تحمل كتابات صورية والتي تم العثور عليها حديثاً في رومانيا إلى أن السومريين كانوا يسكنون تلك المناطق قبل هجرتهم منها إلى بلاد وادي الرافدين⁽¹⁾.

بعد الدراسة المستفيضة والتحري حول أصول السومريين وتتبع الخيط الذي يحدد انتماءهم الحضاري وهذا حسب النظريات المطروحة للنقاش من طرف المؤرخين وعلماء الآثار باختلاف تخصصاتهم ورتبهم، استنتجنا العديد من النقاط الركيزة حول أصولهم في ضوء الاقتراحات المعروضة على الساحة العلمية في انتظار تركيتها ووضع أسس علمية لها، وتتمثل هذه الاستنتاجات فيما يلي:

1- تحتوي كل نظرية من النظريات المطروحة على الساحة العلمية لتأكيد مطابقة أوصافها مع الحل الأكاديمي لمشكلة الأصل السومري عدة براهين مختلفة السند (أدبي لغوي، أثري، تاريخي) والتي تظهر لنا في بدايتها الأقرب إلى التسليم بمبدئها، وأنه وبعد تقديم براهين داحضة لمختلف هذه النظريات استبعادها ولو آنيا من التصديق بمرجعيتها قياساً على أدلة أخرى تستند على الجانب التطبيقي أي الدراسات الأنثروبولوجية، دراسة التماثيل.

2- كل النظريات المطروحة من قبل المؤرخين وعلماء الآثار لا تحتوي بشكل عام على جانب تطبيقي ميداني مكمل للجانب النظري، وبالرغم من اشتغال هذه النظريات على بعض المعايير الميدانية إلا أنها تبقى جزئية النتائج، وهذا الأمر يرهن إلى حد ما التسليم بصحة أية نظرية من النظريات المذكورة.

3- ما يمكن ملاحظته حول مختلف النظريات السائدة حول أصل السومريين أنها تعتمد بالأساس على فكرة أن هؤلاء القوم أسبق إلى اللغة والكتابة (الآداب، المدارس، الشرائع، المكتبات)، لكن الغريب في الأمر هو أنه كيف لمجموعة سكانية متحضرة مثل السومريين أن

(1)- فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 22.

يغفلوا عن تدوين مرجعية تاريخية أو أدبية عن أصولهم الفعلية، وهذا الأمر لا يمكن تفسيره سوى بأمرين:

أ- تستر بعض الباحثين الأجانب حول الأصل الفعلي للسومريين، وهو الأمر الذي قد يغير المفاهيم السائدة منذ القدم حول المرجعية الحضارية في المنطقة (أي ربما وجود عداوة بين المدارس الفكرية المتعددة التي تنتمي إلى حضارتين مختلفتين وهما الحضارة الشرقية ونظيرتها الغربية).

ب- عدم العثور على آثار فعلية تحمل دلالات واضحة حول أصولهم، أو ربما نقص استقراء تلك الآثار وتناول محتواها من جانب لا تخدم قضية الكشف عن الأصول.

4- الصلة المشتركة بين جميع النظريات هو في محاولة كل واحدة منها تقديم براهين وحجج متعددة لتبين أنها هي الانحدار المباشر للسومريين أو على الأقل الأقرب إليهم من الناحية العرقية أو الجنسية، وهذا الأمر (أي تناحر النظريات فيما بينها) هو الذي جعل ربما إمكانية حل مسألتهم يزداد صعوبة في كل مرة، فالأجدر أن يكون هناك تنسيق الجهود ومطابقة الجانبين النظري والتطبيقي لبلوغ نتائج مرضية وإن لم تكن كلية فستكون جزئية على الأقل، والتي ربما ستفتح طريقا ولو كان ضيقا، لكنه على الأرجح سيكون مسارا صحيحا لتتبع أصول ما يعرف تاريخيا بمسألة التحري عن "صناع الحضارة".

الفصل 11 الثالث

الدراسات التطبيقية والأصول السومرية

1. الدراسات الأثرية.
2. الكشف عن مقبرة "أور" (الدليل الأركيولوجي على عصر فجر السلالات السومرية).
3. الدراسات الأنثروبولوجية والجينية.
4. الدراسات اللغوية.

1. الدراسات الأثرية:

أدت أعمال الحفائر التي أجريت في بلاد الرافدين إلى الكشف عن مجموعات هائلة من الآثار المتنوعة ما بين آثار ثابتة كالمعابد والقصور والمنازل والزقورات وآثار متحركة كالتماثيل وأدوات الزينة والأسلحة والأدوات المنزلية وغيرها، وكذلك الكشف عن مئات الآلاف من الألواح الطينية المتضمنة الكثير من الغموض الذي كان يكتنف تاريخ بلاد النهرين، فأصبح في متناول الباحثين المادة العلمية التي تمكنهم من تتبع المراحل التاريخية المتتالية لبلاد النهرين وكذلك التطور الحضاري في مظاهره المتعددة سواء كانت مادية أو فكرية⁽¹⁾.

وقد بدأت ضرورة القيام بعمليات سبر واستكشاف المواقع الأثرية في الوقت نفسه الذي كانت تتقدم فيه الدراسات اللغوية للتعرف على أسرار اللغات القديمة في المنطقة، وحتى أواسط القرن التاسع عشر كان الرحالة الأوروبيون يكتفون بالتعرف على ما يجدونه على سطح الأرض وسفوح التلال من آثار العصور الغابرة ويجمعون ما يمكن جمعه من الأشياء والرقم، وكان الحديث عن تلك التلال يتردد في الغرب منذ رحلة الإسباني "بنيامين الطليطلي" خلال القرن الثاني عشر ثم رحلة النبيل الإيطالي "بترو دلافالي" والفرنسي "تكسييه" خلال القرن السابع عشر، وقد قام هؤلاء المستطلعون الأوائل بوصف المواقع الأثرية والآثار الظاهرة جغرافيا وطبوغرافيا ومعماريا مما مهد السبيل أمام مغامرين آخرين⁽²⁾.

فالمعارف المتعلقة ببلاد الرافدين القديمة حديثة نسبيا فحتى أواخر القرن الثامن عشر لم تتجاوز المعلومات عن هذه المنطقة سوى بعض المعطيات القليلة وتمثلت في بعض أسفار العهد القديم وروايات الكتاب الإغريق، وهو تاريخ يغلب عليه الطابع الأسطوري ولم تصل للباحثين سوى بعض الفقرات والتي لا يمكن الاعتماد عليها⁽³⁾.

(1)- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، ص 41.

(2)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 31، 32.

(3)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 03.

ونتيجة لأعمال المسح⁽¹⁾ والمجسات⁽²⁾ والتنقيبات في أكثر من 6400 موقع أثري ببلاد الرافدين تقدمت المعارف فيما يخص تاريخها وحضارتها بصورة أفضل، بحيث تتميز كل مرحلة بطابع مميز من ناحية البنية المعمارية، الفخار، الأختام والكتابات⁽³⁾، وقد ساعد كذلك تفسير النصوص الكتابية في التعريف بتاريخ المنطقة، ورغم ما تمثله هذه الكتابات القديمة من أهمية فقد ساهمت المادة الأثرية بشكل أكثر قيمة في تسليط الضوء على مختلف المراحل التاريخية والحقب التاريخية التي مرت بها المنطقة، كما ساهمت في تقديم بيانات وافية من حيث التطرق إلى جميع التفاصيل، ومن هنا يتبين من جملة جهود الأثريين المبذولة في التنقيب عن الآثار وما حققته من نتائج لا تقل أهمية عن تفسير رموز الكتابة المسمارية القديمة⁽⁴⁾.

فمن المهم أن نتذكر أهمية هذه التحريات الأثرية خلال العقد الخامس من القرن العشرين، عندما بدأ الباحث "ر.ج. بريدوود" من جامعة شيكاغو مشروع "جرمو العراقي" يدعمه فريق من المتخصصين المتنوعين، وقد اعتبر ما قدمه هؤلاء من أبحاث ابتكارا كبيرا بحد ذاته، كما كرس عدد من العلماء من جنسيات مختلفة أنفسهم لسنوات طويلة لدراسة الحضارات ما قبل السومرية وأصول حضارات بلاد الرافدين، ولقد اكتشف الباحث والمنقب "ليونارد وولي" سكان المستنقعات البدائيين في موقع سمي باسم "العبيد Ubaid" وفي سبر عميق في سويات ما قبل التاريخ في "أور Ur"، بينما قام زميله "م.ي.ل. مالوان M.E.L. Mallowan" بعملية اختراق أكثر عمقا في تل

(1)- المسح الأثري هو ارتياد المواقع القديمة التي بقيت آثار الإنسان على سطحها لاختيار موقع الذي يمكن إجراء الحفائر فيه، وغالبا ما تكون هذه الآثار قد تأثرت بالكثير من العوامل المختلفة من مظاهر السطح والخطوط الكنتورية وتغيرات الطقس وتطور الزراعة وتوسع المستوطنات السكانية وما فرضته الأعمال التحصينية لهذه المستوطنات، وليس بالضرورة أن تكون استنباطات الأثريين صائبة لأن هذه المواقع الأثرية تعطي عند الحفر غالبا ظواهر جديدة معقدة أكثر مما تنتجها استقراءات سطح الموقع، ومن هنا فإن المسح الأثري أو بمعنى آخر التحقيقات المبدئية الخاصة بالموقع القديم قبل الحفر فيه لابد أن تكون كاملة وشاملة بحيث يدخل فيها ضرورة فحص هذا الموقع وكل ما يحيط به من ظواهر، وضرورة الوقوف على الأعمال التنقيبية التي أجريت فيه من قبل وكذلك الإحاطة بالظواهر التوثيقية من الناحية الجيولوجية طبيعة التربة ونوع النباتات . ينظر: عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي، (د.م)، (د.ت)، ص ص 93، 94.

(2)- تستخدم هذه الطريقة إذا كانت الآثار مطمورة ولكن على عمق صغير من السطح ويستعمل في ذلك أداة بشكل قضيب من الصلب قطره نصف بوصة وطوله 40 بوصة ويثبت بإحكام عند نهايته العليا مقبض خشبي متين وسميك بشكل حرف "T". ينظر: فوزي عبد الرحمن الفخراني، الرائد في فن التنقيب عن الآثار، ط2، جامعة قار يونس، ليبيا، 1993م، ص 155.

(3)- نخبة من العلماء، المرجع السابق، ص 295.

(4)- محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 07.

قوينجق في منطقة نينوى، واستطاع التعرف على سلسلة من عمليات الاستيطان ظهر فيها أن السكان استطاعوا استيعاب عملية صهر النحاس ومارسوها بشكل كبير⁽¹⁾.

أما عن أهمية التنقيبات الأثرية، فقد شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر بداية اهتمام الدراسات الأثرية بالنصف الجنوبي من بلاد النهرين، وكان ذلك إيذاناً بالكشف عن حضارات السومريين الأكديين في مثل مدن كيش، أور والوركاء، نفر، لجش، ثم اتسعت البحوث الأثرية في جنوب العراق وشماله معاً خلال القرن العشرين، واتسم بعضها بالطابع العلمي الدقيق في الكشف عن الآثار وقراءة النصوص وتحليلها، وصحبها اهتمام مماثل بآثار فجر التاريخ في النصف الجنوبي، في مثل العبيد وجمدة نصر، وفي النصف الشمالي في مثل تل حلف وحسونة، الأمر الذي جعل كل فترة من فترات الحضارات العراقية الطويلة الممتدة من الدهر الحجري القديم الأسفل حتى نهاية العصر الكلداني الأخير، جديرة بدراسة مستقلة مستفيضة⁽²⁾.

في حين نرى كذلك صعوبة فصل علم الآثار في قضية الأصل السومري، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ "حسن محمد محي الدين السعدي": "...أما الأساس الثالث وهو الأساس الأثري، فقد أفاد في محاولة التعرف أمرين، أصولهم الأولى وتاريخ قدومهم أو ظهورهم بالمنطقة، وكلاهما تكتنفه صعوبة بالغة لاسيما مسألة التأريخ التي يختلف فيها العلماء اختلافاً بينا نابع من اختلاف طرائقهم في تحديد زمن كل حضارة خلال عصور ما قبل التاريخ فضلاً عن تداخل مظاهر اللقى الأثرية في بعضها الآخر"⁽³⁾.

وعن عمليات التنقيب الكبرى فقد تم الكشف عن الحضارة السومرية والأكدية في جنوب بلاد الرافدين منذ أواخر القرن التاسع عشر فعثر المنقب "دي سارزك Sarzec" في مدينة لجش على الكثير من التحف الأثرية مثل: لوح النسور وتمثال الملك "جوديا"⁽⁴⁾، ثم تبع ذلك عملية الكشف

(1) -سيتون لويد، المرجع السابق، ص ص 33، 34.

(2) -عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 566.

(3) -حسن محمد محي الدين السعدي، المرجع السابق، ص 51.

(4) -يعود إلى المرحلة السومرية الأكدية (حوالي 2100 ق.م)، ارتفاعه نحو 24 بوصة وهذا النوع من التماثيل كان شائعاً خلال هذه الفترة، إذ يوجد حوالي عشرين تمثالاً منسوباً لهذا الملك في وضعيات الجلوس والوقوف، موزعة في متاحف عالمية، وقد نحت التمثال من أصلب أنواع الحجارة البركانية مما جعل النحات يبذل أقصى جهده ومهارته من أجل تنفيذها بهذا الشكل والتمثال في

عن مدينة "نيبور" و"لارسا"، كما عثر الباحث "صمويل كريم" على لوح في هذا الموقع وتشير سجلاته إلى وجود عدد من الكتب والتي يبلغ عددها حوالي 62 كتاباً، كما عثر على لوح آخر دونت فيه أسماء 68 كتاباً آخر (محفوظ في متحف اللوفر) وتتضمن تلك الكتب أو المدونات العديد من القصص الأسطورية مثل: أسطورة "جلجامش" وأسطورة "الطوفان" وغير ذلك من الملاحم والأساطير والأناشيد⁽¹⁾.

وعن دور الأعمال الحفرية في الكشف عن الحضارة السومرية وأصولها، يرى المؤرخ وعالم الآثار "سيتون لويد" ما يلي: "...ينبغي أن نعود الآن إلى السجل الأثري ونعدد بعض المواقع السومرية التي ساهمت في تكوين معارفنا عن عصر السلالات القديمة، ولذا فمن المستحسن أن نبدأ بموقع ديابلي لسبب وحيد وهو أن اللقى الأثرية في هذا الموقع قد لعبت دوراً كبيراً في تشكيل البنية الزمنية التي يمكن أن نضع على أساسها كل حساباتنا، وفي هذه المنطقة يكتسب موقع خفاجة المركز الأول من حيث الأهمية، فقد جذب الانتباه في السنوات التي سبقت عام 1929م بسبب الكمية الكبيرة من أجزاء التماثيل السومرية التي كانت عمليات الحفر غير المشروعة تضعها في أيدي المتعاملين وتجار الآثار في بغداد، لقد كانت الهضبة الواقعة قرب الضفة الشرقية لنهر ديابلي وعلى بعد 15 ميلاً إلى الشمال من نقطة التقائه مع نهر دجلة، هي مصدر كل هذه الآثار، وأن موسماً واحداً من عمليات التنقيب الأثري التي قام بها فريق من المؤسسة الشرقية لجامعة شيكاغو قد كشف عن وجود معبدتين سومريتين تحت قمة التل مباشرة، وكان أحد هذين المعبدتين وهو يشغل مركزاً متوسطاً مكرساً لإله القمر "سن"، خلال السنوات التالية تم التعرف على عدة

وضعية الوقوف والمواجهة وله غطاء على الرأس، ومن الواضح أن هذه الخصائص انحدرت من التقاليد النحتية من مرحلة "تل أسمر" فالعيون كبيرة وواسعة والحوارب غليظة وذات حواف، قد نفذت بنفس الطريقة ووفقاً للتقاليد المعروفة في فن نحت التماثيل الشخصية المتعارف عليها في بلاد الرافدين، فلكتف والذراع الأيمن عاريين والملابس منسدلة عليه رأسياً إلى أسفل من الكتف الأيسر والصدر، وجاء تحديد الملابس الخارجية عبارة عن خط بسيط خال من النتوءات أو التعقيدات النحتية. ينظر: هاشم عبود الموسوي، موسوعة الحضارات القديمة، ط1، دار حامد، الأردن، 2013م، ص ص 116، 117.

(1) -نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ص 07، 08.

عمليات إعادة بناء الهيكل عبر مستويات تمثل كل مرحلة من عصر السلالات القديمة، هبوطاً حتى الأساس الأصلي للمعبد الذي ينتمي إلى عصر جمدة نصر⁽¹⁾.

2. الكشف عن مقبرة "أور" (الدليل الأركيولوجي على عصر فجر السلالات السومرية):

تقع "أور" على بعد ستة كيلومترات جنوب الناصرية على نهر الفرات في جنوب العراق وحوالي 320 كيلومتراً من الخليج العربي، وهي مدينة مهمة من عصر "السلالات السومرية"، وقد أجرى فيها "بيترو دي لافال" تحريات منذ وقت مبكر يرجع إلى 1625م، وأعقبه "وليام كنت لوفتس" وآخرون في منتصف القرن التاسع عشر، ثم عاد البريطانيون إلى الموقع في عام 1918م، وقاد السير "ليونارد وولي" بعثة مشتركة مع جامعة بنسلفانيا حتى عام 1934م.

أسست هذه المدينة في الألف الرابع ق.م على جرف ناتئ بين فرع من نهر الفرات وإحدى القنوات، ويفصل مستوى خلفه الفيضان بين عهد الوركاء والعبيد، وقد عثر في مدافن هذين الدورين وكل الأدوار اللاحقة، وكانت المدينة في عصر فجر السلالات "Early Dynastic" مركز السلالتين، ومن حكامها الجديرين بالذكر "مسانبادا"، وكانت المدينة مسورة في عهد "أورنمو" خلال فترة حكم سلالة "أور الثالثة"، وشيد هذا الحاكم زاقورة رائعة أعيد ترميمها مؤخراً وفناء فسيحاً قرب المنطقة المقدسة⁽²⁾.

اكتسبت مقبرة أور⁽³⁾ الملكية "Royal Cemetery" شهرتها بفضل آثارها النفيسة، وتعود غالبية القبور فيها إلى عصر فجر السلالات الثالث، وتضمنت ما يناهز 2500 مقبرة بشرية، وشخص من هذه القبور ما لا يقل عن ستة عشر من القبور الجماعية التي ضم كل منها عدداً

(1)-سيتون لويد، المرجع السابق، ص 128.

(2)-حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 110.

(3)-تعد من أشهر المدن الحضارية في جنوب العراق ومركز إشعاع حضاري على مدى قرون عديدة، تقع على بعد 15 كم جنوب بغداد، وهي مدينة واسعة يبلغ طولها من 4 إلى 5 كم عرضها ما بين 1 و2 كم، ويحيط بها سور بيضوي الشكل مشيد من اللبن، وقد أحاط بها مجرى نهر الفرات من الشمال الغرب، أما في الشرق فكانت تجد قناة تبعد عن السور بحوالي 45 متراً مما أكسبها تحصيناً طبيعياً يصعب منه الدخول إلى المدينة إلا من الجنوب، وتتميز أور بوجود المعابد الرئيسية والزاقورة وبيت الخزينة الدينية والمقبرة الملكية والقصر الملكي في مركز المدينة، ولقد توسعت المدينة خلال العصر الكلداني لاسيما في عهد نبوخذنصر الثاني (604-562 ق.م). ينظر: عارف أحمد إسماعيل، المرجع السابق، ص 47.

من الشخصيات الحاكمة: ملوك وملكات وأمراء وأميرات وجدوا مقبورين مع حاشيتهم وأتباعهم ومتاعهم



-نحت نافر عثر عليه في مقبرة أو الجبانة الملكية في الموقع الأثري لمدينة "أور"- (عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص ص 46، 47).

من خلال هذه اللوحة والنحت النافر تظهر لنا بعض الصفات الجسمانية للسومريين، بحيث يظهرون حليقي الرؤوس ودون لحى مع أنف أقني رقيق نسبيا مع أعين بارزة.

وأثاثهم⁽¹⁾، ولم يرد في النصوص السومرية أو المسمارية ما يميّز اللثام عن حقيقة هذه المقبرة باستثناء إشارات مقتضبة وردت في إحدى الأساطير السومرية "أسطورة موت جلجامش"، وكان

(1)-بخصوص الجبانة الملكية فقد كشفت التنقيبات التي أجريت في مدينة أور عن عادة مربية تتمثل في أن الحكام والأثرياء عند موتهم يدفن معهم أتباعهم وممتلكاتهم، وكان الأتباع والحيوانات إما يدفنون أحياء أو يقتلون بالسم عند موت سيدهم، وهناك ما يشير إلى دفن بعضهم أحياء، فقد وجدت جثة في إحدى المقابر الجماعية لامرأة تمسك بيدها مشط شعر خشبي لعلها لم تكمل تسريحة شعرها قبل الدخول إلى المقبرة، وقد كان المضحى بهم يشملون: الجنود، الخدم، الوصيفات، الموسيقيات، سائقي العربات، الثيران والحمير البرية التي تجر العربات والزحافات الخشبية التي تنقل الرفات، واختلفت أعداد هؤلاء الأتباع في ستة عشر مقبرة، بين الستة والثمانين، وكانت الجثث ترتب في صفوف فيما بين مدخل المقبرة وبين مدخل حجرة الدفن، وكان الأقرب إلى المتوفى يوضع داخل حجرة دفنه. ينظر: عارف أحمد إسماعيل المخلافي، المرجع السابق، ص 65.

جلجامش بصفته شخصية تاريخية عاش خلال الفترة الزمنية لأحد ملوك المقبرة "ميسكلام-دك"⁽¹⁾.

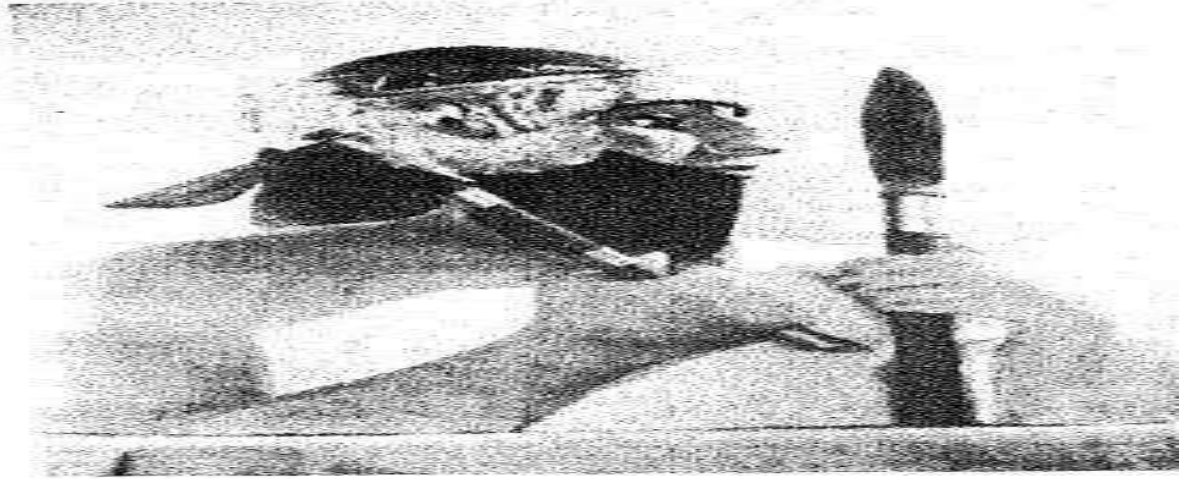
ولعل أهم الأساطير التي ورد فيها ذكر عظمة هذه المدينة السومرية وقداستها هي أسطورة الإله "أنكي" الذي بعدما أتم مصائر سومر فقد أتى إلى "أور" كذلك ليقرر مصيرها، وقد جاء في مضمون الأسطورة ما يلي:

إلى أور أتى، أنكي سيد الأعماق، أتى، يقرر مصائرهما:
أيتها المدينة الموفورة، يا مدينة الماء الثر، والثيران القوية.
يا مصدر رزق البلاد، أيتها الخضراء، يا متباعدة الركبتين أبدا.
يا غابة الظل الوارف، أقدارك الكاملة هو الذي قدرها.
أنليل، الجبل العظيم، قد نطق اسمك المقدس.
أنليل الجبل العظيم، قد نطق اسمك المقدس في الآفاق.
أيتها المدينة التي رسم مصائرها أنكي.
أي أور، أيها الهيكل المقدس، لترفعي هامتك نحو السماء⁽²⁾.

من خلال ما تقدم لنا من أبيات نلاحظ الوصف الطبيعي لعاصمة سومر وجعلها مصدر غذاء لكل البلاد، مع تخصيص لها صفة القدسية والعظمة وذلك باحتوائها على الهياكل الدينية المقدسة، وكل هذه الإشارات تدل على أنها أعظم مدينة سومرية، من هذا الأساس كانت منطلقا للبحث في أصول التواجد السومري كعنصر بشري ثم كمنظومة حضارية، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار والتحفظ الترجمة الصحيحة لمحتوى النص الأصلي المعثور عليه ضمن خرائب هذه المدينة الأثرية.

(1)-عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 46، 47.

(2)-فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، ص 44.



-تمثال أعيد بناؤه مجدداً في المتحف العراقي⁽¹⁾ لمسكلا- دوك وهو يرتدي خوذته الاحتفالية التي وجدت في قبره في "أور"، صنعت الخوذة من صفيحة واحدة من الذهب وثقبت من أجل تعليقها- (سيتون لويد، المرجع السابق، ص 178).

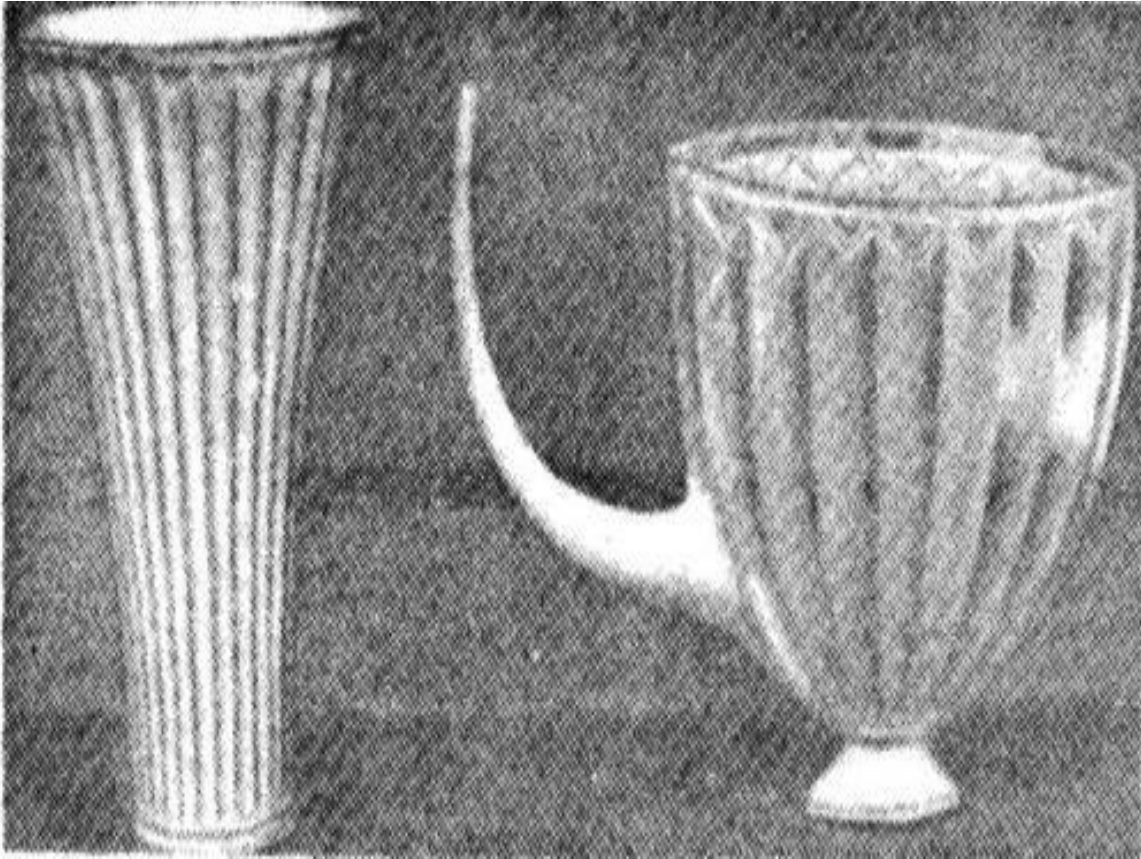
فمع بداية القرن العشرين وجد العلماء على إثر التنقيبات في مدينة سومرية ضخمة قديمة وهي "أور"، حيث اكتشف العلماء في هذه المدينة مقبرتين هما للملك "أور ميسكلامدوك" والملكة "شوباد أو شبعاد"⁽²⁾ اللذين عاشا في الألف الثاني ق.م، وقد كتب المستشرق السوفياتي الكبير البروفيسور "ف. أفديف" بأنه في هاتين المقبرتين: "...تم العثور على كمية كبيرة من مصنوعات الصياغة"⁽³⁾ ذات الفن الرفيع وخصوصاً قيثارة مصنوعة من الخشب ومطرزة بالذهب والفضة

(1)-تأسس أول متحف للآثار في العراق عام 1923م، واتخذ من غرفة صغيرة بمبنى حكومي السراي (القشلة) في بغداد مكاناً له، إذ تم عرض مجموعة صغيرة من الآثار فيه قبل أن تنقل إلى بناية جديدة عام 1926م في شارع المأمون بجانب الرصافة ببغداد عرفت ببناية (المتحف العراقي) كانت ضمن بناية تضم مديرية الآثار العراقية القديمة. ينظر: عمر جسام العزاوي، المرجع السابق، ص 110.

(2)-Queen Shubad، ويعتبر قبرها الأكثر شهرة من بين كل القبور المعثور عليها، وقد نحت اسمها على ختمها الأسطواني الذي كان مصنوعاً من حجر اللازورد، ولعل من أهم محتويات القبر خمسة من الجنود وعربة يجرها ثوران وعشرة من نساء القصر كانت إحداهن عازفة قيثارة، وإلى جوار الملكة وصيفتان، أما هي فكانت ترتدي مجوهراتها الرائعة بما فيها غطاء للرأس مصنوع من الذهب والأحجار الكريمة، ويمكن مشاهدة رسم يمثلها في المتحف البريطاني والمتاحف الأخرى. ينظر: سيتون لويد، المرجع السابق، ص ص 139، 140.

(3)-من خلال المكتشفات الأثرية التي وجدت في مدن الحضارة الأولى بسومر، يلاحظ الاهتمام بالتزين وليس القلائد الذهبية والنفائس الفريدة من المجوهرات والحلي للظهور بالمظهر الجميل والأنيق، ففي مدافن أور التي يرجع تأريخها إلى 3500 ق.م، عثر على كنوز ذهبية وفضية وأقراط وملاقط وقلائد ثمينة، وأنواع من الكؤوس الفضية والذهبية المطعمة والمرصعة بالأحجار الكريمة، وهي دلالة على براعة صناعة الحلي وجماليات الذوق النسوي لملاكات وما يحيط بهن بالقصور الملكية من نساء. ينظر: صباح محسن كاظم، العلامة التراثية في الأزياء السومرية (رموز وخبايا)، (د.د.ن)، العراق، (د.ت)، ص 15.

والزمرّد وكذلك رأس ثور ذهبي ولوحة غنية بالنقوش مخصصة للعبة ما تشبه الشطرنج، وميدالية فضية لقارب مع مجاذيف وحلي عديدة للزينة⁽¹⁾ وأواني وأسلحة ومجموعة كبيرة لأدوات أخرى مصنوعة ومطرزة من الذهب والفضة، وقد تم بشكل جيد حفر ودراسة القسم الأكبر من المدينة والذي يعود لزمان حكم الملك "ريم-سين" (القرن السابع عشر ق.م)، وقد تم العثور هنا على مجموعة من الشوارع والأزقة والساحات وكذلك على بقايا أبنية عديدة قدمت صورة واضحة عن حياة المدينة السومرية القديمة⁽²⁾.



-إناءان ذهبيان واردة من القبور الملكية في أور - (عزمي سكر، المرجع السابق، ص 126).

(1)-تعد صناعة مواد الزينة واحدة من الصناعات القديمة قدم الإنسان، إذ أن هذه المواد من المواد الكمالية وهي في ذات الوقت مكملّة لمظاهر الجمال والأنوثة، لقد ركّز الإنسان قديماً على صناعة مواد الزينة سواء الخاصة بزينة الوجه والمتمثلة ببودرة (غبرة) الوجه والكحل وأحمر الشفاه أو المواد العطرية التي تعد من مكملات مظاهر الجمال التي اهتم بها الرافديون القدماء. ينظر: سهيلة مجيد أحمد، صناعة مواد الزينة في العراق القديم، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 16، العدد 03، جامعة الموصل، العراق، 2020م، ص 624.

(2)-ك. ماتيفيف و أ. سازونوف، المرجع السابق، ص 44.



الملكة السومرية "شبعاد" صورة مأخوذة من نموذج

المقبرة الملكية بأور - (سليم مطر، العراق سبعة

آلاف عام من الحياة، تاريخ مختصر وشامل من

العصر الحجري حتى الحديث)، ط 01، المؤسسة

العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 2013م، ص 49.



-حلي سومرية من الذهب عثر

عليها بمقبرة "أور" الملكية (خزعل

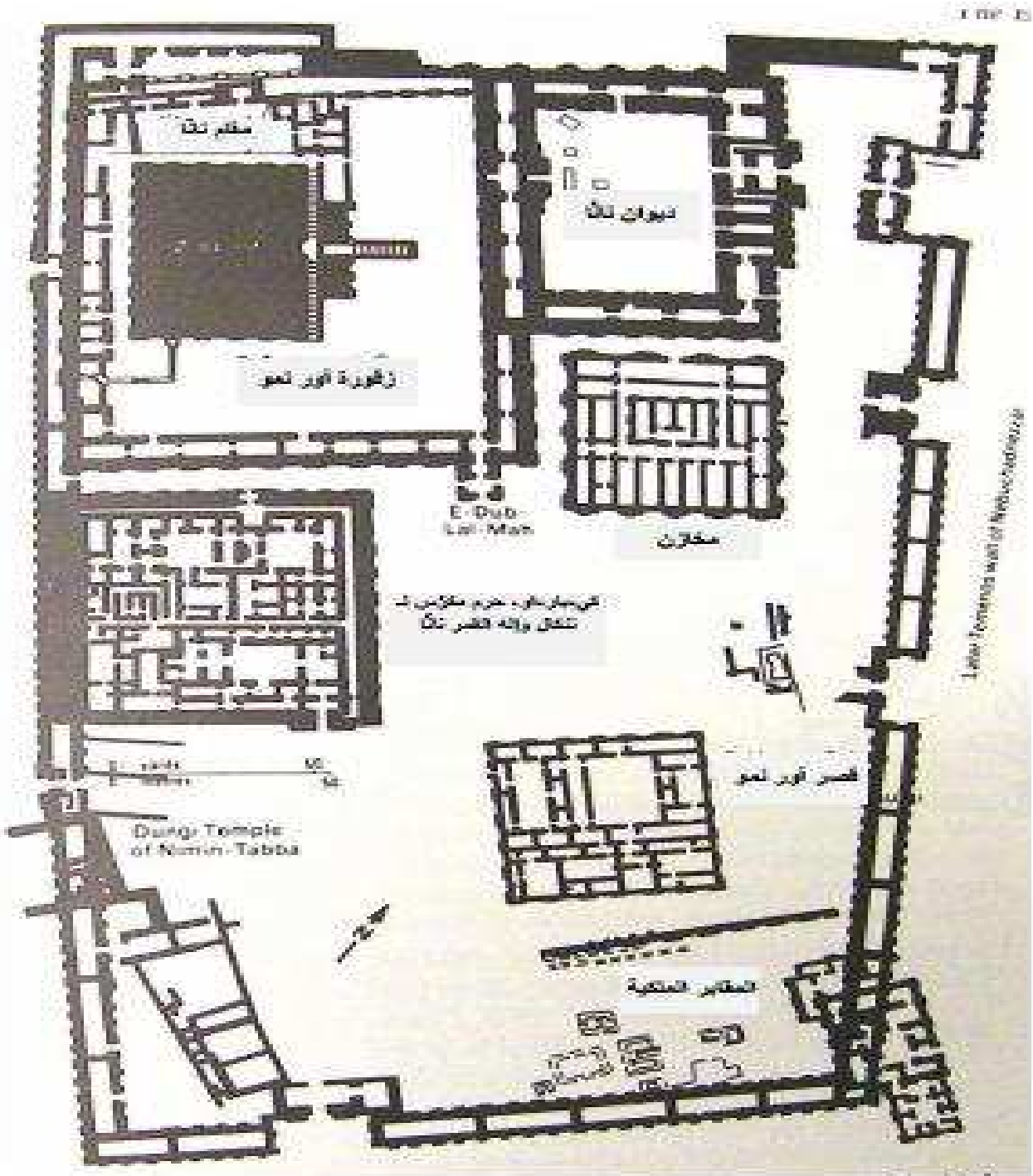
الماجدي، المرجع السابق، ص 18).



-منحوتة للملكة شبعاد - وقد أخذ الصورة زوجة عالم الآثار السير ليونارد وولي"، حيث تظهر

الملكة وهي بكامل زينتها وحليها الذهبي - (Stephen Bertman, Ancient Mesopotamia,

(Library of World History, New York, USA, 2003, p 240.



-مخطط عام لمدينة "أور" الأثرية- (كلية الفنون التطبيقية، تأريخ العمارة القديم (العمارة العراقية القديمة، العمارة السومرية)، ج1، بغداد، 2016م، ص 07).

ولقد واجهت محاولة تحديد تاريخ "المقبرة الملكية" صعوبة تتمثل في أن أسماء الشخصيات الملكية التي دفنت في أضرحتها، وعرفت أسماؤها، لم ترد في أثبات الملوك السومرية التي تضمنت أسماء الملوك والأمراء في جنوب بلاد الرافدين خلال الألف الثالث ق.م، ولكن "ليونارد وولي" مكتشف المقبرة ذكر أنه اكتشفت عدة طبقات لأختام تحمل اسم "ميس- آنيبدا" في الأنقاض

المتراكمة فوق المقبرة، وحسب أثبات الملوك السومرية فإن هذا الملك هو مؤسس "سلالة أور الأولى"، ومن المحتمل أن يكون قد حكم في مدينة أور في حوالي 2600 ق.م وأنه عاصر في أواخر أيامه "جلجامش" ملك "أوروك"، فإذا كان الملوك المدفونون في المقبرة سبقوا "ميس-آنيبدا" وفقا لما ذهب إليه "وولي" فإنهم يكونون قد دفنوا قبل عام 2600 ق.م، أما إذا أخذنا الدليل الأثري الذي تنم عنه صناعة المواد المكتشفة في المقبرة، فإن تاريخ الدفن قد يتقدم إلى ما بعد عام 25000 ق.م وعلى وجه التحديد إلى الدور الثالث من عصر فجر السلالات، وبشكل عام فإن القرن السادس والعشرين قبل الميلاد هو التاريخ الأكثر احتمالا للمقبرة الملكية لحين توفر دليل قاطع على ذلك⁽¹⁾.



-مقطع لمشهد حربي مأخوذ مما يسمى تاريخيا بـ "راية أور" (راية الحرب والسلام)، حيث تظهر في هذا المقطع كذلك التقنيات الحربية للسومريين وكذلك جزء معين من لباسهم وصفاتهم الفيزيولوجية - Barbara A.Somervill, Great Empires of the Past (Empires of Ancient Mesopotamia) edit Chelsea house, New York, USA, 2009, p 17.

(عثر على هذه اللوحة الأثرية ضمن خرائب مدينة أور التي نقب فيها عالم الآثار "ليونارد وولي").

(1)-نائل حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة..، ص 153.

3. الدراسات الأنثروبولوجية والجينية:

على مدى آلاف السنين كان الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين منطقة أراضي رطبة "مستنقعات" بفعل نهري دجلة والفرات، وقد شغلت هذه المنطقة من قبل مجتمعات بشرية منذ العصور القديمة ويعتبر السكان في الوقت الحاضر "عرب الأهوار" المجموعة السكانية ذات الصلة الأقوى بقدماء السومريين لكن الموروث الشعبي مع ذلك يعتبر عرب الأهوار مجموعة أجنبية من أصول غير معروفة، وصلت إلى المنطقة مع مقدم تربية الجاموس إلى المنطقة⁽¹⁾.

كما يذكر عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي "كارلنتون أس كون" بأن الشعب العراقي اليوم وبدون شك وإلى درجة كبيرة هو ذاته ما كان عليه أيام السومريين والآكديين والآشوريين والبابليين، فقد وجد بأن "الهالو جروب" J2 على الحمض النووي للكروموزوم Y قد نشأ أصلاً في شمال العراق "بلاد آشور"، وعلى الرغم من أهمية هذه المنطقة فإن الدراسات الجينية التي أجريت على الشعب العراقي محدودة مقتصرة بصورة عامة على تحليل العلامات الجينية التقليدية بسبب عدم الاستقرار السياسي في العراق اليوم، بالرغم من ذلك فهناك العديد من الدراسات المنشورة التي توضح الصلات الجينية بين كل أبناء الشعب العراقي والشعوب المجاورة بغض النظر عن الحواجز الدينية واللغوية (فالعراق يضم شعوباً سامية كالعرب والآشوريين والمندائيين وغيرهم، شعوباً تركية كالتركمانيين⁽²⁾، وهندو-أوروبية كالأكراد والأرمن والشبك، وناطقين بلغات شمال القوقاز كالشركس)، وتوضح إحدى تلك الدراسات الصلات الجينية الوثيقة بين كل العراقيين والأكراد والإيرانيين في بحر قزوين والجورجيين السافانيين⁽³⁾.

(1)-المشروع العراقي للترجمة، بحثاً عن الآثار الجينية للسومريين: دراسة مسحية لمستوى التباين في الكروموسوم واي Y والحمض النووي الميتوكوندري MTDNA، العراق، 2016.

(2)-تحمل المجموعة التركمانية بعض الصفات المنغولية، وهي خليط من القبائل التركية ولاسيما قبائل (أوغوز وقبائل الغز)، وقد قدمت على دفعات متعددة وفي عهود مختلفة من أواسط آسيا، ويتكلم التركمان والأتراك اللغة التركية المنحدرة من عائلة اللغات المنغولية المنشورية، وللمجموعتين الصفات الجنسية نفسها تقريباً وأهمها الرأس العريض والقامة المكتنزة وتقاطيع الوجه البارزة. ينظر: عباس فاضل السعدي، التركيب الإثنولوجي، ص 110.

(3)-كلكاش نبييل، دراسات وأبحاث في التاريخ التراث واللغات (وحدة الشعب العراقي وفقاً للدراسات الجينية)، مجلة الحوار المتمدن، العدد 4313، العراق، 2013م، ص 02.

ويبدو توزيع "الهابلو جروب" للحمض النووي للميتوكوندري "بيوت الطاقة" لدى العراقيين مشابها لما هو عليه الحال في إيران وسوريا وفلسطين وجورجيا وأرمينيا، فيما يختلف بشكل أساسي عما هو ملاحظ في شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا، ما أن توزيع "الهابل جروب" للحمض النووي للكروموزوم Y يبدو مشابها لما هو عليه في لبنان وتركيا وسوريا، ولم يتم العثور على اختلافات جديرة بالذكر في عينات الحمض النووي للكروموزوم Y المختلفة التي تمت معاينتها بين العراقيين العرب والآشوريين والمندائيين.

الجدير بذكره لما ورد ذكره في هذه الدراسة الاشتراك في الحمض النووي لدى العراقيين مع الإيرانيين، السوريين، الفلسطينيين والأرمن، الجورجيين وحتى الأتراك واللبنانيين، هو الأمر الذي يدل بشكل وواضح على تحركات بشرية أتت من هذه المناطق واستقرت في العراق، أو احتمال أن هجرات سومرية داخلية انطلقت نحو هذه المناطق، الأمر الذي خلق نوعا من الانصهار العرقي، وهذه النتائج المترتبة عن الدراسات الجينية هي التي فتحت بالذات موضوع النقاش حول الأصل الخارجي للسومريين.

وبالنسبة لكل من الحمض النووي للميتاكوندري mtDNA والكروموزوم Y، وجد بأن الغالبية العظمى للهابلو جروب التي تمت ملاحظتها لدى العراقيين (u,h,j,t) بالنسبة للحمض الميتوكوندري، J1 و J2 بالنسبة للكروموزوم Y) هي تلك التي نشأت في الأصل في غرب آسيا وانتشرت فيما بعد إلى أوراسيا الغربية، فيما يمثل "الهابلو جروب" الأوراسي R1a و R1b المكون الرئيسي الثاني الأكثر شيوعا في الجين الكروموزومي Y للعراقيين، وتقترح المسألة الأخيرة بأن الهجرة السكانية من أواسط آسيا وشرق أوروبا نحو إيران الحديثة أثرت في العراق أيضا على نحو ما. وهنا بالذات إشارة إلى وجود هجرات خارجية أثرت على التركيبة السكانية للعراق على مر العصور بحيث يكون العنصر الآسيوي غالبية السكان أو الجنس السائد جينيا، لكن هذا لا يعني بالضرورة أن أصل العراقيين الأوائل ونقصد بهم السومريين أو سابقهم العبيديين من أصل أوراسي أو غرب آسيوي، كما يطرح العديد من المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا أدلة حالية تقترض بأن المعدان في العراق لهم صلات قوية جدا تربطهم بقدمااء السومريين-أقدم شعوب

جنوب العراق، وبأن المندائيين والآشوريين يتشاركون أقوى الصلات العرقية مع السومريين والبابليين⁽¹⁾.

فتظهر لنا ملامح أهل سومر وسحنهم على الآثار: أشداء، مملوءي الجسم، لهم أنوف حادة على إناء الوركاء والأختام الأسطوانية المعاصرة، ولكن رؤوسهم العريضة حينما تمثل مجردة من الشعر تختلف عن الجماجم المستطيلة التي كشف عنها في أوروك، على أن اختبارات الجماجم غير حاسمة، لأننا عثرنا على جماجم مستطيل رؤوسها منذ البداية مع أخرى عريضة الرؤوس في كيش، وكشف في أور من أيام الأسرة الأولى حينما استقر السومريون هناك عن أنواع من الرؤوس المستطيلة والضيقة، وفي منتصف الألف الثالثة ق.م ظهر رأس من البرونز غالبا ما تنسب إلى سرجون الأكدي نفسه وهي تمثل صورة شيخ سامي من الصحاري وغالبا كان صاحب رأس مستطيل ووجنتان مرتفع عظامهما وأنف معقوف قليلا وشفتان غليظتان وشارب قصير، وعثر في إيران-سيالك وهيزار ومواقع أخرى على أنواع من رؤوس مستطيلة مختلطة برؤوس عريضة وذلك منذ العهود السحيقة⁽²⁾.



ملامح مختلفة للعناصر السومرية كما تظهره التماثيل ما يدل ربما على التنوع العرقي للجنس

السومري. (Guy Metraux, Op. Cit, p 19)

(1)-كلكامش نبيل، المرجع السابق، ص 02.

(2)-عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 54.

لكن كرأي شخصي فهذه العناصر السومرية خاصة بمجموعة متعبدین، إذا يمكن أن يكونوا من عدة أقوام ما يصعب مهمة تحديد العنصر السومري مورفولوجيا، كما قد تدل مظاهرهم على ارتداء أزياء مختلفة متعلقة بمراسيم دينية لا غير، وليست للاستعمال اليومي إن أمكن التخمين بهذا الرأي تحفظا عن أي تأويلات وفرضيات أخرى تكون قابلة للنقاش.

أما بالنسبة للشكل أعلاه وتحليل محتواه فنجد أن تسعة من تماثيل المتعبدین⁽¹⁾ في هذه المجموعة والمعثور عليهم في "تل أسمر" رجال يرتدون الزي التقليدي لذلك العصر، والذي يتكون من تنورة صوفية بسيطة لها حزام وحاشية طويلة، أحد هذه التماثيل يصور رجلا أصلع وحليق الذقن يمثل الكاهن، أما التماثيل الأخرى فكانت لها لحى مربعة وشعر طويل مجعد ومصبوغ باللون الأسود وكانت العيون مطعمة بالصدف وحجر اللازورد، التمثال الثاني عشر كان منحوتا من المرمر ويمثل كاهنا عاريا بطريقة طقسية ويرتدي على الرأس قبعة نسوية، أما التمثالان الأنثويان فكانا يرتديان الثوب⁽²⁾ التقليدي الذي يمر بشكل مائل فوق الصدر وينتهي عند الكتف الأيمن، أما بالنسبة لنموذج الشعر فإننا نلاحظ وجود نوعين من طرق التصفيف⁽³⁾ المعروفة

(1) - يلاحظ في هذه المجموعة من التماثيل المتعبدة استمرار الطابع السومري التقليدي المميز، حيث اتساع الأعين والتقاء الحواجب والاختزال في التفاصيل اعتمادا على الشكل الهندسي وانعدام الحركة تقريبا بما يوحي بالطابع الديني لهذه التماثيل، إلا أن هناك اثنين منها لها أهمية خاصة، فهذان التمثالين أكبر حجما من كل ما ورد في المجموعة وهما لرجل وامرأة كلاهما يمسك بقدر صغير في أيديهما الصغيرة ولهما عين واسعة غير طبيعية للدلالة على التبصر المعرفة العميقة، وقد برز في هذه العيون بؤبؤ كبير جدا مطعم باللون الأسود باستخدام القار هما يرفعان رأسيهما إلى الأعلى بكل خشوع وهذوء، ويعتقد أن تمثال الرجل يمثل الإله "أبو" صاحب المعبد وزوجته. ينظر: عبد الحميد فاضل البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، (د.ت)، ص 46.

(2) - لباس من الصوف أو الكتان يغطي البدن، والثياب من ملابس البدن التي تتميز بنعمة ملمسها، إذ عرفت أنواع من الثياب التي وردت في النصوص المسمارية منها TUG.SI-LA.MA.HU.UM، والتي يقابلها في اللغة الأكديّة تسمية silammahum وهي نوع من الثياب الناعمة ذات الدرجات والجودة المختلفة، كذلك من الأنواع الأخرى التي وردت في اللغة السومرية TUG US-BAR التي تعني نوعا من الثياب الصوفية المنسوجة وهي على أنواع منها القصير والطويل، فضلا عن ذلك يعد من الثياب العادية. ينظر: براق عبد الحسين طاهر، الملابس في أختام بلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد، رسالة مقدمة كجزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، إ.ش: عباس علي عباس الحسيني، قسم الآثار، جامعة بغداد، العراق، 2017م، ص ص 52، 53.

(3) - من بين تسريحات الشعر المعروفة هي التي تدعى "شعر وأشرطة"، وتظهر هذه التسريحة في مجموعة من الأعمال النحتية لعصر فجر السلالات ومنها رأس فتاة عثر عليه في "تل أجرب"، حيث يظهر لنا رأس فتاة ذات تسريحة شعر مربوطة بشريط يحيط بالرأس وتتدلى من تحت الشريط الذي يحيط به خصلات من الشعر منظمة ومنسدلة على الجبهة والقسم العلوي من الشعر يعلوه شريط يحيط بالرأس والباقي من الشعر ينسدل على جانب الوجه بشكل خصلتين مخروطيتين، ونرى في هذا النموذج أن معالم

خلال المرحلتين الثانية والثالثة من عصر السلالات الباكورة، فالضفيرة هنا تأخذ شكل الهالة التي تعبر قمة الرأس بشكل عمودي، كما ويمكن مشاهدة الكثير من المبتكرات خلال هذا العصر، الغرابة في أسلوب التكوين لهذه التماثيل تتجلى في الأداء المتميز للجسم البشري الذي تختزل مكوناته إلى أشكال مجردة، ومهما تكن الفوارق بين التماثيل الفردية فإنها تتبع نفس المبادئ، قد استطاع الفنان تكييف العناصر المكونة للملامح المتنوعة في صيغة شبه هندسية، يمكن أن نؤكد أن بساطة الأشكال جاءت نتيجة نقص المهارة التقنية عند صانعي هذه التماثيل على الرغم من أن التنفيذ يثبت الاهتمام الواضح بالتصميم⁽¹⁾.

نستنتج من قول المؤرخ "سيتون لويد" أن فن النحت كان خاضعا للعديد من المعايير التي تجعل من إمكانية تطابقها مع شكل السومريين الواقعي أمرا صعب التحقيق، وتأتي هذه الصعوبة لكون هذه التماثيل تمثل مجموعة متعبددين والذين ربما قد جاؤوا من عدة مناطق لممارسة شعائهم الدينية كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك، أو يكونون قد ارتدوا مجموعة أزياء خاصة فقط بممارسة طقوس عبادتهم، كما ننوه هنا إلى ذكر المؤرخ بساطة الأشكال الناجم عن نقص المهارة في التجسيد وهو ما يرهن إلى درجة كبيرة مصداقية مطابقتها للواقع، وهنا بالذات تكمن الصعوبة لدى الباحثين في التأكيد أو النفي، ويجعل كذلك الأخذ بالتماثيل كمرجع لتحديد الخصائص الجسمانية للسومريين أمرا صعب المنال.

الوجه واضحة حيث يظهر بشكل بيضوي والعيون كبيرة نسبيا بالنسبة للوجه وأنف وفم متناسقين. ينظر: آية طارق عبد الوهاب مظلوم، معالجات تصفيف الشعر عند المرأة بين عصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم، مجلة الأكاديمي، العدد 50، (د.م)، 2009م، ص 57.

(1) -سيتون لويد، المرجع السابق، ص ص 156، 157.



-تمثال نصفي لامرأة سومرية القرن 28 ق.م، ومن خلاله تظهر بعض الملامح المورفولوجية للعنصر الأنثوي- (عزمي سكر، المرجع السابق، ص 136).

هذا الأسلوب وضع قياساً على أسلوب النحت السومري، حيث تظهر بأنف عادي وشفاه رقيقة مع أعين واسعة غير مطعمة داخلياً وحواجب عريضة ومتداخلة، مع رداء صوفي يغطي الرقبة (الوصف مطابق لواقع النحت السائد خلال الفترة الزمنية المشار إليها).



-تمثال لأمير سومري من مدينة الوركاء- (عزمي سكر، المرجع السابق، ص 137).

تظهر على هذا التمثال بعض الملامح الجسمانية للرأس مدور مع أعين واسعة وحواجب رقيقة متداخلة، مع أنف أقني وشفاه رقيقة وأعين واسعة غير مطعمة، حيث تظهر بساطة التعبير الفني-النحتي بخلو المجسم من اللباس الفاخر ومظاهر الأبهة، فالظاهر من خلاله هو رغبة النحات السومري في إظهار البعد المورفولوجي البحث.

فحسب دراسة المؤرخ: "هنري فرانكفورت" فإن أسلوب عصر السلالات الباكورة الثالث في فن النحت تمثله "التمائيل النذرية" في معابد إله القمر "سين" في منطقة "خفاجة"، كما تمثل هذا الأسلوب بشكل كبير نماذج مأخوذة من مواقع أخرى في سومر وفي مناطق بلاد الرافدين العليا، حيث كان التفريق في الأساليب الفنية خلال المرحلتين أقل وضوحاً، لقد اكتسب النحاتون الكثير من الثقة بأنفسهم خلال الفترة الأخيرة فابتعدوا عن أساليب التبسيط بدوا أكثر جرأة في اهتمامهم بدقائق وتفاصيل المظهر الجسمي، فقد أبرزوا تفاصيل الجسم حددوا الفم الخدود لإعطاء الوجه التعبيرات المناسبة واستبدلوا تموجات الشعر واللحية بنموذج من التجعيدات التي تفصلها فيما بينها ثقب في بعض الأحيان، كما حدث تغير واضح في تصاميم ورسوم الملابس⁽¹⁾ حيث ظهر للمرة الأولى ما يسمى بالكوناكس Kaunakes وهي طريقة في النسيج⁽²⁾ يغطي فيها الثوب بخصلات من الصوف⁽³⁾ بشكل متداخل مما دعا إلى الاعتقاد بأنها محاولة لتقليد جلود الأغنام، وبالتأكيد

(1) -عرفت في اللغة السومرية تحت تسمية TUG، إذ جاءت بمفردها، أما إذا وردت مع نوع من الملابس فإنها تعد علامة دالة لنوع معين منها، ويقابلها في اللغة الأكديّة Subar، وقد وردت أنواع عدة من الملابس في النصوص المسمارية العائدة إلى الألف الثالث ق.م، وتمكن الباحثون من ترجمة بعضها والإشارة إلى المادة الأولية ومن الذي يرتديها، وبعضها الآخر وردت فقط كتسمية، إذ أن أنواع الملابس في اللغة السومرية لها تسمية مركبة كل منها يتكون من نوع القماش ودرجته فضلاً عن اللون أو حجم القطعة، وفي بعض الأحيان ترد مصطلحات تدل على قيمة هذا النوع من الملابس أن يكون ثمين أو من الأنواع الاعتيادية، كلا حسب درجته. ينظر: براق عبد الحسين طاهر، المرجع السابق، ص 49.

(2) -تتطلب صناعة الغزل والنسيج بشكل عام أيدي عاملة كثيرة لأنها تمر بأكثر من مرحلة فضلاً عن أن المادة الأولية المستعملة في هذه الصناعة تحتاج إلى دقة تأني في العمل سواء أكانت حيوانية كالصوف والشعر أم نباتية كالقطن والكتان، إلا أن التخصص في هذه الحرفة لم يكن سهلاً وذلك لصعوبة إعداد نساجين ماهرين في وقت قصير لأن تعلم هذه الحرفة كان يأخذ وقتاً أطول من تعلم أية حرفة أخرى لا تتطلب مهارات فنية دقيقة، وغالباً ما كان العبيد يستأجرون من مالكيهم للعمل في هذه المهنة وكان ذلك يتم من خلال إبرام عقود معينة يتم الاتفاق فيها بين العبد ورب المهنة على تعلم العبد لمهنته أول الأمر وبعد أن يتقنها فإنه يعمل في المشاغل الخاصة بها مقابل جارية تدفع له مقابل عمله، ولم تكن النساجات من طبقة اجتماعية واحدة، بل كان بعضهم من الأحرار فضلاً عن بعض الكاهنات اللواتي كن يمارسن أعمال الحياة والنسيج داخل المعبد. ينظر: Abbass Zueyyed Mawwan and Ahmed Aziz Salman, *Textile at Mesopotamia in Published Cuneiform Texts and Art*, Journal of University of Babylon for Humanities, Vol 26, No 07, 2018, p 08.

(3) -استخدمت الأصواف كمادة أولية في صناعة الأقمشة والملابس بجميع أنواعها ودرجاتها وأوانها، إضافة إلى شعر الماعز وشعر الغزلان، ويبرز قماش الأصواف التي كان يحصل عليها بعد عمليات الجز وفي مواسم معينة ومنها ما كان يجمع خلال محلات الجز الجماعية، لقد كانت معرفة سكان بلاد وادي الرافدين بنوعيات الأصواف وأصول تصنيفها كبيرة وذلك بفضل ذكروهم لخواص الصوف وتمييزهم للأنواع الجيدة التي سيحصل عليها من الخراف الصغيرة، وقد كان الملك يشارك رجال المعابد من القرية في الإشراف المباشر على عمليات جز صوف الأغنام، والمعروف أن مردود مثل هذه الأصواف من الناحية الاقتصادية كان

فقد غيرت هذه الطريقة مظهر التماثيل بشكل واضح، كما ظهرت الطريقة في أشكال أخرى من فنون التصوير في ذلك العصر⁽¹⁾.

يفهم من هذه الرأي تحسن فن النحت بإدخال مظاهر فنية جديدة حسنت من فن تصوير الأجسام البشرية، وهو ما يقرب نوعاً ما الملامح الشبه حقيقية للسومريين على الأقل، لكنه حسب رأينا لا يجعل منها تماثيل تحاكي الواقع بل هو فقط تحسن في الذوق الحسي لفنان العصور السومرية.

كما قد نحتت أغلب هذه التماثيل بخطوط جافة وزوايا حادة تشبه خطوط النقش السائدة في أوائل عصر بداية الأسرات السومري، وانصب أغلب الاهتمام فيها على تعبيرات وجوها، فأفرغ المثالون ما كانوا يتخيلونه من رهبة أربابهم على وجوها، وعبروا عن هذه الرهبة بضخامة الوجه وعرض الكتفين وشدة اتساع العينين وتحديقهما بما يحتمل أن يعبر عن وصف المعبود بأنه يصير، أو وصف المتعبد بالانتباه والترقب لإجابة دعائه، ثم انطباق الشفتين وكثافة شعر الرأس المجعد (المستعار) واسترسال شعرها على الكتفين أو على الصدر، مع اتصال شعر اللحية المستطيلة بشعر الشارب واسترسال شعرها على الصدر في تجاعيد أفقية حادة محورة تتناسب مع خطوط الأنف والشففتين وشعر الرأس، وغالباً ما يكون الجذع العلوي عارياً، ويلتف الجذع السفلي بنقبة قصيرة ذات هذب، وقد تتشابك اليدين أمام الصدر أو تمسكان بكأس وتكون المرافق بارزة⁽²⁾.

رئيسياً. ينظر: شيماء علي أحمد، الأقمشة في ضوء المنحوتات الأثرية النصوص المسمارية في العصر الآشوري الحديث، قسم الدراسات المسمارية، العراق، (د.ت)، ص 178.

(1) -سيتون لويد، المرجع السابق، ص ص 156، 157.

(2) -عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 611.



-تمثال لموظف سومري- (عزمي سكر، المرجع السابق، ص 138).

حيث يظهر الرجل برأس حليق شبه مدور، مع لحية مدببة، مع حواجب رقيقة متشابكة وعيون متوسطة الحجم مطعمة في الداخل، مع شفاه جد رقيقة وأنف طويل غير رقيق، والملاح ارتداه للباس سفلي - نصفي مصنوع من الصوف.

من خلال هذا التمثال وسابقه، نلاحظ اختلاف التشكيلات النحتية للمجسمات الثلاث باختلاف الفترات الزمنية وهذا إن دل فهو يدل على شيئين: إما تغير فن النحت حيث أصبح أكثر واقعية وبساطة حيث ظهر التمثال الأخير أكثر مطابقة للواقع وهذا تبعا للتقدم الزمني، وإما أن الاختلاف في الملاح ربما راجع لدخول جماعات بشرية جديدة إلى بلاد الرافدين ما ساهم في ظهور ملاح مورفولوجية جديدة في المنطقة، مع وجود فرضية أو إمكانية اختلاف المظهر في بعض الأحيان تبعا للمركز الاجتماعي الذي يحتله الشخص المجسد في النحت.

أما المؤرخ "أنطون مورتكات" فيبرز تغير الملاح الجسمانية لسكان بلاد الرافدين بعد نهاية عصر "ميزليم" وذلك من خلال المنحوتات الجديدة المصورة، أين يشير للعنصر السومري في قوله: "... غالبا ما يبقى أكثر هذه التماثيل أصغر كثير من الحجم الطبيعي للإنسان العادي، ودوما ما كانت منحوتة من الحجر الجيري الهش (الألباستر) ونادرا ما استخدم المرء حجر الديوريت، وقلما يوجد من بين هذه التماثيل من يحمل اسم منزهه، وتعتبر هذه الأخيرة الوريث المباشر لطرار تماثيل معبد أبو في مدينة أشنونا⁽¹⁾، غير أنها تختلف عنها بشكل جلي كونها أقل

(1)-أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 71.

تجريدية وأشد تقيدا في النواحي الجسمية، أما من الناحية الظاهرية البحتة فتتميز بترتيب شعرها الجديد وأزياء الألبسة عليها، إضافة إلى ذلك فقد اختفت عنها ما عرفناه في عصر ميزليم من الخصلات الجانبية المجدولة واللحية الطويلة، ويظهر الأمير الكاهن حليق الرأس في أكثر الأحيان لابسا ما يسمى التنورة (ذات الخصلات الصوفية) المؤلفة من سبعة صفوف أفقية فوق بعضها البعض، أما النصف العلوي من الجسم فيبقى عاريا، لقد أصبحت الأشكال أكثر استدارة مما كانت عليه في عصر ميزليم بشكل تبدو فيه أحيانا وكأنها مكعبة وفقدت شيئا من سماتها الفردية"⁽¹⁾.

في حين يصف المؤرخان "محمد حرب فرات وعيد مرعي" السومريين على النحو الآتي: "...وقد وجد في الصفات الخلقية للسومريين ما يجعلهم مختلفين عن الساميين من سكان بلاد الرافدين وسائر بلاد العرب في القامة والسحنة، فالسومريون قصار القامة ذوو بنية قوية، أنوفهم مرتفعة وعريضة لا تشبه أنوف الساميين الدقيقة، أما رقبة السومري قصيرة تحمل هامة كبيرة، وكان السومريون يتدثرون بالملابس الصوفية فاستدل من ذلك على أنهم أتوا من المناطق الجبلية الباردة"⁽²⁾.

فالدراسة الأنثروبولوجية لا تجزم بشيء في هذا الموضوع، لأن أغلب الهياكل العظمية التي عثر عليها في الحفائر وجدت مختلطة ببعضها البعض لدرجة يصعب على الباحث فيها استخلاص نتائج نهائية، ولقد حاول العلماء التعرف على أصل السومريين بدراسة تماثيلهم الحجرية وكذا ملابسهم كما ظهرت في هذه التماثيل، وبهذا يلاحظ أن العناصر السومرية تمثل عادة في التماثيل حلقة اللحي والشوارب والرؤوس ولو أنهم يمثلون في أحيان أخرى بشعورهم ولكنهم في هذه الحالة يحلقون شواربهم"⁽³⁾.

(1) -أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 71.

(2) -محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 53.

(3) -رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص ص 49، 50.

ويدعم هذا الطرح بالذات المؤرخ "خالد عثمان حافظ العبيد" في قوله: "أجريت دراسات أنثروبولوجية على الهياكل العظمية التي عثر عليها في التنقيبات الأثرية، ولكن هذه الدراسة التي ركزت على الأصل العرقي للسومريين لم تصل إلى نتائج حاسمة ولم تعط رأياً مقنعاً في أصولهم، حيث عثر على جماجم عريضة ثم بدأت هذه الجماجم تظهر بشكل خليط بين الرؤوس الطويلة والعريضة مع تقدم العصور، وقد استنتج الباحثون أن السومريين كانوا أصحاب الجماجم العريضة ثم طغى عليهم العنصر الأكدي وهم أصحاب الرؤوس الطويلة"⁽¹⁾، لكن مثل هذه الدراسات لبقايا الهياكل العظمية لم تكن تقضي إلى ما يمكن تسميته بالعرق السومري أو تفرقه على الأقل عن العرق الأكدي، فقد أثبتت الدراسات أن كلا من العنصرين اختلطوا منذ العصور الأولى فأصبح من الصعب التفریق بينهما من خلال هذه الدراسات"⁽²⁾.

ونفس التوجه الفكري يبينه لنا المؤرخ محمد عبد اللطيف محمد علي حيث يقول: "...وتنادي بعض الآراء بوجود فواصل محدد بين الجنسين السومري والسامي من الناحيتين الأنثروبولوجية والشكلية المظهرية، إذ كانت للسومريين رؤوس عريضة تميزهم من الناحية الأنثروبولوجية عن الساميين ذوي الرؤوس الطويلة، كما كان السومريون من الناحية الشكلية حليقي الرؤوس واللحية وارتدوا زياً من جلد الحيوان غالباً، بعكس الحال بالنسبة للساميين الذين مثلوا بالشعر الطويل واللحية وأن زيهم من الصوف، إلا أن دراسة الهياكل العظمية التي كشفت عنها الحفائر في جنوب العراق القديم لم تسفر عن وجود تمييز واضح أو سمات أنثروبولوجية محددة تفصل بين السومريين والساميين في هذه الفترة المبكرة وهي بداية العصر التاريخي، كما لم تكن الاختلافات في الزي وشعر الرأس واللحية أكبر من شكليات أو أشكال من الأزياء يرتديها نفس الشعب في مناسبات متعددة وأزمان مختلفة، والواقع أنه يصعب الأخذ بالمعايير السابقة إذ

(1)- ينتمي العرب إلى سلالة البحر المتوسط الأصلية، ويمتاز أصحاب هذه السلالة بالقوام النحيف والوجه الطويل والأنف الضيق الصغير المستقيم ذي المنخار الدقيق، والقامة المتوسطة والشفاه الرقيقة والشعر الأسود المتموج والبشرة السمراء والعيون السوداء. ينظر: عباس فاضل السعدي، التركيب الإثنولوجي، ص 109.

(2)- خالد عثمان حافظ العبيدي، المرجع السابق، ص 16.

تتعدّر التفرقة بين الأجناس التي تسكن المنطقة الواحدة حيث تذوب الفوارق الأنثروبولوجية نتيجة الاندماج بين هذه الأجناس⁽¹⁾.

ويؤيد المؤرخ "محمد بيومي مهران" نفس التوجه الفكري تقريبا لسابقه حيث يقول: "...هناك من يذهب إلى أن الدراسات الأنثروبولوجية لبقايا الهياكل العظمية التي عثر عليها في المقابر السومرية تشير إلى عدم وجود ما يمكن تسميته بالعرق أو الجنس السومري، وإنما هنا خليط يتمثل في قوم ذوي رؤوس طويلة وهو ما يعرف بجنس البحر المتوسط وآخرين ذوي رؤوس مدورة وهو السائد في أوروبا الوسطى وأرمينيا⁽²⁾.

فقد تألف سكان ما بين الرافدين، منذ أيام العبيد إلى أفول نجمهم، في المحل الأول، من بشر ينتسبون إلى جنس البحر المتوسط الحنطي، البارز الفك، الغليظ العظام، مع امتزاج بالجبليين سكان الشمال الشرقي أصحاب الجباه العريضة، ويتفرد السومريون أيضا بقاماتهم القصيرة ووجوههم المستديرة وبعدهم عن إطلاق اللحي والشوارب، وفي ذلك ما يفرق السومريين عن الساميين المجاورين بجلاء، وكانوا يرتدون الصوف ويحلقون رؤوسهم⁽³⁾.

ويستند المؤرخ "أنطون مورتكات" على ما وصل إليه علم الأجناس في تحديد الصفات الأنثروبولوجية للسومريين، حيث يقول: "...قال بعض العلماء استنادا إلى أبحاث علم الإنسان منطلقين من نتائج بحوث علم الأجناس التي أجريت على عدد قليل من الهياكل العظمية المتفتتة بأن الإنسان السومري يتميز برأسه المتطاوّل كثيرا، غير أن هذه الميزة تتعارض كليا وأشكال أشخاصهم المنحوتة منذ عصر فجر التاريخ، حيث يظهرون فيها قصار الرؤوس وذوي جبهة مضغوطة إلى الخلف وأنف متضخم، طبقا لأوصاف ما يسمى بعرق بلدان الشرق الأدنى⁽⁴⁾.

نستخلص من قول هذا المؤرخ عدة عوامل عمت إمكانية التحديد الدقيق للجماجم السومرية ومنها تفتت الهياكل العظمية بفعل العوامل الطبيعية وربما البشرية أيضا وصعوبة إعادة ترميمها،

(1)-محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 181، 182.

(2)-محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 78.

(3)-عزمي سكر، المرجع السابق، ص 34.

(4)-أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 33.

وحتى لو وضعنا إمكانية ترميمها فلن تعطينا نتائج دقيقة بل ربما تقريبية فقط، إضافة إلى اعتماده على أوجه المقارنة بين الهياكل المشار إليها والمنحوتات والذي قد يرهن إلى حد بعيد إمكانية المطابقة بين الجانبين الأنثروبولوجي والفني أي النحت.

أما المؤرخ "عباس فاضل السعدي" فيرى بوجود اختلاف بخصوص الخصائص الفيزيولوجية المميزة للسومريين والأكديين فيقول: "...ويختلف السومريين عن الأكديين وبقية الساميين، فالسومريين ينتمون إلى جنس أبيض اللون لهم رؤوس مستديرة ووجوه عريضة، يحلقون رؤوسهم وأذنانهم، أما الجماعات الأجنبية التي غزت العراق القديم وعاشت فيه مثل الحثيين والعيلاميين والفرس فينتمون إلى الجنس الألبى الذي يتميز بأجسام ضخمة وأنوف مقوسة سميكة (1).

ويؤيد المؤرخ والباحث اللاهوتي "الأب أنستاس ماري الكرمللي" هذه الفكرة في قوله: "...في وادي النيل أن لجميع الأهالي لسان واحد أما هنا في وادي الفراتيين في الأرض التي تسميها التوراة أرض شنعار، فكان فيها أقوام من سلالتين مختلفتين وهما لغتان كل منهما تختلف عن صاحبتها، ويسمى القطر الشمالي أكد سكانه أقوام ساميو الأصل أولاد عم العرب والعبريين والفينيقيين والسرّيان طويلو اللحي، سودها و متمجوها، وقد احتل القطر أجدادهم قادمين من ديار العرب في زمن واغل في القدم، وأما القطر الجنوبي المجاور لمصب الرافدين فاسمه شمر (يقصد سومر) وسكانه أقوام لا رابط يربطهم بقوم من أقوام الأرض الذين نعرفهم مخلوقة (2) لحاهم شواربهم وشعور رؤوسهم وأنوفهم بارزة دقيقة الأطراف وشفاهم رقيقة حسنة (3).

(1) -عباس فاضل السعدي، العراق وبلاد الرافدين والسكان الأوائل: دراسة في التاريخ والجغرافيا، جامعة بغداد، (د.د)، (د.ت)، ص 07.

(2) -تتمتع مهنة الحلاقة بأهمية خاصة، إذ أن اختيار الحلاق يعد خطوة مهمة يصاحبها مراسيم معينة، وذكرت النصوص أنه يتم تقديم القرابين من الأغنام في الشهر التاسع والعاشر، ويذكر أيضا أن للحلاق صفات جسمية خاصة به علما أنه في العصور الأولى تميز طاقم المعبد ليس فقط بملابسه وإنما أيضا بصفات جسمانية معينة، ومن الملفت للنظر حقا وجود حلقات للنساء، وظهر ذلك من خلال الرسوم التي تم العثور عليها، وهذا يعني أن سكان بلاد الرافدين القديمة كانوا قد وصلوا إلى درجة معينة من الترف والحياة السعيدة التي نجد فيها حلقات للنساء، ويعكس أيضا أن للمرأة دور بارز ومهم خلال تلك الفترة، لأنه كما يبدو كانت تظهر بمظهر ينم عن الأناقة ويعكس الذوق الرفيع للمجتمع بصورة عامة والذوق الرفيع للمرأة بصورة خاصة. ينظر: حسيب الياس حديد، المرجع السابق، ص 243، 244.

(3) -أنستاس ماري الكرمللي، المرجع السابق، ص 10.



=

-نحت لإناتوم الأول ملك لجش 2550 ق.م- (خزل الماجدي، المرجع السابق، ص 45).
(يمثل هذا النحت جزءا هاما من الملامح الجسدية للسومريين إذا أخذنا بعين الاعتبار صدق النحاتين في نقلهم للخصائص الجسمانية ومطابقتها للواقع).

أما المؤرخ المتخصص في دراسة الحضارات السامية "سباتينو موسكاتي" فيلخص لنا رأيه على النحو الآتي: "...تعطينا بعض التماثيل⁽¹⁾ صورة مهمة عن ملامح السومريين وهي تتميز بجبهة منخفضة مائلة إلى الخلف وأنف بارز، وفي العصور المتقدمة نرى شعرا طويلا مفروقا ولحية عريضة، ولكن نجد فيما بعد رؤوسا ووجوها مخلوقة الشعر"⁽²⁾.

ونفس هذا الطرح يضعه للنقاش المؤرخ المتخصص في دراسة تاريخ الشرق الأدنى القديم "مورتكات أنطون" حيث يقول: "...قال بعض العلماء استنادا إلى أبحاث علم الإنسان منطلقين من نتائج بحوث علم الأجناس التي أجريت على عدد قليل من الهياكل العظمية المتفتتة، بأن الإنسان السومري يتميز برأسه المتطاول كثيرا، غير أن هذه الميزة تتعارض كليا وأشكال أشخاصهم المنحوتة منذ عصور فجر التاريخ، حيث يظهر قصار الرؤوس وذوي جبهة

(1)-من الصعب تحليل بعض التماثيل الملكية الأولى للأسر المبكرة وهذا راجع لعدة أسباب، خاصة وأن بعضها لا تحمل نصوصا مكتوبة أو غير مكتملة، فمعرفة تعتمد حصريا على تحليل تنفيذها الفني أي المادة والحجم، والأيقونات والتصنيف، نظرا لأن المعايير الموضوعية الأخرى غير متوفرة في هذه الحالات. ينظر: Gianni Marchesi and Nicolo Marchetti, *Royal Statuary of Early Dynastic Mesopotamia*, winona like, indiana, USA, 2011, p 129.

(2)-سباتينو موسكاتي، المرجع السابق، ص 67.

مضغوطة إلى الخلف كجبهة القرد وأنف متضخم طبقا لأوصاف ما يسمى بعرق بلدان الشرق الأدنى⁽¹⁾.

من خلال عرض هذه الأفكار يبين لنا المؤرخ تناقض التماثيل والشخوص المجسدة فيها مع طبيعة الهياكل المعثور عليها ضمن المواقع الأثرية، وهذا في حد ذاته مشكلة تستدعي حلا منطقيا، وإلا لبقيت فرضية الشكل الحقيقي للسومريين غير واضحة وقابلة للافتراض فقط لا غير.

في حين أن المؤرخ "طه باقر" يحلل هذه الطروحات بمناقشة الجانب المورفولوجي للعنصر السومري حيث يقول: "...هل يمكن لنا أن نستدل من دراسة البقايا العظمية عن العرق الذي ينتمي إليه السومريون؟ وخلاصة الإجابة على هذه المسألة بالنفي، فإن الهياكل العظمية المكتشفة في القسم الجنوبي من العراق منذ أقدم أطوار الاستيطان البشري خلال عصر العبيد إلى عصور فجر السلالات المتميز بسيادة اللغة السومرية، نقول أن تلك البقايا لم تزود الباحثين المختصين بالموضوع (الأنثروبولوجيين) إلا بمفاهيم عامة غامضة لا تفيد في حل القضية التي بين أيدينا، فهي تشير إلى اختلاط عرقي منذ أقدم العصور، ومن الناحية الأنثروبولوجية وجد نوعان من البشر جنبا إلى جنب، النوع المتميز بالرأس الطويل (Dolichocephalic) وهو نوع الرأس الذي يغلب على أقوام حوض البحر المتوسط بشكل عام، ونوع الرأس المدور (Brachycephalic) السائد في أقوام أوروبا الوسطى وفي أرمينيا، وما وجد من الهياكل التي ينبغي أن تكون سومرية خليط من هذين النوعين⁽²⁾.

أما من الناحية التاريخية فيظهر السومريون في عصورهم الأولى ضمن أغلب المشاهد المصورة من دون لحى، ثم تظهرهم تماثيلهم في أواخر عصر السلالات الباكورة وفجر التاريخ بلحى كثة، ويظهر حكامهم⁽³⁾ في فنونهم التشكيلية وهم يرتدون ثيابا نصفية تمتد إلى ما تحت

(1)-أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 33.

(2)-طه باقر، المرجع السابق، ص ص 78، 79.

(3)-يمكن تمييز ملابس الآلهة والملوك من خلال نوعية الملابس وطرق تطريزها المزدهم بالقلائد والأقراط والأساور وعدة ألبسة الرأس، إضافة إلى الزخارف المتنوعة وما يحمله الملوك من شارات وأسلحة ورموز، كما أن القميص يكون طويلا إلى حد الكاحل أو قصيرا إلى حد الركبتين خلال العصر الآشوري، كما يمكن تمييز الملابس الملكية أو ملابس الآلهة بكونها كثيرة في

الركبة مرسلة في صفوف على هيئة "فلوس السمك" تشبه شبكة الصيد، حتى اعتقد الباحثون أن السومريين شعب غريب عن المنطقة التي عرفت باسمهم في العصور التاريخية التي وفدوا إليها من موطنهم الأصلي الذي لم تتوافر أدلة مؤكدة تحدد مكانه على الرغم من اجتهادات الباحثين المتعددة، إن لم يكنوا من السكان الأصليين فعلاً⁽¹⁾.



-تمثالين لرجل وامرأة سومريين يظهر الملامح المورفولوجية- (هدى بوفرحات، قصة وتاريخ الحضارات العربية (9-10)، (د.د.ن)، بيروت، 1998م، ص 13).

وعن أزيائهم وثيابهم يعطينا الباحث "عبد العزيز صالح" صورة ولو بسيطة عنها في قوله: "...وكانت ثيابهم متنوعة وأكثرها نصفية فضفاضة تبدأ بثنية عريضة مطوية عند الخصر تؤدي غرض الحزام⁽²⁾ وتمتد إلى ما تحت الركبة أو تنسدل إلى قرب العرقوبين، وينتهي بعضها بشرائط

الموضوعات الزخرفية ومنفذة بخطوط بارزة مستخدمين في ذلك خيوط مصنوعة من الذهب والفضة وقطع من الأحجار الكريمة، حيث ورد في الكتابات المسمارية ارتداء المعطف الإضافي فوق القميص عند الآلهة، وما يؤيد ذلك مشاهد الإلهة عشتار وما يرد من ذلك في الوثائق الرسمية منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. ينظر: حميد مصطفى ناجي الياسري، ملابس المرأة دلالاتها التاريخية في ضوء المنحوتات الأثرية عند العرب قبل الإسلام، مجلة آداب الكوفة، العدد 45، العراق، 2020م، ص 328.

(1)-أحمد أرحيم هبو، المرجع السابق، ص 25.

(2)-عرف الحزام في بلاد الرافدين القديمة رمزا لأول قطعة لبسها الإنسان، كما أنه قدم قربانا للآلهة الرافدية القديمة، وعد حزام الإلهة عشتار لباسا مقدسا، وعند السومري رمزا للقوة وهو الأساس الأول الذي تطور منه الآزار، وكان يستخدم لتعليق الأدوات الضرورية للعمل والصراع والحرب، وتم زخرفة أحزمة الآلهة والملوك في بلاد الرافدين القديمة بوحدات زخرفية مصنوعة من مواد أولية متنوعة من الجلود والصوف والكتان، وعلفوا فيه أختامهم الأسطوانية، ثم بمرور الوقت أخذت الأحزمة صفة الزينة، إذ أضيف

طويلة مدببة الأطراف مرسلة في صف واحد أو تكسوها عوضاً عن الشرائط أهداب من خيوط معقودة تتعاقب في صفوف على هيئة جزء الغنم أو فلوس السمك، وغالباً ما يظهر الحكام السومريون بعباءات واسعة يبد أنها كانت تتخذ من أصواف الأغنام الطويلة الممشطة تمشيطة جيداً، ويلتفون بها بحيث تغطي الكتف اليسرى وجزء من ذراعها وتمر تحت إبط الكتف اليمنى، ويظهر بعض أولئك الحكام والخاصة بمعاطف فريدة مزركشة يتصل طرفها أسفل الرقبة، على الرغم من غلبة الحرارة والرطوبة في الأجزاء الجنوبية من العراق، أما النساء السومريات فقد ظهرن في صور قليلة بشعور طويلة مرسلة وبثياب طويلة كاسية⁽¹⁾.

فيخضع الزي للظروف البيئية ذلك لأن البيئة لا تفرض مادته فحسب بل شكله كذلك، واللباس أصلاً لستر العورة ثم الوقاية من الظروف المناخية فما تفرضه من زي بلاد تمتاز بحرارة جوها يختلف تماماً عما تفرضه البلاد الباردة، ورغم أن تمثيل الأشكال العارية نافر فإنه يبدو أن الزي الأول وهو الزي الشعبي كان نقبة من الصوف تستر العورة من قطعة واحدة أو قطع يخاط بعضها إلى بعض ثم يترك الصدر والظهر عريان، والنقبة تصنع عادة من قطعة صوفية واحدة تلف حول الجزء السفلي وتنسدل حتى الركبتين وهي من لون واحد وتنتهي بالهداب في صفوف منتظمة، وقد بدا الزي أحياناً على هيئة الثوب الريشي، وقد تطور الزي فزيدت قطعة أخرى على هيئة عباءة تدور حول الذراع اليسرى بحيث تغطيها وتترك اليمنى حرة، وهكذا تطور الزي حتى أصبحت العبء تلف الجسم كله، وأصبح هذا الطراز مميزاً منذ عهد سرجون الأكدي⁽²⁾.

أما المؤرخ "ثروت عكاشة" فيصف لنا كسوة السومريين على النحو الآتي: "...كانت ملابس الرجال من جلود الأغنام أو من الصوف الصفيح النسيج، يغطون بهذا أو ذاك أعجازهم تاركين ما فوق ذلك عارياً، على حين كانت النساء يبدن كاسيات من الكتفين إلى القدمين، وما لبث كذلك

للحزام في أوقات كثيرة شريط عريض فوقه لحمل السيف، ويوصل إلى ما فوق الكتف مثل الوشاح وتتدلى منه أحياناً بعض الشرائط. ينظر: جواد مطر الموسوي وحسن حمزة جواد، الملابس القديمة الأثر والتأثير (العراق واليمن أنموذجاً)، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج1، العدد 31، العراق، 2018م، ص 137.

(1) -عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 586.

(2) -نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم (حضارات الشرق القديم العراق، فارس)، ط2، دار المعارف الجامعية، مصر، 1967م، ص ص 17، 18.

الرجال أن غطوا أجسامهم حتى رقابهم على مر الزمن، وكانت الموسورات من النساء ينتعلن أحذية من الجلد⁽¹⁾ اللين الرقيق بكعوب وطيئة وبأربطة أشبه شيء بأربطة اليوم⁽²⁾.



-بعض الملامح الجسمانية والألبسة المختلفة للمجتمع السومري- (André Parrot, *Sumerian Art*,)

(The New American library by arrangement with UNESCO, 1970, p p 28- 37.

(1)-كان هناك أنواع عديدة من الصنادل والنعال تم ذكرها على طول تاريخ بلاد الرافدين، فالنعال الاعتيادي كان مستعملا للمشى، أما شكلها عند السومريين فكان عبارة عن قطعة جلد تتخذ شكل حذاء محاط بسير أو قطعة مستطيلة من الجلد، ومن خلال الآثار يلاحظ ضمن أربعة أختام أسطوانية تتضمن صورة "جلجامش" وهو يرتدي أحذية مدببة وملتوية، ولهذا الشكل بالذات خصوصية معينة كونه يناسب المناطق الجبلية أو الثلجية، وفي مسلة النصر لنرام سين يلاحظ أنه ينتعل نعلا مسطحا كالنعل الذي نجده في الوقت الحاضر والذي يتضمن قطعة جلد بين الأصابع ويربط تحت العرقوب (المنطقة الخلفية من القدم)، ويفضل الناس عادة الصندل الذي يحتوي على عقبية أي قطعة من الجلد القوية داخل مؤخرة الحذاء ويغطي النعال الرجل كلها. ينظر: حسيب الياس حديد، المرجع السابق، ص ص 245، 246.

(2)-ثروت عكاشة، تاريخ الفن (الفن العراقي القديم سومر وبابل وأشور)، ج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.م)، (د.ت)، ص 11.

فمنذ بدايات الألف الثالث قبل الميلاد ارتدى السومريون بشكل عام ملابس عرفت تحت اسم "المهدبات" وهي وزرات مصنوعة من القماش تكون في شكلها ومظهرها تقليدا لصوف الأغنام، وتكون هذه الزرات مشدودة شدا وثيقا إلى وسط الجسم، كذلك عرفوا الثياب الطويلة من نفس القماش الذي يبدو في مظهره قريبا من فروة الغنم، ويكون وضع هذه الثياب على الجسم بحيث يترك الكتف والذراع اليمنى عاريين تقريبا ويلف في أحيان أخرى على الجسم قماش هو عبارة عن عباءة تغطي كل الجسم ومن حد الرقبة حتى كامل القدمين⁽¹⁾.

أما عن تقسيم أصناف الملابس فيقسمها المؤرخ "حميد مصطفى ناجي الياسري" إلى نوعين، وهو خاضع لمظهر ثياب الآلهة والحكام ومظاهر الأفراد الموسورين، وقد جاء مجمل رأيه على النحو الآتي "...الأولى عبارة عن قطعة قماش كبيرة غير مخططة (شال) تلف الجسم بحيث تغطيه بأكمله، ما عدا الرقبة والكتف الأيسر واليد التي تترك حرية الحركة، أما الثانية فهي تمثل ملابس الآلهة المميزة برداء أو ثوب أو أزار فضفاض من قبل السومريين مع تنوع في الزينة والمواد الأولية المستخدمة حتى العهد البابلي، حيث تعكس تلك الثياب لمعانا وضياء خاصا، وكأنها ثياب مقدسة ولعلها تؤدي وظيفة تتعلق بالطقوس الدينية، فتكون تلك الملابس ذات قوة وسيطرة نافذة في قوة لبسها من قبل الآلهة والملوك بحيث كانت تمجد وتبجل، وتنوب تلك الملابس في بعض الاحتفالات الخاصة عن حضور الملك شخصا، وقد دون هؤلاء ما كان لها ومكملاتها، بالأخص ألبسة الرأس التي كانت لها خصوصية من خلال تأثيرها على الأعداء، فأصبحت بالنتيجة مؤثرة نفسيا على كل المجتمع، حيث استمر هذا التقليد حتى القرن السابع قبل الميلاد⁽²⁾.

ونظرا لأهمية الملابس في العراق القديم فتشير العديد من "الحكم والنصائح" إلى تأثير الملابس الجيد على الحالة النفسية للإنسان، ونورد بعضا منها فيما يلي:

"لقد أصبح سعيدا في كل شيء، وذلك منذ أن ارتدى حلة فخمة".

ومن الحكم ما يشير إلى نوعية الملابس ودلالته على شخصية من يرتديه:

"يرتدي الرجل الحكيم ثوب أسد، أما الرجل السفيف فيرتدي ثوبا قرمزيا فضفاضا".

(1)- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج 02، ص ص 147 - 149.

(2)- حميد مصطفى ناجي الياسري، المرجع السابق، ص 327.

بالإضافة إلى ذلك فهناك العديد من الحكم المتصلة بملبس الرجل الفقير التي يستدل منها أنه كان يعاني من شطف العيش، أنه في بعض الأحيان لم يكن يجد ما يستر به عورته إلا بشق الأنفس، ومما جاء في ذلك:

"كم هو وضع الرجل الفقير، المطحنة بالنسبة إليه هي حافة الفرن
إن ثوبه الممزق لا يمكن رنقه، إن ما يفقده لا يبحث عنه".

ومنها كذلك استغاثة فقيرة لسيدة ترتدي أثوابا واسعة بأن تعطيها قطعة منها لتستر بها عورتها:

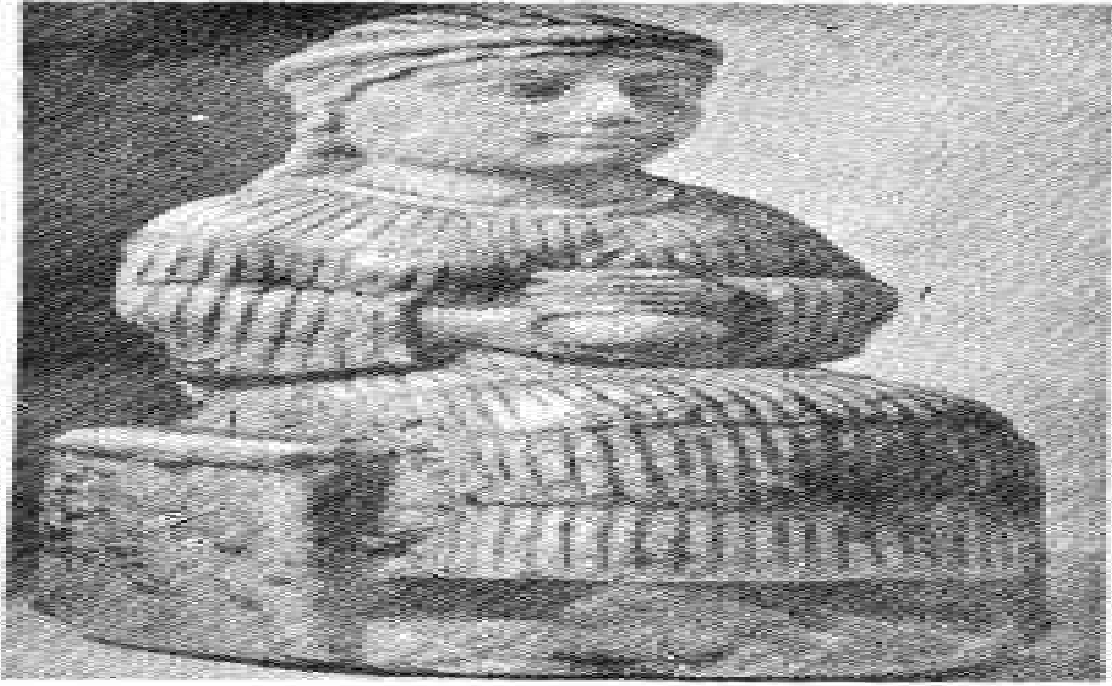
"إنك سيدة ترتدين القطع الواسعة من الثياب، دعيني أقطع منها قطعة لأستر بها عورتني"⁽¹⁾.

لعل أهم الإشارات الواردة فيما تقدم من إلى وجود فوارق طبقية وعدم المساواة الاجتماعية حتى في مجتمع متقدم كالمجتمع السومري، وأن نوعية اللباس وقيمتها كان لها عظيم الأثر في صنع شخصية الفرد الرافدي من عدة نواحي، أي أن الوضع الاقتصادي كان له دور كبير في هذا النوع من المجتمعات.

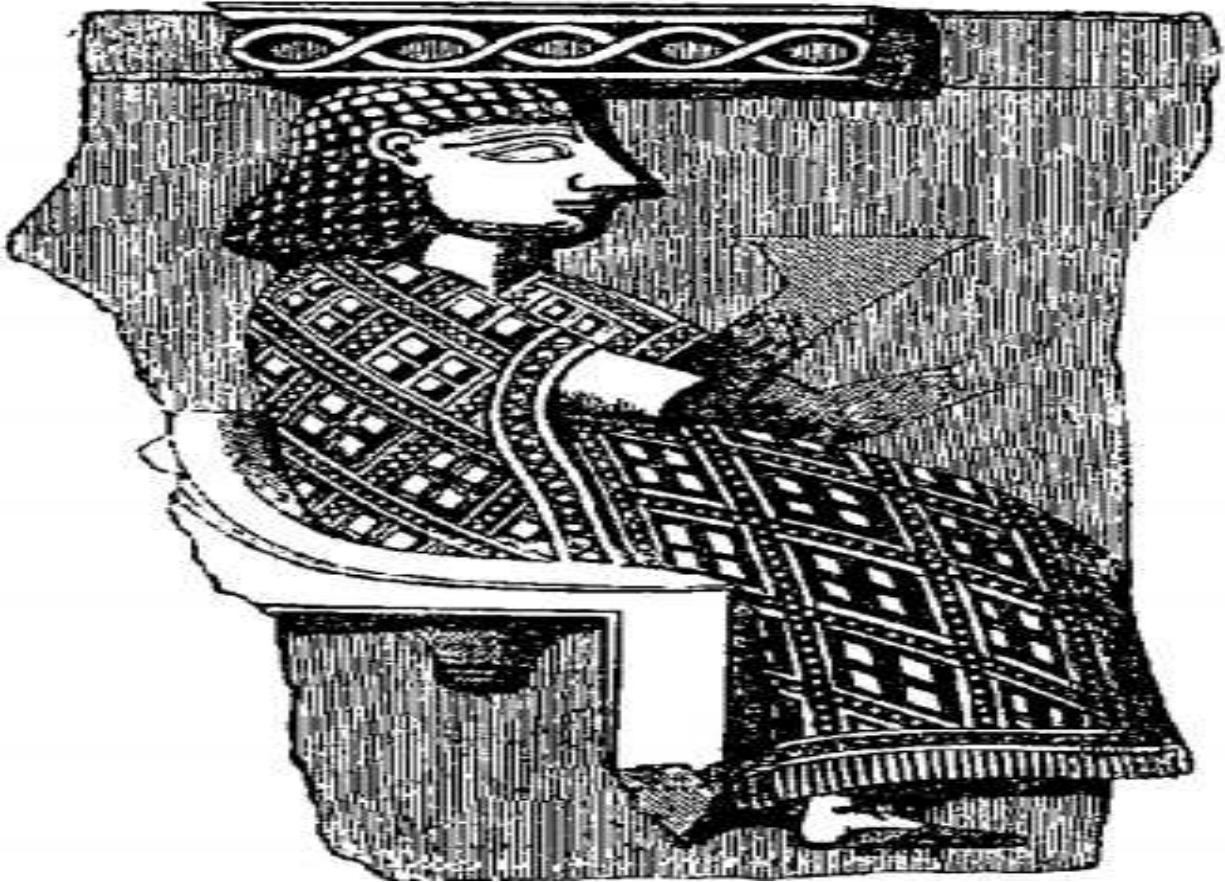
واكتفت أغلب اللوحات السومرية بتصوير ملامح شخوصها البشرية بخطوطها العامة، وقليلًا ما حفلت بإظهار تفاصيل الجسم كعضلات الصدر والذراعين (في مثل لوحة الملك أور-نانشه)، وقد يرجع طابع العمومية في صورها إلى صغر أحجامها وصعوبة تمثيل الملامح الشخصية فيها، بيد أنه على الرغم من بساطة خطوط هذه اللوحات، بل وخشونتها أحيانًا، فإنها لم تعجز في أغلب أحوالها عن إعطاء صورة واضحة عن موضوعاتها وعن هيات أهلها وتقاليدهم في الزي والعبادة وعما كانوا يستخدمونه في حياتهم اليومية من أدوات لم يتبق منها في أرضهم غير القليل النادر⁽²⁾.

(1)-حميد مصطفى ناجي الياسري، المرجع السابق، ص 329.

(2)-عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ص 609، 610.



-اللباس العام للمرأة السومرية ويتمثل في لباس صوفي يمتد من أسفل الرقبة إلى القدمين
(الألف الثالث ق.م) (عزمي سكر، المرجع السابق، ص 154).



-لباس خاص لامرأة من القصر الملكي- (François Lenormant, op.cit, p 31).

في حين يشير المؤرخان "ك. ماتيف وأ. سازونوف" إلى بعض ملامح السومريين في قولهما: "...نشاهد على الألواح الفخارية رسوما لأناس حليقي الرأس، لم يكن لهم شوارب ولحي، وجوه السومريين مستديرة الشكل، عيون واسعة كبيرة، أنف مستقيم كبير، وكان وجهاؤهم أيضا حليقي الرأس (ما نفهمه هنا من قول المؤرخين بأنه لا يوجد فرق من الناحية الطبقة على الأرجح)، دون قبعات وبعضهم الآخر يضع قبعات مستديرة تدعى بالسومريات"⁽¹⁾.

بينما يرى المؤرخ "ديكانوف ي. م." وآخرين برأي مخالف، حيث يتلخص مجمل رأيهم فيما يلي: "...أما عن شكلهم الأنثروبولوجي فيمكن أن نستنتج من بقايا العظام وليس من تماثيلهم كما اعتقد العلماء الأوروبيون سابقا، التي يبدو عليها طابع التقليد بعض صفات الوجه (آذان وعيون وأنف كبير) لا توضح صفات الشعب الجسمانية، إنما متطلبات العبادة، ومن دراسة بقايا العظام نستنتج أن السومريين في الألف الرابع ق.م كانوا ينتمون إلى الشكل الأنثروبولوجي نفسه الذي غلب على الميزوبوتامية دائما، أي يعني سلالة البحر الأبيض المتوسط التي تدخل ضمن السلالة الأوروبية الكبيرة، إذ أن السومريين في جنوب بلاد النهرين قد سبقتهم مجموعة من الناس، فمن الواضح أنهم كانوا ينتمون إلى الشكل الأنثروبولوجي نفسه، وهذا أمر ليس غريبا: وإنما يحدث في التاريخ ولكن بشكل نادر، حيث أباد القادمون الجدد كليا السكان القدامى، وطالما تزواج القادمون من السكان المحليين مما يشير إلى أن السومريين بالفعل قدموا من أماكن بعيدة وجلبوا لغتهم منهم، وهذا لا ينعكس على الشكل الأنثروبولوجي لسكان ميزوبوتاميا السفلى"⁽²⁾.

نفس الفكرة يؤيدها المؤرخ "صباح محسن كاظم" نقلا عن "محمد العبيدي"، أين يذكر طغيان الجانب الطقسي التعبدى⁽³⁾ على جانب الأزياء حيث يقول: "...الفرد السومري يتجاوب كثيرا مع الفعاليات الاجتماعية وإن كانت طقوسية وفرصة مناسبة لأداء الشعائر التي تستجيب

(1)-ك. ماتيف وأ. سازونوف، المرجع السابق، ص 58.

(2)-ديكانوف ي. م. وآخرون، المرجع السابق، ص 94.

(3)-تشمل هنا ما يطلق عليه "صلاة التائب"، وهي من الصلوات الشائعة في بلاد الرافدين القديمة، إذ يقوم التائب بالتضرع إلى الآلهة التي يعرفها والتي لا يعرفها بغية طلب الرحمة والمغفرة نظرا للذنوب التي اقترفها، ويهدف في صلاته إلى تهدئة روع الآلهة وغضبهم عليه لأنه ارتكب الذنوب والمعاصي التي تغضبهم، ويعترف أمامها بالذنوب التي ارتكبها وتسببت له بالأمراض والمعاناة الجسدية والنفسية، وهناك نصوص عديدة تؤكد هذه الصلوات، ويقطع التائب عهدا أمام الآلهة بعدم العودة إلى ارتكاب المعاصي ثانية. ينظر: حسيب الياس حديد، المرجع السابق، ص 201.

للشخصية وتجعل الناس الآخرين يتقبلون ويتجاوبون مع حالة الحدث ليصل الزي السومري فرصة للتقليد ليس على مستوى التصميم فحسب، وإنما تتداخل حتى الألوان وتراقى العامل النفسي والسيكولوجي لدى الإنسان في بلاد الرافدين، هذه الصورة الأمانة التي نقلت الآثار مع الأزياء لم تكن معدلة من قبل الفنان وإنما كانت بصورتها الواقعية⁽¹⁾ أثناء أداء الفعالية الاجتماعية أو الطقوس والشعائر التي تمارس في المعبد، بدليل أن وحدة الشكل عندما تنتقل عبر التاريخ تبقى ثابتة وتنتقل من مكان إلى آخر دون التلاعب فيها في أي مكان وأي زمان كانت⁽²⁾.

نستخلص من قول المؤرخ أن الأزياء التي استعملها السومريون ثم من تلاهم تميزت بكونها واقعية أي لم يطرأ عليها أي تعديل يذكر، لكنه أقر من ناحية أخرى أنها تمثل أزياء تعبدية وليست للاستعمال اليومي أي تستخدم في مناسبات خاصة ومحدودة، وكون هذه الأزياء تمنع بشكل جزئي ملاحظة الصفات الجسمانية كاملة للعنصر السومري كالشعر المستعار والأشرطة المتدلّية، لكنه على الأقل يعطينا صورة واضحة عن الجانب التطبيقي-الديني لدى السومريين.

وقد أكد المؤرخ العراقي "طه باقر" نفس فكرة سابقه في كون أن تحديد الصفات الجسمانية للسومريين اعتماداً على التماثيل غير مجدية أو بالأحرى لا يعتمد عليها فعليا، حيث يقول ضمن هذا السياق: "...أما الملامح الطبيعية التي يمكن دراستها من المنحوتات فهي كذلك لا تفيدنا بأشياء مهمة في حل القضية، وكان الباحثون من الجيل القديم يعولون كثيرا على تمثيل الأشخاص في المنحوتات في تعداد صفات السومريين والساميين الجسمية كشعر الرأس وإطلاق اللحي وحلق الشوارب وشكل الأنف إلى غير ذلك من الصفات الجسدية، ولكن الواقع من الأمر أن ما يبدو من ملامح عن التماثيل كانت تتحكم في تمثيلها الطرز الفنية المتبعة في النحت بالدرجة الأولى، إن ما يظهر من هياكل وسحن على تلك التماثيل لا يمثل في الواقع فروقا أو ميزات قومية خاصة

(1)-بخصوص الصورة الواقعية للتماثيل فيرى المؤرخ "لييب عبد الستار" أن الفنان الرافدي قد اهتم بإبراز معالم الوجه وتقاسيمه، فأتى التمثال مطابقاً لأوصاف صاحبه وتلك ضرورة دينية، إذ الغاية من كل تمثال أن يمثل صاحبه في المعبد لترضى الآلهة عن صنعه المتين المتقن، وحيال تزايد الطلب على التماثيل لجأ صانعوها إلى قوالب، فأنتجوا أعداداً ضخمة من تماثيل الآجر بنموذج واحد، ساعته قل الاهتمام بالتفاصيل فخرج النحت عن المقومات الفنية. ينظر: لييب عبد الستار، مجاز في التاريخ (الحضارات)، ط 17، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2008م، ص 43.

(2)-صباح محسن كاسم، المرجع السابق، ص ص 17، 18.

بالسومريين أو الساميين، وإنما هي أزياء خاصة بمقام الشخص الممثل كطبقة الاجتماعية أو الدينية كالملوك والحكام والأمراء والكهنة، فنجد الملامح والسمات التي درج الباحثون القدماء على عزوها إلى تماثيل السومريين ظاهرة أيضا في تماثيل أشخاص ساميين في منطقة سامية صرفة من عصر فجر السلالات السومري ونعني بذلك منطقة مدينة ماري (تل الحريري قرب الحدود السورية-العراقية)، وإلى ذلك إذا قارنا تماثيل السومريين من عصر فجر السلالات بتماثيل الأمير الشهير "جوديا" 2200 ق.م وجدنا فروقا واضحة، وكذلك يقال النسبة لتماثيل الآلهة من كلا العصرين⁽¹⁾.

كما يصف لنا المؤرخ "عبد المنعم المحجوب" الصفات الجسمانية للسومريين بالاستناد إلى ما خلصت به دراسة العالم "وادل" حيث يقول: "إن وحدة النوع والمصدر للحضارات السومرية الرافدية والهندية والمصرية على وفاق التكوين الجسماني للشعب الحاكم في جميع هذه البلاد الثلاثة، والذي يظهر في صورهم ومنحوتاتهم وبقايا هياكلهم العظمية والتي هي برؤوس طويلة وشعر أشقر، وعيون شهباء أو زرقاء، عرفها المعاصرون على أنها قد كانت علامات مميزة للقسم الآري من الجنس القوقازي"، واللجوء إلى السمات العرقية قد يبدو فاصلا هنا، هكذا تدل صرامة التحديد وتنسب الجنس، لكن ما ورد في هذه الفقرة هو عبارة بسيطة جدا وحاسمة جدا: مجرد تزييف⁽²⁾.

أما وصف السومريين "بذوي الشعر الأشقر والعيون الزرقاء" هو غير جائز وذلك لسبب بسيط وهو أنهم كانوا يفتخرون بإطلاق صفة على أنفسهم من باب التعريف أو التمييز وهي "ذوو الشعر الأسود أو ذوو الرؤوس السوداء" وتكتب حرفيا: "ءن. سنك. كي" un-sang-ngi وهي كلمة مركبة من ثلاثة مقاطع: -ءن: قوم / -سنك: رأس / -كي: أسود⁽³⁾.

فكان السومريون يصورون أنفسهم في تماثيلهم باعتبارهم أناسا مدوري الرؤوس، ذوي رؤوس سوداء كبيرة ولحي طويلة من دون شارب، وكانوا يرتدون التنانير ذوات الحاشي، وفي مآدبهم كانوا

(1)-طه باقر، المرجع السابق، ص ص 79، 80.

(2)-عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص ص 30، 31.

(3)-نفسه، ص ص 31، 32.

يجلسون على شكل مجاميع ويشربون نوعاً من الجعة حيث كانت توضع جرة منها على الأرض فيشربون منها من خلال أنابيب معدنية طيلة، وكانوا يعزفون الموسيقى⁽¹⁾ على قيثارات من مختلف الأنواع الأشكال، ومن باب التسلية كانا يتصارعون، يتلاكمون، يصطادون ويتسابقون في عربات خفيفة ثنائية العجلات تشد إليها أربعة حمر أو حمر وحشية⁽²⁾.

في حين يلخص لنا ذلك المؤرخ "عبد العزيز صالح" مجمل رأيه حول الصفات المورفولوجية للسومريين حيث يقول: "... وصورت المناظر والتماثيل السومرية خاصة أهلها أميل إلى الامتلاء، مع قصر القامة أو توسطها، وصورت بعضهم بأنف كبير أقني، وأظهرتهم حليقي الشوارب، ولم تظهرهم خلال عصورهم الأولى بلحي إلا في حالات قليلة تبدو اللحي الكبيرة فيها أشبه باللحي المستعارة، بينما أظهرتهم تماثيلهم في أواخر عصر بداية الأسرات بلحي كثة، أما شعر الرأس عندهم فمختلف، فمنه الحليق والقصير والطويل المعقوص والمرسل على هيئة أظافر، وإن بدا في بعض صوره طويلاً كثيفاً أحياناً مرسل على الكتفين وأقرب إلى هيئة الشعور المستعارة، وصورت المناظر نفسها أصحابها برؤوس عارية إلا من خوذ الحرب وتيجان⁽³⁾ الحكم⁽⁴⁾.

(1)-للآلات الموسيقية في بلاد الرافدين القديمة تاريخ عريق وأصل يرجع إلى آلاف السنين، إذ أظهرت التنقيبات في أور، كيش، بابل ونمرود آلات موسيقية مختلفة كان قد عزف عليها السومريون والبابليون والآشوريون، وهي موجودة الآن في المتحف العراقي والمتحف البريطاني ومتحف الجامعة في فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وظهرت كذلك مجموعة كبيرة من الآثار التي نقش عليها رسوم الآلات الموسيقية المتنوعة التي استعملها الرافديون القدامى عبر العصور المختلفة. ينظر: شيماء عصام البلداوي، الموسيقى والطرب في العراق القديم، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 46، العراق، 2017م، ص 97.

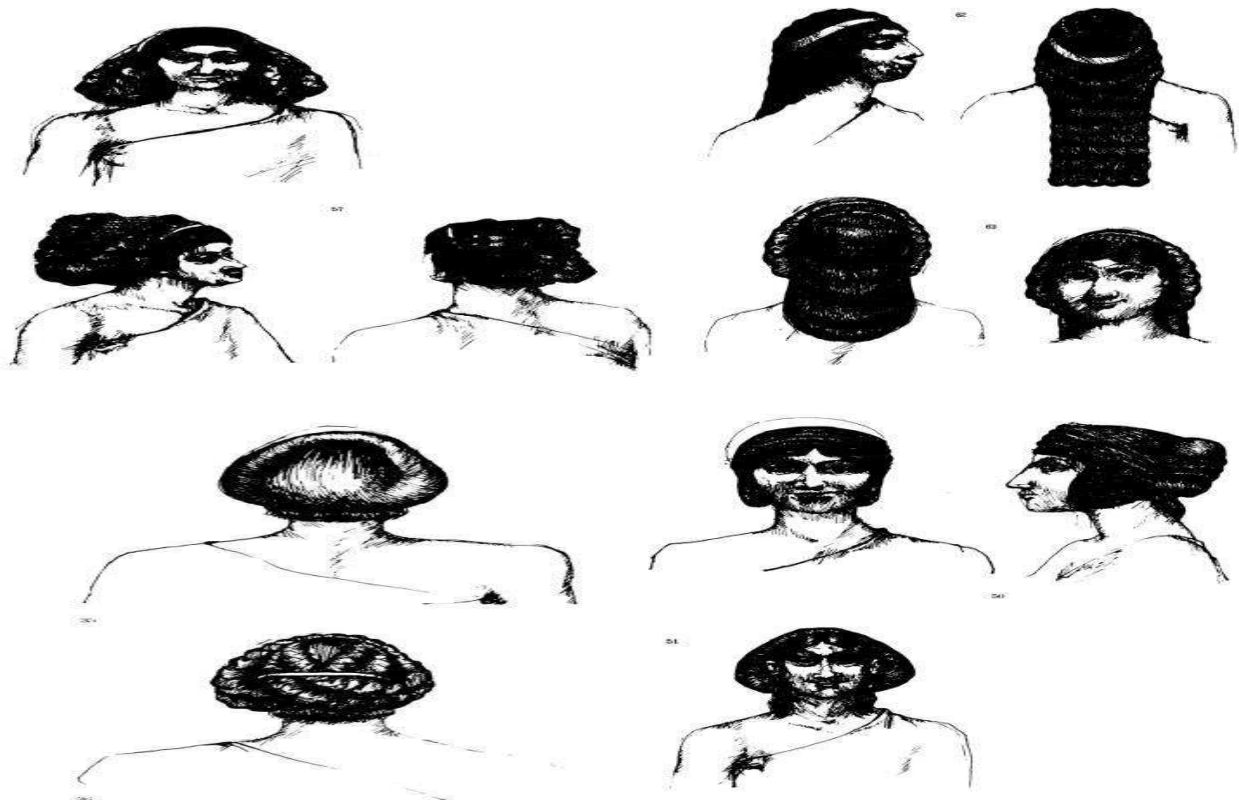
(2)-غلين دانيال، المرجع السابق، ص 91.

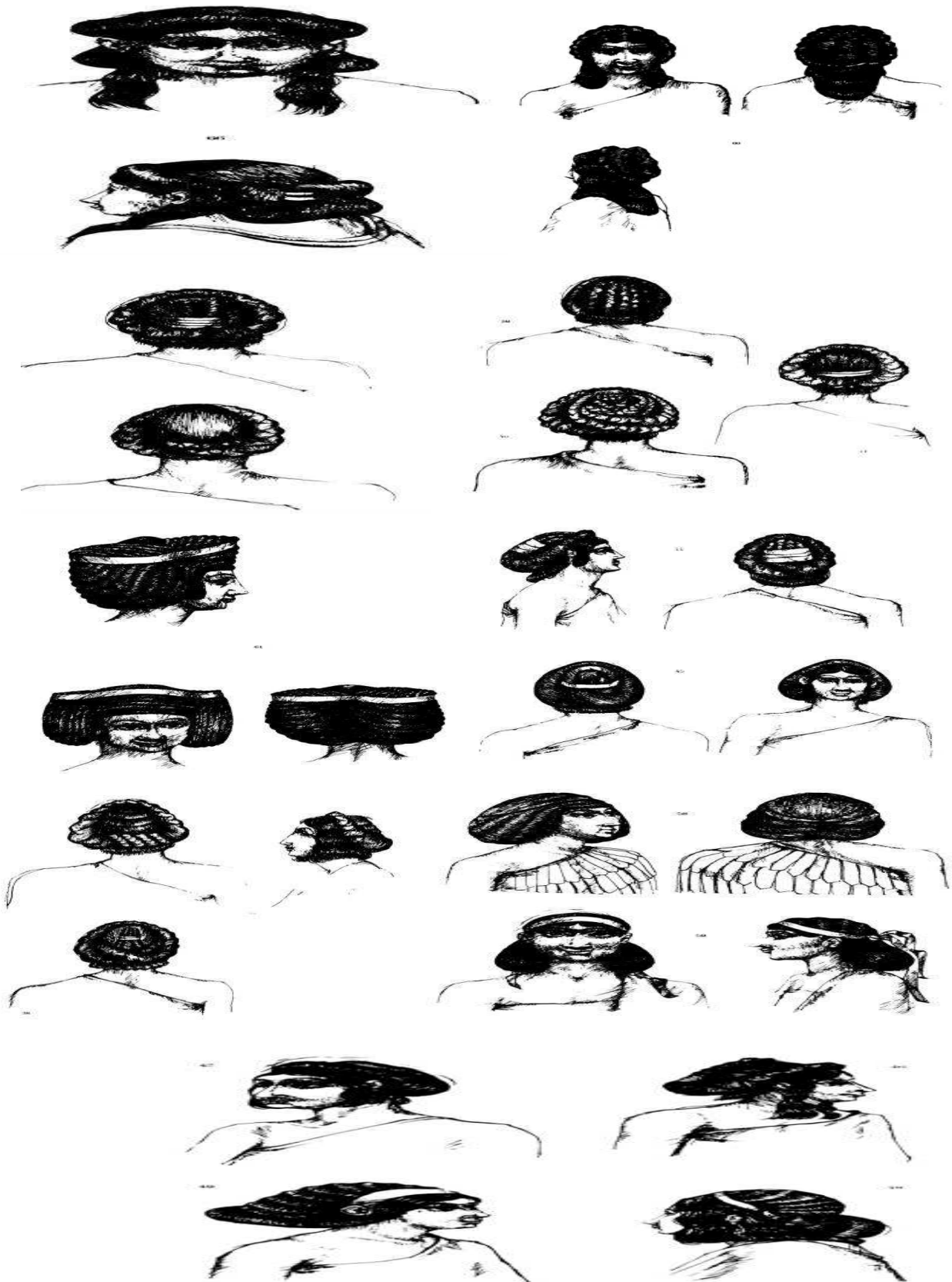
(3)-التاج وجمعه تيجان أو أتواج وهو ما يوضع على الرأس، وقد وردت تسميته في اللغة السومرية بالمصطلح AGA ويقابلها باللغة الأكديّة تسمية agu، أي بمعنى التاج الذي يعتمره الآلهة والملوك، ويصنع من مواد مختلفة قد تكون من القماش فضلاً عن المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي تزينه، وهو رمز الزعامة والسلطة. ينظر: براق عبد الحسين طاهر، المرجع السابق، ص 50.

(4)-عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ص 585، 586.



-المظهر العام للمرأة السومرية ضمن مجموعة مختلفة من الأزياء-



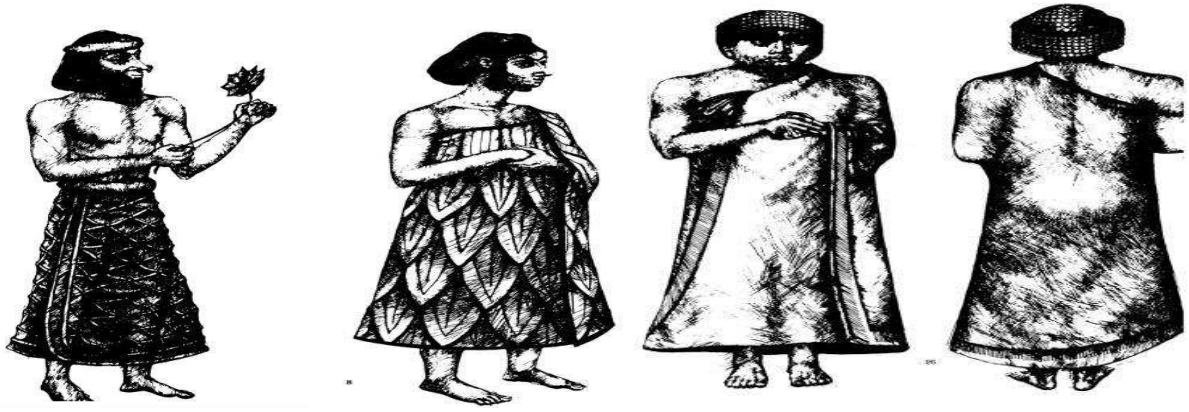


-مختلف أنواع الحلاقات وتصفيف الشعر الخاص بالمرأة⁽¹⁾ على الطريقة السومرية-

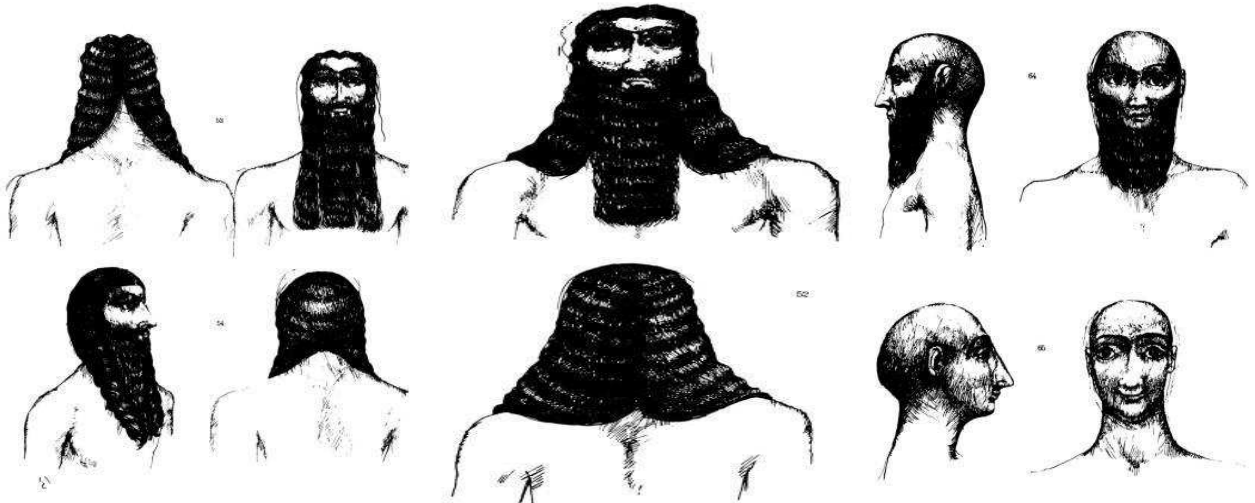
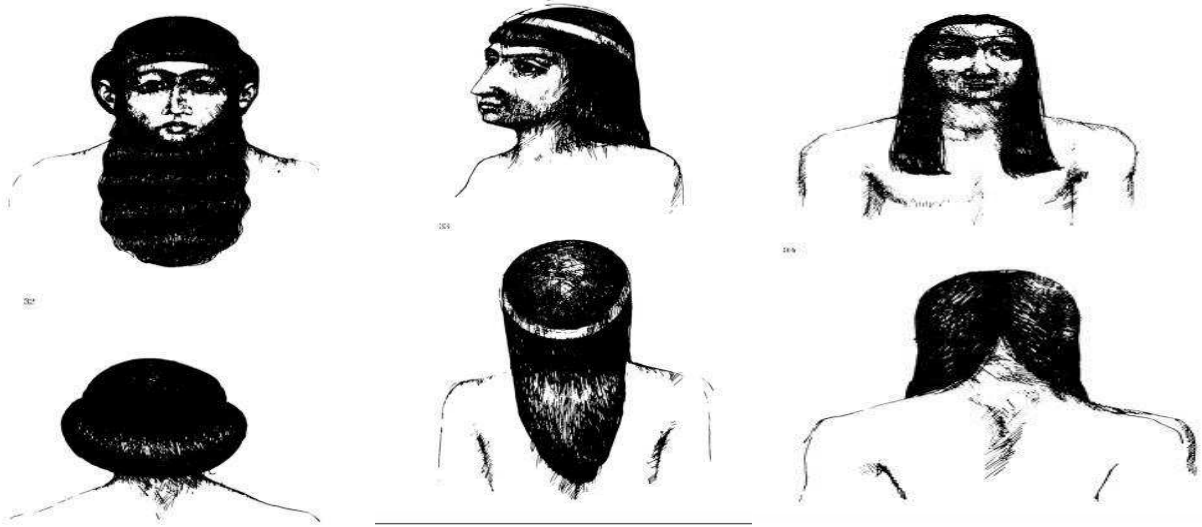
(1)-كان للمرأة في بلاد الرافدين القديمة الحق في ممارسة أعمال ومهن مختلفة والقيام بواجبات ضمنها لها المجتمع والقانون، فقد شاركت نساء سومريات معروفات أزواجهن الأمراء والحكام في الاشراف على شؤون الدولة وتصريف الشؤون المالية وجمع



الضرائب وتوزيع الأرزاق وشراء العبيد وترؤس الاحتفالات الدينية، كما برزت منهن حاكمات وكاهنات، وقد شغلت نساء بارزات في المجتمع الآشوري مناصب كبيرة في الدولة. ينظر: بهنام أبو صوف، التاريخ من باطن الأرض، ص 39.



المظهر العام للرجل السومري (حسب ما أوضحته اللقى الأثرية من تماثيل، والنحت النافر)-



-مختلف أنواع الحلاقات وتصنيفات الشعر واللحية الخاصة بالرجل والمشكلة على الطريقة

السومرية- (مديرية الآثار العامة، الأزياء العراقية (الأزياء السومرية)، بغداد، 1967، ص ص

مختلف الأزياء تم تصميمها طبقاً للآثار المعثور عليها ضمن المدن السومرية القديمة، فقد اعتمد مصمم الأزياء بالدرجة الأولى على التماثيل التي ميزت بشكل خاص ملامح السومريين عن غيرهم سكان وادي الرافدين، لذا يجب عند الأخذ بهذه التصاميم كمصدر لمعرفة الخصائص الظاهرية العامة للسومريين اتخاذ الحيطة والحذر إذا أخذنا بعين الاعتبار وجود خصائص دخيلة على فن النحت وكذلك عند تصوير المتعبدین الذين ربما كذلك يكونون قد أتوا من أماكن عدة، لكن تبقى هذه التماثيل رغم ذلك المصدر الوحيد والمباشر لمعرفة المظهر المورفولوجي الخاص بالعنصر السومري.

ولعل أبرز الأدلة الأثرية التي تعطينا صورة مقربة عن ملامح السومريين الفعلية هو تمثال الملك "جوديا" والذي يعد تمثاله الأقرب إلى الواقع (أي تجسيد الفن للواقع المرئي حسب دقة الفن آنذاك)، حيث يظهر هذا الملك في بعض تماثيله وهو يرتدي عمامة على رأسه، قد تميزت إحدى تماثيله هذه بالإبداع الدقة في التعبير على الرغم مما أصابه من تشويه، ويلاحظ فيه ووجنتاه البارزتين وذقنه المدبب وعينه المستقرة وشفاته الرقيقتان، "كما وصفها المؤرخ"، وكذلك الحواجب الكثة الحنك المربع، وتمثال آخر لهذا الملك ظهر فيه أصلع الرأس، وكان يطلق عليه بذی الرأس الأبيض في متحف برلين، ووجد أن تلك التماثيل قد صورت دائماً بالأعين المحدقة، عظام الوجنتين البارزة والفم الواضح المعالم، إذ يعتبر هذا مثالا بارعا على فن النحت التصويري السومري في أحسن حالاته، كما يعد واحداً من سلسلة تماثيل تمثل "جوديا" حاكم "لجش" وهو يقف بخشوع ويده معقودتان في وضعية العبادة التي نذر لها هذا التمثال، ومن ضريحه ورأسه مخلوق على الطريقة السومرية، ويرتدي شالا صوفيا صور بمهارة⁽¹⁾.

نلاحظ من خلال ما تقدم أن إتقان الفن السومري في مراحل محددة أكسب هذه التماثيل صفة المطابقة على الواقع وهو الأمر الذي يجعلنا نخمن بإمكانية الأخذ بصفات الملك جوديا كمرجع لصفات السومريين كونه من الحكام المبكرين لعصر فجر السلالات، كما تظهر عليه

(1) -إسراء عبد السلام مصطفى وموسى العساف، فن النحت في العصر السومري الحديث، جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، إش: أحلام سعد الله الطالبي، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2005م، ص 35.

بعض الصفات الخارجية كاللباس والشال الصوفي الذي وربما يدل على الأصل الجبلي لنفس العنصر محل الوصف.

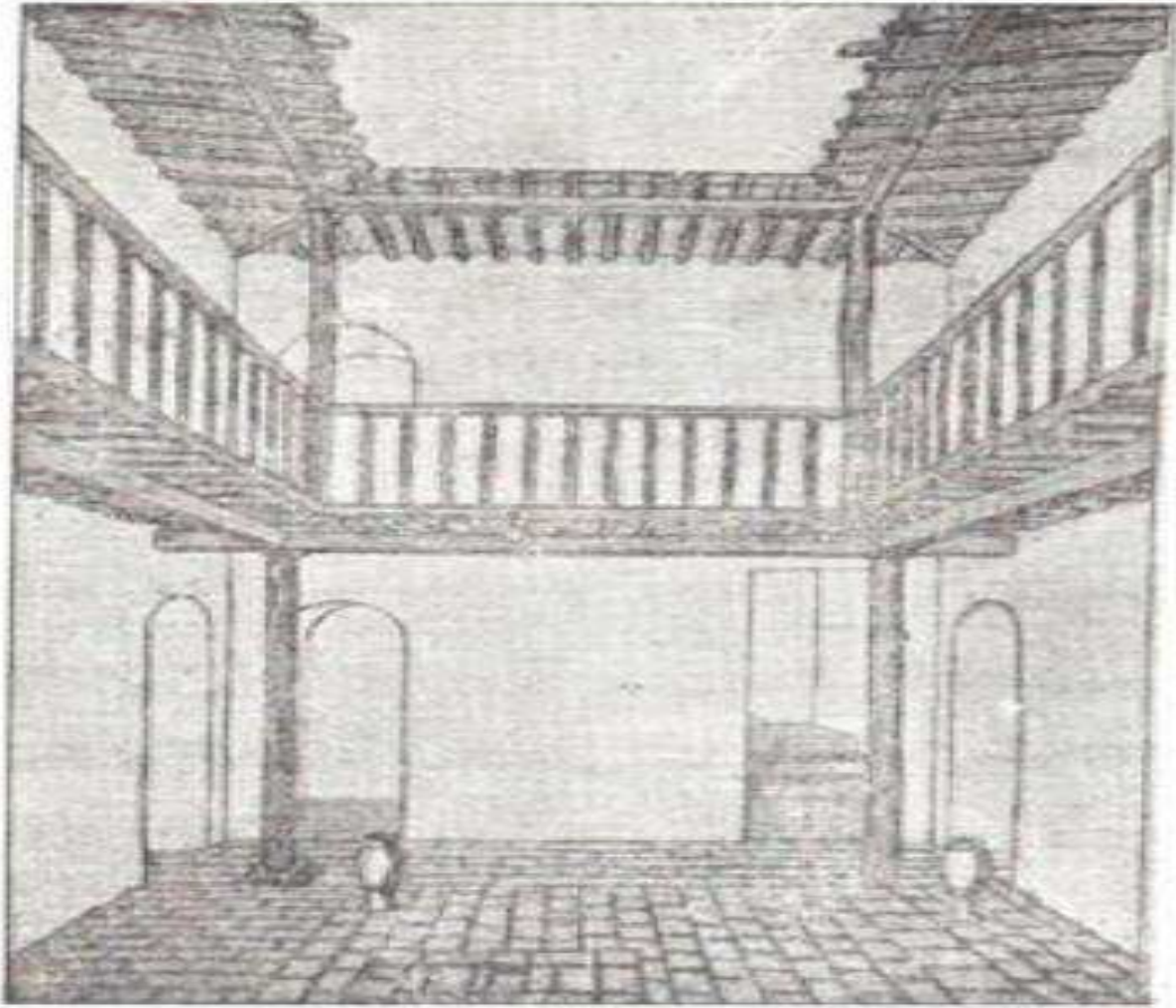
وكمثال آخر عن ملامح السومريين المأخوذة من حقل الآثار، نجد رأس فتاة من "الوركاء" وهو من أهم المشاهد الفنية للمرأة في الفترة السومرية والأكثر روعة ومن أوائل هذا العصر، وهو بالحجم الطبيعي تقريبا مصنوع من حجر الألبستر الشمعي، اكتشف في معبد "إنانا" في مدينة الوركاء، ويبدو أن هذا الوجه كان جزءا من تمثال نحت أجزاءه من خامات متنوعة فقد النصف الخلفي له فكان الرأس مسطحا وقد جعلت فيه ثقب لتثبيته بنصفه الآخر، ولقد أبدع النحات في صقل سطح الوجه وتميزت أجزاءه بانسجامها الدقيق وجمال تشكيلها، فلامحه لها قوة تعبيرية كبيرة والشفتان رقيقتان متموجتان مع كبر حجم العينين وطول الحاجبين، وربما أكد التجويف الفارغ فيهما على أنهما كانتا مطعمتين مع الحاجبين بأحجار ملونة وبراقة، أما عن تصفيف الشعر فقد حددت معالمه بخط من أنصاف أقواس الجبهة ونحت في سمك الرأس أخدود عميق لوضع إكليل من الشعر المستعار ربما يكون خيطا من الذهب، ولم يكن رأس فتاة الوركاء صورة لإله وإنما قناعا تستقر فيه شارة القدسية ورمزا احتفاليا لقوى التأنيث والإخصاب في الوجود⁽¹⁾.

أما بخصوص "الحياة اليومية" للسومريين، فقد كانوا يفرشون الأرض بالحصير وهي تشبه النوع الذي يستعمل اليوم تماما، أما بيوت⁽²⁾ الأغنياء ففترش بالطنافس والسجاد، وقد استعملوا الكراسي ذات المتكأ الخشبي والمقاعد المحشوة، وكان لقوائم بعضها عجلات من الفضة أو النحاس، كمل كانوا ينامون على سرر خشبية بعد أن يضعوا عليها الحشايا الوثيرة ويحفظون ملابسهم في دواليب خشبية أيضا، وشاع عندهم استعمال مناضد واطئة مثلثة الشكل مما يتم

(1)-إسراء عبد السلام مصطفى، مشاهد المرأة في فنون عصر فجر السلالات السومرية (2800-2371 ق.م)، مجلة الأنبار، المجلد 06، العدد 23، العراق، 2010م، ص ص 227، 228.

(2)-وردت كلمة البيت في النصوص الرافدية القديمة بعدة صيغ ودلالات ومعان لغوية، فجاءت بالصيغة السومرية التي عبرت عنها العلامة الدالة "e" وبالصيغة الأكديّة "bitu-betu" لتعبر عن مجموعة معان منها (البيت، المسكن، الملجأ، منزل، مكان معين، قطعة أرض ومقاطعة)، كذلك عبرت الصيغة السومرية e-DU-A والأكديّة bitu epsu لتعطي معنى البيت المبني (المشيد)، والمستعم إلى لفظ "bitum" بالأكديّة يجد أنها قريبة جدا إلى كلمة بيت باللغة العربية، وهذا ليس بالأمر الغريب، إذ كلا من اللغتين تتحدران من عائلة لغوية واحدة متمثلة باللغة الجزرية الأم. ينظر: طالب منعم حبيب وأحمد بشار جمعه، صيانة وترميم البيت في العراق القديم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 23، العراق، 2016م، ص 86.

أثاث غرفهم البسيط، أما للإضاءة ليلاً فقد استعملوا مصابيح بدائية (مسارج) تتكون من أوان مسطحة تقوم في وسطها فتائل صغيرة طافية على الزيت⁽¹⁾، أما الماء فكان عليهم جلبه من آبار عامة خارج البيوت، بينما لكل دار في الغالب بالوعة خاصة بها تتكون من أنابيب فخارية مثقوبة توصل ببعضها بالقار وتنزل عمودية في الأرض إلى عمق كبير، وتوضع حولها كسر صغيرة من الفخار تساعد على تسرب المياه إلى الأرض المجاورة، وكانت فوهاتها تشبه في بعض الأحيان فم البوق وإن كانت في أكثر الأحيان على نمط مجارينا الحالية⁽²⁾.



-صورة تخيلية (أعيد تشكيلها) لواجهة بيت سومري - (ليونارد وولي، المرجع السابق، ص 79).

(1)-كان المظهر الجوهري للزينة بين طبقات المجتمع الرافدي القديم مسح الجسد والشعر بالزيت، وكان هذا الأخير يستخدم لغرضين هما تعقيم البشرة التي كانت تتشقق وتتصلب بفعل الجو الجاف والعواصف الرملية وكذلك قتل الحشرات التي توجد في الشعر فالزيت يخنق الصئبان والطفيليات التي كانت شديدة الوطأة في بلاد الرافدين. ينظر: أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ حضارة مصر الشرق الأدنى القديم، ج 02، ص 149.

(2)-ليونارد وولي، المرجع السابق، ص ص 83، 84.

فقد استعمل فلاحو العراق الأوائل، قبل نحو عشرة آلاف سنة، أخشاب الأشجار وأغصانها وسيقان القصب والبردي في تشييد دورهم، كما فرشوا أرضيات تلك الدور بالبردي وغطوها بالطين نقاديا لرطوبة الأرض، وحاك سكة قرى العراق الأولى الحصران والسلال من البردي واستخدموها بعد طلائها بطبقة من القار أواني للسوائل وغيرها من الأغراض المنزلية، وخلقوا القسم الجنوبي من الحجارة والأخشاب فقد استعان قدماء العراقيين ومنذ استيطانهم أرض الجنوب، بالطين والقصب والنخيل والحلفاء في البناء⁽¹⁾، كما استفادوا من مختلف أقسام النخلة فاتخذوا من جذوعها وجريدها مواد للتسقيف⁽²⁾ وحاكوا من سعفها حصرانا⁽³⁾.

فكانت المساكن في أول أمرها عبارة عن أكواخ من البوص الذي كان متوافرا كما هو الحال في المناطق الجنوبية من العراق حتى الآن وكانت سيقانها تربط في حزم وتثنى بحيث يصبح شكل السقف مقوسا، وكانت هذه المنازل تغطي بطبقة من الطين وبعدئذ استخدم اللبن في بناء منازل صغيرة الحجم سقوفها من البوص المغطى بالطين وقد يدعم هذه ركائز أو تعريشات من أخشاب النخيل، وبعد ذلك عرف الأجر ولكنه لم يتخذ شكلا موحدا بل كان مختلف الأحجام والأشكال فمنه المستطيل والمربع والمقوس والمثلث الأركان، ولم يستعمل الحجر إلا في إطارات الأبواب في المعابد والمنشآت العامة، ثم استخدم بعد ذلك على نطاق أوسع في عصور متأخرة، كما أن "القاشاني" الذي عرف أيام الآشوريين وشاع استعماله بعد ذلك واستخدم في كسوة جدران القصور⁽⁴⁾.

(1)- لا يتصل المنزل بالشارع إلا بباب، وهو يؤلف مضلعا رباعيا يتفاوت طول ضلعه بين اثني عشر وخمسة عشر مترا، وتتجمع الحجرات حول فناء مركزي يغلق عليه بأبواب مدورة، ويقود درج إلى رواق خشبي يوصل إلى حجرات الطبقة الأولى، والسقف مصنوع من الخشب ومن الحصر المنسوج من القصب والتراب المشوي بالشمس، يميل إلى الداخل تاركا فرجة في الوسط، فوق بركة داخلية في فناء المنازل (معهودة لدى قدماء الرومان لجمع مياه المطر). ينظر: عزمي سكر، المرجع السابق، ص 181.

(2)- على ضوء ما كشفته بعثات التنقيب في المواقع الأثرية، فإن سقوف المباني القديمة كانت على أنواع، منها المعقودة على شكل جملون أو على شكل قباب أو سقوفا مستوية وهي الشائعة في مباني بلاد الرافدين أو سقوف بيوت القصب التي لم تكشفها أعمال التنقيب بل كشفها لنا المشاهد المنفذة على الأختام الأسطوانية. ينظر: محمد كمال روكان، السقوف في مباني العراق القديم

في ضوء المعطيات الأثرية والنصوص المسمارية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 72، العراق، 2019م، ص 188.

(3)- بهنام أبو صوف، التاريخ من باطن الأرض..، ص 23.

(4)- أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم..، ص 202.

كما يلاحظ أن المنازل لم يكن لها نوافذ تطل على الخارج، والمنفذ الوحيد للمنزل كان الباب الذي يعتبر المدخل الوحيد للنور والهواء⁽¹⁾ من العالم الخارجي، وربما كان لذلك أسبابه دوافعه البيئية والاجتماعية، فمن الناحية البيئية يمتاز مناخ بلاد الرافدين بشدة حرارته في فصل الصيف التي قد تبلغ 50 درجة مئوية تحت الظل، مما يجعل الإنسان الرافدي يعزف عن وجود فتحات أو نوافذ في الجدران لمنع حرارة الشمس من النفاذ على الداخل، ومن الناحية الاجتماعية فربما كان عدم وجود الفتحات في الجدران مبعثه حذر الإنسان الرافدي والشرقي بشكل عام من عيون الغرباء من أن تنفذ إلى داخل المنزل⁽²⁾.

فقد عاش السومريون ضمن منازل فردية، وكان حجم المسكن منوطا بثروة المالك، فقد عاش الملوك في قصور بها عدد كبير من الغرف، وعاش معظم أعضاء طبقة "الموشكينو" في منازل صغيرة مكونة من طابق واحد مصنوعة من الطوب الطيني، وتتكون هذه المنازل عادة من خمسة أو ستة غرف، وكانت السكنات مشتركة ما بين الجيران وتقابل فناء صغيرا ومفتوحا، وقد يمتلك الأشخاص من طبقة "الأمالو" منزلا من طابقين به ضعف عدد غرف منزل الموشكينو، وكان منزل السومريين الأثرياء يتم تلبيسه وتبييضه من الداخل والخارج، وتشمل الغرف النموذجية في المنازل السومرية غرف الجلوس، حمام، مطبخ، أماكن الخدم ومصلى خاص⁽³⁾.

وبخصوص مواد البناء فقد أنشأ السومريون وغيرهم من سكان بلاد الرافدين أبنيتهم من القرميد الطيني المصنوع في قالب رباعي الجوانب، وكان القرميد يجفف تحت أشعة الشمس، وحتى عصر بداية الكتابة كانوا يستعملون في البناء قطعاً من القرميد مستطيلة الشكل ومسطحة ويضعونها بشكل أفقي، أما بعد الفترة الانتقالية التي تشمل عصر السلالات الباكراة الأولى فقد اختفت هذه الطريقة وبدؤوا يتبعون طريقة جديدة في البناء؛ ولا حقا أصبح القرميد الطيني أكبر

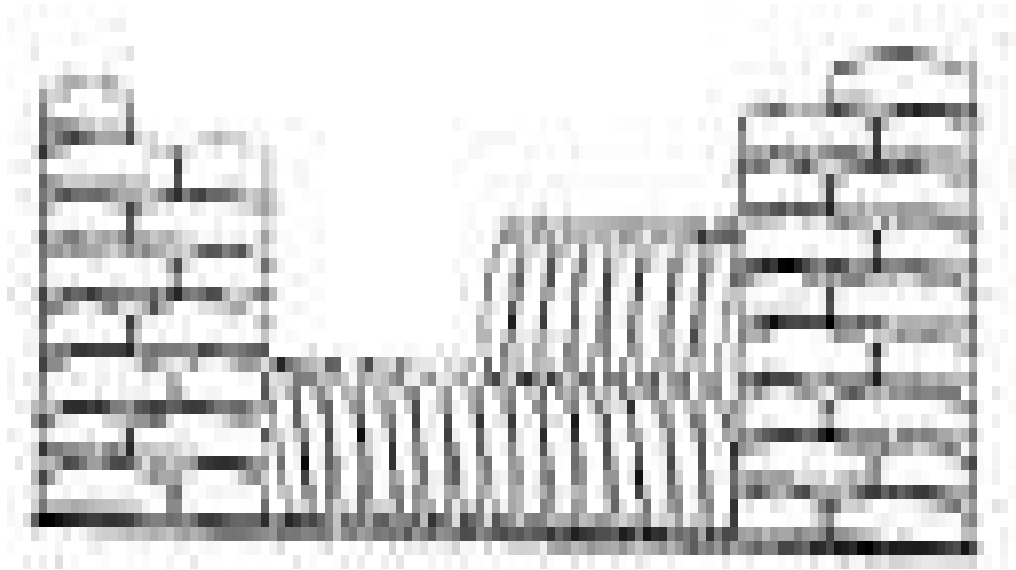
(1)- كان السكن في البيوت التي ليس لها سوى نافذة واحدة (الباب) غير محبوب في البلاد الحارة صيفا، خاصة إذا طالت أيام حرها الشديد لأن الهواء الساخن والمحصور تحت سقف البيت يجعل الحياة صعبة جدا، ولهذا اعتاد السكان على فتح نوافذ صغيرة في القسم العلوي من الجدران لتسهيل خروج الهواء الفاسد ودخول الهواء النقي عن طريق الباب وهذا التجدد كان يتم باستمرار، فهذا النظام كان يمثل الفائدة الإضافية من نور وهواء رطب ملطف كانت تتمتع به الغرف وجميع الفعاليات الداجنة الأخرى. ينظر: جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص 245.

(2)- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ حضارة مصر الشرق الأدنى القديم، ج 02، ص 131.

(3)- Barbara A. Somervill, Great Empires, Op.cit. p 68.

حجما واتخذ شكلا محدبا قليلا بالإضافة إلى وجود سطح مستدير غالبا ما تظهر عليه طبقات للأصابع والأبهام، وكانت هذه القطع توضع على شكل مجموعات متتابعة مائلة على أحد الجانبين وفي اتجاهات متعاكسة، ويعتبر هذا النموذج معيارا للمرحلتين الثانية والثالثة من عصر فجر السلالات الباكرا، ولقد ثبت أن استخدام الطين المشوي مناسب بصورة أفضل لبناء المنصات وسطوح الجدران في أبنية يستعمل فيها الماء وكذلك من أجل كسوة الواجهات الخارجية⁽¹⁾.

وقد استعملت بعض الصخور سيئة الخواص في بناء الأساسات أو طحنت لصناعة الجبسين الذي كان يستعمل في رصف أرضيات الغرف، وخلال عصر السلالات الباكرا يفترض أنهم استخدموا جذوع النخيل ونشارة الخشب والغضار في البناء، أما الأبواب فكانت تثبت على محاور من الحجارة بينما تحتفظ النوافذ وهي عالية وصغيرة الحجم بحواجز متصالبة ومثقوبة من الطين النضيج، وفي حالة عدم وجود الخشب المناسب نلاحظ ندرة استخدامهم للأعمدة الخشبية في تدعيم السقوف وكانوا يستعيضون عنها بأعمدة دائرية من القرميد⁽²⁾.



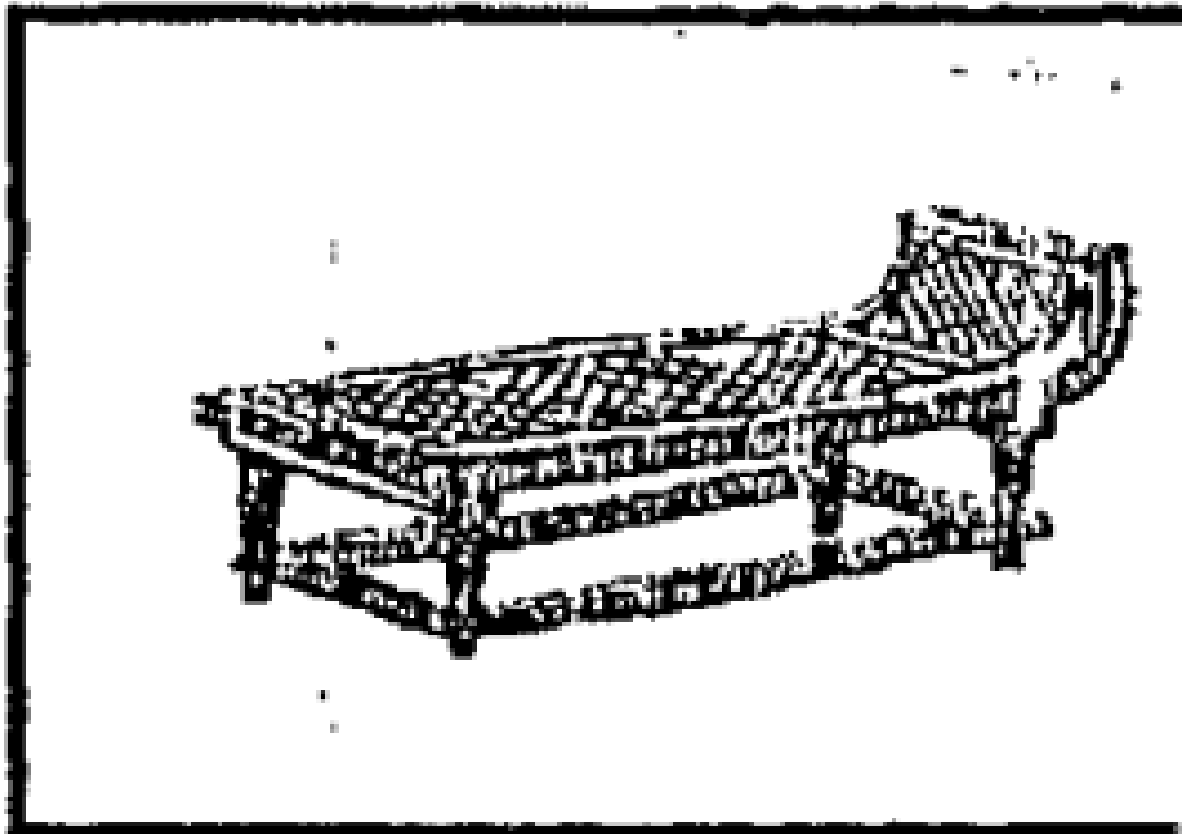
-أسلوب بناء القرميد المستوي ولقد استخدم حصرا خلال عصري السلالات الباكرا (2)-

(3) - (سيتون لويد، المرجع السابق، ص 165).

(1)-سيتون لويد، المرجع السابق، ص 164.

(2)-نفسه، ص 165.

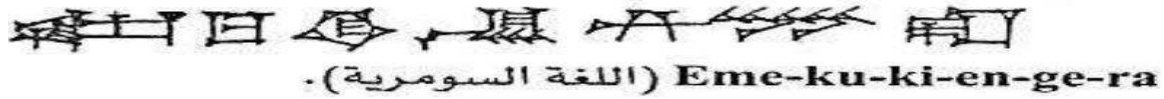
أما بالنسبة للأثاث المنزلي، فلقد قدمت لنا النصوص المسمارية قوائم وافية عن الأشياء التي تكون الأثاث المنزلي، لكن لسوء الحظ أن معظم المصطلحات في هذه القوائم لم يمكن معرفة ما تشير إليه، ما استخدم البابليون وقبلهم السومريون من أفراد الطبقة الوسطى الحصير للنوم، بينما الأفراد من الطبقة العليا ينامون على أسرة عالية هي ذات نهاية واحدة صنعت لتؤلف وسادة. خلال الألفين الثاني الأول قبل الميلاد كانت تصنع الأسرة من هيكل خشبي يدعم القاعدة المصنوعة أيضا من الخشب، في بعض الأحيان كان يصنع هيكل السرير من الحبال أو القصب المتشابك أو شرائط حديدية متداخلة، وزودت بعض الأسرة بجوانب خشبية مما يجعلها أشبه بصندوق خشبي غير عميق، وزينت أرجلها أحيانا بزينات على هيئة أقدام الثيران، ووضع فوق هيكل السرير حشايا من الصوف أو شعر الماعز أو سعف النخيل وكانت أغطية الفراش من الكتان أو الصوف، ووضع بجانب الأسرة على الأرض بعض قطع السجاد⁽¹⁾.



-سرير ذات نهاية واحدة- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، ج 02، ص 134.

(1)-أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ حضارة مصر الشرق الأدنى القديم، ج 02، ص ص 134، 135.

4. الدراسات اللغوية:



-اللغة السومرية بالخط المسماري - (فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 26).

اللغة السومرية هي لغة الأقوام السومرية التي استقرت في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين خلال الألف الرابعة قبل الميلاد، وظلت تستخدم لغة للتخاطب فترة طويلة شملت الألف الثالثة قبل الميلاد والسومريون جنس غير سامي ولغتهم غريبة لا تمت بصلة إلى أية عائلة لغوية معروفة سواء قديمة أو حديثة، بل هي نوع من "اللغات اللصاقية Agglutinative" أو "اللغات اللاحاقية"⁽¹⁾ فالإلصاق هو القدرة على تكوين ألفاظ ذات معان جديدة بإلصاق كلمتين أو أكثر ببعضهما البعض، نحو كلمة "Lugal" التي تعني الملك أو الرجل العظيم والتي تصاغ من المقطع (لو-Lu) أي الرجل و(كال-Gal) أي العظيم، ونحو كلمة "أنكي An-Ki" الكون أي السماء والأرض والمصاغة من المقطع (كي-Ki) أرض و(آن-An) سماء فيصبح معناها "الكون"⁽²⁾.

ولعل أول من أطلق عليها الاسم المتداول حالياً "اللغة السومرية" هو العالم "يوليوس أوبرت" سنة 1869م معتمداً على ما جاء في اللقب الملكي الذي استخدمه الملوك آنذاك وهو "ملك بلاد سومر وأكاد"⁽³⁾.

لم يكن بالإمكان معرفة أصل اللغة السومرية بصورة أكيدة، فقد قورنت مجموعة اللغات الأورالية-الآلتية⁽⁴⁾ (التي تشمل على اللغة التركية) واللغة الدرافيدية والبراهيو والباننتو وعدد آخر من

(1)-تشبه في تركيبها اللغة العيلامية والهورية القديمة إذ تعتمد في تحويل الكلمات ذات المقطع الواحد على اللواحق (Suffixe) وغير المستقلة عن الكلمة، وهكذا فإن الكلمات تشكل في الجملة الواحدة سلسلة مترابطة تتبع نظاماً خاصاً، ومن خصائص هذه الكتابة هو أن الكلمة الواحدة قد تفسر بأشكال مختلفة لذلك تضاف إليها إشارات خاصة تحدد معناها. ينظر: محمود أمهز، المرجع السابق، ص 21.

(2)-م. علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، مج01، العدد 02، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العراق، 2012م، ص 06.

(3)-سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذيب، الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية، جامعة الملك سعود، الرياض، 2006م، ص 33.

(4)-انتشرت هذه اللغات في الجهة الشمالية الشرقية من العالم أي المناطق الآرية والسامية وهي مجموعة لغوية متميزة تضم لغة لابلندة اللالية، ولغة سيبيريا السامويدية واللغات الفنلندية والمجرية والتركية أي التترية ولغة المنشو والمغولية، وهي بوصفها مجموعة لم تحظ بعد بدراسة مستفيضة، وليس هناك حتى اليوم الدليل الكافي على أنها تضم اللغتين الكورية واليابانية أو لا

المجموعات اللغوية باللغة السومرية، ولكن ما من نظرية من النظريات التي اعتمدت على هذه المقارنات حازت على القبول العام، فباعتبارها لغة إصاقية فذلك يعني أنها تحتفظ بجذر الكلمة على حاله، بينما تعبر عن التغييرات النحوية المختلفة من خلال إضافة "البوادي" Préfixes و"الدواخل (أي الإضافات الوسطية) Infixes و"اللاحق Suffixes"، أما الفرق بين الأسماء والأفعال⁽¹⁾ كما هو موجود حالياً في اللغات الهندية- الأوروبية أو اللغات السامية⁽²⁾ مثلاً فهو غير معروف في اللغة السومرية، وعلى سبيل المثال فكلمة "Dug" حيث تكون مستقلة في السومرية تعني الكلام اسماً يتكلم فعلاً وهذا يبين الفرق بين الاسم والفعل من خلال النحو وإضافة Affixes المختلفة⁽³⁾.

ففي هذه اللغة تتكون الجملة الفعلية من عدة عناصر بعضها ملصق ببعض الآخر، فهناك أداة الجملة الفعلية التي تكون عادة في المقدمة ثم جذر الفعل الذي يسبقه أو يلحق به ضمير الفاعل، وهناك أدوات أخرى للدلالة على زمان ومكان حدوث الفعل، بتعبير آخر فإن الجملة الفعلية عبارة عن كلمة مركبة من عدة مقاطع، أما الاسم فتلصق به عدة أجزاء، كضمائر الملكية وأدوات الإضافة وحروف الجر، فضلاً عن الأداة الدالة على الفاعل عندما يكون الفعل متعدياً، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور تغييرات صوتية بسبب هذا الإلصاق، ومع ذلك ورغم أن هذا الأخير صفة لغوية معرفة في عدد من اللغات كالعيلامية مثلاً والحديثة كالتركية، فإن اللغة السومرية ليس لها ما يشبهها من حيث المفردات والقواعد والنحو في أية لغة أخرى⁽⁴⁾.

تضمهما وقد أصدر "ه. ب. هلبرت" "نحو" مقارناً للكرية وبعض لغات درايفيدية بالهند ليبين به ما يراه من صلات وثيقة. ينظر: ه.ج. ولز، المرجع السابق، ص 181.

(1) -تنقسم الأفعال في السومرية إلى مجموعتين بسيطة ومركبة، تتكون الأفعال البسيطة من جذر الفعل فقط مثل جار (ضع)، توش (جلس، سكن)، دو (بنى)، أما الأفعال المركبة فيتكون كل منها من مفردتين أو أكثر تجمعان لتشكيل فعل بمعنى جديد. ينظر: نائل حنون، دراسات في علم الآثار، ص 34.

(2) -تحتوي الأبجديات السامية على اثنين وثلاثين حرفاً صامتاً، وخمسة أحرف أساسية صائتة، هذه الأحرف الصوامت والصوائت لا تتواجد جميعها في كل الأبجديات، كما أن بعض الأبجديات تحتوي على قسم من هذه الأحرف بصورة دائمة أساسية وعلى قسم آخر يأتي عرضاً وليس له حرف خاص يمثله...، ومن أهم اللغات السامية: الفينيقية، الأوغاريتية، الآرامية، العبرانية، السريانية العربية. ينظر: هنري. س. عبودي، المرجع السابق، ص 34، 35.

(3) -سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، ص 337.

(4) -محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 88.

وباعتبار أن اللغة السومرية لا تنتمي إلى أي عائلة لغوية من اللغات المعروفة قديمة كانت أم حديثة، ولهذا لا يمكن أن يستعان بقواعد أي لغة حية من أجل توضيح تعقيداتها أو بناء قواعد لها على أساس المقارنات اللغوية، وهذا ما يختلف تماما عن حالة اللغات القديمة المعروفة وخصوصا اللغات العروبية، فهذه اللغات تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة، ولذلك فإنها تشترك في الكثير من القواعد مثلما يمكن الاستعانة بقواعد أي منها لفهم الأخرى، وأهمها: الأكديّة، الأمورية، الآرامية، العربية الجنوبية والشمالية ولا صلة بين هذه اللغات الرئيسية الشقيقة الخمس باللغة السومرية وقواعدها ومفرداتها باستثناء ما أدخل عليها بحكم استخدام السومرية من طرف القوم أنفسهم⁽¹⁾.

ويدعم هذه الفكرة المؤرخ "أحمد أمين سليم" حيث يقول: "...فمن الناحية اللغوية لا تنتمي اللغة السومرية إلى إحدى العائلات اللغوية الثلاثة وهي عائلة اللغات السامية واللغات الحامية واللغات الهندية الأوروبية، كما ثبت عدم اتصال تلك اللغة باللغات الأخرى مثل: الصينية والتبتية والدرافيدية والمجرية⁽²⁾ والإفريقية والهندية الأمريكية لغات جزر المحيط الهادي، وعلى ذلك فقد اتجه العلماء إلى البحث عن بعض العناصر التي يمكن تلمس وجه شبه بينها وبين بعض العناصر الأخرى سواء في المجال الفكري أو المادي⁽³⁾.

فتشير الدراسات اللغوية التي تمت بأن اللغة السومرية لغة منفردة لا تشبه اللغة الأكديّة (البابلية- الآشورية) أو غيرها من اللغات المحلية التي عرفت في العراق القديم سواء في التراكيب والقواعد اللغوية أم المفردات أو حتى الأصوات، ويبدو أن اللغة السومرية هي لغة تنتمي إلى عائلة لغوية قديمة كانت فروعها معروفة في المنطقة ثم انقرضت فروع تلك العائلة اللغوية من قبل أن

(1)-نائل حنون، المدافن والمعابد، ص 07.

(2)-ضمن إطار التأصيل اللغوي تم اقتراح الكثير من الحلول خلال السنوات الأولى من بداية البحوث (أي لفك مشكلة اللغة السومرية)، فقد لاحظ الباحث "كوموروزي Komoroczy" دون أي دليل كاف (والذي تأثر بمعايير ذلك الوقت) عضوية المجموعة المترابطة الأكثر شهرة، أي التي أعلنت أنها من أقرباء اللغة المجرية، وبالمثل فإن الجهد المبذول قد أهدر لإثبات صلاتها باللغات الجورجية أو مع اللغات القوقازية. ينظر: Jens Hoyrup, Sumerian : The Descendant of A Proto-Historical Creole (An alternative approach to the Sumerian Problem), annali del Dipartimento di Studi del Mondo Classico del Mediterraneo Antico, Universitario Orientale, Napoli, 1994, p 04.

(3)-أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر. العراق. إيران)، ص 250.

تخترع الكتابة وسيلة لتدوين وحفظ اللغة، وكانت السومرية كما يبدو هي اللغة الوحيدة من أفراد تلك العائلة التي وجدت طريقها للتدوين بفضل ابتداع الكتابة قبل أن ينقرض الشعب السومري وتموت لغته⁽¹⁾.

وهذه اللغة لغة غير قابلة للتصريف أي أنها ليست من اللغات المعربة كاللغات العربية القديمة اللغات الهندية الأوروبية، وجذورها بصفة عامة لا تتغير أما وحدتها القواعدية الأساسية فهي المركب اللفظي وليست الكلمة المفردة وأصوات اللغة السومرية، أي حروفها وتتألف من حروف علة وأخرى صحيحة⁽²⁾.

إن أصل اللغة السومرية يحيط به غموض مبهم، وبعض أهالي جورجيا (جنوبي القفقاس على تخوم البحر الأسود) هم وحدهم الذين يدعون أن لغتهم ذات علاقة بها، ولكن هذا الادعاء ليس مقبولا على نطاق واسع، ومهما كان تاريخ السومريين السابق فإنه من الواضح أنه كانت هناك مجموعة حيوية من المجتمعات الفعالة النشاط في جنوب وادي الرافدين منذ الألف الرابع قبل الميلاد⁽³⁾.

وفيما يخص أيضا الفرق الجوهرية بين الكتابتين الأكديّة والسومرية فمن المتعارف عليه بين دارسي الكتابات المسمارية أن المقاطع الأكديّة تكتب بالحرف اللاتيني الصغير فيما يكتب الحرف الأول من المقاطع السومرية بالحرف اللاتيني الكبير وبالأخص في الكتابات الأكديّة التي تحتوي على مقاطع ذات أصول سومرية، أما آخر الاستحداثات بين المختصين في هذا المجال فكان كتابة الكلمات السومرية بالحرف اللاتيني الكبير، وكتابة الكلمات الأكديّة بالحرف اللاتيني المائل⁽⁴⁾.

(1)-مجموعة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج 02، ص ص 279، 280.

(2)-نيقولاوس أوستلر، إمبراطوريات الكلمة (تاريخ اللغات في العالم)، تر: محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005م، ص 89.

(3)-م. علاء عبد الدائم، المرجع السابق، ص 06.

(4)-عامر حنا فتوح، المرجع السابق، ص 16.

كما يوضح المؤرخ "خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي" أيضا أن اللغة السومرية في حد ذاتها تنسب إلى الأدوار الحضارية التي شهدتها العراق القديم، حيث يقول: "على الرغم من أننا لا نعرف لغة سكان القسم الجنوبي من العراق الذين عاشوا في دور العبيد ودور الوركاء، إلا أن أحد الباحثين الأوروبيين قدم عام 1943م نظرية مفادها أن هناك مفردات لغوية في اللغة السومرية تنتمي إلى لغة سكان دور العبيد والوركاء وهم السكان الذين سبقوا السومريين في استيطان القسم الجنوبي من العراق، وقد أطلق هذا المؤرخ واللغوي وهو "لاندزبرجر" على هؤلاء اسم الفراتيين الأوائل Proto- Euphrateans نظرا لأن جميع مستوطناتهم الأولى كانت تقع على ضفاف نهر الفرات، وبرى أن الآثار المكتشفة في الطبقات السفلى من مواقع دور العبيد تعود إلى أولئك السكان وهم الذين سبقوا السومريين في استيطان هذا الجزء من العراق⁽¹⁾.

وقد قام المختصون بدراسة اللغة السومرية، وأعد الباحث "Deimel" مادة لأول قاموس للسومرية، إلا أن الدراسات اللغوية ما تزال تسير ببطء لصعوبة البحث وقلة المختصين، وما تزال توجد ثغرات كبيرة في معرفة معاني الكثير من المفردات، وإذا كان من الممكن الآن فهم النصوص التذكارية فإن النصوص الدينية والأدبية ما تزال تمثل صعوبة جمة⁽²⁾.

من هنا بإمكاننا كباحثين أن نستخلص أنها حقيقة لغة منفردة، فلو لم تكن كذلك لأمكن مقارنتها مع لغات وكتابات أخرى مثلما استقرأت الهيروغليفية مثلا التي فكت شيفراتها باستعمال لغات وكتابات قريبة منها أو بتعبير آخر أي تشترك معها في الانتساب إلى نفس الزمرة اللغوية. في حين يلاحظ بعض المؤرخين المختصين في الدراسات السومرية (ب. لاندزبرجر و ف.ب. جونز) أنه من المحتمل أن يكون للغة السومرية التي عرفت بدء من (أوروك 4) أساس أسبق جاء من لغة السكان الرافديين المقيمين قبيل العصر السومري، فكثير من الأسماء الجغرافية للأنهار والمدن وردت في أقدم النصوص والوثائق السومرية ولكنها ليست من هذه اللغة مثل دجلة والفرات بالإضافة إلى مفردات كثيرة تتصل بالزراعة والبستنة وصنع الفخار والجلود والبناء⁽³⁾ وهي

(1)-خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي، المرجع السابق، ص 06.

(2)-محمد حرب فزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 42.

(3)-البناء في السومرية Dim وأحيانا تكتب Sitim ويرادفها بالأكدية itinnu وهي تسمية سومرية الأصل ومنها انتقلت إلى الأكديّة، كما وردت تسمية البناء بمصطلح أكدي آخر وهو mubannu، وقد تنقسم هذه المهنة إلى تخصصات ثانوية وتكون تلك

لغة مجتمع زراعي، بينما ارتبطت المفردات السومرية بالملاحة، النحت، الكتابة، التعليم القانون وهي مفردات ترتبط بلغة مجتمع مدني، ومن المحتمل أن تكون اللغة السومرية قد استخدمت في النصوص المكتوبة مفردات من لغة أقدم كانت متداولة في أوروك قبل الكتابة، ثم لم تعد معروفة بعد تشكل المجتمع السومري واختراع نظام الكتابة المسمارية التصويرية المقطعية السومرية⁽¹⁾. ما يمكن ملاحظته بخصوص مصطلحات المجتمع الزراعي فالظاهر أنها منطقية كون أن المظهر الأول اقتصادي وأن المجتمع السومري قام على أساس الزراعة وما ي صاحبها من أعمال أخرى، في حين تحولت المصطلحات إلى المظهر الحضاري كونه ربما يعزى بالدرجة الأولى إلى انتقال المجتمع من طور البداوة إلى طور المدنية، لكن هذا لا يعلل اختفاء هذا الحقل الدلالي بشكل شبه كامل تقريباً.

في حين يقر المؤرخ "ديكانوف ي.م" بالغموض الذي يكتنف اللغة السومرية حيث يقول: "...أما بخصوص لغة السومريين فهي غامضة، بالرغم من أن هناك لغات قليلة في العالم لم تثبت أصولها مثل السودانية والقوقازية والمالية-البولينية والمجرية وغيرها، وسرت لحقبة طويلة نظرية إرجاع اللغة السومرية إلى عداد اللغات التركية-المنغولية، وهناك مقارنات عديدة مثل الكلمة التركية (تينجري السماء، إله والسومرية دينجر إله) ولم تثبت في نهاية الأمر هذه المماثلة الاستثنائية، كما هو الحال في المماثلة الطبيعية بين فونية مماثلة اللغات الخاصة وهذه المماثلة لم تؤيدها الدراسات التاريخية للغات التركية -المنغولية نفسها، ولم يؤيد العلم الجداول الطويلة لمماثلة السومرية بالقروزيانية، ولا توجد قرابة بين السومرية والعيلامية والهورية في آسيا الأمامية القديمة، وبقدر ما أن اللغة السومرية منذ العصور الموهلة في القدم انفصلت عن أي مرشح تقريباً من قريباتها من اللغات، بقدر ما أن الاحتمالات الإحصائية في العثور على تنسيق لغوي أكيد وكاف فهو قليل في هذه الحالة أو تلك⁽²⁾، ورغم كل هذا الغموض تبقى أقدم النصوص المكتشفة

التخصصات حسب نوع البناء من حيث الشكل والوظيفة والتصميم من خلال المواد الأولية المستعملة في البناء. ينظر: فائز هادي العلي، البناء في بلاد الرافدين مفهومه والعوامل المؤثرة فيه، مجلة جمادي الإخوة، العدد 53، العراق، 2016م، ص 392.

(1)-فائز هادي العلي، المرجع السابق، ص 54.

(2)-ديكانوف ي. م وآخرون، المرجع السابق، ص 94.

في بلاد الرافدين مكتوبة بهذه اللغة، والتي كانت اللغة الرئيسية في جنوب المنطقة، والتي استخدمها السكان منذ نهاية الألف الرابعة ق.م، وأصبحت بذلك الحضارة الأولى منذ ذلك الوقت، في حين تبدأ السيرة البشرية الذاتية بالحضارة السومرية، لتظل هذه اللغة منطوقة لألفيتين آخرين، واستمرت حتى بعد ذلك بوجودها الحيوي كلغة تقليدية للتعليم لألفية ونصف أخرى للقرن الأول ق.م⁽¹⁾.

ومن حيث تقسيم النصوص التي تتبع زمنيا الفترة السومرية، فقد جُزأت إلى قسمين:

-النصوص البدائية (Archaic Texts) 3000 - 2600 ق.م:

تعود إليها النصوص المكتشفة في مدينة الوركاء والتي تؤرخ بحدود 3000 ق.م، وتعود إلى هذه المرحلة أيضا نصوص أخرى متأخرة عنها نسبيا (2600 ق.م) عثر عليها في مواقع عديدة مثل: جمدة نصر، العقير، شروباك وكيش، ومعظم نصوص هذه المرحلة مقتضبة وذات طابع اقتصادي.

-النصوص السومرية القديمة (Old Sumerian Texts) 2500 - 2350 ق.م:

تشمل نصوص هذه المرحلة على الكتابات التاريخية لسلالة "لجش الأولى" وبعضها نصوص طيلة مثل مسلة العقبان للأمير السومري "إيناتوم"، وكذلك كتابات الملك "أنتمينا" التي تسلط الأضواء على الأوضاع السياسية في سومر خلال عصر فجر السلالات، ويقع ضمن هذه المجموعة من الكتابات: نص الإصلاحات الاجتماعية الاقتصادية "لأور أنمينا" آخر ملوك سلالة لجش الأولى، كما تحمل هذه المرحلة بضعة آلاف من النصوص الإدارية، أما النصوص الأدبية كالأساطير والملاحم فهي قليلة جدا خلال هذا العصر، فلم يتجاوز عدد التأليف الأدبية التي تم تشخيصها لحد الآن عن ثلاثة⁽²⁾.

ويقدم لنا المؤرخ "نائل حنون" عدة نتائج ذات الطرح المنطقي حول أصول اللغة الأقدم في بلاد الرافدين مدى إمكانية ربطها بالعنصر السومري، فبعد دراسته للقواعد اللغوية السومرية والأكدية خلص لعدة نتائج وأهمها:

(1) - Stephen Bertman, *Handbook to Life in Ancient Mesopotamia*, University of Windsor, library facts on file, new York, 2003, p 142.

(2) - فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 35.

*انقسم علماء القرن التاسع عشر إلى فريقين، فالأول ينادي باعتماد اللغة السومرية دليلاً على وجود السومريين وينسب لهم ابتكار الكتابة ووضع أسس الدلة وفنون وآداب وعقائد دينية، ناهيك عن ملامح وطباع خاصة، أما الفريق الثاني فان على رأسه "جوزيف هاليفي" وهو ينكر وجود لغة باسم السومرية، ويعتبر ما اكتشف من نصوصها تدوينات بطريقة سرية قام بها البابليون لأغراض دينية، مع بداية القرن العشرين تغلب رأي الفريق الأول وأصبح من أبرز مناصريه عالم السومريات "صموئيل نوح كريم"⁽¹⁾.

أما بخصوص تقسيمات اللغة السومرية، فلم تكن آثار هذه اللغة المكتوبة من سوية لغوية وأدبية واحدة، فهناك اللغة الدارجة، ولكن هناك سويات عالية في التعبير ذكرتها المعاجم البابلية التي تحدثت عن الآثار السومرية المكتوبة بلغة "عالية" أو "كبيرة" أو "منتحلة"، وهناك لهجات مميزة لبعض فئات المجتمع كزراعة الغنم والكهان، وللنساء لغتهم الخاصة (ايمي- سال) التي وصفها الشراح الأكديون بأنها اللسان السليط (لسان سليطي) بالأكدية، وربما يرجع وجود هذه اللهجات والاختلافات في اللغة السومرية إلى المؤثرات اللغوية الأخرى، لأن المجتمع الرافدي كان متعدد اللغات أو مزدوج اللغة على الأقل⁽²⁾.

ونستنتج مما سبق دراسته خلال هذا الفصل مجموعة من النتائج والتي صغناها على النحو الآتي:

1- لعبت التنقيبات والكشوف الأثرية الدور الأبرز في الكشف عن المكونات الحضارية للحضارة الرافدية، وبالأخص المدينية السومرية، فلولا الجهود المتتابة لكبار الآثاريين عبر فترات طويلة والدراسات التاريخية المكثفة لما ظهرت لنا الحضارة السومرية على حقيقتها ولربما بقيت معالمها حبيسة الطبقات الأثرية لعصور طويلة جداً، وبالرغم من طبيعة التنقيبات الأثرية الأولية وبدائية محتواها وطرقها إلا أنها سلطت الضوء على ما قدمته الحضارة الرافدية بشكل عام والسومرية بشكل خاص للتراث الإنساني العالمي.

(1)- نائل حنون، حقيقة السومريين ودراسات..، ص ص 35، 36.

(2)- محمد حرب فرات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 43.

2-يعد الكشف عن مقبرة أور كما تسمى على الساحة العلمية-الآثرية "الجبانة الملكية لمدينة "أور" قفزة نوعية وخطوة حاسمة في تاريخ التنقيبات العالمية للكشف عن الحضارات الباكورة في وادي الرافدين، حيث أنه بجهود المنقب "ليونارد وولي" ظهرت نتائج جد مقبولة عن الوعاء الحضاري الذي احتوى السومريين، حيث برزت من خلال هذه التنقيبات العديد من المعارف المتعلقة بهذا العنصر البشري على عدة أجندة مثل: الطراز المعماري الجنائزي، الإيمان بالحياة الأخرى، ارتقاء الصناعة التعدينية (الحلي والأسلحة والأواني)، التنظيم الاجتماعي الطبقي، الفن (الآلات الموسيقية) والعديد من مظاهر الرقي الحضاري الأخرى.

3-ساعدت الدراسات الأنثروبولوجية والجيئية العلماء على تكوين صورة تقريبية ومبسطة عن خصائص العنصر السومري من الناحية المورفولوجية وحتى الانتماء الجيني، حيث أن دراسة الجانب الفني من منحوتات ونحت نافر رافدي سمح بتكوين ملامح أقل ما يقال عنها أنها تماثل السمات الفيزيولوجية للسومريين، كما مكنت الدراسات الجينية الحالية للمجتمع العراقي وما تحتويه من تحليلات علمية إلى ربط هذا المجتمع بسابقه خلال العصور المبكرة من تاريخ المنطقة، وبمقارنة المعطيات المتاحة تمكن الدارسون من وضع مخططات جينية تسلسلية للسكان التي أتت بنتائج مبهرة لطبيعة الانتساب الجيني للعناصر الفاعلة والمكونة للمجتمع الرافدي عبر الفترات ما قبل التاريخية والتاريخية.

4-رغم تصنيف الباحثين والمختصين اللغويين للغة السومرية في خانة اللغات الغربية وذات الأصل المجهول، إلا أن مقارنة محتوياتها مع بقية اللغات أتت بنتائج مقبولة على الساحة العلمية، وذلك من خلال إثبات انفرادية هذه اللغة من خلال الشكل والمضمون والدور، وهو ما يمكن أن يدعم أن العنصر السومري لا ينتمي لأية مجموعة بشرية معروفة (سامية أو حامية أو هندو-أوروبية)، أي أن جهل العلم لموطن السومريين الأصلي نابع من جهلهم لطبيعة لسانهم (لغتهم)، وهو الأمر الذي عللوا به بقاء "قضية الأصول السومرية" دون حل منطقي.

المختصر الرابع

مقارنة المعطيات النظرية والدراسات التطبيقية

1. النتائج المختلفة بين الدراسات النظرية والدراسات التطبيقية

حول المسألة السومرية.

2. النتائج المتطابقة بين الدراسات النظرية والدراسات التطبيقية

حول "المسألة السومرية".

3. مقارنة نتائج الدراسات القديمة والدراسات الحديثة:

أ- نتائج الدراسات القديمة.

ب- نتائج الدراسات الحديثة.

4. مقارنة نتائج الدراسات الغربية والدراسات المحلية:

أ- الدراسات الغربية حول قضية "التأصيل الحضاري":

أ-1: نتائج الدراسات الغربية.

أ-2: آراء المؤرخين والآثاريين الأجانب حول قضية "التأصيل الحضاري".

ب- الدراسات العربية حول قضيتي "التنقيبات الأجنبية" و"التأصيل الحضاري".

ب-1 آراء المؤرخين والآثاريين العرب والعراقيين القدماء.

ب-2 آراء المؤرخين والآثاريين العرب والعراقيين المستحدثين.

1. النتائج المختلفة بين الدراسات النظرية والدراسات التطبيقية حول المسألة السومرية:

يظهر جليا من خلال اعترافات العديد من المؤرخين وعلماء الآثار صعوبة مطابقة النظريات ومحتواها العلمي مع الدراسات التطبيقية ، ومن بين الذين يؤكدون هذا، "محمد حرب فرزات" و"عيد مرعي"، اللذين يقران بوجود اختلافات واضحة بين الجانبين، ومما جاء في مجمل قولهما: "...إلا أن الباحث يواجه مع ذلك جملة من المصاعب تتلخص في أن معلوماتنا عن الألوف الأولى من مراحل التطور قليلة إلى حد يجعل الدراسات التي يمكن أن تظهر عن تلك المرحلة ناقصة إلى حد كبير مؤقتة وقابلة للتعديل والتصحيح في أي وقت، وذلك للنقص الفاضح في الوثائق المكتوبة المنقولة إلينا، ولا شك بأن الوثائق المادية تتدخل هنا لتسد هذا النقص، نحن ندين لجيل من الباحثين الآثاريين الذين فتحوا بجهدهم وبحوثهم مغاليق مشكلات كثيرة عن طريق إدخال طرق جديدة في البحث تحتل فيها الوثائق المادية دورا مهما، مما أدى على تقديم وجهات نظر جديدة للمسائل المطروحة، ولكن مما لا شك فيه أن هناك حقيقة لا يمكن تجاوزها وهي أن الصورة التي نرسمها عن عصر معين بالاستناد إلى الوثائق المادية وحدها ودون توافر الوثائق المكتوبة تبقى دائما صورة جزئية وذات جزء واحد"⁽¹⁾.

ويضيف كلا المؤرخين أنه من الحلول المناسبة لتجاوز الثغرات الموجودة بين الدراسات النظرية والتطبيقية هو البحث في أصل المصادر وتوحيد الجهود والرؤى لتحقيق ذلك، حيث يقولان: "...إلا أن أهم ما يواجه البحث العلمي في بلاد الرافدين في الفترة الراهنة هو طبيعة المصادر ومتطلبات إعداد الباحثين، وقد تحققت خطوات هامة في السنوات الأخيرة بإصدار مجموعات وثائقية مصنفة للنصوص ومنها مثلا: (دليل وثائقي لنصوص ماري) و(دليل وثائقي لنصوص العمارنة)، من مركز بحوث الدراسات السامية القديمة في ستراسبورغ بفرنسا وسلسلة نصوص إيبلا، وقد أدخل الحاسوب في تقنيات البحث في هذه الدراسات التاريخية واللغوية⁽²⁾، كما يعد اللقاء السنوي لعلماء الآشوريات الذي يلتقي فيه نحو ثلاثمائة باحث وعالم من أنحاء العالم، أهم لقاء علمي لتبادل وجهات النظر وللاطلاع على أحدث الكشوف والدراسات الأثرية واللغوية والتاريخية المتعلقة بموضوع البحث،

(1)-محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 13.

(2)-نفسه، ص 48.

وقد بات من الضروري بعد هذه التطورات في علم الآشوريات وفي دراسة تاريخ بلاد الرافدين وحضارات المشرق العربي القديم تأسيس المؤسسات والمراكز العلمية العربية التي تمكن من الاسهام في هذه الدراسات على وجه أفضل لخدمة التراث الحضاري العريق المكتوب بالمسمارية⁽¹⁾.

من خلال النص ومضمون العبارات المسطرة نلاحظ أنه من مجمل الأسباب التي أخرجت إلى حد كبير عملية مطابقة النظريات والجانب التطبيقي هو طبيعة المصادر المعتمد عليها في دراسة تاريخ هذه الحضارة، إذ أن أغلبها مصادر قد ترجمتها أيادي أجنبية وهو الأمر الذي يرهن مصداقيتها إلى حد ما، بالإضافة إلى مشكلة إعداد الباحثين بطريحة صحيحة لتكون طريقة بحثهم حول أصول هذه الحضارة سليمة وهادفة، وزيادة على ذلك فالمؤرخان يشيران إلى عقد لقاءات علمية سنوية لتبادل وجهات النظر وهذا ما يدل على اختلاف منظورية هؤلاء إلى طبيعة المسألة التأصيلية، حيث يكمن الحل المنطقي في وضع توجهات موحدة لبلوغ نتائج مرضية واضحة بخصوص الربط بين الفترة التاريخية وما سبقها لتكون حلقة الحضارة كاملة وغير منقوصة.

في حين يرى الآثاري "سيتون لويد" أنه للحصول على نتائج دقيقة لابد من إعادة تحيين نتائج التنقيبات وفقا للبحوث المعاصرة حتى يتم التطابق بين الجانبين النظري والتطبيقي، حيث يقول في هذا الصدد: "إن عصر بداية الكتابة يجب أن لا يعتبر مقدمة للحضارة السومرية وإنما مرحلة من مراحل تطورها ظهرت خلالها الملامح الرئيسية لتكوين هوية هذه الحضارة، وكل ما يتوفر لدينا من معلومات عن هذا العصر كان نتيجة للحفريات الأثرية التي وجدنا أنفسنا عندما انتهت على عتبة التاريخ الكتابي، ومنذ هذه الفترة يجب أن نراجع نتائجنا الأثرية على ضوء بيانات الوثائق المعاصرة، ويطلق على هذه المرحلة محل الدراسة اسم عصر السلالات الباكرا"⁽²⁾.

يتلخص رأي هذا الآثاري في إعادة صياغة بعض الحقائق بناء على بيانات اللقى الأثرية المعاصرة، وأنه من الواجب إعادة مراجعة نتائج البحث الأثري المبنية فقط على الوثائق المكتوبة كونها لا تحقق الكفاية العلمية من وجهة نظر العلم الحديث.

(1)-محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 48.

(2)-سيتون لويد، المرجع السابق، ص 121.

ومن جهة أخرى يرى المؤرخ "جون كلود مارغرون" بصعوبة تحقيق نتائج كاملة للتوفيق بين الجانبين النظري والتطبيقي وذلك نظرا لكثرة المادة العلمية المنقب عنها واستحالة الإحاطة بكل مكوناتها، وجاء فقي ملخص قوله: "...تزداد الوثائق الهائلة والمكدسة منذ نحو قرن ونصف (أي يقصد بها فترة بدء التنقيبات) وتصل إلى وزن يتعاضد فيصعب السيطرة عليه، فكل من علماء النقوش والزخارف يهتم بالمصطلحات التي تخصه من الوثائق الآشورية أو الأكديّة أو السومرية، أما علماء الآثار فيهتمون بشكل خاص بأي حقل جغرافي مناسب، أو أي زمن أثري محدد أو أية مادة معطاة للدراسة، ومن الصعب السيطرة الكاملة على مجموع آثار بلاد ما بين النهرين منذ اكتشافها حتى رحيلها، فقد مضى أربعون سنة على (جورج كونتنو) في محاولته إنجاز مؤلف موجز عن الآثار الشرقية ضمن أربعة مجلدات و2400 صفحة بعد أن بدأ العمل به عام 1928م ومازال يمتلكه الشك بإمكانية إنجازه، إنه عمل ضخم يدعو إلى الدهشة"⁽¹⁾.

بناء على ما تم ذكره في نص هذا المؤرخ، فنلاحظ إشارة مباشرة منه إلى أن السبب في عدم امتلاك خريطة كاملة للحضارة الرافدية يكمن أساسا في صعوبة حصر مجالها والكم الهائل من المعلومات المتعلقة بتاريخها، وقد أردف لتبيان وجهة نظره مثالا عن المؤرخ "جورج كونتنو" في تأليفه لمؤلف بسيط المحتوى بالمقارنة مع حجم اللقى الأثرية وذلك خلال مدة زمنية كبيرة تفوق الأربعين سنة، وهذا الأمر حسب نظرنا يعد أحد الأسباب التي صعبت من مطابقة الدراسات مع بعضها البعض مطابقة علمية-أكاديمية أي تكس قسري للمعارف.

ويؤكد المؤرخ "رمضان عبده علي" أنه وبالرغم من كل ما أتت به الدراسات النظرية ونظيرتها الميدانية من نتائج جد مقبولة، إلا أن هذا لم يمنع من وجود فراغات ونتائج غير مضبوطة أثناء محاولة مطابقة نتائج الدراسات السالفة الذكر، حيث يقول: "وبفضل المادة الأثرية وما يحملها بعضها من نقوش ونصوص استطاع العلماء ترجمتها وتحليلها وفهم الغرض منها، وبفضل ما تركه الآشوريون من نقوش تاريخية وما تركه الأكديون والبابليون وما كتبه بروسوس والمؤرخون والرحالة اليونان والرومان وما أظهرته الحفائر ودراسة النصوص المتنوعة، حاول العلماء أن يضعوا إطارا تاريخيا لأحداث العصور التاريخية في بلاد النهرين ولكن هذا الأمر لم يكن سهلا لأنهم وجدوا أنفسهم

(1)-جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص 55.

في موقف صعب، وذلك أن الوثائق التي تركها العراقيون القدامى بعيدة جدا من أن تكمل وتتفق مع بعضها بعضا من ناحية التاريخ وأحداثه ومن هنا نشأت الاختلافات الكبيرة في مجموعة التواريخ المعترف بها⁽¹⁾.

ويعتقد كل من المؤرخين "محمد حرب فرزات" و"عيد مرعي" أنه من أحد الأسباب المؤثرة في عدم تكوين صورة كاملة عن الحضارة الرافدية هو عدم تقييم مخلفاتها الحضارية بشكل فعلي، حيث يقولان: "إن دراسة هذه المرحلة (أي مرحلة الحضارة الرافدية) لا تعرفنا على الماضي كيف كان وحسب، وإنما تعرفنا على أنفسنا وتعلمنا كيف تمت عملية التطور الاجتماعي-السياسي والنمو العقلي، إلا أن هذه الدراسة ينبغي أن تتم في حدود الموضوعية دون المبالغة في تقدير قيمة الأشياء ودون الحط من قدرها تعصبا أو استخفافا كما كان يفعل بعض الدارسين الأوروبيين الذي يميلون إلى الرفع من مستوى الإغريق دون غيرهم"⁽²⁾.

نستنتج من قول هذين المؤرخين أنه في غياب موضوعية التعامل مع اللقى الأثرية الخاصة ببلاد ما بين النهرين إما مبالغة في الوصف أو تقليلا في الشأن فكلا من صفات هذا التعامل الغير دقيق مع ما وجد في الطبقات الأثرية الخاصة بأمهات المدن العراقية، جعله يعتبر حسب رأيهما أحد مسببات النقص الفادح في مطابقة الدراسات النظرية مع نظيرتها التطبيقية، وهو الأمر الذي يجعل معارفنا حول هذه الحضارة مرهون بتفسير علمية غير مؤكدة ومشكوك الوسيلة والغاية على حد تصورنا.

في حين يرى المؤرخ "عمر جاسم العزاوي" أنه لا بد من إعادة صياغة الحقائق التاريخية عن الحضارة الرافدية الأصلية بالاعتماد أكثر على المجهودات المحلية وتمحيص نتائج الدراسات الأجنبية حيث يقول: "إن أعمال الأقسام العلمية والهيئات الأثرية التابعة للجامعات العراقية قد أسبغت على العمل الآثاري نوعا من أنواع الأكاديمية العلمية التي أكملت وأغنت مسيرة العمل الآثاري الذي تقوم

(1)-رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 178.

(2)-محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 12.

به مديرية الآثار العراقية وامتزج بذلك على أرض المواقع الأثرية من خلال الهيئات الآثرية المشتركة ذات الخبرة الميدانية والعلمية الأكاديمية التي انصهرت في بوتقة تطور علم الآثار في العراق⁽¹⁾. ويواصل حديثه ضمن نفس النسق التاريخي قائلا: "...هذا التطور الذي وإن توقف عمليا (ميدانيا) بسبب الظروف الراهنة حاليا، إلا أن الجانب النظري لعلم الآثار من خلال الدراسات والبحوث الآثرية خصوصا منها الداعية إلى إعادة النظر في كل ما كتبه الأجانب عن العراق وتاريخه القديم وما ترجموه من كتاباته المسمارية، ومحاولة الخروج من الثوب الغربي الأجنبي للدراسات الآثرية والحضارية الخاصة بالعراق باتت وعبر الدراسات العراقية الحديثة في هذا الجانب وبالتحديد من خلال رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه لطلبة الدراسات العليا في أقسام الآثار، تشق مسيرتها التطورية الهادفة"⁽²⁾.

بناء على الطرح المقدم من طرف هذا المؤرخ نلاحظ أنه يعتمد على فكرة منطقية أقام أسسها على وجوب إعادة النظر في محتوى نتائج الدراسات الغربية لتحقيق مبدأ التكامل بين الدراسات النظرية والميدانية لأنه وحسب منظوره فسيطرة الفكر الغربي تعد أحد أسباب اختلاف نتائج الدراسات وعدم تطابق محتواها الفعلي، كما أن التنسيق بين طلبة الدراسات العليا ودائرة الآثار العراقية ميدانيا بدأ يأخذ منحنا تصاعديا تطوريا من خلال نتائجه الأكاديمية العلمية الدقيقة والتي ستعيد تمحيص التاريخ الرافدي ولو جزئيا.

2. النتائج المتطابقة بين الدراسات النظرية والدراسات التطبيقية حول "المسألة السومرية":

كثيرا ما يجد الباحث نفسه يدورا ضمن "حلقة مفرغة" عندما يحاول الجمع بين الجانبين "النظري والتطبيقي"، وذلك في إطار إرساء معالم "الأصول الحضارية للحضارة الرافدية" وبالأخص عندما يتعلق الأمر بالبحث في مسألة التقصي عن "جذور الأصول السومرية". ويرجع السبب في ذلك بالأصل إلى نقائص تطفئ على عدة جوانب من الناحية النظرية، ولعل أهمها هي عدم إمكانية حصر الإشكال الجوهرى حول مسألة الأصول حسب ما تقتضيه الضرورة

(1) -عمر جاسم العزاوي، علم الآثار في العراق نشأته وتطوره، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م، ص 142.

(2) -نفسه.

الأثرية والحاجة التصنيفية، أي أن العديد من التوجهات الفكرية لم تراعى الدلالات المادية التي تحملها الآثار المعثور عليها في أمهات المدن الرافدية، غياب المراعاة ناتج عن أمرين، وأولهما هو إما يعود إلى جهل البعثات العلمية بقيمة ودلالات اللقى الأثرية، وثانياً قد يكون وعيهم التام بقيمتها الأثرية وهذا ما شجعهم على طمس محتواها وتغييب أبعادها الحضارية .

لكن وبالرغم من هذه النقائص التي ميزت هذا الجانب إلا أن الكثير من النظريات والطروحات الفكرية حول طبيعة هذه المسألة التاريخية العالقة قد أثمرت بعض النتائج الجزئية، وعلى سبيل المثال فقد أثبتت الدراسات المقارنة للغات انفرادية اللغة السومرية في خصائصها اللغوية، وهذا الأمر على الأقل يجعل الباحثين أبعد من أن يركزوا مجهوداتهم العلمية على إيجاد الروابط الجامعة لهذه اللغة مع نظيراتها، أي بمعنى علمي أن توجه معظم الدراسات إلى محاولة فك خيوط اللغة السومرية بالبحث حول جذورها الفعلية ومن ثم محاولة المطابقة بين الآراء التي تشير إلى عزلتها والجانب التطبيقي والذي من المفروض أن تنصب نتائجه ضمن نفس النطاق.

في حين يرى كل من المؤرخين "ك. ماتيف" و"أ. سارونوف" أن النتائج المحققة في ميدان التنقيب حققت شيئاً من التناسق بين النظريات والجانب التطبيقي، حيث يقولان في هذا الجانب: "...ويعتقد العلماء بأنه من الممكن جداً العثور على مثل هذه المكتبات (مكتبة آشور بانيبال) أو ما يشابهها على الأرض القديمة لبلاد ما بين النهرين مما سيمنح إمكانية إجراء تحليل أوسع وأعمق لحياة ونشاط سكان تلك البلاد، لكن ما تم اكتشافه حتى الآن له أهمية غير منقطعة، إذ أن اللوحات المكتشفة والتي طمرت آلاف السنين في التراب حافظت على نفسها بشكل مدهش، واستطاعت أن تنقل إلينا ذكرى حياة العهود الغابرة، لقد نقلت لنا الحكمة والتجربة والمعارف والأخلاق والعادات والتقاليد والمقالات عن الحب والموت والنماذج الأدبية والأساطير والخرافات المختلفة، وبترجمتها إلى لغات عالمية عديدة أصبحت في متناول الإنسان المعاصر"⁽¹⁾.

من خلال فكرة هذين المؤرخين، نلاحظ إشارتهما إلى أن الأفكار القديمة السائدة حول بلاد الرافدين وعراقها حضارتها التي أشارت إليها المصادر الكلاسيكية والدينية قد تجسدت حقيقة على أرض الواقع من خلال التنقيبات التي بينت أسبقية هذه الحضارة في صياغة العديد من المظاهر الحضارية،

(1)-ك. ماتيف وأ. سارونوف، المرجع السابق، ص 22.

رغم إشارة المؤرخين إلى محدودية ما وصلنا من معلومات، وأن التحليل الأعمق والأقرب إلى الحقيقة ستكشف عنه البحوث الأثرية اللاحقة والتي ستجرى بدون شك ضمن هذا المضمار).

ومن جهته يبين المؤرخ "رمضان عبده علي" مطابقة المادة الأثرية المعثور عليها للنتائج الخاصة بترتيب تاريخ بلاد الرافدين، والتي تبرز حسب اعتقاده التاريخ الكامل والمتكامل للمنطقة، ويقول في هذا الصدد: "تعد الآثار بأنواعها المصدر الأول والرئيسي لدراسة تاريخ بلاد النهرين القديم ومظاهر حضارتها القديمة، وتشمل هذه المادة الأثرية جميع أنواع البقايا الأثرية القائمة والمكتشفة، ولعل أهم ما يميز هذه المادة عن غيرها من المصادر أن جزء من تراث هذا البلد، أنها المصدر الأكثر صدقا والأقرب إلى الصحة وأنها المصدر الوحيد الذي عاصر كل الأحداث التي مر بها تاريخ بلاد النهرين القديم، وأنها من تفكير وصنع وإنتاج وتنفيذ الشعوب القديمة للمنطقة، وتعبّر عن أحداث تاريخهم القديم ومظاهر حضارتهم القديمة"⁽¹⁾.

3. مقارنة نتائج الدراسات القديمة والدراسات الحديثة:

أ. نتائج الدراسات القديمة:

أفرزت الدراسات القديمة التي قامت أسسها في بلاد الرافدين الكثير من النتائج المختلفة (الإيجابية والسلبية)، وفي طليعتها "الدراسات الأثرية" التي قام بها الأوروبيون خلال القرون (17 إلى غاية القرن 20 للميلاد).

هذه الدراسات التي تعود لفترات قديمة العهد والتي تمخضت عنها العديد من النتائج المهمة على الصعيد الحضاري، فقد أضحت هذه الحضارة بارزة المعالم من حيث ما قدمته للبشرية من إنجازات ضخمة في كل الميادين: الفلك، الرياضيات، العلوم، الجغرافيا، التاريخ، الاقتصاد، الأدب، التشريع وصياغة مبادئ الديمقراطية.

فقد ساعد المنقبون، علماء الآثار والمؤرخون في إعادة رسم تاريخ المنطقة انطلاقا من دراستهم للمخلفات الأثرية رغم ما تميزت به من طابع أولي-ساذج إلى حد بعيد، لكنه من جهة أخرى أثمر نتائج مبهرة من خلال تسليط الضوء على بناء الحضارة الرافدية الأوائل، وذلك من خلال تتبع مسيرة أعمالهم عبر المراحل الما قبل- تاريخية وحتى خلال العصور التاريخية اللاحقة.

(1)-رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 167.

لكن ومن خلال تتبعنا كدارسين لمسيرة البحث الأثري الرافدي ومخلفاته، تبين لنا في الكثير من الأحيان أن الطرق التي استعملت قديما لم تأت دائما بنتائج حاسمة ومرجوة، خاصة فيما يتعلق بإيجاد حل علمي-أكاديمي لمشكلة "التأصيل الحضاري"، ولعل أهم الأسباب التي تقف وراء ذلك هي التي تخص ضعف ومحدودية وبدائية الوسائل التي استعملها أوائل المنقبين، كما نضيف إلى ذلك أن "علم الآثار" كان يخطو خطواته الأولى نحو مبدأ "العلمية-المنهجية"، لذلك كانت العمليات التنقيبية الأولية أقل ما يقال عنها أنها "تجريبية".

كما نشير أن البعثات التنقيبية الأولى جاءت تحت غطاء تمثيلي دبلوماسي، كان الهدف من وراءه الشهرة والمال في أغلب الحالات، وهو الأمر الذي أدى إلى نقل الكنوز الحضارية إلى الكثير من الدول الأوروبية، ولعل تلك "المنقولات" يمكن اعتبارها "الحلقة المفقودة" في تاريخ بلاد الرافدين وصيرورته الكرونولوجية، حيث أن الكشف عن "كيفية انطلاق الحضارة وروادها" لا يتم بمعزل عن جمع كل المخلفات الحضارية التي تخص المنطقة محل الدراسة، وأن أي نقص في معثوراتها سينتج عنه فقدان خيط مهم في تتبع الإطار التاريخي لها، حيث يمكننا إسقاط هذا الرأي على البحث حول "أصول السومريين"، إذ أن الكثير من آثار المدن السومرية القديمة التي نقب فيها خلال منتصف القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كمدينة "تللو"، "لجش"، "أور" و"أوروك" قد نقلت إلى المتاحف الأجنبية، وهو الأمر الذي يجعل من هذه المخلفات محطة ضائعة من محطات "المدنية السومرية"، وبالتالي استحالة رسم مخطط تاريخي دقيق للمنطقة.

ودعما لما أسلفنا ذكره، سنقدم إحدى الآراء التي تلخص لنا ما حدث بخصوص الوضع العام في العراق بعد الغزو الأمريكي له والذي نتج عنه السيطرة الكاملة على المنطقة بما فيها المخلفات الحضارية، ويدرج هذا الرأي من خلال ما تم ذكره في كتاب "الحرب على العراق"، حيث يذكر ما يلي: "...لم يكن غريبا أو مثيرا للدهشة أن تقود الإدارة الأمريكية الحكم في العراق بعد الحرب، بل هذا من طبائع الأمور فالولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها بريطانيا هما أصحاب الحق في الإدارة كما أنهما أصحاب قرار الحرب، لكن الذي أثار الدهشة حقا هو صدور قرار (1483) في (22

ماي 2003م) من مجلس الأمن والذي يمنح الولايات المتحدة وحلفائها سلطات غير محدودة في إدارة وحكم العراق، حيث يعد القرار غير مسبوق تكريسا للاحتلال وتدعيما لظهوره بشكل رسمي⁽¹⁾. كما أن الكثير من الآثار المنقولة تعود بجذورها إلى "فترة ما قبل التاريخ" في المنطقة، أو ما يصطلح عليه تاريخيا بـ "الأدوار الحضارية الممهدة لقيام الحضارة الرافدية" وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر: مرحلة "جرمو"، "حسونة"، "جمدة نصر" و"العبيد"، ولعل ما تم اكتشافه ضمن الطبقات الأثرية لهذه الأدوار قد نقل جزء معتبر منه نحو مراكز البحث الأجنبية وبالأخص الأوروبية منها، وبالتالي أصبحت إمكانية معرفة "مرحلة النقلة الحضارية" ما بين هذه العصور والعصور الموالية لها الشبيهة بالكتابية والكتابية أمرا شبه مستحيل، حيث بقيت جل المعطيات المتعلقة بتلك الفترات رهينة نتائج تحليلها من طرف البعثات الأجنبية باستثناء بعض الاجتهادات الخاصة بمؤرخين وآثارين محليين من أبناء المنطقة.

ب. نتائج الدراسات الحديثة:

اعتبارا من منتصف القرن العشرين إلى نهايته (1950م - 2000م)، عرفت عمليات "البحث الأثري" والتقيب عن حضارة بلاد الرافدين تراجعا ملحوظا من جميع النواحي:

*ماديا:

وذلك يظهر جليا من خلال نقص عدد البعثات الأجنبية المرسلة إلى بلاد الرافدين بسبب أن المعلومات حول هذه المنطقة الحضارية قد جمعت بشكل شبه كلي خلال الفترات السابقة (بالخصوص ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين)، إضافة إلى نقص المصادر المادية لتمويل الكثير من الباحثين المحليين، وهذا السبب الأخير كان مرتبطا بشكل مباشر مع الوضعية السياسية التي كان يعيشها العراق في إطار السيطرة الأمريكية، والذي نتجت عنه تبعات اقتصادية سيئة.

*منهجيا:

فقد ترتب عن نهاية عهد الكثير من "الأركيولوجيين الأقدمين" أو "النموذجيين" والذين يعتبرون من ركائز البحث الأثري في المنطقة غياب أو نقص الطرق المنهجية الصحيحة لدراسة الكثير من

(1) -علي عبد الجليل علي، الحرب على العراق رؤية توراتية يهودية، ط01، دار أسامة، عمان، الأردن، 2004م، ص 15.

المخلفات الأثرية، فالبرغم ما كشفت عنه بعض الحفريات الأثرية الحديثة خلال القرن الواحد والعشرين وما أتت به من أفكار جديدة خاصة حول "أوائل السومريين" أو حتى سابقهم (أي أجداد السومريين القدامى) إلا أنها تميزت بالقلّة والمحدودية إذا ما قارناها مع سلفها السابق والتي كانت ثورة تنقيبية حقيقية ضمن هذا المجال، وهذا قياساً على حجم اللقى الأثرية الهائل وكذلك تبعاً لما نشر من نتائج وأعمال تاريخية في هذا الحقل كما ونوعاً.

*حضارياً:

حيث شهدت بدايات القرن الواحد والعشرين وبالتحديد عام (2003م)⁽¹⁾ تغيراً جذرياً في الأوضاع السياسية في المنطقة، وهذا نتيجة الغزو الأمريكي للعراق (ضمن إطار الغزو الاقتصادي- الحضاري)، وكحتمية سياسية لطبيعة التأثير العراقي في الجانب الإنساني العالمي، كانت فكرة الاستحواذ على أرشيفاته الحضارية ومخلفاته ضرورة ملحة، ونتيجة لهذا الحدث توقفت الكثير من البحوث الأثرية ذات الطابع المستحدث وذلك كون الكثير من الآثار والوثائق الأرشيفية المحفوظة ضمن ما يعرف بـ "دائرة الآثار العراقية"⁽²⁾ قد تم الاستيلاء عليها من طرف الأمريكان (الذين كونوا من خلالها حلقة ثمينة من حلقات أرشيفها المسمى بأرشيف ما وراء البحار).

لكن وبالرغم من هذا العائق (السياسي-العسكري)، إلا أن بعض مجهودات الباحثين المحليين أمثال: بهنام أبو صوف، قد أدت من جديد إلى ميلاد فكرة إعادة جمع الإرث الحضاري الرافدي وقد

(1)- عن توقف التنقيبات الأثرية بعد غزو العراق، يقول المؤرخ "عمر جاسم العزاوي": "...أما اليوم وبسبب الظروف الراهنة التي تلت عام 2003م، تعاني أقسام الآثار في الجامعات العراقية، حالها في ذلك حال الهيئة العامة للآثار حالياً صعوبة في القيام بتنقيبات أثرية في مواقع مختارة تكون حقلاً للتدريب العملي لطلبة الآثار في الجامعات العراقية والذي يعد أبرز وأهم الوسائل والطرائق التعليمية لهؤلاء الطلبة، على أمل أن يكون الغد أفضل وتتاح فيه هذه الوسائل لطلبة الآثار. ينظر: عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص 142.

(2)- برزت عقب استلام الأساتذتين "يوسف غنيمه" (1941-1944م)، ثم "ناجي الأصيل" (1944-1958م) اللذان اعتمدا استمرار سياسة تعريق المديرية، وعملاً على إرسال البعثات للدراسة في الجامعات الأوروبية مما أنتج جيلاً محترماً من علماء الآثار الأكاديميين والمنقبين المرموقين ويعتبرون الجيل الأول مثل: الأستاذ طه باقر، فؤاد سفر، محمد علي مصطفى وبشير فرنسيس، وتلاههم الجيل الثاني كالأستاذ بهنام أبو صوف، بهيجة خليل إسماعيل، فرج بصمجي، طارق مظلوم، وبعدهم جاء الجيل الثالث وهم الأستاذ فوزي رشيد، صبحي أنور رشيد وعامر سليمان، ليلهم الجيل الرابع كالأستاذ دوني جورج، نواله المتولي أحمد كامل، وأتى بعدهم جيل من الأساتذة الذي لا حصر لهم، حيث أصبحت المدرسة العراقية في التنقيب لها وزنها العلمي المتميز، لأنها أصبحت مزيجاً منظماً خاصاً من المدرسة الألمانية الدقيقة جداً في توثيق عملها والمدرسة البريطانية ذات الأسلوب التقني الخاص بها. ينظر: حميد الشمري، المرجع السابق، ص 218.

وصل صداها إلى العالمية، ونتيجة لهذا الأمر ، تكونت منذ عهد قريب في بعض الدول الأوروبية المهمة بدراسة تاريخ المنطقة" مؤسسات علمية" تعمل على تبيان الدور الحضاري الإنساني للحضارة العراقية القديمة وكذلك كان الأمر بالنسبة للمؤسسات البحثية العراقية، ونتج عنه وضع "برامج الكترونية" بالاعتماد على تقنية "الذكاء الاصطناعي" الخاص بفك شفرات النصوص المسمارية "Digital Program Cuneiform"، وهذا النوع من التكنولوجيا قد قلب موازين الدراسات المسمارية بشكل مذهل، وهو الأمر الذي قد أضاف الكثير من الحقائق المتعلقة بالبحث حول أصول المنطقة من الناحية العرقية والحضارية.

ورغم تراجع عدد البعثات العلمية الأجنبية وفقدان روادها، إلا أن هذا الأمر لم يمنع من ظهور "دراسات محلية" جدية لإعادة جمع الإرث الحضاري الرافدي بالاعتماد على المنهج "العلمي-الأكاديمي" وعلى أسس بحثية أكاديمية-دولية، وكان هذا المنطلق بميلاد "دائرة الآثار العراقية" والتي تزعمها العديد من الآثاريين ذوو الكفاءة العلمية المتميزة على غرار: فؤاد سفر، طه باقر⁽¹⁾، بهنام أبو صوف وأحمد سوسة.

هذه الدفعة من المنقبين والمؤرخين النموذجيين المحليين العراقيين، عملت على مر فترات زمنية طويلة ومتواصلة على إبراز الأصل المحلي للحضارة الرافدية⁽²⁾ وعلى أن هذه الحضارة كانت نتيجة لنقلة حضارية نوعية بدأت خيوطها تنسج منذ مرحلة ما قبل التاريخ لتمتد إلى "مرحلة صياغة المدنية"، وإلى جانب هؤلاء فقد تكونت على أيديهم طبقة من "الباحثين العراقيين المستحدثين" والذين

(1)- أكمل الآثاريان "طه باقر" و"فؤاد سفر" سنة 1932م دراستهما الثانوية بتفوق، وتم ترشيحهم لبعثات علمية خارج العراق، حيث سافرا إلى فلسطين وحصلوا على شهادة تسمى "ماتريكووليشن Matriculation" في كلية (صفد) هناك عام 1933م، ثم انتقلا إلى لبنان ودرسوا مادة التاريخ والآثار في الجامعة الأمريكية ببيروت في مرحلة دراسية تحضيرية اصطلح عليها مرحلة (السوفومور Sophomore) قبل أن يلتحقا بالمعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو الأمريكية للمدة ما بين 1934م إلى 1938م ليحصلوا منها على شهادة البكالوريوس والماجستير في تخصص علم الآثار واللغات القديمة، ثم عادا إلى العراق عام 1938م ليتيم تعيينهما في مديرية الآثار العراقية. ينظر: عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص 128.

(2)- بين المؤرخ "ليونارد وولي" دور الباحثين المحليين العراقيين في اظهار عراقية الحضارة الرافدية، حيث أكد ذلك في قوله: "إن مديرية الآثار العامة العراقية باذلة كل الجهد في سبيل الاستمرار على البحث والتنقيب في مختلف مواطن الآثار العراقية، وأن الآثاريين العراقيين الناشئين جادون كل الجد في استكشاف واستقراء صفحات جديدة من التاريخ القديم ليضيفوا ثمرة جهودهم العلمية إلى مجهود العلماء الآخرين لاستكمال الحلقات من تاريخ الحضارة". ينظر: ليونارد وولي، المرجع السابق، ص 07.

ساروا على منوال سابقهم، حيث صبوا كل مجهوداتهم لتبيان الأصل المحلي لحضارتهم وأنها لم تأت نتيجة هجرات خارجية عملت على تمدن المنطقة.

فمعظم الأبحاث العراقية الحديثة (أي الحالية) ومتعددة المجالات: التاريخية، الاجتماعية، الأثرية، الجينية، الأنثروبولوجية، اللغوية والفنية تتفق على أصالة حضارتهم المحلية التي وضعت الكثير من الأسس المدنية للكثير من المبادئ والأطر التي قامت عليها "الحضارة البشرية"، وتعتبر أعمالهم هذه كرد فعل مباشر ودحضا للبحوث الغربية التي تتفق في جملها تقريبا على الأصل المبهم والغريب للحضارة الرافدية، وأنها كانت نتيجة لهجرات خارجية، حيث أن تلك الأبحاث تفرغ "الفرد الرافدي القديم من محتواه" ومن دوره على صعيد "البناء الحضاري" ضمن منطقة مهمة تعتبر القلب النابض لمنطقة "الهلال الخصيب".

4. مقارنة نتائج الدراسات الغربية والدراسات المحلية:

أ. الدراسات الغربية حول قضية "التأصيل الحضاري":

1. أ. نتائج الدراسات الغربية:

لقد كان من نتائج ما حققته التنقيبات الأولى من نجاح باهر، وعلى الرغم من عدم علميتها أن جندت عددا من المؤسسات والجمعيات والمتاحف العلمية الرسمية والخاصة عددا من الباحثين للالتحاق ببعثات التنقيب وخصصت لهم الدعم المادي اللازم والتشجيع على السفر إلى العراق للعمل على الكشف عن المزيد من الآثار والمزيد من الكتابات المسمارية⁽¹⁾.

وضمن هذا الإطار يرى كل من المؤرخين "ك. ماتيف" و"أ. سازونوف" أن الكشوفات الأثرية التي قام بها منقبون أخصائيون ودبلوماسيون وبنائون وحتى الرحالة على الأطلال بوضوح في القرون الماضية لتاريخ الإنسانية ساعدت على توسيع تصوراتنا عن العالم القديم لبلاد ما بين النهرين⁽²⁾.

(1) - عامر سليمان، دور الآثار والنصوص المسمارية في تعزيز هوية العراق، مجلة آداب الرافدين، العدد 43، العراق، 2006م، ص 03.

(2) - ك. ماتيف وأ. سازونوف، المرجع السابق، ص 51.

قام المستطلعون الأوائل بوصف المواقع الأثرية والآثار الظاهرة وصفا جغرافيا، طبوغرافيا معماريا مما مهد السبيل أمام مغامرين آخرين، فقد تحقق بعد ذلك عمل كبير كان له تأثير واضح على تطور الجهود للكشف عن حضارة بلاد الرافدين ودراستها برحلة "ك. نيبور C. Niebuhr" الذي يعزى إليه الفضل في نسخ نقوش من "برسبوليس" وتقديم أول وصف مفصل لموقع نينوى، وتلاه عالم النبات "ميشو A. Michaud" الذي زار موقع "بابل" إلى جانب دور الأب "ج. بوشامب J. De Beauchamp" الذي زار كذلك بابل وكتب عنها، أما في بداية القرن التاسع عشر فقد اتخذت حركة الاستكشافات شكلا أكثر علمية، فقد تقدم عدد من الرحالة البريطانيين إلى المجامع العلمية بتقارير كانت لها أصداء واسعة وأثارت ضجة كبيرة واهتماما كبيرا بآثار الشرق الأدنى وحضاراته القديمة⁽¹⁾. فلقد أثارت هذه الكشوف مزيدا من الاهتمام لدى الباحثين والمفكرين في الغرب كما أثارت من قبل الكشوف الجغرافية في العالم الجديد وفي طرق المواصلات العالمية البحرية إلى الهند والشرق الأقصى، وكما تثير اليوم فتوحات الفضاء من تفكير في الكون وموقع الإنسان ووجوده فيه، وتزايد في معاهد الغرب وجامعاته عدد المترددين على الدروس والمحاضرات المختصة بالدراسات الشرقية، وطرحت تساؤلات ونشرت مقالات حول أسرار الأهرام والسحرة الكلدانيين الذين ورد ذكرهم في سفر دانيال من العهد القديم، من المثير للاستغراب الآن أن نجد أصحاب أسماء لامعة من بعض مؤسسي الدراسات الرافدية طرحوا في حينه أفكارا ضبابية وظفوا فيها نتائج التنقيبات والكشوف الأثرية لخدمة التعاليم التوراتية مثل "فران ديليتش" والذي نشر كتابا مثيرا عن موقع جنات الفردوس في كتابه بالألمانية "أين يقع الفردوس؟"⁽²⁾.

لعل من بين أهم الأفكار المراد الإشارة إليها بمصطلح الضبابية هي فكرة التأصيل الحضاري وأصل السومريين كقضية مطروحة للنقاش على الساحة العلمية-الأكاديمية.

فبعيدا عن أهمية وقيمة ما نتج عن أعمالهم من مكتشفات حضارية مهمة وقيمة وجهت الأنظار إلى أصالة هذا البلد بحضاراته القديمة كشفت النقاب عن آثاره الرائعة، إلا أن هناك بعض الأمور التي يجب أن تؤخذ بالحسبان عند تناول تاريخ الأعمال الأثرية في العراق، وبالتحديد الأجنبية

(1)-محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 32.

(2)-نفسه، ص 38.

خلال القرن التاسع عشر للميلاد والشخصيات التي قامت بها، وهي أمور بررت بشكل مباشر أو غير مباشر وجود هذه الشخصيات في العراق خلال تلك المرحلة بينت أسباب ونوعية الأعمال التي مارستها تلك الشخصيات، تلك الأعمال التي وصفت على أنها مجرد نبش وتخريب وبعثرة للمواقع الأثرية، ناهيك عن نقل الآثار وإيداعها كممتلكات في المتاحف الأجنبية من دون أي رادع سياسي أو قانوني يحفظ آثار البلد ويدعو إلى احترامها من قبل شخصيات كانت تدعي المدنية والتحضر وتنتقد صراحة التخلف والجهل والبداءة لبلدان المشرق آنذاك، هذه الأعمال التي تعلل أحيانا بسلبية الطرائق المتبعة في الحفر والتنقيب أولاً وغياب السلطة الحاكمة قانونياً وسياسياً ثانياً في تفسير بعيد عن تبيان الأسباب الحقيقية وراءها⁽¹⁾.

فكانت السمة البارزة لعمل هذه البعثات هي النبش أو الحفر العشوائي في المواقع الأثرية فكان عملهم بعيداً عن الأساليب العلمية، ومنها على الأقل تلك التي اتبعها باحثون آخرون حفروا في مواقع أخرى من العالم سواء خلال تلك المدة أو قلها، حيث لم تكن تلك البعثات في عملها بتسجيل الطبقات الأثرية والأدوار الحضارية التي تعود إليها الآثار علاوة على ذلك إهمال الآثار الصغيرة القابلة للتلف لا تمثل قيمة أثرية في نظرهم.

كما أهملت بعض الرقم الطينية المهمشة ومخططات المباني التي اختلطت جدرانها خصوصاً منها المبنية من الطين بالأرض التي احتضنتها وصعبت أمر تمييزها عن الطين المحيط بها فكان أن أزيلت للأسف العديد من معالم الأبنية القديمة، ناهيك عن تلف وفقدان أعداد كبيرة من الآثار المكتشفة إما بسبب عدم المعرفة بطبيعة المباني ومخططاتها وخصائصها المعمارية أو عدم الإلمام بأساليب الحفاظ على الأثر حين اكتشافه، إلى جانب جهل الحفارين المحليين الذين وظفتهم البعثات الأجنبية كأيدي عاملة في المواقع الأثرية آنذاك كونهم غير مدربين أو مؤهلين لمثل تلك الأعمال أساساً، حالهم في ذلك حال المسؤولين على الحفريات من الأجانب، فضلاً عن اختلاف اللغة بين العرب والأجانب وفقدان التفاهم بينهم إن كان هناك من يجيد العربية من الأجانب⁽²⁾.

(1) -عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص ص 42، 43.

(2) -نفسه، ص ص 27، 28.

ومما يؤسف له أنه لم تتبع آنذاك أية طريقة منهجية يراعى فيها تعاقب الطبقات الأثرية المنضدة فوق بعضها البعض لمعرفة تسلسلها الزمني الطبقي "Stratigraphie"⁽¹⁾ وكان هم المنقبين الحصول على الآثار بأي شكل بحفر أنفاق في قاعدة الجدران دون دراسة الطبقات العليا بطريقة نظامية ومنهجية، إلا أن الممارسة العملية والتجربة الفعلية في ميدان التنقيب وما تلا ذلك من دراسات ومناقشات وأبحاث، ذلك كله أدى إلى تحسين الطرق والمناهج المتبعة في التنقيب لتمييز السويات المختلفة المناسبة للمراحل التي شغلت فيها الأجيال المتعاقبة المكان، وإن لهذا التمييز أهمية كبيرة من وجهة النظر التاريخية، حتى ولو كانت بعض الطبقات المسبورة عميقة، وإن معرفة تلك الطبقات وخصائصها مفيدة جدا لتأريخ الأدوار المتعاقبة⁽²⁾.

نفس هذه الفكرة يؤكدّها المؤرخان "ك. ماتيف" و"أ. سazonوف"، حيث يقولان: "...وقد امتازت التحريات في تلك المرحلة أي المبكرة بطابع بربري للتعامل مع المواد الأثرية النفيسة، وبضعف علم الآثار وبغياب المختصين وبعدم وجود الطرق المجرية للأبحاث، كل ذلك يمكن أن يوضح لنا أماكن النقص الموجودة في معارفنا عن السومريين⁽³⁾.

الواضح للدارس من قول هذين المؤرخين أن الأعمال الحفرية الأولى في بلاد الرافدين كانت تخريبية وهو الأمر الذي يفسر نقص المعارف المتعلقة بها في بعض النواحي، وهذا الأمر طبيعي باعتبار أن تاريخ المنطقة سلسلة لا يمكن تجزئتها وهو الأمر الذي يجعل غياب إحدى الحلقات عائقا أمام بناء نسق صحيح لبناء الحضارة الرافدية.

أما بخصوص الأعمال الأثرية التي اتبعتها البعثات الأجنبية خلال مرحلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبناء على ما تقدم من أعمال للشخصيات التي عملت خلال هذه المرحلة أي

(1)- Stratigraphie أو الطريقة الستراتيغرافية هي طريقة حديثة في فن الحفر والتنقيب في السنوات الأخيرة، وهي ذات أصل جيولوجي وبالبيوتولوجي (علم أنواع مظمورات الأرض من نبات) وذلك لأن هذا يساعد على تحديد وإعطاء دلائل تاريخية متسلسلة، وتتطلب هذه الطريقة الخاصة بعلم طبقات الأرض التطبيق الدقيق حينما يتعلق الأمر بمناطق آثار تعود إلى عصور ما قبل التاريخ سواء كانت على سطح الأرض أو مقابر أو أماكن صحراوية أو أماكن بها مياه أو على ضفاف الأنهار والبحيرات. ينظر: علي حسن، الموجز في علم الآثار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م، ص 54.

(2)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 35.

(3)- عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص 65.

ما بين (1850-1900م)، فيمكن تحديد أبرز سمات تلك الأعمال في هذه المدة على النحو الآتي:

-إتباع نفس الأساليب الأولى في الحفريات من دون أن يكون هناك إفادة من التجارب الأولى في هذا المجال، مما يوضح تواصل تنفيذ الأعمال التي بدء فيها ممن انتهى دورهم في المنطقة والغاية والقصد موجودتان في عدم الاهتمام والاكتراث بأمر معائر الآثار المكتشفة وتاريخها.

-النبش والتخريب والبعثرة هي الصفات التي يمكن أن توصف بها جل تلك الأعمال خلال هذه المرحلة، وعدم اعتماد أسس علمية في التعامل مع المواقع الأثرية وآثارها مقارنة مع التعامل العلمي الذي حظيت به الآثار في المتاحف الأوروبية.

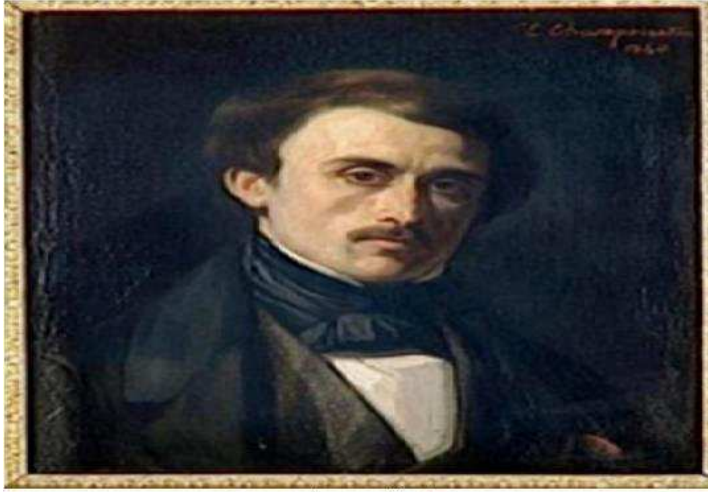
-مع تواصل الحفريات وانتشارها في مناطق العراق المختلفة واستخدام أيد عاملة محلية كثيرة في تلك الأعمال، بدأ الاهتمام لدى بعض المحليين ولاسيما من التجار نحو الآثار التي تنبھوا إلى قيمتها من أجل الكسب المادي وبدأوا بالتجارة بها مع الأجانب⁽¹⁾.

كذلك يؤكد على هذه الفكرة المؤرخ العراقي المختص في مجال البحث عن السومريين "بهنام أبو صوف" والذي يرى في الأعمال التنقيبية الأولى الأثر السلبي في تغييب الهوية الرافدية القديمة، حيث يقول: "...لم يكن "لايارد" (أوستن) يعير المباني وجدرانها التي انتزع عنها ما كان يغلفها من منحوتات أي أهمية، كما لم يلتفت إلى معائر الآثار واللقى التي اكتشفها، فقد اتبع في عملياته التنقيبية أسلوب حفر الأنفاق وهو أكثر أساليب الحفر تخريبا في ميدان الآثار.

وترك "لايارد" مساعده الموصلي "هرمز رسام"⁽²⁾ ليكمل استخلاص ما تبقى من منحوتات تل-قوينجق في نينوى التي أولاهها اهتمامه في السنوات الأخيرة قبل مغادرته العراق، استمر "رسام" في مدينة "نمرود" وغيرها من مواقع شمال ووسط العراق البارزة حتى عام 1882م، وقد كان يتبع

(1)-محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 35.

(2)-هرمز رسام هو شقيق "كرستيان رسام" القنصل البريطاني في الموصل، وهرمز رسام مواطن موصلي كان مساعدا للبريطاني "أوستن لايارد" في حفرياته ضمن المنطقة، ثم أوكل إليه المتحف البريطاني مهمة إجراء في المواقع الأثرية في شمال وجنوب العراق بعد عودة لايارد إلى بريطانيا عام 1851م، كما تم تسهيل مهمته هذه بكتب رسمية (فرمانات) من السلطة العثمانية، وخلال أعماله التي امتدت ما بين أعوام 1852م و 1882م اكتشف مواقع أثرية كثيرة ذات مكتشفات أثرية كبيرة القيمة والأهمية وكثيرة العدد. ينظر: عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص ص 51، 52.



المنقب إيميل بوتا
بهنام أبو صوف، المرجع السابق، ص 52-53

في حفره أسلوب التنقيب الواسع السريع في عدد من المواقع في وقت واحد، حيث كان يضع في كل موقع مجموعة من العمال تعمل لحسابه وتجمع له الآثار المكتشفة وهو ينتقل بينها، وقد يغيب عنها أشهراً ثم يعد لالتقاط بعض الملاحظات، وتسلم الآثار وترسل إلى المتحف البريطاني في



المنقب "هرمز رسام"
عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص 154

لندن والذي كان "رسام" يعمل لحسابه، وكانت طريقة عمل "هرمز رسام" هذه فاتحة لظاهرة التنقيبات غير المشروعة والنهب العشوائي التي عمت البلاد لسنوات عديدة لاحقة بتشجيع من وكلاء المتاحف الأوروبية وهواة جمع التحف في الخارج⁽¹⁾.

ورغبة في المنافسة الاستعمارية⁽²⁾ أرسلت فرنسا

بعثة في ديسمبر من عام 1842م لأعمال التنقيب الأثري في شمال العراق برئاسة "بول إيميل بوتا" Paule-Emile

Botta القنصل الفرنسي في الموصل، وبدأ أعمال الحفائر في موقع نينوى القديمة، ويمكن القول أنه عندما بدأ بالحفر في الموقع بدأ التاريخ الحقيقي للحفائر الأثرية في بلاد النهرين، حيث لم يقم أحد قبله بالحفر للكشف عن المدن المدفونة في تلال بلاد الرافدين، ثم قد توجه للقيام بحفائر في "خورسباد".

(1)- عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص 52.

(2)- ساهمت المنافسة الاستعمارية في تطور علم آثار بلاد ما بين النهرين باعتباره جزء لا يتجزأ من المشروع الاستعماري في الشرق، حيث لم يتم التقليل من أهمية هذا العلم بالمصالح الجيوسياسية الفرنسية والبريطانية في المنطقة أو إخفاؤها في كتابات أولى الحفريات في العراق العثماني، مثل: "أوستن هنري لايارد" و"بول إيميل بوتا" والذين توضح مراسلاتهم ومنشوراتهم أن عملية التنقيب في المنطقة كانت في خدمة المصالح الإمبراطورية لبلادهم. ينظر: Zaineb Bahrani, **Race and ethnicity in Mesopotamian antiquity**, World Archaeology, Vol 38, Routledge, England, 2006, p 50.

ويشير الآثاري "حميد الشمري" إلى الحفريات السلبية التي قام بها المنقب "بوتا"، حيث يقول: "...استمرت حفريات بوتا لمدة سنة ونصف، وفي الشهر العاشر من عام 1844م أعلن أن حفائره في خرسباد⁽¹⁾ قد انتهت وأنه ليس هنالك بعد ما يستحق العمل، وهذا يعني أنه قد أنجز الحفر في مساحة قدرها ثمانية وستون ألف متر مربع مملوءة بالآثار والمنحوتات الجدارية والمخططات الهندسية والمئات من التفاصيل المعمارية خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة، وهذا يبين مدى الفوضى والتخريب واللامبالاة اتجاه الآثار الآشورية وكنوزها الحضارية، حيث أن هذه المساحة تستلزم الآن أكثر من عشرين سنة للتنقيب فيها"⁽²⁾.

وفي عام 1945م قامت البعثة الإنجليزية برئاسة "أوستن لايارد" الذي بدأ العمل في شهر نوفمبر في "تل نمرود"، ثم عاد إلى إنجلترا عام 1847م، ثم عاد مرة أخرى عام 1849م حيث استمر في العمل حتى عام 1851م.

لقد أدى ذلك إلى وجود منافسة بين الإنجليز الفرنسيين لإخراج الكنوز الأثرية للمتحف البريطاني ومتحف اللوفر، وكان ذلك بمثابة أعمال اصطيداء للثروة أثر منه بحثا علميا عن الآثار، يضاف إلى ذلك أيضا ضيق الوقت وعدم وجود دراسة علمية عن أصل الحفائر العلمية، فتم حفر الأنفاق والآبار بدون أي دراسة، وكان الهدف هو الوصول إلى القطع الأثرية القيمة بأسرع وقت ممكن، ونشب هذا الصراع حول موقع نينوى بين "رولنسون H.C. Rawlinson" ومساعدته "هورمزد رسام Hormuzd Rassam" من ناحية وبين "بول إميل بوتا" من ناحية أخرى⁽³⁾.

فبخصوص تقدم الدراسات اللغوية المقارنة للكشف عن تاريخ بلاد الرافدين فقد أحرزت تقدما ملحوظا، لكن عمليات التنقيب عن الآثار كانت تنقصها التقنية العلمية، فعلى سبيل المثال لم يكن أسلوب المنقب "دي سارزاك" قدوة يحتذى بها وكذلك أسلوب الأمريكيين الذين افتتحوا نشاطهم الأثري

(1)- تقع خرسباد شمال شرق الموصل ومن أشهر معالمها الأثرية قصر الملك "سرجون الثاني" ويحوي مباني ملحقة شاسعة، ويشبه قلعة لمدينة كبيرة، أما السور الداخلي فكان محاطا بسور آخر رباعي الزوايا بسماكة تقارب أربعة وعشرين مترا، مع قبو مصنوع من الأحجار المصقولة وكذلك وجود حوالي مائة وخمسون برجاً، وقد قام الآثاريون بتنظيف بوابات المدينة السبعة والتي من بينها ثلاثة أقواس نصر حقيقية مزينة بالنقوش والأجر متعدد الألوان. ينظر: André Lefèvre, *Les Merveilles de L'Architecture*, 4^{ème} édit, Librairie Hachette, paris, 1874, p 37.

(2)- حميد الشمري، المرجع السابق، ص 54.

(3)- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى (تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى)، ج 05، ص ص 32، 33.

في منطقة "نيبور" عام 1889م، على أن هذا النقص الفادح في الطريقة واجه مزيدا من النقد وظهرت جهود لتعديلها بإجراء مسح هندسي واضح للمنطقة التي يجري فيها التنقيب، وتتبع ترتيب الطبقات الأثرية عبر العصور بصورة تسمح بتعيين دقيق لمكان اكتشاف الأشياء الأثرية مما يساعد على تأريخها وتعيين أهميتها بالقياس إلى العصر الذي تنسب إليه⁽¹⁾.

ومما أمكن ملاحظته خلال تلك الفترة التنبه إلى نوعية الكسرات الفخارية التي يعثر عليها وأساليبها المختلفة وعندئذ يمكن تعيين مراكزها الرئيسة ومدى انتشارها بإجراء دراسات مقارنة تتيح المجال لوضع جداول تاريخية زمنية مقارنة، وإنه بالاستناد إلى هذه الجداول تمكن المختصون بعد ذلك من كتابة شيء عن تاريخ تلك العصور العتيقة، ولكن من سوء الحظ أن أهم مراكز الحضارات القديمة في بلاد الرافدين كانت فريسة المحاولات العشوائية الأولى في التنقيب مما أدى إلى تخريب المواقع الأثرية وإلى تعطيل الاستفادة منها الفائدة المرجوة، إلا أن التنقيب الأثري لم يكن نزهة ممتعة في تلك الظروف التي كان فيها حل الأمل مقطوعا في تلك المناطق المضطربة من الدولة العثمانية المتداعية، وكثيرا ما حدث صدام بين الأهالي والمنقبين من "نهايي الآثار" كالذي حدث عام 1855م عند موقع "القرنة" عندما جرى تصادم أدى إلى إغراق حمولة العوامات التي كان يقودها رئيس بعثة التنقيب الفرنسي "بلاس Place" ولم ينج من 235 صندوقا إلا 26 صندوقا فقط، أما الباقي فقد غاص إلى قعر نهر دجلة ليضيع إلى الأبد⁽²⁾.

من خلال هذا النص نلاحظ أن التنافس الاستعماري الشرس حول مخلفات المنطقة أدى إلى اتخاذ خطوات تسبيلية للتنقيب العشوائي السريع، أضف إلى ذلك ضياع الكثير من الآثار التي تعرضت للتهشيم والبيع الغير المشروع، كما أضاع الباحث بلاس ارثا حضاريا معتبرا هذا في غياب التدابير والقوانين الرادعة، وهو الأمر الذي رهن الكثير من المعلومات ومصادقيتها.

ومن بين الأعمال الغربية المهمة في ميدان التنقيب الأثري هو تعيين "دي سارزاك" في منصب قنصل فرنسا في بغداد، حيث عاد إلى منطقة تلو (بعد أن نقب فيها قبل ذلك) عام 1888م حاملا فرمانا رسميا، واستطاع مواصلة التنقيب حتى توفي عام 1901م، وخلفه "دوكرو" ثم

(1)-محمد حرب فرات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 37.

(2)-نفسه، ص ص 35، 36.

"جينويلاك" و"أندري بارو" في الثلاثينيات، وكوفئ "دي سارزاك" باكتشاف آثار مهمة تعود إلى "سلسلة لجش" التي سبقت حكم "الملك سرجون"، و لا تزال إلى اليوم المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عن حضارة سومر القديمة، وفي المواسم اللاحقة ورغم أن الإطار الرئيس أصبح ثابتاً أضيفت تفاصيل مهمة إلى الصورة لاسيما بفضل تعاون عالم السومريات الفرنسي البارز "فرانسوا ثورو-دانجن" الذي جعل الوثائق التاريخية والاقتصادية الصعبة من "تللو" تلقي ضوء ساطعاً على تلك الحقبة القديمة من تاريخ بلاد ما بين النهرين⁽¹⁾.

كما تضيف التنقيبات في مدينتي "نفر"⁽²⁾ و"تللو" روحاً جديدة من البحث العلمي تناقض تناقضاً واضحاً أنشطة المعهد البريطاني (ظاهرة السلب المتعلق بالآثار)، أما من النواحي الأخرى فلا بد من الاعتراف أن تلك العمليات تعود إلى القرن التاسع عشر، وفشلت طموحات البعثة الأمريكية في مضاهاة إنجازاتها، في حين لم تكن تنقيبات "دي سارزاك" متقنة من النواحي الفنية وإن كانت تثير الإعجاب بسبب وحدة الهدف الذي وضعه مع أنصاره في باريس في التنقيب ضمن موقع واحد، لم يكن عماله غير المدربين قادرين على تمييز الجدران المشيدة بالآجر الطيني، بحيث فقدت المخططات التي لا تقدر بثمن لعدة بنايات سومرية مهمة وإن يمكن تتبع وجودها من ودائع الأسس وأدلة أكيدة أخرى، يضاف إلى ذلك فشل "دي سارزاك" في تعيين حراس في الموقع خلال فترات غيابه المتعددة مما أدى إلى نتائج فاجعة، إذ ظهرت في فترة عمله ألواح مسمارية من "تللو" في أسواق الآثار (أي التجارة في السوق السوداء على الأرجح أو التي تدخل في مجال البيع بالمزايدة العلنية) أكثر مما عثر عليه في التنقيبات وإن بلغ عددها في المجموعة الثانية أكثر من ثلاثين ألف لوح⁽³⁾.

أما عن محصلة البحث الأثري في بلاد الرافدين، فهو حبيس ثلاثة متغيرات غير مترابطة ربما أكثر من أي مكان آخر: الموارد، الطرق والمعلومات، والعامل الثابت (الناقص عموماً) هو

(1) -نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره تاريخ مصور، تر: سمير عبد الرحيم الجليبي، دار المأمون، بغداد، 1991م، ص 44.

(2) -بدأت التنقيبات الأجنبية في موقع نفر منتصف القرن التاسع عشر، إذ بدأ العالم الإنجليزي "أوستن هنري لايارد" التنقيب في هذه المدينة عام 1851م بأسطة فتح خنادق في مواضع متفرقة من الموقع، ثم توقف عن العمل عام 1857م دون أن يحقق أي نجاح يذكر. ينظر: محمد سياب محان، تاريخ التنقيبات في مدينة نفر، مجلة كلية التربية، العدد 06، العراق، (د.ت)، ص 114.

(3) -نيكولاس بوستغيت، المرجع السابق، ص 44.

الموارد، ويترك هذا المجال الرئيس في اتخاذ الآثاري القرارات في ميدان الطريقة، ولابد من الاعتراف بأنه حتى في القرن العشرين انتقدت الطرق التي طبقها الآثاريون في بلاد الرافدين، فقد كتب السير "مورتييم رويلر" عام 1952 م: "ما هي أخطاء التنقيبات الحقلية في الشرق أو الشرق الأدنى مقارنة بهذا الإنجاز في الوطن؟"، ورغم أنه لم يستخدم أكثر من 1300 عامل مشرف واحد في موقع بلاد الرافدين إلا أنه يجب الاعتراف أن تنقيبات واسعة جرت أحيانا قد كشفت عن مخططات بنايات ولقى وافرة تسر الجهة التي ترعاها وإن تجاوزت ما يمكن أن يدعى سجلا دقيقا⁽¹⁾.

فبسبب الضغط على المنقب للبحث عن لقي جيدة يجتذب بها موارد أخرى للمواسم اللاحقة ورغم أن تقديره قد يكون مخالفا - وهو وضع واجهه "أوستن لايارد"، فإنه لم يقاوم دائما إغراء معادلة حجم التراب المنقول بالمعلومات التي يحصل عليها دائما، كما أن النقائص جراء التدوين مؤسفة حقا لأنه لا يمكن إصلاح العطب أبدا، بيد أن الرأي القائل أن التنقيبات في الشرق الأدنى يجب أن تتبع كلية الطرق المطبقة عموما في المواقع الرومانية في بريطانيا كان رأيا رده ردا مفحما عالم آثاري بارز واحد في الأقل من علماء آثار بلاد الرافدين ولابد أن يؤيد المرء أنه يجب تكييف الطرق وفق المواقع⁽²⁾.

فأثناء عمليات الحفر والتنقيب لم يتوان كل من "لايارد" و"رسام" عن تدمير ما يكتشفانه من أبنية وجدران، ولم يدركا أية ثروة فنية وتاريخية قد تسببا في ضياعها إلى الأبد بتدميرهما للمخططات الهندسية والتفاصيل المعمارية التي تتبعها استنتاجات مهمة، مثل مواضع الغرف والقاعات والأبواب والمداخل والمخارج والجداريات المرسومة والأقواس والأعمدة الحجرية أو الخشبية والدعائم والأروقة والأرصعة والأسيجة والممرات المرصوفة والتباليط وخزانات الماء والحمامات والمرافق الصحية ومجاري الصرف وبرك الماء والنافورات وأحواض سقاية الناس والحيوانات ومرابط الخيول والحدائق والسلالم والدكاك والفضاءات وارتفاعات جدران المباني ووجود الطوابق العلوية والشرفات والمؤثرات الأخرى والزخارف البنائية، وغير ذلك العشرات من التفاصيل الضائعة التي تعطي تصورا قريبا إلى حقيقة المبنى والغرض الذي أنشئ من أجله ودوره في الحياة اليومية ومكانته الفنية، وما يمكن أن

(1)-نيكولاس بوستغيت، المرجع السابق، ص 58.

(2)-نفسه.

يضيفه للمفاهيم الحضارية والهندسية والفنية لتلك العصور، لقد كانا يكتسحان كل شيء في طريقهما للوصول إلى الآثار من أجل سرقتها وانتزاعها من مكانها⁽¹⁾.

نلاحظ أن الباحث يشير إلى الدور التخريبي للباحثين الأجانب، وهو جانب جد حساس كون أن كل أثر مخرب أو ضائع يمثل حلقة تاريخية، وبغيابه تكون مهمة تكوين صورة كاملة عن الحضارة السومرية وغيرها ناقصة، لكنه في نفس الوقت لم يشر إلى أي جانب إيجابي في أعمالهم الحفرية، وهو أمر حسب منظورنا غير موضوعي ومنحاز نوعاً ما، والدليل على ذلك الكمية الكبيرة من الآثار التي استخرجوها والتي كانت مادة خام لإعادة بناء تاريخ المنطقة.

أما بخصوص الجانب الإيجابي من التنقيبات الأثرية، فلم تأخذ عمليات التنقيب منحاً علمياً إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مع المهندسين الألمانين "كولدواي Koldewey" في بابل (1899-1917م) و"أندريه Andrae" في آشور (1903-1914م) واليهما يعود الفضل في التغيير الكلي لأساليب التنقيب الأثري رغم أن أعمالهم اقتصرت على دراسة سطحية للمواقع الأثرية⁽²⁾.

وضمن هذا المجال فقد اشتهرت البعثات الألمانية بأساليبها العلمية في التنقيب وأولى تجاربهم في ذلك أعمالهم المعروفة في بابل، حيث اشتغل الألمان مدة سبعة عشر عاماً (1899-1918م) وقد عنوا بصورة خاصة بالأبنية الأثرية فخططوا في تقاريرهم ما وجدوه بصورة مفصلة ثم رسموا أشكالاً أصلية لتلك المباني بالشكل الذي كانت عليه في الأصل، ومثل هذا العمل يعتبر اهتماماً علمياً هاماً جداً لم يسبق أن قام به المنقبون من قبل⁽³⁾.

وبعد تأسيس هذه الجمعية الألمانية الشرقية⁽⁴⁾ ببرلين بأمر من القيصر "فيلهلم الثاني" وضعت هذه البعثة أهدافاً محددة للعمل من بينها:

(1)-حميد الشمري، المرجع السابق، ص 84.

(2)-منى يوسف نخلة، المرجع السابق، ص 15.

(3)-تقي الدباغ، مقدمة في علم الآثار، دار الجاحظ، العراق، 1981م، ص 46.

(4)- تأسست الجمعية الألمانية الشرقية بأمر من القيصر "فيلهلم الثاني" في سنة 1898م، وفي سنة 1903م رفعت إليه الجمعية رجاء بأن يطلب من السلطان العثماني "عبد الحميد" وبموافقة من الباب العالي بالسماح للعلماء الألمان بالحفر في عدد من المواقع

- الفحص الدقيق لجميع البقايا البنائية في المدينة.
- التأكيد على التعاقب الأثري الطبقي للتراكمات الأثرية في الموقع لاستنباط الأبعاد الزمنية للأدوار التاريخية التي مرت بها المدينة.

كان عمل البعثة الأثرية دقيقاً وشاملاً في حقل التنقيب والتوثيق والتسجيل⁽¹⁾ والرسم وبالرغم من عدم تحقيق أهدافها الرئيسية وذلك بالتنقيب في العمق لاستظهار طبقاتها السفلى من أزمنة مختلفة خاصة من زمن الملك "حمورابي" بسبب قرب مستوى طبق المياه الجوفية من السطح، ومع هذا تمكنت بعثة "روبرت كولدواي" بعملها الدقيق والصبور أن تتوصل إلى طريقة مبتكرة في استظهار صفوف اللبن المشيدة بها جدران غالبية مباني المدينة التاريخية بتلك الطريقة التي أصبحت مقياساً يقتدى به للعمل الدقيق في مجال التنقيب، وبذلك استطاعت العديد من بعثات التنقيب بعد ذلك واتباع هذا الأسلوب في الحفر من التوصل إلى اكتشاف مباني كاملة كانت تعتبر من قبل أكواما من الطين⁽²⁾.

وإن العبقورية التي تميز بها عمل المنقبون الألمان الطويل في المنطقة مازالت تحظى بإعجاب الأجيال التالية من علماء الآثار ومازالت بادية للعيان في نتائج أعمالهم، لقد رافق "كولدواي" في عمله مساعدون معماريون الذين جمعهم بمفسري النقوش المكتوبة علاقة منافسة شريفة في الميدان، ومع ذلك فنحن ندين للتعاون بين جميع هؤلاء بالمعلومات التفصيلية المتوفرة لدينا عن المدينة، وقد كان بين "كولدواي" و"أندريه" مجموعة من المنقبين الأوائل استطاعوا استيعاب مسائل طبقات علم الآثار، وكان هؤلاء أول من يدرّب مجموعة من الخبراء في الكشف عن الأسوار، وتجمع معظم

الأثرية في العراق، وبعد الموافقة انتشرت بعثاتهم في بابل وسومر والوركاء وأشور العاصمة الأولى المقدسة للآشوريين، حيث بدأت التنقيبات ضمن هذه المواقع في آن واحد. ينظر: حميد الشمري، المرجع السابق، ص 162.

(1) -يقوم الآثاري أثناء عمليات الحفر والتنقيب بتسجيل سير العمل وكتابة كل ما يجري في حقل العمل لحظة بلحظة، وهذا ما نطلق عليه "اليوميات"، وكذلك عليه أن ينشأ ملفات لحفظ الوثائق والسجلات والدفاتر واللوائح والصور والنشرات التي توضح سير العمل وتفسير المنقب على أن يكون هناك أرشيف كامل لكل شيء، ولكن من الأشياء الهامة في هذا الأرشيف هو التسجيل الأثري لما يعثر عليه في السجلات بعد الترميم. ينظر: علي حسن، المرجع السابق، ص 64.

(2) -نخبة من الباحثين العراقيين، (حضارة العراق...)، ج 1، ص ص 65، 66.

الآراء أن طريقتهم في العمل كانت على درجة عالية من الكفاءة لم تكن متوقعة في تلك الفترة المبكرة من تقنيات التنقيب الأثري⁽¹⁾.

ولهذا تعد الأعمال الألمانية هي أولى الأعمال الأثرية التي اتسمت بطابع علمي وتنظيمي في التحري الاستكشاف في تاريخ العمل الآثري في العراق مقارنة مع الأعمال المعاصرة والسابقة لها في هذا الجانب، هذه العملية التي اتصفت بها أعمال الألمان جاءت من خلال التنظيم الكبير في البعثة من حيث التخصصات كالمهندسين، الرسامين، قارئ النصوص المسمارية وغيرهم من المختصين في أول بعثة من نوعها بكل هذه التخصصات، ويمكن تلمس العلمية في أعمالهم التي رافقت حفرياتهم الشاملة والواسعة في المواقع الأثرية والتزام الألمان بتوثيق وتسجيل وتصوير ورسم كل عملهم الآثري وما تم الكشف عنه من آثار بغض النظر عن حجمها وماهيتها، كذلك كانوا أول من رسم مخططات تصويرية وتخيلية للمباني الأثرية استنادا إلى ما تم الكشف عنه من عناصر معمارية وبنائية، فضلا عن نشر التقارير الموسمية والنهائية والمؤلفات الكثيرة التي تتناول أعمالهم في تلك المواقع، وهو الجانب التوثيقي في العمل الآثري المعتمد حاليا، فضلا عن تدريب العمال المساعدين لهم ونقل خبرتهم إلى هؤلاء الفلاحين المحليين ليكون لهم بعد ذلك شأن في العمل الآثري العراقي، وأيضا القيمة الحضارية والتاريخية لما تم الكشف عنه من آثار خصوصا منها المعمارية التي تضح جانبا من جوانب العمارة العراقية القديمة⁽²⁾.

من جهته يبين لنا كذلك عالم الآثار "سيتون لويد" دور الأبحاث الأثرية المنهجية في الكشف عن تاريخ بلاد الرافدين وبالخصوص تاريخ السومريين، حيث يأتي في مجمل رأيه ما يلي: "...وفي ذلك الوقت كانت عمليات التنقيب الأثرية المنهجية التي يقوم بها علماء آثار ألمان وأمريكان تتقدم في مواقع المدن السومرية الأخرى المذكورة في قائمة الملوك، وتشمل بعض المواقع التي تم العثور فيها على كميات كبيرة من الألواح كان قد حصل عليها المنقبون الآثريون من قبل، وفي العقود التالية اكتشف المنقبون وعلماء اللغات القديمة الذين كانوا يعملون في دراسة مجموعات الآثار ضمن المتاحف الكثير من النصوص السومرية، وبهذه الطريقة تمت إضافة العديد من الأسماء إلى قائمة

(1)-سيتون لويد، المرجع السابق، ص 307.

(2)-عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص ص 71، 72.

الملوك الذين ثبت أنهم كانوا يتمتعون بدور تاريخي حقيقي، وقبل أن نتوسع في مناقشة هذا الأمر فمن الضروري أن نستبق السجلات الأثرية بالتتويه باختصار بالنتائج الكبيرة التي أصبحت ثابتة فيما يتعلق بالتسلسل المني لعصر السلالات الباكرا⁽¹⁾.

فمع بداية القرن العشرين تميزت الحفائر بالتقدم الكبير في استخدام الوسائل العلمية، فلم يصبح الحفر من أجل استخراج الكنوز الأثرية هو الهدف، فلقد حاول الآثاريون الكشف عن جدران المباني وأخذوا يعيدون تصميم تخطيط المجموعات المعمارية التي كانت مشيدة من الآجر أو الطين، وقام بها العمال الألمان، حيث قامت البعثة الألمانية برئاسة "روبرت كولدواي R. Koldewey" بين عامي 1899م و1917م بالعمل في موقع "بابل" حيث اكتشفت العديد من الآثار التي ترجع إلى العهد البابلي الحديث، وقام الألمان أيضا بالعمل في موقع مدينة "آشور" في الفترة ما بين 1903 و 1914م وذلك بإشراف كل من "كولدواي" و"والتر أندريه W. Andrae" و"جوليوس جوردان J. Jordan" ولقد ركزوا اهتماماتهم نحو الأبنية الأثرية وترميمها وإعادة تخطيطها، ويلاحظ أن "أندريه" قد تفوق على أستاذه "كولدواي" في أخذه بالأساليب العلمية في تعامله مع الآثار كشفها، وأدت الحفائر المنظمة للعديد من التلال الأثرية إلى إمكانية تتبع تاريخ المدينة بالتفصيل منذ حوالي 3000 ق.م وحتى القرن الثالث ميلادي⁽²⁾.



المنقب روبرت كولدواي



المنقب والتر أندريه

حميد الشمري، المرجع السابق، ص 240

(1)- سيتون لويدي، المرجع السابق، ص 125.

(2)- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى)، ج 05، ص 35.

المنقبون الألمان في عملهم في العراق، والتي كان من نتائجها العناية بمواقع المدن الأثرية ومبانيها القديمة حتى صار أسلوبهم مثلاً يحتذى به في أعمال التنقيب اللاحقة، إلا أنهم عملوا أيضاً ما عمله غيرهم من المنقبين الأجانب من الذين سبقوهم أو عاصروهم في نقل ما كشفوا عنه من آثار ولقى فنية بارزة من بابل وآشور والوركاء إلى برلين، وذلك بعد إجراء القسمة مع المتحف الإمبراطوري في الآستانة، فغادرت العراق المئات من الصناديق المملوءة بما كان يزين بوابة عشتار وشارع الموكب في بابل وقصر الأواوين في آشور من طابوق ملون ومزجج بأشكال فنية رائعة مع عشرات الآلاف من اللقى الأخرى ورقم الطين المدونة بالخط المسماري⁽¹⁾.

وفيما بعد نقل الاهتمام إلى الحضارة السومرية، ففي عام 1912م تعهد الأب "جنويك" بدراسة مدينة كيش التي تعد إحدى العواصم الكبرى خلال الألف الثالثة، حسب الجدول النسابي الذي نشره وتبعه في ذلك كل من "س. لانغدون S. Langdon" و"أ. ماكي E. Makay" ما بين عامي (1932-1933م) من قبل وكان المركز مدينة أور التي كانت هدفاً للاستثمار المكثف من قبل "هال" وخاصة "ليونارد وولي" ما بين (1922-1934م) حيث اعتلى خلالها صدى اكتشاف القبور الملكية، ناهيك عن أوروك التي جلبت أنظار علماء الآثار الألمان، فقد قاد "ج. جوردان" فيها حملة استكشافية خلال عامي (1912-1913م) تبعها التنقيب النظامي اعتباراً من عام 1928م، وأخيراً البعثة الأمريكية للمعهد الشرقي لشيكاغو التي أخذت على عاتقها دراسة عدة تلال في وادي دياتي ومن ثم في رافد الدجلة على نفس ارتفاع بغداد (أسمر، خفاجة، أغرب من عام 1933 إلى 1938م) هادفة إلى إبراز ميزات هذا التنقيب في المنطقة، وهذا ما قامت به أيضاً بعثة "ر. بريدود R. Braidwood" في سهل العمق في سورية، إن هذا المفهوم بمبتكراته ظهر وكأنه منفذ في تطبيق الأعمال الآثارية⁽²⁾.

وكخريطة طريق حول مستقبل العمل الأثري في بلاد الرافدين وفقاً للمعايير الدقيقة للميدان، يعطينا المؤرخ "نيكولاس بوستغيت" تصورات لهذا المنهج في قوله: "...يجب أن يعوض حجم العينة المتيسرة تعويضاً واضحاً عن كثرة المشاكل المحتملة في التفاصيل، وتبوء أسلوب المسح الآثاري

(1) -بهنام أبو صوف، التاريخ من باطن الأرض، ص 70.

(2) -جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص 41.

مكانه بجانب التقيب واستعمال المصادر المدونة سبيلا ثالثا يمكننا خلاله فهم عالم بلاد الرافدين القديم، إذ يمكن للمصادر المدونة أن تلقي ضوء على مواضيع لا يمكن لأساليب أخرى أن تطالها، وقيمتها الكامنة واضحة لكل من يعني بموضوع مثل الهيكل الزراعي الذي كان سبب توسع الإمبراطورية الآشورية أو الطبيعة الدقيقة للثورة المدنية خلال العصور الأولى في سومر، وفي كل من النهج الثلاثة تكاد كمية الأدلة ونوعيتها تكون ذات ثراء لا يمكن التحكم فيه، وستكون مهمة الآثاريين في المستقبل الجمع بين الثلاثة والاستفادة من المجموع، إن هذه العملية لا تزال في مهدها وأنه من الواضح أن الصلة الأوثق بين المنقبين ومساحي المواقع وقراء الألواح سيخلق لبلاد الرافدين فرصة بعث التفاصيل الدقيقة لأساليب عمل المجتمع الذي احتضن إحدى أقدم الحضارات القديمة العظيمة، ويبدو أن العامل المعوق الوحيد هو نقص العمال والفنيين في العمل الميداني وفي التحليل وليست المشكلة تحسين الأساليب العلمية أو الإحصائية الجديدة التي يمكن بواسطتها استخراج الحد الأعلى من الأدلة في المواد المتيسرة، -إلا أن هذه الأساليب ستطبق حتما- بل تحديد الاستراتيجية التي يمكن بها تحقيق أهم النتائج من القدر الهائل من المصادر المدونة والجغرافية والآثارية⁽¹⁾.

ولعل ما يمكننا أن نستنتجه كباحثين عن طبيعة التقيبات الأثرية الأجنبية الأولية في بلاد الرافدين ما يلي:

هذه النتائج لا يمكننا اعتبارها كأحكام قطعية أو مسلمات لا يمكن مناقشة محتواها، بل هي تعبر في محتواها الحقيقي عن آراء شخصية محضة وعن نظرتنا الخاصة لطبيعة ومحتوى العمل الأثري الذي حددت نتائجه البعثات الآثارية الأجنبية في منطقة بلاد الرافدين.

-ما يمكننا قوله كباحثين (ضمن هذا المجال) حول طبيعة التقيب في "بلاد الرافدين" من طرف البعثات الأجنبية أنه يتميز بجانبين متقابلين فالأول وهو الجانب الإيجابي حيث أنه قبل فترة التقيبات بقي تاريخ المنطقة رهين الروايات الشفوية المتداولة عبر الأجيال وحبيس المعطيات الشحيحة التي أتت بها بعض المصادر الكتابية الجغرافية منها والدينية، إلى جانب ذلك فقد جعلت روايات الرحالة الأوائل هذه المنطقة أساسا للحكايات والخرافات التي جعلت من تاريخها سرا غامضا عبر العصور، وبعد بداية التنافس الحضاري الاستعماري صارت بلاد الرافدين موطن الكنوز والنفائس

(1)- نيكولاس بوسستغيت، المرجع السابق، ص 65.

الثقافية الراقية كما صارت محط أنظار جميع أقطار العالم وبالخصوص الدول الأوروبية التي سخرت جميع إمكانياتها للتعريف بمخزون المنطقة، وفي هذا الإطار وضعت بلاد الرافدين ضمن موكب الحضارة الإنسانية العريقة وكتبت عنها الكثير من المؤلفات والمجلدات باعتبارها مهد المدنية الأولى. ويتجلى الجانب السلبي لعمليات التنقيب من خلال نقل المعالم الحضارية الراقية من مواطنها الأصلية نحو دور المتاحف الأوروبية حيث لم يحتفظ المتحف العراقي سوى ببعض القطع الفنية المتواضعة في رفوفه بالمقارنة مع ما تم جمعه وتصنيفه ضمن مراكز البحث الأكاديمية الأوروبية التي جعلت من المناطق الأثرية في بلاد الرافدين محطة لإنجاز مشاريعها وبحوثها، ورغم وضع الأوروبيين أسس لعلم الآشوريات والأكديات وجهودهم المعتبرة في حقل الدراسات اللغوية وحلهم لرموز الكتابات القديمة إلا أن هدفهم الرئيسي كان البحث عن الشهرة والأمجاد والثروة ودليل ذلك التنقيب العشوائي الذي قاموا به في إطار الكسب السريع، كما أن مجهوداتهم كانت موجهة في الأساس لخدمة سياسة دولهم الخارجية دون النظر إلى عواقب التنافس الشرس حول مخلفات المنطقة الحضارية.

- إن استحواذ الغرب على المخلفات الحضارية للمنطقة يفتح باباً واسعاً للنقاش حول دور العقل العربي بشكل عام في حماية موروته، حيث أن الجهود الأثرية الأجنبية تبين إلى حد بعيد مدى بعد المدارس العربية عن فهم مصطلح "الإرث الثقافي" ودليل ذلك أن معظم عمليات التنقيب في مختلف مناطق العراق لم تكن بشكل رسمي بل كانت تجسد تحت قناع التمثيل الدبلوماسي، إلى جانب ذلك فقد كانت الحفريات بمصادقة الحكومة الرسمية التي منحت التفويضات اللازمة للحفر دون فرض الرقابة والتي اغتتمها الفكر الأوروبي في توسيع دائرة غنائمه الحضارية، وفي إطار الصراع الحضاري بين الشرق والغرب عملت الكثير من التوجهات الفكرية والمدارس وبعض المخابر العلمية الغربية الكبرى على إضفاء صفة البدائية على المنجزات الحضارية التي ميزت تاريخ بلاد الرافدين، ويتمثل هذا التوجه في إرسال قناصل دبلوماسيين بدل المختصين في الميدان وكان معظمهم من الرحالة والمغامرين وجامعي التحف وصائدي الجوائز، لهذا اعتبرت عملياتهم الأولى تخريرية بالدرجة الأولى حيث كانت الحفريات استفزازية لا تبالي بقيمة الآثار التي تعد جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه في رسم التاريخ الفعلي للمنطقة، لكن مع مجيء الدفعة النهائية للباحثين النموذجيين أعيد

الاعتبار للوزن الثقافي للمنطقة من خلال الكشف عن القيمة الفعلية للمعثورات وإعادة رسم تاريخ المنطقة بشكل سليم لا يتعارض مع ما تم العثور عليه.

أ.2: آراء المؤرخين والآثارين الأجانب حول قضية "التأصيل الحضاري":

1- رأي المؤرخ وعالم الآثار "صمويل نوح كريمر":

في إطار انتقاد رأي المؤرخ والآثري "صمويل نوح كريمر" حول أصل السومريين المجهول، يعود المؤرخ "أحمد داوود" لتأكيد الأصل العربي للسومريين ودحض نظرية النسب المجهول حيث يقول: "...يصر كريمر على إصاق التسمية السومرية بتلك القبائل البدائية الغازية بعد أن ينتزعها (أي التسمية) من أصحابها الأصليين الذين يسميهم "سكان الرافدين"، فيعكس بذلك الصورة لترك القارئ في حيرة أمام اسم هؤلاء السكان تاركا المجال لكل الاحتمالات، كما يترك الباب مفتوحا لأي باحث آخر في أن يسمي سكان الرافدين بالاسم الذي يريده غير اسمهم الحقيقي، وأما تلك القبائل البدوية التي لا يعرف كريمر أو غيره لها اسما أو موطنها والتي يقول عنها بالحرف "هذا الشعب البدائي، أو المحتمل أن يكون بدائيا، قد يكون أتى من وراء القفقاس أو بحر قزوين"، فقد خلع عليها الاسم العربي لبعض سكان الرافدين إمعانا في التشويه ورغم أنف كل الحقائق العلمية والتاريخية الموضوعية، فطالما أن المكتشفات الأثرية قد كشفت حضارة عربية سورية عريقة في سومر أرفع شأننا من أية حضارة أخرى في كل المجالات، وقد تخللتها لغة عربية في بعض المواقع وبعض اللقى والتماثيل ذات السحن المختلفة، فقد كان لابد من تهريب هذه الحضارة من خزائن التاريخ العربي وإلقائها لأي شعب كان، بصرف النظر عن التناقض الحاصل من جراء هذا التزوير والتشويه المقصودين"⁽¹⁾.

من خلال الرأي المعروض للنقاش نلاحظ أوجه الاختلاف بين الدراسات الغربية والمحلية حول أصول السومريين وتوطين أسس المرجعية الحضارية، حيث نجد عالم السومريات "صمويل نوح كريمر" يفند الأصل العربي والمحلي للسومريين بالاعتماد على شواهد أثرية دلالاتها مرهونة بسمعة وموضوعية الأثري "كريمر" في حد ذاته، وهي النقطة التي طرحها للنقاش المؤرخ "أحمد داوود" والذي أشار إلى تعمد "كريمر" تغييب المسميات ورهن المعطيات عن المساهمة العربية في بعث

(1)- أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم، ص 194.

الحضارة الرافدية "يقصد بها المساهمة السامية"، وبغض النظر عن كلا الرأيين فهذه الجدالات لم تزد من مسألة التقصي عن أصول السومريين سوى صعوبة وتعقيدا على حد اعتقادنا، وذلك بدل أن يكون الهدف هو البحث عن القيمة الحضارية لهذه الحضارة ونتائجها الدائمة بدل خلق مشكلة تجعل من دراسة تاريخ المنطقة بشكل منهجي أمرا شبه مستحيل.

ومن ناحية أخرى يتكلم المؤرخ "صمويل نوح كريم" في كتابه "The Sumerians السومريون" عن أصل الحضارة السومرية وفكرة وجوديتها، حيث يقول: "...من الملفت للنظر أنه منذ أقل من قرن مضى لم تكن هناك مطلقا معرفة بالثقافة السومرية، وكان وجود الشعب واللغة السومرية أمرا غير متوقع، علماء الآثار الذين بدأوا منذ حوالي مائة عام في التنقيب في بلاد الرافدين لم يكونوا يبحثون عن السومريين بل عن الآشوريين، وهؤلاء الأشخاص هم الذين لديهم معلومات كثيرة، وإن كانت بعيدة، من مصادر يونانية وعبرية في حالة السومريين، ومع ذلك لم يكن هناك اعتراف بالأرض أو شعبها أو لغتها في كل ما هو متاح من الكتاب المقدس (ربما يكون اسم سومر مذكورا في هذا الكتاب بصيغة مختلفة قليلا)، فكان اكتشاف السومريين ولغتهم غير مرغوب فيه تماما وجاء بشكل غير متوقع تماما، وقد أدى هذا التفصيل غير ذي الصلة إلى حد ما إلى ظهور الخلافات التي كانت مسؤولة بشكل واضح عن التقدم البطيء لأبحاث علم "السومريات Sumerological"⁽¹⁾.

من خلال ما تقدم نلاحظ رأي المؤرخ بخصوص مسألة التأصيل الحضاري، حيث يشير المؤرخ إلى وجود محاولات لتغيب "العنصر السومري" كعنصر بشري صانع لأسس الحضارة وبأن تلك المحاولات هي التي عطلت البحوث القائمة بشأن البحث عن أطهرهم الحضارية وعن أصولهم العرقية، وهذا حسب ما يلمح إليه المؤرخ.

2- رأي المؤرخ "آدام فلكنشتاين":

يتلخص رأي هذا المؤرخ من خلال طرح سؤال جوهرى هادف ومفاده الخوص في قضية الأصول، وملخص السؤال هو: من أين جاء السومريون؟ فربما لن نعرف الإجابة على هذا السؤال أبداً، ولابد من أنهم كانوا مهاجرين كبقية سكان السهل البابلي وأنهم دخلوا البلاد في وقت ما قبل العهد الشبيه بالكتابي ويمكننا القول أنه اعتراف صريح من المؤرخ حول تزكية الرأي القائل بالأصل

(1) - Samuel Noah Kramer, The Sumerians op cit, p p 5, 6.

المحلي للعنصر السومري صانع الحضارة الرافدية؛ ويوجد بعض الباحثين الذين تمكنوا من وضع نقاط جديرة بالاحترام كآراء بعض العراقيين سنتعرض لهم بالذكر لاحقاً، أمثال الأستاذ طه باقر والأستاذ فوزي رشيد⁽¹⁾.

3- رأي المؤرخ "أنطون مورتكات":

يرى هذا المؤرخ في مؤلفه "الفن في العراق القديم" أن الحضارة العراقية القديمة هي خلاصة تنويعات بشرية شكلت الأصل الحضاري للمنطقة، وهذا ما يبينه من خلال قوله: "إن حضارة العراق القديم التي برزت خلال الألف الثالث قبل الميلاد تحت ظل السومريين والأكديين، وبلغت أوجها خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد أيام البابليين والآشوريين هي نتاج تعاقد أجناس بشرية من أصول ولغات متباينة جداً، ومع ذلك فإنها تعكس نظاماً روحياً متماسكاً تهيم عليه وحدة تامة يرافقها في نفس الوقت تنوع داخلي يمكن أن يقارن بتنوع حضارة الغرب المسيحي بعد العصر الكلاسيكي المتأخر"⁽²⁾.

4- رأي المؤرخ "أندي بارو":

يتلخص رأي هذا المؤرخ في استعراض بعض الآراء حول طبيعة التأصيل الحضاري في المنطقة وذلك دون أن يعطي حكماً نهائياً واضحاً، حيث يقول: "من بين الاكتشافات الأثرية الأولى في منطقة تللو عام 1877م أن سارزك اكتشف مجموعة من التماثيل التي تعود لعرق غير معروف تماماً، وقد أطلقوا عليهم اسم الكلدانيين، وهو خطأ واضح، ومع ذلك لا يمكن للمرء أن يلوم المتخصصين في الفترة حيث وجدوا أنفسهم في مواجهة لغة جديدة لم يتمكنوا من تصنيفها بالضبط، كما أن هناك من الباحثين من يسلم بفكرة أن هناك شعباً بابلياً سامياً هو الذي تنسب إليه اختراع الكتابة والأدب والعلوم، بينما يصر آخرون على العكس من ذلك على أن المبدعين الحقيقيين كانوا في الواقع أناساً من عرق آخر، في الواقع هم السومريون الذين وصلوا في زمن غير محدد إلى منطقة بلاد ما بين النهرين"⁽³⁾.

(1)-كوثر جاسم، صفحات من كتاب أصل السومريين الحقيقي رؤية جديدة لمؤلفه قاسم محمد غريب، 2012م، ص ص 02، 03.

(2)-أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 15.

(3)- André Parrot, Op. Cit, p 05.

من خلال هذا الرأي المعروض للنقاش نلاحظ منطقية طرح المؤرخ من خلال استعراضه لعدة آراء علمية المنهج، حيث يبين أن النتائج التي تحصل عليها الباحثين أثناء محاولتهم للبحث عن صناع الحضارة الرافدية أنها نتائج أولية نسبية وغير مؤكدة كونها قد نسبت للإنجازات الحضارية للعنصر الكلداني والذين يعتبرون كرونولوجيا آخر ممثل للحضارة الرافدية، في حين كان يميل هذا المؤرخ إلى الرأي القائل بأن العنصر السومري هو صانع النواميس الحضارية الحقيقية، وذلك رغم اعترافه الصريح بغرابة الجنس الذي ينتمون إليه.

5- رأي المؤرخ "ليونارد وولي":

بخصوص قضية "التأصيل الحضاري"، فنرى أن هذا المؤرخ يوافق "أحمد سوسة" في اعتبار الساميين أول الساكنين لوادي الرافدين، ويظهر رأيه في قوله: "...وقد لبي هذه الدعوة عنصران (بقسميهم الشمالي والجنوبي) والإيرانيون، أما الساميون الجنوبيون فقد انتشروا في الجزيرة العربية وصحراء الشام الجنوبية، ثم انحدرت إلى هذه البقعة بعض الجماعات المنعزلة منهم عندما تكون السد (الدلتا)، عند مصبات الأنهار، وجفت أطراف المستنقعات وأصبحت الأرض ملائمة للسكنى، وأما الساميون الشماليون -وهم عنصر متميز نوعاً ما- فكانوا أكثر استقراراً وأشد تماسكاً من سامي الجنوب، فاستقروا على ضفاف الفرات الأعلى حتى إذا ما اتسعت الدلتا الشمالية وأصبحت صالحة للزراعة انحدروا إليها واستولوا على الشطر الأعلى من الوادي، على أن السكان الجدد الذين استوطنوا الجزء الجنوبي من الوادي، وقسماً كبيراً من سكان الجزء الشمالي منه، كانوا من عنصر يختلف تماماً عن الساميين، فهم يمثلون الجناح الغربي لمنطقة ثقافية عظيمة امتدت في العصر الحجري الأخير عبر قارة آسيا، ونرى آثارها في بلاد فارس وبلوخستان بل وفي أطراف منغوليا أيضاً، ومن المرجح أن ما يعرف في التاريخ باللغة السومرية إنما هو لغتهم الخاصة"⁽¹⁾.

نستشف من قول هذا الآثاري أن الآراء التي تجعل من السومريين بناء الحضارة الأوائل فكرة مغلوبة، حيث يعتمد على أدلة بنائية يقينية يكون قد أخذها من حفريات الشهيرة في خرائب مدينة "أور" باعتبار أن الساميين وجدوا في تلك الأراضي أي بلاد الرافدين منذ فترات مبكرة وأن الدليل على ذلك وجود بعض المظاهر الحضارية التي لا دخل للسومريين فيها وأنها وجدت أصلاً قبل

(1)-ليونارد وولي، المرجع السابق، ص ص 18، 19.

وصولهم إلى المنطقة، وهي الفكرة التي يتبناها هذا الأثاري باعتبار السومريين سكانا جددا أي مستحدثين من الناحية الحضارية، وهو ما يلمح بالضرورة كونهم أتوا من خارج القطر عبر هجرات استيطانية.

6- رأي المؤرخ "جورج رو":

يقدم لنا المؤرخ "جورج رو" بعض الحقائق التي يعترف بها من خلال دراسته المتعلقة بمنطقة بلاد الرافدين، وفيما يتعلق بالأصل الحضاري لها والعناصر التي شكلت بنيتها الحضارية، ويبين ذلك في قوله: "في بداية العصور التاريخية عاشت ثلاث مجموعات إثنية في مكان قريب من الاتصال داخل تلك المنطقة⁽¹⁾: السومريون السائدون في أقصى الجنوب تقريبا من نيبور حتى الخليج الفارسي، الساميون السائدون في وسط بلاد ما بين النهرين، ومجموعة صغيرة من أصل غير مؤكد لا يمكن ربطه بأي تسمية محددة، ومن خلال وجهة نظر المؤرخ الحديث فإن خط الترسيم بين هذه المكونات الثلاثة للسكان التاريخيين الأوائل لبلاد ما بين النهرين ليس سياسيا ولا ثقافيا بل لغويا، لكل منهم نفس المؤسسات، جميعهم متشاركون في أسلوب الحياة والتقنيات والتقاليد الفنية، والمعتقدات الدينية، وبكلمة واحدة فإن الحضارة التي نشأت في أقصى الجنوب تنسب بحق للسومريين، والمعيار الوحيد الذي يمكن من خلاله فصل هذه الشعوب الثلاثة والتعرف عليها هو لغتها بالمعنى الضيق، ويجب اعتبار اللغة السومرية اللغة التي يتحدث بها السومريين ولا شيء آخر، وبالمثل فإن الساميين هم أولئك الذين يتحدثون بلغة سامية، وفي الواقع لن نكون على دراية بوجود العنصر الثالث العرقي لولا بعض الأسماء الشخصية والجغرافية الغريبة وغير السومرية ولا السامية التي نجدها هنا وهناك في النصوص القديمة"⁽²⁾.

من خلال رأي المؤرخ "جورج رو" نلاحظ أنه يقسم المجموعات الإثنية بناء على الأصل اللغوي لا العرقي، كما لاحظنا من خلال رأيه المطروح للنقاش وجود نوع من التناقض، ويظهر ذلك في قوله بأن بلاد الرافدين تقسم إلى ثلاث مجموعات إثنية أي عرقية ثم يحدد أن أساس وجودها هو لغوي وليس عرقي، في حين يؤكد رأيه بالاعتماد على قرائن لغوية وهو وجود اللغتين السومرية

(1) - Georges Roux, Op.cit, p 80.

(2) - Ibid, p p 80, 81.

والأكدية ولغة ثالثة غير معروفة وهي التي تمثل حسب نظره لغة فئة ثالثة ربما تكون أقدم من الفئتين السابق ذكرهما، ومهما يكن من الأمور المعروضة حسبه، فإنه يؤكد على عدم وجود مجموعات إثنية متعددة سكنت المنطقة غير التي حدد وجودها على أساس لغوي.

ب- الدراسات العربية حول قضيتي "التنقيبات الأجنبية" و"التأصيل الحضاري":

ب-1 آراء المؤرخين والآثاريين العرب والعراقيين القدماء:

1- رأي المؤرخ "عامر سليمان":

يرى المؤرخ "عامر سليمان" أن أهداف الباحثين الأجانب من دراسة تاريخ العراق القديم وآثاره وكتابات المسمارية تحددت أولاً بالبحث عن الشهرة والمال، ومن ثم التأكيد على صحة ما ورد في عدد من أسفار العهد القديم وأصالة اشتقاقه، إلى جانب أهداف الدول الاستعمارية المعروفة السياسية والاقتصادية في مختلف أرجاء الوطن العربي ثانياً، ولم يكن هناك من يبحث عن الحقيقة يكتب التاريخ من أجل ذلك إلا القدماء، ومن المؤكد أنه لم يكن بين الباحثين الأجانب من كان يهدف إلى تعزيز هوية العراق وإبراز دوره القيادي في بناء الحضارة البشرية أو البحث عن أصول معتقداته الدينية أو أصول غالبية سكانه العرقية، وبيان علاقة لغاته القديمة باللغة العربية ولهجاتها المحلية في العراق، ولقد كان من المؤمل أن تكشف التنقيبات الأثرية وتؤكد النصوص المسمارية أصالة حضارة العراق القديم وتحدد سماتها ومقوماتها وتؤطر هويتها وهوية بناتها العرقية والثقافية والدينية وتعززها، كما تفعل الوثائق والآثار عادة، وقد حدث ذلك فعلاً إلا أنه جاء بغطاء مموه طمست من خلاله وبسببه هوية العراق والعراقيين⁽¹⁾.

2- رأي المؤرخ "عبد العزيز صالح":

تتلخص وجهة نظر الباحث حول نتائج الدراسات الغربية في المنطقة كخلاصة سابقه من المؤرخين المحليين، وهي التي تتفق حول الدور السلبي الذي لعبته التنقيبات الأثرية الأوروبية وبالأخص منها التنقيبات الأولية، حيث يقول في هذا الشأن: "...وقد تركز الاهتمام في بداية الأمر على شمال العراق على أمل البحث عن آثار مدينة نينوى وآشور ونمرود ذات الشهرة التاريخية الواسعة، وبدأ هذا العمل كالعادة نفر يوصفون بالمغامرين أكثر مما يوصفون بالباحثين ومنهم "بول

(1)- عامر سليمان، دور الآثار والنصوص المسمارية..، ص ص 04، 05.

ايميل بوتا" الذي تتقل بنشاطه السريع من تلال نينوى إلى تلال خرسباد، ثم "هنري لايارد" الذي تتقل بدوره بين نمرود ونينوى، وكان لما كشفه كل منهما من قصور الملوك الآشوريين العظام ومقتنياتها القديمة دور عالمي كبير وتشجيعا لغيرهما على سلوك السبيل نفسها، وقد عمل رعيهم الأول في أرض بكر وبوسائل بسيطة وبخبرات متواضعة، وكانوا يهدفون أساسا لاستخراج أكبر عدد من الآثار الفنية والثرينة في أقصر وقت مستطاع وبأقل كلفة ممكنة حتى يشبعوا رغبتهم في الشهرة والمال ويشبعوا نهم المتاحف الأجنبية وأصحاب المجموعات الخاصة، وكانوا بوسائلهم هذه أكثر جناية على آثار العراق من زملائهم الأجانب المغامرين الأوائل الذين عملوا في مصر، فقد كفل للآثار المصرية نصيبها من المنعة تشييد معظم مبانيها الرئيسية بأحجار صلبة متنوعة، وتماسك موادها الأخرى نتيجة لصيانتها في رمال الصحراء وفي مناخ جاف، على العكس من آثار العراق التي شيدت غالبية مبانيها من اللبن والآجر، وشيد أقلها بالحجر الجيري والألباستر، وقلت مناعة موادها الأخرى لرطوبة أرضها، مما كان يتطلب من الباحثين عنها دراية كافية بوسائل التنقيب العلمي عن الآثار ووقايتها وحفظها، وهو ما لم يتوافر كثيرا لأوائلهم، الأمر الذي أفضى إلى تصدع وتفتت كثير من الآثار الصغيرة التي اكتشفوها بمجرد تعرضها للعوامل الجوية الخارجية⁽¹⁾.

مما سبق ذكره نلاحظ إطلاق المؤرخ المحلي أحكاما على النتائج الخاصة بالتنقيب عن الحضارة الرافدية من طرف الباحثين الأجانب، حيث وصف أعمالهم الأولى بالتخريبية للآثار بحثا عن المال والشهرة ودون استعمال أساليب الحفر العلمي وهو الأمر الذي يرهن إلى حد بعيد نتائج العمليات التنقيبية وبالتالي صعوبة تحديد دلالات بعض الآثار المهشمة والتي قد تكون الحلقة المفقودة في التقصي حول بواذر الحضارة في المنطقة ومنها على وجه الخصوص البحث عن الأصل السومري، وهذا بطبيعة الحال إن انطلقنا من مبدأ صحة النتائج المتحصل إليها بخصوص سلبية العمليات التنقيبية الأجنبية.

وتأكيدا لرأي المؤرخ "عبد العزيز صالح" فيضيف لنا المؤرخ "محمود عباد محمد الجبوري" معلومات حول النتائج الوخيمة لحملات التنقيب الأجنبية، حيث يقول: "...وتوالت أعمال نهب آثار العراق على يد "رولنسون" المقيم البريطاني الجديد، وتحول السابق بين الفرنسيين والبريطانيين إلى

(1) - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص ص 565، 566.

بلاد سومر حيث جرت أعمال الحفر في الوركاء، أور، أريدو وجرسو أيضا التي نبش فيها القنصل الفرنسي "دي سارزاك" ونقل منها تمثال "الملك جوديا"⁽¹⁾ إلى متحف اللوفر، كما شاركت الولايات المتحدة الأمريكية في هذا السباق وأرسلت بعثة من جامعة بنسلفانيا عام 1889م برئاسة "بيترز" الذي كتب عن جغرافية التوراة، ركزوا حفائهم في مدينة "نفر" المقدسة عند السومريين.

والغريب في الأمر أن عددا من الباحثين كتبوا عن هذا الموضوع ووصفوا أولئك المخربين بالهواة متجاهلين أنهم قاموا بأعمال نهب وتخريب وسرقة أعظم وأجمل آثار العراق نصوصه المسمارية وأودعها متاحفهم القومية ومراكزهم البحثية في الجامعات بعدما خربوا معالم العواصم والمدن العراقية الكبيرة والمهمة بسبب قيامهم بحفريات غير نظامية وقيامهم باستخدام أساليب غير علمية أضاعت معالم المدن وطبقاتها ناهيك عن انعدام التوثيق، فلقد كان مهمهم وهدفهم هو تقديم خدمات جليلة لبلدانهم والحصول على الشهرة والمناصب، فضلا عن أن تلك الأعمال لا يمكن فصلها عن الدوافع الصليبية التي مازالت تعيش في نفوس الكثير من الغربيين، وهذا ما عبر عنه صراحة المنقب الأمريكي "جيمس هنري برستد" والذي وصفها بأنها "جزء من الحرب الصليبية الجديدة"⁽²⁾.

فبعد تقاسم الدول الاستعمارية الأوروبية فيما بينها لغنيمتها من التلال الأثرية في العراق، بدأ نشاط هيئاتها الدبلوماسية بالحفريات، فكانت في حرب خفية فيما بينها وتستغل الظروف المواتية للقيام بالحفريات تحت جناح الظلام أو بالخفاء في التلال التي كانت من حصة الآخرين، وكان هؤلاء الحفارون من قناصل الدول في تلهفهم واستعجالهم لا يتوانون عن تدمير المواقع الأثرية وإزالة معالمها

(1) - يرجع تمثال الملك جوديا إلى المرحلة السومرية الأكديّة (حوالي 2100 ق.م)، ارتفاعه نحو 24 بوصة وهذا النوع من التماثيل كان شائعا خلال هذه الفترة، إذ يوجد حوالي عشرين تمثالا منسوبا إليه في وضعيات الجلوس والوقوف، موزعة في متاحف عالمية، وقد نحت التمثال من أصلب أنواع الحجارة البركانية مما جعل النحات يبذل أقصى جهده ومهارته من أجل تنفيذه بهذا الشكل والتمثال في وضعية الوقوف والمواجهة وله غطاء على الرأس، ومن الواضح أن هذه الخصائص انحدرت من التقاليد النحتية من مرحلة "تل أسمر" فالعيون كبيرة وواسعة والحوارب غليظة وذات حواف، قد نفذت بنفس الطريقة ووفقا للتقاليد المعروفة في فن نحت التماثيل الشخصية المتعارف عليها في بلاد الرافدين، فالكثف والذراع الأيمن عاريين والملابس منسدلة عليه رأسيا إلى أسفل من الكثف الأيسر والصدر، وجاء تحديد الملابس الخارجية عبارة عن خط بسيط خال من التواءات أو التعقيدات النحتية. ينظر: هاشم عبود الموسوي، المرجع السابق، ص 116، 117.

(2) - محمود عباد محمد الجبوري، دور الدبلوماسيين الغربيين في نهب آثار العراق وتخريب معالمه الحضارية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد: 07، العدد 03، 2012م، ص 02.

ومخططاتها من أجل الوصول إلى الدفائن الأثرية، حتى أن بعض المواقع تركوها ركاما وأنقاضا مثل مدن وقصور ومعابد الآشوريين في (نينوى وكلخو وخرسباد)، وقد راودت أحد الحفارين الفرنسيين ("قرانل" عام 1852م) فكرة تفجير "تل بورسيبا" القريب من بابل ليرى ما في داخل هذا التل الكبير، لقد كانوا مجرد صيادي كنوز وحفارين سراق آثار، ولم يكن يعيقهم حتى وجود المقابر الإسلامية حيث يعمدون إلى حفر الأنفاق لسرقة الآثار المدفونة تحتها⁽¹⁾.

أشرنا إلى بعض الأحكام التي أطلقها المؤرخ على أعمال التنقيب الأجنبية من باب الأمانة العلمية، حيث وصفها بصفات لا تمت للبحث الأثري بأية صلة، وبالرغم من أن جزء معين من كلامه كان صائبا إلا أنه أنكر تماما وجود نقاط إيجابية في تلك الأعمال والتي تأتي في طبيعتها إعادة بعث مجد الحضارة العراقية الذي بقي مطمورا لمئات السنين ضمن الطبقات الأثرية والذي تتبعته عمليات الكشف عن الإرث الحضاري الضخم لهذه المنطقة ووزنه المعتبر في صناعة الحضارة الإنسانية.

3- رأي المؤرخ وأستاذ السومريات "فاضل عبد الواحد علي":

إن هذه الآراء وغيرها مما قيل بشأن أصل السومريين بقيت في نطاق التخمين والافتراض ولم يحظ أي منها في يوم من الأيام بقبول الأغلبية من علماء الآثار، وفي اعتقادنا أنه ليس هناك ما يبرر الافتراض القائل بهجرة السومريين من بلد آخر إلى جنوب وادي الرافدين. صحيح أن هناك خصائص أو عناصر مميزة للحضارة السومرية لكن هذا لا يعني بالضرورة أن تلك العناصر جاء بها السومريون معهم من خارج العراق، والشيء المنطقي هو أن نفترض بأن هذه العناصر المميزة للحضارة السومرية التي نشاهدها في عصر الوركاء (3500-3000 ق.م) عبارة عن نتيجة وامتداد طبيعيين لمدنات عصور ما قبل التاريخ الأخرى التي سبقت هذا العصر مثل: حسونة وسامراء وحلف في شمال العراق والعبيد في الجنوب، وبتعبير آخر إننا نرى في السومريين امتدادا لأقوام عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين وأنهم انحدروا من شمال العراق إلى الجنوب واستوطنوا في

(1)- حميد الشمري، المرجع السابق، ص 45.

منطقة كانت على الأرجح تعرف باسم سومر والتي عرف السومريون باسمها خلال العصور التاريخية اللاحقة⁽¹⁾.

4- رأي المؤرخ "تائل حنون":

إن الدراسة العلمية الآثارية لهذا المؤرخ استغرقت أكثر من خمس سنوات، درس من خلالها أكثر من 15 ألفاً من المفردات السومرية والأكدية، وتبين له بصورة واضحة أن السومريين ما وجدوا كشعب ومجموعة إثنية مستقلة أو ذات خصوصية، بل أن السومرية ظاهرة كتابية لا أكثر، وعلى الأرجح أن السومريين أنفسهم أسلاف الأكديين مخترعي هذه الكتابة التدوينية، حيث يعطي هذا المؤرخ مجموعة أدلة وبراهين تبين غياب ما يسميه بالعنصر السومري وأنه من صنع الفكر الغربي، ومن جملة هذه الأدلة ما يلي:

*الدليل الوحيد على الوجود المفترض للسومريين هو وجود اللغة السومرية، ولكن هل يمكن أن نستدل على وجود شعب من لغة خاصة بالتدوين فقط ولا تستعمل في التخاطب؟. إن الاختلافات بين السومرية والأكدية ليست كافية لنفي ارتباط اللغتين، لأن السومرية هي البداية لم تطورت لاحقاً على يد الأكديين "بدأ الناس بكتابة ما ينطقون به بشكل رموز بدائية ثم طوروا تلك الرموز، أي أنه طبيعي أن تتم هذه النقلة بغض النظر عن صاحبها"، كما يضيف المؤرخ أنه ليست المرة الأولى التي يقوم بها علماء الغرب بالتلاعب بالحقائق المتصلة بمعطيات تاريخية وأثرية، ولا هي المرة الأولى التي يحاولون فيها نسب المنجزات التي قدمها الساميون إلى غيرهم من الشعوب⁽²⁾.

*من جملة الأدلة القوية على الساحة اللغوية والتي استدل بها هذا المؤرخ في كون السومرية لا تتعد كونها ظاهرة لغوية فقد ذكرها فيما يلي: "...إن أسماء الأشخاص باللغة السومرية قد استعملت لأشخاص أكديين مثل أنخدو. أنا الأدبية والتي كتبت بكلتا اللغتين وهي ابنة سرجون الأكدي، فهل بعقل أن ينبج الأب الأكدي ابنة سومرية؟، وكذلك سلالة أور الثالثة التي تتكون من خمسة ملوك خلف كل منهم أباه في الحكم، وأن اسمي الملكين الأولين وهما أورنمو وشولجي كانا سومريين، أما

(1)-كوثر جاسم، المرجع السابق، ص 02.

(2)-سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، 334.

ابن شولجي وهو أمار-سين فقد حمل اسما أكديا ولكن حفيده شو-سين حمل اسما سومريا، بينما ابن الأخير أبي-سين حمل اسما أكديا، وليس معقولا أن يكون الملوك من قوميتين مختلفتين وهم من نسل واحد⁽¹⁾.

* وفي إطار نقده للمؤرخ وعالم المسماريات "صمويل نوح كريم" فيقول:

-من الأدلة الواضحة على هذا التلاعب المقصود عندما أضيف زورا اسم السومريين في كثير من الرقم، حيث ورد أحيانا "الشعب السومري" وأحيانا "أرض سومر" في تراجم العلماء الغربيين الذي نقلوا الكتابة من المسمارية إلى اللاتينية، ثم منها أخذ كل العلماء والباحثون في أصل اللغة والحضارة، ولكن عندما عاد الباحث أي نائل حنون إلى الرقم الطينية الأولى التي تناولتها الترجمة، حتى اكتشف فيها خديعة كبرى وهي أن هؤلاء العلماء وفي طليعتهم "كريم" قاموا بزيادة صغيرة، فقد أضافوا كلمتي "سومر وسومري" حيث ناسب ذلك أنه كلام مثير، ولكن الرقم موجودة ويمكن التأكد منها (إشارة من المؤرخ نائل حنون إلى وجود الرقم الأصلية والتي يمكن تحليل محتواها ومعرفة الأصلي من الزائف والحقيقي من المضاف وذلك على حسب اعتقادنا وتخميننا)، فإن الرقم تذكر مثلا: عبارة "خمس جرار إلى الأرض"، لكن ترجمة "كريم" تقول: "خمس جرار إلى أرض سومر"⁽²⁾.

5- رأي المؤرخ وعالم المسماريات العراقي "طه باقر":

ضمن الإطار التاريخي لتأصيل الجماعات المكونة لمدنية بلاد الرافدين القديمة، فيرى "طه باقر" بصعوبة الفصل النهائي في المسألة بالاعتماد على ما أسماه بالأدلة الحالية، حيث يقول: "... أما عن قضية مجيء السومريين إلى وادي الرافدين وزمن هجرتهم فهناك احتمالات عديدة لا توجد مبررات حضارية وتاريخية لتفضيل أحدها على الآخر والأخذ به، فمن الاحتمالات أن السومريين لم يأتوا من جهات بعيدة خارج القطر، وإنما كانوا أحد الأقوام الذين عاشوا في جهة ما من وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ ثم استقروا في السهل الجنوبي منه في حدود الألف الخامس ق.م أو بعد ذلك الزمن عندما أصبح هذا السهل صالحا للسكنى، وأنهم لم يكونوا المستوطنين الوحيدة ولا أقدم المستوطنين وإنما تعايشوا مع جماعات من أقوام أخرى وفي مقدمتهم الأقوام السامية، ولعل ما يرجح

(1)-سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، ص 336.

(2)-نفسه، ص 334.

هذا القول ويعززه أن ما يسمى بالحضارة السومرية التي ظهرت بمقوماتها في أواخر العصر الحجري- المعدني (النصف الثاني من دور الوركاء ودور جمدة نصر) يمكن تقصي أصولها وجذورها الأولى إلى أطوار ما قبل التاريخ في وادي الرافدين نفسه، وبعبارة أخرى أينما كان مهد السومريين فإنهم لم يجلبوا معهم إلى المنطقة عناصر الحضارة ومقوماتها الأساسية على نحو ما فعل المهاجرون الأوروبيون في أمريكا⁽¹⁾.



صورة للأستاذ "طه باقر" في متحف بيركامون (Pergamonmuseum) ببرلين
أمام جزء من بوابة عشتار
فوزي رشيد، طه باقر حياته وآثاره، ص 44

من خلال قول المؤرخ "طه باقر" حول قضية التأصيل الحضاري عدة اعترافات علمية جديرة بالاهتمام، تأتي في طليعتها اشارته إلى احتمالية كون السومريين لم يأتوا من مناطق بعيدة عن وادي الرافدين، إشارة منه إلى منطقة حدودية أو شبه داخلية، لكن من جهة أخرى يشير إلى احتمالية أنهم كونوا حركة تحرك بشري نحو السهل الرسوبي دون أن يكونوا أول مستوطنيه، أي أنه نفى أسبقية السومريين في سكنى المنطقة، وأضاف إلى قوله نقلهم للمعالم الحضارية إلى المنطقة التي تلتها عملية تغييب المساهمة السامية فيها بمعينة بقية الأقوام التي شاركهم نفس الحيز الجغرافي، ويؤكد قوله

أخيرا أن تتبع خيوط هذه الأقوام يمتد إلى حلقة ما قبل التاريخ بأدلة أثرية أي ينفي فكرة وجود قطعة حضارية بين العصور ما قبل تاريخية والعصور التاريخية في المنطقة.

6- رأي المؤرخ "أحمد سوسة":

بخلاف الآراء السابقة، فيرى هذا المؤرخ بأسبقية الساميين في صناعة أسس الحضارة في منطقة وادي الرافدين، ويبين صحة مرجعية فكرته من خلال مناقشة الأخطاء التي ميزت عمليات

(1)- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، شركة الوراق للنشر، بيروت، لبنان، 2009م، ص 80.

البحث الأثري وما صاحبها من تأويلات، حيث يقول: "...يتضح مما تقدم أن هذه الحقبة الحضارية التي تمثل حضارة العراق الأساسية وانتشرت في كل أنحاء الشرق الأدنى، وامتدت حوالي ثلاثة آلاف سنة فيما قبل التاريخ تواجدت في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي، كما تواجدت في العراق، لا يمكن أن تكون لها غير هويتها السامية التي ثبت وجودها قبل السومريين وقبل عصر فجر السلالات، وقد دارت ولا تزال تدور حول هذه الحقبة الحضارية آراء متضاربة، بحيث أصبحت تؤلف مشكلة عويصة أشبه بعملية رياضية يصعب حلها⁽¹⁾، وهي لا تزال من القضايا المستعصية التي لم تستطع حلها الدراسات اللغوية والأثرية، وكان سبب حدوث هذه المشكلة أن أكثر الباحثين الأجانب كانوا ولا يزالون ينفردون في البحث في تاريخنا القديم، وهم الذين ابتدعوا نظرية تاريخية لا تستند إلى واقع تاريخي، فضلا عن أنها تجانب المنطق والعقل السليم.

ويلاحظ أن هذه النظرية تجعل الحضارات التي ازدهرت في جنوب العراق خلال فترة ما قبل التاريخ تعود كلها إلى السومريين، في حين أنهم يعلمون حق العلم بأن هذه الحضارات لا يمكن أن تكون إلا سامية الأصل وهي حضارة العراق الأساسية التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، وقد أسسها الساميون عندما أسسوا مستوطناتهم الزراعية في جنوب العراق، أما السومريون فقد ظهوروا في ما بعد التاريخ أي أنهم ظهوروا في عصر فجر السلالات ما بعد زمن الحضارات المذكورة بعشرات القرون، ورغم ذلك اعتبروا هذه الحقبة الحضارية سومرية قبل ظهور السومريين على مسرح الأحداث وتقبل الناس ذلك دون تمحيص⁽²⁾.



(1) - أحمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، دار الرشيد للنشر، بيروت، لبنان، 1980م، ص ص 17، 18.

(2) - نفسه، ص 18.

7- رأي المؤرخ "فوزي رشيد":

يبرز هذا المؤرخ رأيه من خلال نسبة الأصل الحضاري للحضارة الرافدية إلى العنصر السومري، حيث يقول ضمن هذا الإطار: "إن أقدم الأقوام التي سكنت أرض الرافدين وورد ذكرها في الكتابات القديمة هم السومريون، وما يخص حقيقة وأصل هذا الشعب فإن عددا من الباحثين يعتقدون بأنهم ليسوا من سكان العراق الأصليين، وإنما هاجروا إليه من منطقة غير معروفة في الوقت الحاضر، إلا أننا نعتقد بأنهم من سكان الأقسام الشمالية من العراق جاءوا إلى القسم الجنوبي منه على شكل جماعات مهاجرة وذلك بسبب تزايد السكان الذي حدث في الأقسام الشمالية أثناء حضارتي سامراء وحلف والذي أصبح لا يتناسب وكمية المواد الغذائية التي تنتجها المنطقة فأدى هذا التزايد إلى هجرة الفائض، وبعد كل هجرة يبدأ من جديد تزايد عدد السكان حتى يؤدي إلى هجرة أخرى، وكانت كل جماعة مهاجرة تسكن في منطقة معينة من القسم الجنوبي، والمناطق التي سكنتها هذه الجماعات المهاجرة نمت وتطورت وكونت دويلات في المدن السومرية المعروفة، وبسبب كون مجيء السومريين إلى القسم الجنوبي من العراق قد حدث في فترة سبقت ظهور الكتابة فإن إثبات ما ذكرناه بشكل قاطع أمر غير ممكن"⁽¹⁾.

8- رأي المؤرخ "رشيد الناضوري":

يقترح هذا المؤرخ رأيا مخالفا لآراء سابقه، حيث يرى أن كل من العناصر السومرية والسامية أنها عناصر وافدة وغير أصلية في منطقة بلاد ما بين النهرين، ويقول ضمن هذا الموضوع: "...وقد سبقت الإشارة إلى أن العناصر السومرية والعناصر السامية قد دخلت العراق القديم خلال عصور ما قبل الأسرات وعاشت سويا ولكن الزعامة كانت للعناصر السومرية، ولكن العناصر السامية كانت تحاول انتهاز فرصة ضعف بعض الملوك السومريين في بعض المدن السومرية وتحاول إحلال نفسها مكان العناصر السومرية، وقد ظهر هذا التدخل السامي بصفة خاصة في أسرة أكشاك وأسرة كيش الرابعة، وقد وصل التنافس على الزعامة السياسية بين السومريين والساميين حده قرب نهاية عصر فجر السلالات السومرية، ونجح الساميون في انتزاع الزعامة السياسية والحربية من السومريين

(1)- فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 25.

وبذلك بدأ عهد الانتصار السامي الأول وهو عهد الدولة الأكديّة وقد استمر ذلك إلى حوالي 2360 أو 2550 إلى حوالي 2180 ق.م⁽¹⁾.

من خلال تحليل هذا المؤرخ لبعض الوقائع القديمة، فهو يشير إلى مضمون عدة استنتاجات عميقة المعنى، وفي طليعتها اعتبار كلا العنصرين السومري والسامي أجنبيا عن المنطقة وأنها تأصلا هناك عبر هجرات خارجية متواصلة، وخلافا لآراء سابقة فهو لا يشير إلى وجود أعراق أخرى قد سكنت المنطقة باستثناء هذين الجنسين، ويشير في مقام آخر إلى كون السمة الغالبة على العنصرين هو "التعايش السلمي"⁽²⁾ بالخصوص خلال فترات القديمة، ثم ما لبث أن ظهرت المنافسة السياسية بينهما لتثبيت مواطن الزعامة لأحد العرقين، لكن المؤرخ في نفس الوقت ينفي وجود صدامات عسكرية وحروب بين الطرفين وذلك بناء على ما تم العثور عليه من مواد أثرية ونصوص مكتوبة، وأن ما أشار إليه المؤرخ هو وجود منافسة شريفة أدت بالضرورة الميدانية إلى خلق مبدأ التداول على السلطة.

9- رأي المؤرخ "خزعل الماجدي":

يشارك هذا المؤرخ آراء سابقه من خلال الأخذ بمبدأ أن الحضارة السومرية هي أساس قيام المدنية الرافدية، ومع اقراره وجود عناصر غير معروفة سبقت السومريين في سكنى المنطقة، حيث يقول: "لقد كانت المعجزة السومرية لحظة نوعية لكل منجزات الإنسان منذ العصور الحجرية، وخصوصا ذلك التسارع الحضاري الذي بدأ باكتشاف الزراعة خلال الألف التاسع أو الثامن قبل الميلاد... ثم انفجر نوعيا في سومر عند اختراع الكتابة في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وانفتحت معه آفاق عظيمة كانت أساس كل الحضارات بعد سومر، لقد ساهم قبل سومر في إنضاج

(1)-رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص 59.

(2)- يرى المؤرخان "ك. ماتيف" و"أ. سارونوف" انعدام وجود تعايش سلمي بين الطرفين السومري والسامي، حيث يظهر هذا في قولهما: "لم يكن السلام موجودا بين السومريين والساميين أبدا، فكانوا يتحاربون دائما من أجل السيطرة على بلاد ما بين النهرين، وتدل حروب الملك السامي سرجون الأول والذي بدأ حربه أولا ضد مملكة كيش شمالي مدينة سومر التي دمرها وأصبح عمليا حاكما لشمالي ما بين النهرين، وفيما بعد استولى على مجمل بلاد سومر. ينظر: ك. ماتيف و"أ. سارونوف، المرجع السابق، ص 09.

هذه المعجزة أقوام كثيرون نجهل أسماءهم الحقيقية، ولكنهم كانوا يعملون بدأب في منطقة أطلق عليها أرنولد توينبي اسم (الأويكومين)⁽¹⁾.

من خلال رأي هذا المؤرخ نلاحظ أنه يشير إلى أن صناع الحضارة الرافدية هم السومريون، ويطلق على منجزهم الحضاري مصطلح "المعجزة"، لكن من جهة أخرى يقر بأن أقوام مجهولة الاسم قد ساعدت السومريين في بنائهم للصرح الحضاري والذي لا يمكن اعتباره معجزة كونه كان نتيجة عمل متواصل وعبر أجيال امتدت جذورها إلى فترات ما قبل التاريخ.

10- رأي المؤرخين "محمد حرب فرزات" و"عيد مرعي":

يشارك هذين المؤرخين رأي المؤرخ "عبد الوهاب حميد رشيد" وفيما ذهب إليه بخصوص اعتبار اللغة المعيار الأقرب في تصنيف الشعوب التي سكنت منطقة بلاد الرافدين القديمة، حيث يقول في هذا الصدد: "...لم يكن لهذه الشعوب (أي التي سكنت المنطقة) وهي في مرحلة البداوة لغات مكتوبة ووثائق مسجلة، ولكنها بعد استقرارها واندماجها في الحياة المدنية كانت تصنع لنفسها لغة للإدارة والثقافة، وهذه اللغات هي الدليل الواضح على هوية هذه الشعوب والمجتمعات وعلى الرابطة التي كانت قائمة فيما بينها، ويمكن بين الشعوب التي مرت بتاريخ بلاد الرافدين القديم تمييز الشعوب التالية وهي: السومريون والذين كانت لغتهم السومرية، والساميون الذين كانت لغتهم إحدى اللغات السامية والآريون الذين كانت لغتهم إحدى اللغات الآرية⁽²⁾.

نلاحظ من خلال ما تقدم لنا من معلومات إقرار المؤرخين أن اللغة هي المعيار الوحيد لتصنيف المجموعات الإثنية التي سكنت المنطقة، لكننا نلاحظ في نفس الوقت أن الدراسات اللغوية المكثفة القديمة والحديثة على حد سواء قد أقرت وبالفعل بفسلها في معرفة أصول السومريين بناءاً على الجانب اللغوي، كما يشير المؤرخ كذلك أن المجموعات الأساسية في المنطقة وهم السومريون والأكديون قد أتوا نتيجة هجرات خارجية والذي يعني مبدئياً أن صياغة مبادئ المدنية كانت نتيجة لتحركات بشرية أجنبية ودون أن تكون نتيجة لعملية تطور داخلية صاغتها مجموعات بشرية ترجع أصولها لفترة ما قبل التاريخ، وهي الحقيقة التي تحاول الدراسات المحلية إثباته.

(1)- خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 12.

(2)- محمد حرب فرزات وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 52.

11- رأي المؤرخ "عبد الوهاب حميد رشيد":

يرى هذا المؤرخ تقريبا بنفس رأي سابقه "جورج رو" حيث يؤكد أن النسق الحضاري لمنطقة بلاد الرافدين صاغته ثلاثة عناصر رئيسية، ويقول في مجمل حديثه: "اتصفت الحضارة السومرية منذ بداية نشأتها بثلاث سمات رئيسية: التعددية اللغوية- العرقية، التعددية السياسية (دول المدن)، الصراعات التناحرية، فمنذ بدء هذه الحضارة في مطلع الألف الثالث ق.م تميزت بازدواجية اللغة، وباستثناء الفراتيين الأوائل الذين لم تعرف لغتهم، كانت اللغتان الرئيسيتان في التدوين والكتابة: اللغة السومرية واللغة الأكديّة، وهذه التعددية مثلت خاصية رئيسية لحضارة وادي الرافدين على مدى كافة مراحلها باعتبارها البوتقة التي صهرت مختلف الأقوام التي دخلت البلاد، والمعروف أن السلام الاجتماعي ساد الحياة المشتركة بين أهل سومر وأكد"⁽¹⁾.

في إطار نقد هذا المؤرخ، فنلاحظ أنه يشير إلى وجود سمة الصراعات التناحرية بين دويلات المدن السومرية، فكيف يعود فيما بعد ليؤكد وجود سلام اجتماعي بين السومريين والأكديين، فحسب اعتقادنا أنه ليس من المنطقي أن يكون أبناء الجنس الواحد من السومريين في صراع محتدم في حين تجمعهم علاقة سلام مع مجموعة مختلفة عنهم في الجنس وتشاركهم في التوسع ضمن منطقة وادي الرافدين، في حين أنه تجاهل علاقة هاتين المجموعتين مع الفراتيين الأوائل الذين يمكن أن يكون انحدارهم المباشر منسوباً إلى فترة ما قبل التاريخ في المنطقة.

ب-2 آراء المؤرخين والآثاريين العرب والعراقيين المستحدثين:

1- رأي المؤرخ "عزمي سكر":

يظهر لنا رأي هذا المؤرخ حول أصل السومريين كونه قد استعرض النظريات السابقة الذكر حول أصولهم، والتي هي في نهايتها ليست على حد قوله سوى تحصيل حاصل، كما أنه يبين صعوبة الوصول إلى أصلهم في ظل المعطيات الأثرية الشحيحة والتي لا تزال محدودة، حيث يبين لنا خلاصة رأيه في قوله: "...ويبقى علينا أن ننتظر وفرا من الاكتشافات الأثرية والبحوث التاريخية المعقودة حولها لنميط اللثام عن الماضي، وتستتير الحقيقة بالوجه اليقيني، فنجيب عن أسئلة تساورنا ونحن بصدد النظر في موضوع السومريين، وأخصها بالذكر، مسألة انطلاق الحضارة الباهرة الأصلية

(1)- عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص ص 47، 48.

التي بزغت شمسها على يد السومريين، وجوهر تلك العوامل الهائلة التي سمت بالسكان إلى ذلك المستوى الإعجازي الرائع⁽¹⁾.

يمكننا أن نستنتج من قول هذا المؤرخ أن ما وصلت إليه جهود كل الباحثين لم تغد بشكل كبير في موضوع التقصي عن أصول السومريين، وأن كل ما افترض يبقى بعيدا نوعا ما عن الحقيقة في قوله "وتستتير الحقيقة"، لذا فالمعطيات عنده تبقى حبيسة اللقى الأثرية التي تكون حسب منظوره غير كافية لإيجاد أصل منطلق الحضارة الرافدية، وبالتالي إيجاد حل منطقي لمسألة الأصل السومري.

2- رأي المؤرخ "عمر جاسم العزاوي":

بخصوص البحوث الأثرية التي قام بها الأجانب وفي مقدمتهم "بترو ديلافالي Pietro della valle" في العراق، فقد تعامل مع الآثار مباشرة واهتم بوصفها، إلا أن هذا التعامل لم يكن ينم عن اهتمام آثاري بحت بل هو مجرد اهتمام ثقافي لرحالة يجمع ويصف كل ما هو غريب أو نادر أو ذو قيمة مادية أو فنية أو فكرية بحسب رؤيته آنذاك، إذ يمكن أن نلتمس ذلك في ما تقدم من مذكرات هذا الرحالة حيث يرد في كتاباته واصفا تعامله مع آثار بابل على النحو الآتي: "...إن المواد المستعملة في البناء هي أغرب ما في المكان، لقد فحصتها جيدا وضربت المعول في أكثر من مكان فكسرت بعض القطع، فإذا بكل ما أمامي آجر كبير".

ففي الوقت الذي يصف فيه هذا الرحالة أحد المباني الأثرية ومواد بنائه إلا أنه يصف ضمنا مدى تعامله السلبي مع هذه القيمة الحضارية العائدة لبلد غابت عنه القوانين الرادعة لمثل هذه الأعمال وقتذاك⁽²⁾.

وإذا ما اعتقدنا مسوغين أنه في مدة القرن السابع عشر لم يكن هنا علم آثار ليحدد الكيفية التي يتم على أساسها التعامل مع الآثار، إلا أن الرحالة الإيطالي نفسه يذكر مكمل حديثه عن هذا البناء: "...وقد طاب لي أخذ نماذج من مختلف أنواع الآجر والحصران والقار ليطلع عليها الآثاريون وسأحملها معي إلى إيطاليا"، فمن خلال هذه الكلمات يتضح أن هذا الرحالة يعلم بوجود مختصين

(1)-عزمي سكر، المرجع السابق، ص 32.

(2)-عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص 20.

أو مهتمين بالآثار في ذلك الوقت، أي أن هناك على الأقل شبه تعامل علمي وأكاديمي معروف وواجب عند التعامل مع الآثار، ناهيك عن إقراره بأخذ بعض العينات من الآثار ونقلها إلى خارج موطنها الأصلي من دون أية عوائق وعن طيب خاطر، فإن مثل هذه الأعمال كانت إحدى الأسباب التي مهدت الطريق للرحالة والمهتمين بالتحقيق عن الكيفية التي يتم بها النقل والتعامل مع الآثار والتي أثرت في رحالة آخرين بحثاً عن الآثار خلال الثامن عشر التاسع عشر الميلاديين على إثر قراءة كتب من سبقهم من الرحالة، كذلك تبين هذه الأعمال بأن ليس كل من زار مواقع الآثار هو مهتم ومفسر جيد لتاريخها وقيمتها وماهيتها وإن نجح بطريقة وصفها التي هي أيضاً تعتمد على المشاهدة والتحليل والرأي الشخصي للرحالة نفسه⁽¹⁾.

يؤكد هذا المؤرخ على وجود نوع من الحس والتعامل العلمي مع البقايا الأثرية من طرف الباحثين الأجانب، وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على الاهتمام ولو بشكل بسيط بقيمة تلك اللقى، لكنه في مواضع أخرى يؤكد على أن هذه الطرق المتبعة نتج عنها ظاهرة نقل المعالم الحضارية من أماكنها الأصلية وهو الأمر الذي يجعلها نوعاً ما فارغة من محتواها العلمي.

3- رأي المؤرخ "محمود عباد محمد الجبوري":

يرى بأن أولى الحفائر الأثرية غير النظامية والتي أجراها المبعوث البابوي "جوزيف بوتام" في مدينة "بابل" والتي نشر نتائجها في مجلة العلماء الفرنسيين ساعدت على التنافس الاستعماري البريطاني - الفرنسي للسيطرة على العراق بصفته يمثل ممراً في الطريق إلى الهند، والجدير بالذكر أن الباحث "كلوديوس جيمس ريج"⁽²⁾ المقيم البريطاني الأول في بغداد أول من بدأ بحملة البحث والتحري عن آثار العراق القديمة وخاصة الألواح المسمارية، علاوة على تشجيعه القيام بعمليات

(1) - عمر جاسم العزاوي، المرجع السابق، ص ص 20، 21.

(2) - ولد المنقب كلوديوس جيمس ريج في فرنسا من أبوين انجليزيين سنة 1787م، ومنذ صغره كان مولعاً باللغات الشرقية وقد أتقن العربية والفارسي والعبرية والآرامية وهو يبلغ من العمر تسع سنوات، كما حاول قراءة اللغة الصينية والهيروغليفية وهو في سن الرابعة عشر، وفي عام 1803م، وهو في عمر السادسة عشر عين في شركة الهند الشرقية التي كانت تابعة للحكومة البريطانية. ينظر: نفسه، ص 28.

نهب الحضارة العراقية واستقباله الرحالة الوافدين إلى البلد مثل: "بكنكهام وبرتر" وغيرهم بشكل فعلي، وكانت لنتائج أعماله في العراق صدا واسعا في بريطانيا⁽¹⁾.

من خلال رأي هذا المؤرخ، نلاحظ اعتماده بالدرجة الأولى على مفهوم الانتقاد اللاذع لعمليات التنقيب الأجنبية، لكن في المقابل ينفي نهائيا وجوب آثار إيجابية لعمليات التنقيب الأجنبية، وهذا حسب رأينا خاضع لمبدأ الإيديولوجية.

بعد التطرق إلى العناصر الرئيسية في هذا الفصل، تمكنا من الخروج بعدة استنتاجات، والتمثلة في:

1. وجود نتائج مختلفة بين الدراسات النظرية ونظيرتها التطبيقية وهذا راجع لعدة أسباب، تأتي في مقدمتها نقص المادة العلمية والوثائق المكتوبة والتي يكمن دورها في حل بعض المشكلات والمسائل العالقة في تاريخ منطقة بلاد الرافدين القديمة، حيث أن اللقى الأثرية المحصل عليها تعتبر منقوصة المعنى والهدف في ظل عدم استكمال الحفريات، وبالتالي تكون الخريطة الأثرية غير مكتملة في مضمونها المتعلق بالتسلسل التاريخي للحضارات التي قامت في المنطقة.
2. تأكيد الدراسات التطبيقية ولو بشكل جزئي مطابقة بعض اللقى الأثرية التي حلت محتواها مخابر البحث الأثري مع ما أشير إليه ضمن الدراسات النظرية، وبالخصوص المتعلقة بالألواح الطينية ومضامينها، حيث أدت اجتهادات اللغويين في تفسير محتواها إلى بناء رصيد حضاري وعلمي كبيرين يتعلقان بتاريخ المنطقة، كما بينت هذه الدراسات صحة النظريات التي أثبتت أسبقية الحضارة الرافدية في صياغة مبادئ الكثير من العلوم العقلية والنقلية والكثير من الأسس الإنسانية كالديموقراطية ومبادئ التشريع.

3. مساهمة التنقيبات الأولية في إبراز المراحل الحضارية التي مرت بها المنطقة، ولكن من الأمور التي أدت إلى وجود انتقادات لاذعة ضد هذه التنقيبات الأولية هو اعتماده على وسائل بدائية أدت في الكثير من الأحيان إلى الإضرار بمحتوى اللقى الأثرية، إلى جانب ذلك المنافسة الغير نزيهة بين الدول الأوروبية والتي أدت في نهاية الأمر إلى نقل موروثة حضارية ذات قيمة

(1)-محمود عباد محمد الجبوري، المرجع السابق، ص 01.

إنسانية كبيرة إلى أمهات المتاحف الأجنبية، وبالتالي تكون مهمة ترتيب التسلسل التاريخي لتلك الحضارات أمراً عسيراً لم تفك خيوطه المتشابكة إلى غاية اليوم ومن بينها المسألة محل الدراسة أي (المسألة السومرية).

4. عرفت الدراسات الحديثة المتعلقة بالبحث حول الأصول الأولى لهذه الحضارة البكر نوعاً من الركود والتراجع اعتباراً من نهاية القرن العشرين، وهذا الأمر كان كنتيجة حتمية للظروف السياسية التي مر بها العراق كحرب الخليج وما أسفرت عنه كذلك عمليات التدخل الأجنبي في المنطقة كالتدخلات الأمريكية التي نقلت الكثير من المعالم الحضارية إلى مراكز بحثها، وهي تعد نكبة حضارية بالنسبة للباحثين المحليين العراقيين، كما يمكننا أن نضيف إلى ذلك تدمير العديد من الآثار المنقب عليها حديثاً وحتى الأقدم زمنياً من طرف المجموعات الخاصة بالدولة الإسلامية وهو الأمر الذي أضر بدرجة كبيرة بالأبحاث الحديثة، لكن ورغم ذلك فإن هذه العوائق لم تكبح مجهودات الكثير من الباحثين من أبناء المنطقة الذين نشروا الكثير من البحوث والنتائج الخاصة بتاريخ منطقتهم وضمن عدة مجالات مساعدة لعلم الآثار وصولاً إلى تكوين برامج تقنية رقمية أذكت بدرجة كبيرة الدراسات السومرية.

5. بخصوص مسألة التأصيل الحضاري وانطلاق الحضارة نجد مجموعة من النقاط التي تتفق عليها الدراسات الأجنبية والمحلية، ومن بينها الفكرة التي تعتبر السومريين العنصر الفاعل والمؤثر في تاريخ المنطقة رغم أن هذه الآراء لا تفند مشاركة أقوام أخرى في صناعة تاريخ المنطقة، بينما تتفق آراء أخرى على أسبقية الساميين في بناء الحضارة الرافدية، حيث يؤكد مؤرخون محليون وأجانب وجود معاداة للمساهمة السامية-العربية في تشكيل معايير المدنية، بينما تقر العديد من الآراء من الجانبين أن الحضارة الرافدية ما هي إلى بوتقة حضارية كونتها العديد من الشعوب الأصلية والمهاجرة والتي تفاعلت وانصهرت عبر عدة مراحل تاريخية وكونت بعد أجيال حضارة محلية متعددة الأنساق.

خاتمة

تعود الفكرة التي انبثقت منها هذه الدراسة إلى طبيعة المعلومات التاريخية والأثرية الواردة ضمن المصادر والتقارير الميدانية (بشكل أكبر)، وكان هدف هذا الانبعاث هو فك الكثير التعقيد حول تاريخ منطقة بلاد الرافدين وإمارة اللثام عن بعض الحقائق المتعلقة بتاريخ المنطقة وبالأخص "تاريخ الحضارة السومرية"، ولعل أبرز الصفات الأساسية التي من خلالها أدرجنا محتوى هذا البحث هو محاولة منا لتقريب وجهات النظر أو النظريات والدراسات الميدانية المتعلقة بمشكلة "التأصيل الحضاري وأصول السومريين"، وعلى الأقل بتقريب هذه الآراء النظرية والتطبيقية، توصلنا في الأخير إلى صياغة جملة من النتائج المتحصل عليها من هذه الدراسة، وهي كالآتي:

1. احتلت بلاد الرافدين موقعا جغرافيا استراتيجيا مهما ضمن ما يعرف بمنطقة "الهلال الخصيب"، وبالأخص احتواؤها على النهرين التوأمين، الأمر الذي جعلها منطقة جذب وبوتقة حضارية انصهرت فيها العديد من الشعوب القديمة الأصلية كالسومريين ومنها والوافدة كالساميين، ونتيجة للرقى الحضاري الذي أفرزته المنطقة، فقد افترض الباحثون الأجانب "قضية مصيرية" لتأويل نقطة الانطلاق الحضاري وخلق "مشكلة بحثية" حول قضية "التأصيل الفعلي" لمواطن الحضارة الأولى.

2. تبين لنا وللغير من الباحثين في مشكل "الأصول السومرية" وجود "فجوات حضارية" و"حلقات مفقودة" أو منقوصة في تاريخ المنطقة، وبالأخص خلال الفترات الانتقالية التي تفصل ما بين العصور السحيقة (عصر البطولات والأساطير) مع فترات ما قبل التاريخ، وبين هذه الأخيرة ونظيرتها، أي العصور التاريخية.

3. وجود بعض الظروف الطبيعية والملائمة والتي ساعدت على قيام حضارة مبكرة ممثلة بالسومريين على غرار وجود النهرين ووفرة مصادر المياه وتوفر الطبقات الغرينية الخصبة لم تكن إيجابية دائما، بل خلقت الكثير من المشاكل الإقليمية الداخلية كالحروب القائمة على أساس التحكم في المياه، تأخر المنطقة الجنوبية في التشكل الحضاري عن نظيرتها الشمالية وما خلفته الطوفانات المتكررة على نفسية الفرد الرافدي وبالأخص السومري. (لذا لا يفهم أن الفرد الرافدي قد صنع الحضارة بأريحية بل حاول تكوين شروطها من العدم).

4. وجود "جدلية مصطنعة" حول طبيعة الأسبقية البشرية" إلى المنطقة وطبيعة الفرد الحقيقي المكون لها، في حين كان من الواجب التقصي عن طبيعة "المعايير الحضارية" المصاغة ومدى تأثيرها الإقليمي والعالمي خلال تلك الفترة الممثلة بالعالم القديم، وأبعادها الإيجابية على العالم المعاصر.

5. التفتح الجغرافي والحضاري للمنطقة على بقية المناطق المحاذية لها وحتى البعيدة عنها، بدليل أن الكثير من العناصر الأجنبية قد دخلت المنطقة وتعايشت وتفاعلت بشكل إيجابي مع ساكنيها الأصليين، وهذا الأمر قد أنتج حضارة متعددة الفروع، عكس ما تلمح إليه الكثير من الدراسات بوجود "صراعات حضارية متواصلة" على طول فترات التاريخ الرافدي، حيث بينت الكثير من النصوص المترجمة أن "التعايش" كان السمة الغالبة على تاريخ المنطقة بالخصوص خلال الفترات الأولى من "فجر المدنية" (مع استثناء بعض فترات الصراعات التي أنتجتها المصلحة النفعية بالدرجة الأولى).

6. صعوبة تفسير محتوى العديد من الألواح المترجمة والحكم على مصداقيتها، باعتبار أن أغليبتها تمت ترجمتها من طرف باحثين أجانب، ولا يخف ما لهذا الأمر من رهن لمصادقية هذه المادة الأثرية، وهو الأمر الذي يأخذ بالحسبان عند العودة إلى الألواح المتضمنة ل بدايات الحضارة وروادها.

7. اختلاف التفسير المتعلقة بتسمية "سومر" يخلق في حد ذاته مشكلة مستعصية، كون أن هذه التسمية أعطيت أبعادا غير واضحة المصدر، وهو الأمر الذي يرهن بدوره البحث حول أصل هذا العرق البشري، ولربما لم يكن الأمر بمحض صدفة كما يرى للوهلة الأولى، بل هو أمر مقصود الغاية ومبرر بالوسيلة، أي الغرض منه بقاء مسألة الأصول مفتوحة وبدون حل.

8. باعتبار السومريين العنصر الأكثر ورودا ضمن المصادر الأثرية كعنصر فاعل ومؤثر في تاريخ المنطقة، وانطلاقا من دورهم الخطير والحساس في آن واحد، فقد حاول الباحثون والمختصون التقصي عن أصولهم الحقيقية، حيث برروا آراءهم بأنه بالرغم من كون السومريين "صناع حضارة" ومتفوقين معرفيا إلا أنهم لم يذكروا أصولهم (وهذا حسبهم أمر مريب وليس منطقي)، ولكن حسب

ما نراه نحن كوجهة نظر شخصية وما أشارت إليه العديد من الدراسات المحلية المدعمة أنهم لا يحتاجون تبيان أصولهم التي ينتمون إليها كونهم أصليين في المنطقة (فكرة جد منطقية)، وهذا الأمر دافع قوي لتبيان أنهم محليين ولم يأتوا من مناطق أخرى مثلما هو مطروح للنقاش على الساحة العلمية.

9. وضعت الكثير من النظريات والطروحات حول أصل السومريين، حيث حاولت كل هذه النظريات أن تتسبب هذا العنصر إليها نظرا لما أنتجه على الصعيد الحضاري، لكنها تشترك كلها في ضعف الحجج والبراهين التي تقدمها في سبيل تثبيت آرائها، فقد اعتمدت جميعا على أدلة سطحية متغيرة الوسيلة والمعنى والهدف، حيث فسرت بطرق عديدة ومتنوعة، ولكون هذه النظريات ينتمي أصحابها لمذاهب عدة تختلف طرق بحثها، وهو الأمر الذي زاد من صعوبة الفصل في هذه المسألة أكثر بدل أن يقدم لها الخيارات اللازمة لحلها.

10. اعتمدت النظريات الخاصة بالبحث حول الأصول على ما خلصت إليه الدراسات التاريخية، الأثرية، اللغوية وحتى الأنثروبولوجية، وباعتبار أن هذه الأخيرة اختلفت نتائجها في الكثير من النقاط المصيرية المتعلقة بإيجاد حل لهذه المسألة المستعصية، فمنطقيا وأخذا بهذه الحجة ستكون الركائز التي اعتمدت عليها هذه النظريات غير ركيزة ومحل الشك العلمي.

11. بفضل عمليات التنقيب الأثري التي أجرتها البعثات العلمية الأجنبية في بلاد الرافدين (عمليات تنقيب قديمة)، ورغم محدودية وسائلها وبدائية طرقها، إلا مكنت من الكشف عن الكثير من المظاهر الحضارية التي تعود أسسها للإنسان الرافدي وعلى الأخص الفرد السومري، حيث أزيح الغبار عن كثير من المدن المدفونة والآثار المطمورة والتي تحمل في مكنوناتها تاريخا طويلا وحافلا بالإنجازات الحضارية، فلولا تلك المجهودات ل بقي تاريخ المنطقة حبيس الروايات الأدبية والدينية.

12. بروز عمليات التنقيب الحديثة التي تبناها العديد من الآثاريين العراقيين (المحليين) والتي حاولت ولا تزال تحاول لإثبات المرجعية المحلية للحضارة المحلية سومرية كانت أم سامية، فهدفها

ليس تبيان طبيعة صناع الحضارة فحسب بل إبراز التسلسل التاريخي للعصور المكونة لتاريخ المنطقة والتأكيد على وجود الاستمرارية بين العناصر المكونة لها.

13. تعتبر الجبانة الملكية لمدينة "أور" أعظم الكنوز التي عثر عليها الباحثين في المنطقة، وهي تسلط الضوء على جزء مهم من التاريخ السومري المبكر، ليس فقط من حيث قيمة المعثورات المادية، بل وكذلك من ناحية دلالاتها الرمزية والحضارية، والتي تعد مقدمة "العصر الأسرات السومرية المبكرة"، فالتدقيق في طبيعة اللقى الأثرية لهذه المقبرة الجماعية كان جزئياً ولفترات متقطعة وهو الأمر الذي شكل مانعا ظرفيا لاستقراء العديد من المعالم السومرية، وبالتالي النقص النوعي في تحليل محتواها.

14. بخصوص الدراسات الأنثروبولوجية والجينية، فالبرغم ما لهذا النوع من الدراسات العلمية التطبيقية من أهمية بالغة في الكشف عن أصل النوع البشري الصانع للحضارة الرافدية وذلك عن طريق تحليل البقايا العظمية، إلا أنه حقق نتائج جزئية وذلك من خلال الاعتراف بأن السومريين من ذوي الرؤوس المدورة عكس الساميين ذوي الرؤوس الطويلة، لكن هذا الاختبار لم يكن حاسماً دائماً باعتبار أن الكثير من الأجناس قد انصهرت وتزاوجت على مر فترات طويلة، وهذا الأمر يجعل إمكانية تحديد نوع الجماع السومرية بالتدقيق أمراً شبه مستحيل.

15. عملت "الدراسات الجينية" بالدرجة الأولى على محاولة البحث في أصل "الجينوم" السومري وتتبع مساره عبر مراحل تاريخية مختلفة، لكن هذه التجربة لم تلق الكثير من النجاح على الصعيد العلمي، ويعزو ذلك إلى طبيعة الاختلاط البشري في المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ، وانطلاقاً من هذا المبدأ فمحاولة الباحثين تخصيص الجينات السومرية بصفات معينة كان ولا يزال غير ممكن للتطبيق بشكل فعلي، زد إلى ذلك أن دراسة "الحمض النووي" للسومريين في بيئة كانت خاضعة لمبدأ التغير المستمر لم يحقق بدوره النتائج المنتظرة منه.

16. حاول الباحثون اللغويون تتبع أصل اللغة السومرية وذلك من خلال مقارنتها بالعديد من اللغات المعاصرة لها، السابقة وحتى اللاحقة، حيث شمل مجال مقارنتهم دراسة جميع تكوينات الحقل اللغوي الذي تشتمل عليه من جميع نواحيه، وانتهوا في الأخير من تجميع معلومات وفيرة عن

هذه اللغة التي صنفوها ضمن خانة انفرادية لاحتوائها على خصائص لم يجدها ضمن لغات أخرى، وانطلاقاً من هذه الخاصية خلصوا إلى فكرة مفادها أن العرق السومري فريد من نوعه قياساً على تفرد لغته الخاصة.

17. خلص العديد من المختصين في دراسة تاريخ بلاد الرافدين وبالأخص "تاريخ السومريين" إلى حقيقة مرئية، يتلخص محتواها في صعوبة المطابقة بين النظريات والدراسات التطبيقية للتحري عن أصلهم، ونستطيع أن نعلل هذا الرأي كون أن اللقى الأثرية المتعلقة بعصورهم منقوصة الكم (جزء منها تستحوذ عليه مؤسسات البحث الأجنبية، مع الأخذ بعين الاعتبار الآثار التي لا تزال مدفونة ضمن الطبقات السفلية والتي ربما وبلا شك تحمل بعض المفاتيح والإجابات المتعلقة بهذا النوع من المسائل العالقة في مجال البحث الأثري-الأكاديمي).

18. تجتمع بعض آراء النظريات التأصيلية مع معطيات الجانب الأثري في بعض المظاهر، حيث أكدت العديد من اللقى الأثرية وجود مدنية رافدية قديمة، صاغتها العديد من الشعوب المختلفة التي سكنت المنطقة، وذلك قياساً على بعض المظاهر الحضارية المثبتة نتائجها ميدانيا كاللغة.

19. اعتبرت الدراسات القديمة لتاريخ المنطقة وبالأخص فيما يتعلق بدراسة تاريخ العنصر المؤثر والفاعل فيها (السومريون) مجدية في بعض النواحي وفارغة من محتواها في بعض النواحي الأخرى، فمن حيث الجانب الإيجابي فتعد هذه الدراسات رغم بدائيتها هي الركيزة التي انطلقت منها العديد من البحوث الجادة والتي أخذت طابعا علميا غزير الإنتاج، وبالمقابل كانت المنهجية السلبية التي اتبعتها هذه التنقيبات حاجزا كونها أضاعت الكثير من المادة الأثرية المهمة، وقد ضاعت معها العديد من المعلومات التي يمكنها أن تعطي حلوًا لعدد كبير من المسائل الصعبة وعلى رأسها "مسألة التأصيل السومري".

20. أفضت الدراسات الحديثة المتعلقة بدراسة تاريخ السومريين على الخصوص إلى نتائج لم يتم الإشارة إليها فيما سبق، وهي التي تخص البحث عن الأدلة المحتملة للأصل المحلي لهذا العنصر، كما نضيف إلى ذلك الجهود العلمية التي تمخضت عن التكنولوجيا الدقيقة كتقنية "البعد الثلاثي 3D" والذكاء الاصطناعي و"التحديد الجيني"، وهي دراسات أتت بالكثير من المعلومات الجديدة

حول أصول السومريين، والتي من شأنها أن تكون منطلقاً لبحوث جدية متممة لها قد تأتينا يوماً ما بنتائج قطعية حول الأصول السومرية.

21. إن سعي المؤرخين العراقيين المحليين إلى إبراز الدور السلبي للعنصر الأجنبي كعنصر مخرب للآثار لا يدل سوى على الوعي الحقيقي لهذه الطبقة بالوزن الثقافي للحضارة السومرية، حيث أنهم وفي إطار انتقاداتهم للتنقيبات الأولية لبلدان كانت متنافسة سياسياً وحضارياً، لم ينكروا من جهة أخرى دور بعض المؤسسات الأجنبية في الكشف العلمي القانوني عن آثار بلادهم، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على تمتعهم بجانب موضوعي من خلال محاولتهم تقييم هذه البحوث المنشورة.

قائمة الملاحق

قائمة الملاحق:

- نحت يبرز الجيش الآشوري وهو يأسر الكلدانيين في منطقة الأهوار الجنوبية ص: 38.
- مجموعة من الرموز الدينية التي تؤكد أسبقية بلاد الرافدين في ابتكارها ص: 51.
- استخدام تقنية الري الاصطناعي للمزروعات في بلاد الرافدين القديمة ص: 60.
- ختم أسطواني يبين استعمال تقنية "الشادوف" (2200 ق.م) ص: 60.
- جنوب بلاد ما بين النهرين عام 3200 ق.م ص: 75.
- صيد الأسماك ضمن البيئة النهرية لبلاد الرافدين (عثر عليها في "أوروك") ص: 77.
- بلاد ما بين النهرين خلال الألفين الثالث والرابع ق.م ص: 79.
- جدول يمثل المدن الخمسة لفترة ما قبل الطوفان وأهم حكامها ص: 102.

- نحت بارز (بلاد الرافدين): مشهد بحري يمثل نقل الأخشاب إلى لبنان تفاصيل الباستر بارزة منخفضة من خورسباد خلال فترة حكم "سرجون الثاني" (710 ق.م) -متحف اللوفر بباريس ص: 112.
- صورة جدارية تمثل عين الخلد التي تسقي جنة عدن - قصر ماري ص: 114.
- مقتبسة من ملحمة الخليقة (تظهر من خلاله الأنهار الأربعة والغلال الوفيرة والقوة الربانية "أنكي" المسؤول والمدير عن الماء) ص: 115.
- الفخار الخاص بالخليج العربي (على اليمين) ونظيره الخاص ببلاد الرافدين، فخار جمدة نصر(على اليسار) ص: 121.
- إحدى الأختام التي عثر عليها في منطقة واد السند والتي تدل على النضج الحضاري المبكر ص: 125.
- إناء من الستاتيت مستورد من بلوخستان، يظهر فيه تمثال سومري وثعبان منقط وثور محدب الظهر وهو نوع حيواني غير معروف في بلاد الرافدين ص: 126.
- إحدى المعبودات في وادي السند (2000 ق.م) ص: 128.
- وادي السند والخليج العربي مع بيان مناطق الاتصال البحري ص: 130.
- ختم أسطواني متطور عثر عليه في سوزا ص: 133.
- مشهد من الكأس النذري لمدينة أوروك (الوركاء) ص: 138.
- جدول يبين التشابه اللغوي بين اللغة السومرية والكردية ص: 143.
- غرفة معبد في منطقة شاتال هويوك الأناضولية ص: 146.
- طبعة ختم أسطوانة مناولة من أوروك حوالي 3300-3000 ق.م- (تبين بيوت القصب التي بناها السومريون ضمن بيوتهم النهرية) ص: 151.

-بيئة الأهوار التي نشأ فيها المجتمع السومري القديم ونماذج من البيوت والحصران المستعملة
ص: 152.

-مخطط مقترح للأصل الرافدي الشمالي ولكيفية تشكل أجداد السومريين في جنوب بلاد الرافدين
ص: 157.

-نظريات أصل السومريين من خارج وادي الرافدين ص: 158.

-الملاحم الحالية لسود العراق (الأصل المحتمل للعنصر السومري) ص: 161.

-نحت نافر عثر عليه في مقبرة أو الجبانة الملكية في الموقع الأثري لمدينة "أور" ص: 171.

-تمثال أعيد بناؤه مجدداً في المتحف العراقي لمسكلا-دوك وهو يرتدي خوذته الاحتفالية التي
وجدت في قبره في "أور"، صنعت الخوذة من صفيحة واحدة من الذهب وثقبت من أجل تعليقها
ص: 173.

-إناءان ذهبيان واران من القبور الملكية في أور ص: 174.

-حلي سومرية من الذهب عثر عليها بمقبرة "أور" الملكية ص: 175.

-الملكة السومرية "شبعاد" صورة مأخوذة من نموذج المقبرة الملكية بأور ص: 175.

-منحوتة للملكة شبعاد وقد أخذ الصورة زوجة عالم الآثار السير ليونارد وولي، حيث تظهر
الملكة وهي بكامل زينتها وحليها الذهبي ص: 175.

- مخطط عام لمدينة "أور" الأثرية ص: 176.
- مقطع لمشهد حربي مأخوذ مما يسمى تاريخيا ب "راية أور" (راية الحرب والسلام) ص: 177.
- ملاح مختلفة للعناصر السومرية كما تظهره التماثيل ما يدل ربما على التنوع العرقي للجنس السومري ص: 180.
- تمثال نصفي لامرأة سومرية القرن 28 ق.م ص: 183.
- تمثال لأمير سومري من مدينة الوركاء ص: 183.
- تمثال لموظف سومري ص: 186.
- نحت لإناتوم الأول ملك لجش 2550 ق.م ص: 191.
- تماثيل لرجل وامرأة سومريين يظهر الملاح المورفولوجية ص: 193.
- بعض الملاح الجسمانية والألبسة المختلفة للمجتمع السومري ص: 195.
- اللباس العام للمرأة السومرية ويتمثل في لباس صوفي يمتد من أسفل الرقبة إلى القدمين (الألف الثالث ق.م) ص: 198.
- لباس خاص لامرأة من القصر الملكي ص: 198.
- المظهر العام للمرأة السومرية ضمن مجموعة مختلفة من الأزياء ص: 203.
- مختلف أنواع الحلاقات وتصفيف الشعر الخاص بالمرأة على الطريقة السومرية ص 203، 204.

- المظهر العام للرجل السومري ص 205، 206.
- مختلف أنواع الحلاقات وتصنيفات الشعر واللحية الخاصة بالرجل والمشكلة على الطريقة السومرية ص: 206.
- صورة تخيلية (أعيد تشكيلها) لواجهة بيت سومري ص: 209.
- أسلوب بناء القرميد المستوي ولقد استخدم حصرا خلال عصري السلالات الباكرة ص: 212.
- سرير ذات نهاية واحدة ص: 213.
- اللغة السومرية بالخط المسماري ص 214.
- صورة المنقب "إيميل بوتا" ص: 240.
- صورة المنقب "هرمز رسام" ص: 240.
- صورة المنقبين "والتر أندريه" و"روبرت كولدواي" ص: 248.
- صورة للأستاذ "طه باقر" في متحف بيركامون ببرلين أمام جزء من بوابة عشتار ص: 263.
- صورة الباحث الآثاري "أحمد سوسة" ص: 264.

السيد بلير خرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

1/ المصادر باللغة العربية:

1. العهد القديم.

2/ المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم رزقانة وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، مكتبة مصر، مصر، (د.ت.).

2. أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

3. أحمد أرحيم هبو، تاريخ الشرق القديم 2 (بلاد ما بين النهرين)، ط1، دار الحكمة اليمنية، صنعاء، اليمن، 1996م.

4. أحمد أرحيم هبو، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سورية وبلاد الرافدين، ط1، دار القلم العربي-دار الرفاعي، 2003م.

5. أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة، مصر، 2000م.

6. أحمد أمين سليم، تاريخ العراق القديم منذ أقدم العصور وحتى الغزو الإيراني 639 ق.م، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2012م.

7. أحمد أمين سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009م.

8. أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر-العراق-إيران)، دار النهضة العربية، مصر، 1989م.

9. أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق-إيران-آسيا الصغرى)، ج 05، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ت.).

10. أحمد تاج الدين، الأكراد تاريخ شعب وقضية وطن، ط1، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2001م.

11. أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، ط1، دار المستقبل، دمشق، 1991م.
12. أحمد داوود، تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحري، ط3، منشورات دار الصفدي، دمشق، 2004م.
13. أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، ج1، دار الحرية، بغداد، 1983م.
14. أحمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، دار الرشيد للنشر، بيروت، لبنان، 1980م.
15. أحمد شحلان، آداب الشرق القديم وتلاقح الحضارات (قراءة في كتاب حول رموز القرآن الكريم)، ط1، منشورات كلية العلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2005م.
16. أحمد محمد بن صراي، العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي شرقي آسيا من القرن 3 ق.م إلى القرن 7 ق.م، الجمعية التاريخية السعودية، الإمارات، 2006م.
17. أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، تر: نقولا زيادة، دار الأهلية، بيروت، 1988م.
18. أسامة عدنان يحي، وثائق من الشرق الأدنى القديم (القوائم الملكية والتاريخية في بلاد الرافدين)، آشور بانبيال للثقافة، العراق، 2019م.
19. أنستاس ماري الكرمل، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه إلى يومنا هذا، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2020م.
20. أنطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تع: توفيق سليمان، علي أبو عساف، قاسم الطوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، 1967م.
21. ايفا كانجيك وكير شباوم، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق إسماعيل، ط1، دار الزمان، دمشق، سوريا، 2008م.

22. برهان الدين دلو، حضارة مصر والعراق (التاريخ الاقتصادي-الاجتماعي-الثقافي والسياسي)، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1989م.
23. بهنام أبو صوف، التاريخ من باطن الأرض (آثار وحضارات وأعمال ميدانية)، مطابع شركة الأديب، الأردن، 2009م.
24. بهنام أبو صوف، قراءات في الآثار والحضارات القديمة، مر: الأب ألبير أبونا، دار نجم المشرق، بغداد، 2008م.
25. تقي الدباغ، مقدمة في علم الآثار، دار الجاحظ، العراق، 1981م.
26. توفيق سليمان، دراسات في حضارات غرب أسية منذ أقدم العصور إلى عام 1190 ق.م، ط1، دار دمشق، 1975م.
27. ثروت عكاشة، تاريخ الفن (الفن العراقي القديم سومر وبابل وأشور)، ج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.م)، (د.ت).
28. ج. هاوكس ول. وولي، أضواء على العصر الحجري الحديث (ثلاثة فصول مترجمة من كتاب: ما قبل التاريخ وبدايات المدنية)، تر: يسري عبد الرزاق الجوهري، دار المعارف، مصر، (د.ت).
29. جان بوتيرو، بلاد الرافدين (الكتابة-العقل-الآلهة)، تر: ألبير بونا، مر: وليد الجادر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1990م.
30. جرجيس جبرائيل هومي وعبد العزيز هام، القوميات العراقية ماضيها وحاضرها، مطبع الإرشاد، بغداد، 1959م.
31. جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1، دار المعارف، مصر، 1963م.
32. جورج كوسي، أعرق الحضارات، دار الفرقد، سوريا، 2006م.
33. جون كلود مارغرون، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية، تر: سالم سليمان العيسي، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1999م.

34. جيمس ميلارت، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، تر: محمد طلب، دار دمشق، ط1، سوريا، 2000م.
35. جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، تع: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو - مصرية، القاهرة، 1969م.
36. حسن الباش، الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي، دار الجليل، دمشق، ط1، 1988م.
37. حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب، ط2، دار الشامية، بيروت، 1990م.
38. حسن محمد محي الدين السعدي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق-إيران-آسيا الصغرى)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995م.
39. حسيب الياس حديد، دراسات في حضارة بلاد الرافدين، مر: حسن طه السنجاري وعامر الجميلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م.
40. حميد الشمري، سرقة حضارة الطين والحجر، (د.دن)، العراق، (د.ت).
41. خزل الماجدي، متون سومر (التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)، ط 01، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م.
42. ديكانوف ي.م وآخرون، تاريخ الشرق القديم (نشوء المجتمعات الطبقيّة القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية)، ط2، تر: محمد العلامي، مر: خلقي خنفر، دار الفكر، الأردن، 2014م.
43. ديلا بورت، بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والآشورية، تر: محرم كمال، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.
44. رالف لنتون، شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث، تر: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو - مصرية، (د.ت).

45. رشيد الناصوري، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية، جامعة الإسكندرية، مصر، 1958م.
46. رمضان عبده علي، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر، ج2، ط1، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2002م.
47. سباتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، تر: السيد بكر يعقوب، دار الرقي، بيروت، 1976م.
48. سعد صائب، دور سورية في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، ط1، دار طلاس، دمشق، 1994م.
49. سعيد إسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب، القاهرة، 1999م.
50. سلطان مطلق محمد صطام الدويش، المواقع الحضارية على الساحل الغربي للخليج العربي حتى القرن الثالث قبل الميلاد (دراسة أثرية مقارنة)، ط1، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 2015م.
51. سليم مطر، العراق سبعة آلاف عام من الحياة (تاريخ مختصر وشامل من العصر الحجري حتى الحديث)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2013م.
52. سليمان بن عبد الرحمن بن محمد الذيب، الكتابة في الشرق الأدنى القديم من الرمز إلى الأبجدية، جامعة الملك سعود، الرياض، 2006م.
53. سليمان سعدون البدر، مكانة الخليج العربي في حضارة الشرق الأدنى القديم، الجمعية الجغرافية الكويتية، 1980م.
54. سهيل قاشا، الحكمة السومرية في العراق القديم، ط1، دار بيسان، بيروت، لبنان، 2001م.
55. سهيل قاشا، تاريخ الفكر في العراق القديم، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، لبنان، (د.ت.).

56. سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، تر: محمد طلب، ط1، دار دمشق، سورية، 1992.
57. سيد مظفر الدين نظفي، التاريخ الجغرافي للقرآن، تر: عبد الشافي غنيم عبد القادر، مر: حسن محمد جوهر، إدارة الثقافة العامة، مصر، 1956م.
58. شيماء علي أحمد، الأقمشة في ضوء المنحوتات الأثرية النصوص المسمارية في العصر الآشوري الحديث، قسم الدراسات المسمارية، العراق، (د.ت).
59. صباح محسن كاظم، العلامة التراثية في الأزياء السومرية (رموز وخبايا)، (د.د.ن)، العراق، (د.ت).
60. صبحي الشاروني، فن النحت في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين دراسة مقارنة، ط01، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1993م.
61. صلاح رشيد الصالحي، بلاد الرافدين دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، ج1، ط1، الشؤون الثقافية العامة، العراق، 2017م.
62. صلوات كولياموف، آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، تر: إسماعيل حصاف، ط1، مطبعة روزنه لات، 2011م.
63. صمويل نوح كريم وآخرون، أساطير العالم القديم، تر: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974م.
64. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، دار الوراق، لبنان، 2009م.
65. عارف أحمد إسماعيل المخلافي، دراسات في تاريخ الشرق القديم (العراق وبلاد الشام)، ط1، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن، 2002م.
66. عارف أحمد إسماعيل، العلاقات بين العراق وشبه الجزيرة العربية (منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد)، ط1، مركز عبادي للدراسات والنشر، اليمن، 1998م.
67. عاصم محمد رزق، علم الآثار بين النظرية والتطبيق، مكتبة مدبولي، (د.م)، (د.ت).

68. عامر حنا فتوح، الكلدانيون/ الكلدان منذ بدء الزمان بحث في الهوية الكلدانية/ الكلدانية، ط2، (د.د.)، الولايات المتحدة الأمريكية، 2007م.
69. عامر سليمان، اللغة الأكديّة البابليّة- الآشورية، دار ابن الأثير، العراق، 2005م.
70. عامر عبد الله الجميلي، المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، دار دھوك، العراق، 2011م.
71. عباس علي الحسيني، مملكة إيسن بين الإرث السومري والسيادة الآمورية (دراسة)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2004م.
72. عباس فاضل السعدي، العراق وبلاد الرافدين والسكان الأوائل: دراسة في التاريخ والجغرافيا، جامعة بغداد، (د.د.)، (د.ت.).
73. عبد الحميد زايد، الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت.).
74. عبد الحميد فاضل البياتي، تاريخ الفن العراقي القديم، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل، (د.ت.).
75. عبد الرزاق الحسني، العراق قديما وحديثا، ط3، مطبعة العرفان، لبنان، (د.ت.).
76. عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، 2012م.
77. عبد الله الحلو، صراع الممالك في التاريخ السوري القديم ما بين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية، ط1، دار بيسان، لبنان، 1999م.
78. عبد المنعم المحجوب، أصوات بابل (مقاربات جينالوجية في اللغة والحراك السوسيو ثقافي الأفروآسيوي)، ط1، تانيت للنشر والدراسات، (طرابلس، تونس، الجزائر، الرباط)، 2014م.
79. عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا (العقيدة الدينية. الحياة الاجتماعية. الأفكار الفلسفية)، ط1، دار المدى، سوريا، 2004م.
80. عزمي سكر، السومريون في التاريخ، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1999م.

81. علي حسن، الموجز في علم الآثار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م.
82. علي عبد الجليل علي، الحرب على العراق رؤية توراتية يهودية، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن، 2004م.
83. عمر جاسم العزاوي، علم الآثار في العراق نشأته وتطوره، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م.
84. عيد مرعي، اللسان الأكدي (موجز في تاريخ اللغة الأكديّة وقواعدها)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م.
85. غاستون ماسبيرو، تاريخ المشرق، تر: أحمد زكي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014م.
86. غلين دانيال، الحضارات الأولى الأصول والأساطير، تر: سعيد الغانمي، ط1، دار الصدى، دبي، 2009م.
87. ف. دياكوف وس. كوفاليف، الحضارات القديمة، تر: نسيم واكيم اليازجي، ج1، ط1، دار علاء الدين، دمشق، (د.ت.).
88. فاضل عبد الواحد علي، من سومر إلى التوراة، ط2، دار سينا للنشر، مصر، 1996م.
89. فاطمة جود الله، سوريا نبع الحضارات (تاريخ جغرافية أهم الآثار في سوريا)، ط1، دار الحصاد، سوريا، 1999م.
90. فراس السواح، لغز عشتار (الآلهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1985م.
91. فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، (د.ت.).
92. فراس السواح، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة (سوريا، أرض الرافدين)، ط1، دار علاء الدين، دمشق، 1988م.
93. فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، ط1، دار صفحات، دمشق، سوريا، 2009م.

94. فوزي عبد الرحمن الفخراي، الرائد في فن التنقيب عن الآثار، ط2، جامعة قار يونس، ليبيا، 1993م.
95. فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، تر: جورج حداد وعبد الكريم رافق، مر: جبرائيل جبور، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1951م.
96. قاسم الشواف، ديوان الأساطير سومر وأكاد وآشور (الكتاب الثاني الآلهة والبشر)، تق: أدونيس، ط1، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1997م.
97. قسم الدراسات والبحوث لجمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، الخلق الأول، ط1، كيوان للطباعة، دمشق، 2009م.
98. كرستوفر لوكاس، حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، تر: يوسف عبد المسيح ثروة، دار الجاحظ، 1980م.
99. كلكتوف، الحياة الروحية في بابل (الإنسان، المصير، الزمن)، تر: عدنان عاكف حمودي، منشورات المدى، دمشق، 1995م.
100. كلية الفنون التطبيقية، تأريخ العمارة القديم (العمارة العراقية القديمة، العمارة السومرية)، ج1، بغداد، 2016م.
101. كوثر جاسم، صفحات من كتاب أصل السومريين الحقيقي رؤية جديدة لمؤلفه قاسم محمد غريب، 2012م.
102. لبیب عبد الستار، مجاز في التاريخ (الحضارات)، ط 17، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2008م.
103. ليونارد وولي، وادي الرافدين مهد الحضارة (دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ)، تر: أحمد عبد الباقي، دار الكاتب العربي، القاهرة، مصر، 1948م.
104. محمد أبو المحاسن عصفور، الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية، مطبعة المصري، مصر، 1962م.

105. محمد إسماعيل الندوي، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، دار الشعب، القاهرة، 1970م.
106. محمد بهجت قبيسي، حضارة واحدة أم حضارات في الوطن العربي، ط2، دار طلاس، دمشق، 2008م.
107. محمد حرب فرزات وعيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم، دار طلاس، دمشق، 1990م.
108. محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق.م، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1977م.
109. محمود أمهر، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2010م.
110. مديرية الآثار العامة، الأزياء العراقية (الأزياء السومرية)، بغداد، 1967م.
111. مرسيا الياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، تر: عبد الهادي عباس، ج1، سوريا، 1986م.
112. منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، دار جروس برس، لبنان، (د.ت.).
113. نائل حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة (دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار)، ج1، ط1، دار الخريف، دمشق، 2006م.
114. نائل حنون، حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، ط1، دار الزمان، دمشق، سوريا، 2007م.
115. نبيلة محمد عبد الحليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم، دار المعارف، مصر، 1973م.
116. نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم (حضارات الشرق القديم العراق، فارس)، ط2، دار المعارف الجامعية، مصر، 1967م.

117. نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج1، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985م.
118. نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، دار المعارف، مصر، 2010م.
119. نعيم الرضوي الحصونه، ملامح التوحيد في الديانة العراقية القديمة، مر: عادل هاشم علي، دار الفيحاء، لبنان، 2019م.
120. نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، دار الفكر، دمشق، 1972م.
121. نيقولاس أوستلر، إمبراطوريات الكلمة (تاريخ اللغات في العالم)، تر: محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005م.
122. نيكولاسبوستغيت، حضارة العراق وآثاره (تاريخ مصور)، تر: سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون، بغداد، 1991م.
123. ه.ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية (نشأة الكون والانسان والحضارات)، ج1، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م.
124. هاري و. ف ساكز، الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)، ط1، تر: كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 2000م.
125. هدى بوفرحات، قصة وتاريخ الحضارات العربية (9-10)، (د.د.ن)، بيروت، 1998م.
126. همايون كبير، التراث الهندي من العصر الآري إلى العصر الحديث، تر: ذكر الرحمن، مر: عمر الأيوبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2003م.
127. وداد الجوراني، الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1998م.
128. وديع بشور، سومر وأكد، (د.د.ن)، دمشق، 1981م.

129. وليد جادر، العمارة حتى فجر السلالات (حضارة العراق)، ج3، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، بغداد، 1985م.

130. ويل وايريل ديورانت، قصة الحضارة (الشرق الأدنى)، مج 01، ج 02، تر: محمد بدران، دار الجيل، لبنان، 1988م.

131. يوسف حبي، الإنسان في أدب وادي الرافدين، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1980م.

3/ المراجع باللغة الأجنبية:

1. André Lefèvre, **Les Merveilles de L'Architecture**, 4 éme édit, Librairie Hachette, paris, 1874.

2. André Parrot, **Sumerian Art**, The New American library by arrangement with UNESCO, 1970.

3. Barbara A. Somervill, **Great Empires of the Past (Empires of Ancient Mesopotamia)** edit Chelsea house, New York, USA, 2009.

4. Barbara A. Somevill, **Empire of Ancient Mesopotamia**, edit Chelsea House, USA, 2010.

5. Carole le Roche, **Découverte des Ecritures Anciennes Ecritures Cunéiformes de Mésopotamie et du L'evant**, édit Maison de L'orient et de la Méditerranée, Lyon, 2005.

6. Charles Penglase, **Greek Myths and Mesopotamia (Parallels and Influence in the Homeric Hymns and Hesiod)**, edit Routledge, London and New york, 1994.

7. Charles Saint-Prot, **Histoire de L'Irak de Sumer à Saddam Hussein**, édit Ellipses, Paris, 1999.

8. Don Nardo, **Ancient Mesopotamia**, Green haven press, USA, 2006.

9. école Antique de Nîmes, Paris, 1929.

10. Eliane Lopez, **L'Histoire des Civilisations**, édit Eyrolles, Paris, (s.d).

11. Elizabeth Rosemary Ellison, **A Stady of Diet in Mesopotamia (c.3000- 600 BC) and Associated Agricultural Techniques and Methods of Food Preparation**, Institute of Archaeology, University of London, 1978.

12. François De Salignac Fénelon, **La Création Les Migrations aux Temps Géologiques Les Premières Dates de L'histoire et Les Premières Races Humaines Suivant La Bible**, imprimerie et librairie Édouard Privat, Toulouse, 1908.

13. François Lenormant, **Histoire ancienne de L'Orient jusqu'aux guerres médiques**, 9 éme édit, Tome : 05, Librairie A. lévy, Paris, 1887.
14. Georges Roux, **La Mésopotamie**, édit du Seuil, Paris, 1995.
15. Gianni Marchesi and Nicolo Marchetti ,**Royal Statuary of Early Dynastic Mesopotamia**, winona lake, indiana, USA, 2011.
16. Guy Metraux, **Histoire de L'humanité**, le courrier (UNESCO), 1963.
17. Henri Frankfort, **Kings ship and the Gods (A Stady of Ancient Near Eastern Religion as the integration of Society and Nature)**, The University of Chicago Press, USA, 1978.
18. Henri Limet, **Ethnicity (A Companion to the Ancient Near East)**, Blackwell Publishing, USA, 2005.
19. J. De Morgan, **Les Premières Civilisations études sur La Préhistoire et L'Histoire jusqu'à la fin de L'Empire Macédonien**, édit Ernest Leroux, Paris, 1909.
20. J. Halévy, **Le Sumérisme et L'Histoire Babylonienne**, édit Ernest Leroux, Paris, 1901.
21. Jakob Andersson, **Kingship in the Early Mesopotamian Onomasticon 2800-2200 BCE**, Uppsala Universitet, Sweden.
22. Jens Hoyrup, **Sumerian : The Descendant of A Proto-Historical Creole (An alternative approach to the Sumerian Problem)**, annali del Dipartimento di Studi del Mondo Classico del Mediterraneo Antico, Universitario Orientale, Napoli, 1994.
23. L.Delaporte, **La Mésopotamie les Civilisations Babylonienne et Assyrienne**, Bibliothèque de Synthèse Historique, Paris, 1923.
24. M.A. Mazure, illustrations, **Ruines et Souvenirs des Capitales anciennes et modernes**, P.C. Lehuby Libraire éditeur, Paris, (s.d).
25. Marc Van De Mierop, **A History of the Ancient Near East ca 3000-323 BC**, second édition, Blackwell Publishing, USA, 2007.
26. Morten Braten, **Ancient Kingdoms Mesopotamia**, third Edit, Wizards of the coast, Canada.
27. Percy S.P. Handcock, **Mesopotamian Archaeology An Introduction to the Archaeology of Babylonia and Assyria**, Library of Macmillan and co. Ltd and Philip Lee Warner, London, 1912.

28. Pierre Miquel, **L'antiquité: L'orient de L'Égypte A Alexandre Le Grand**, édit Fernand Nathan, France, 1983.
29. Sabatino Moscati, **L'Orient avant les Grecs (Les Civilisations de la Méditerranée antique)**, presse Universitaire de France, Paris, 1963.
30. Samuel Noah Kramer, **History Begins at Sumer**, University of Pennsylvania Press, USA, 1981.
31. Samuel Noah Kramer, **The Sumerians Their History Culture and Character**, University of Chicago Press, 1963.
32. Stephen Bertman, **Ancient Mesopotamia**, Library of World History, New York, USA, 2003.
33. Stephen Bertman, **Handbook to Life in Ancient Mesopotamia**, University of Windsor, library facts on file, New York, 2003.
34. Théophile Homolle et Émile Male, **Monuments et Mémoires**, Tome 25, édit Ernest Leroux, Paris, 1921-1922.
35. William J. Hamblin, **Warfare in the Ancient Near East to 1600 BC (Holy Warriors at the Dawn of History)**, edit Routledge, London and New York, 2006.

4/ الموسوعات، المجلات، والمذكرات:

1) الموسوعات:

1. أحمد محمد عوف، موسوعة حضارة العالم، (د.د.ن)، (د.م)، 2000م.
2. حسن نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م.
3. حسين فهد حماد، موسوعة الآثار التاريخية (حضارات. شعوب. مدن. حرف. لغات)، دار أسامة، عمان - الأردن، 2003م.
4. سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، ط1، مركز دراسات الأمة العراقية، بغداد، 2009م.

5. الموسوعة العربية العالمية، ط 02، مكتبة الملك فهد الوطنية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1999م.
 6. نخبة من العلماء، الموسوعة الأثرية العالمية، إ.ش: ليونارد كوتريل، تر: محمد عبد القادر محمد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.
 7. هارفي بورتر، موسوعة مختصر التاريخ القديم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1991م.
 8. هاشم عبود الموسوي، موسوعة الحضارات القديمة، ط1، دار حامد، الأردن، 2013م.
- (2) المجلات:
باللغة العربية:
1. أبازر راهي سعدون الزيدي، لمحة في التنظيمات الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء النصوص المسمارية، مجلة الباحث، العدد 09، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العراق، 2013م.
 2. أبازر راهي سعدون الزيدي، مدينة أريدو ودورها الحضاري في بلاد الرافدين دراسة تاريخية، جامعة الكوفة، (د.م)، (د.ت).
 3. أحمد حسين أحمد، الصلات التجارية بين السومريين والمراكز التجارية في الخليج العربي (دلمون/ ماجان) أنموذجاً، مج: آداب الفراهيدي، العدد 19، 2014م.
 4. أحمد كاظم طاهر وفاتن منصور محمد، الآلات والأدوات الزراعية في بلاد الرافدين، مجلة الآداب، العدد 129، الهيئة العامة للآثار والتراث، العراق، 2019م.
 5. أحمد لفقة رهمة القصير، المدينة والمدنية في الحضارة العراقية القديمة (دراسة مقارنة في التكامل الحضاري للمدن العراقية القديمة)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 11، العدد 04، العراق، 2008م.
 6. أحمد لفقة رهمة القصير، دراسة في قدسية الجبل وقصة نمرود في ضوء المصادر المسمارية ونصوص التوراة، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 47، العراق، 2017م.

7. أحمد محمد شحود، الطقوس الجنائزية ودوافعها في بلاد الرافدين خلال العصر السومري (الألف الثالث ق.م)، مجلة جامعة تشرين للبحوث الدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 38، العدد 03، 2016م.
8. أحمد ناجي سبع، أور في زمن الملك (آبي- سين 2028- 2004 ق.م)، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، المجلد 02، العدد 02، قسم الآثار، جامعة بابل، العراق، 2012م.
9. أزهار هاشم شيت، الأخشاب، مصادرها، أنواعها، مجالات استخدامها عند الآشوريين، مجلة آداب الرافدين، العدد 55، 2008م.
10. إسماء عبد السلام مصطفى، مشاهد المرأة في فنون عصر فجر السلالات السومرية (2371-2800 ق.م)، مجلة الأنبار، المجلد 06، العدد 23، العراق، 2010م.
11. أياد عبد علي سلمان الشمري، نظريات نشوء أهوار العراق (دراسة جيومورفولوجية)، مجلة البحوث الجغرافية، العدد 21، جامعة ميسان، العراق، (د.ت).
12. آية طارق عبد الوهاب مظلوم، معالجات تصفيف الشعر عند المرأة بين عصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم، مجلة الأكاديمي، العدد 50، (د.م)، 2009م.
13. جواد مطر الموسوي وحسن حمزة جواد، الملابس القديمة الأثر والتأثير (العراق واليمن أنموذجا)، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج1، العدد 31، العراق، 2018م.
14. حميد مصطفى ناجي الياسري، ملابس المرأة دلالاتها التاريخية في ضوء المنحوتات الأثرية عند العرب قبل الإسلام، مجلة آداب الكوفة، العدد 45، العراق، 2020م.
15. خالد عبد الملك النوري، أسطورة دلمون ملامح من الأدب الأسطوري السومري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 26، جامعة الكويت.
16. رائد راكان قاسم عبد الله الجواري، المفاهيم الجغرافية البشرية في حضارة وادي الرافدين، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 04، العدد 02، جامعة الموصل، العراق، 2006م.

17. روز ميري اليسن، غذاء العراقيين القدماء، مجلة المؤرخ العربي، العدد 46، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1995م.
18. زين العابدين موسى جعفر آل جعفر، محصول الشعير في ضوء النصوص المسمارية، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد 13، العدد 03، 2015م.
19. سامي سعيد الأحمد، الطب العراقي القديم، مجلة سومر، مج30، ج1+2، مديرية الآثار العامة، العراق، 1974م.
20. ستار نوري العبودي، الشخصية التاريخية للمجتمع العراقي، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية، العدد 02، جامعة بابل، العراق، 2011م.
21. سعدون عبد الهادي برغش، الحيوانات المستأنسة والحيوانات البرية في أدب العراق القديم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، الجزء 03 من العدد 28، كلية التربية، جامعة واسط، العراق، 2018م.
22. سعدون عبد الهادي وعقيل عيد الله ياسين، الصلات التجارية والثقافية بين حضارتي العراق والهند في التاريخ القديم (2800 - 539 ق.م)، مجلة كلية التربية، العدد 10، جامعة واسط، (د.م).
23. سهيلة مجيد أحمد، صناعة مواد الزينة في العراق القديم، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 16، العدد 03، جامعة الموصل، العراق، 2020م.
24. شيماء عصام البلداوي، الموسيقى والطرب في العراق القديم، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 46، العراق، 2017م.
25. صالح عبد العزيز حميد، القلاع والتحصينات الدفاعية في بلاد الرافدين، المجلة العربية للثقافة، مج 26، العدد 50، تونس، 2007م.
26. طالب منعم حبيب وأحمد بشار جمعه، صيانة وترميم البيت في العراق القديم، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 23، العراق، 2016م.

27. عامر سليمان، دور الآثار والنصوص المسمارية في تعزيز هوية العراق، مجلة آداب الرافدين، العدد 43، العراق، 2006م.
28. عباس فاضل السعدي، التركيب الإثنولوجي لسكان العراق، مجلة كلية الآداب، العدد 68، جامعة بغداد، العراق، (د.ت.).
29. عبد العزيز إلياس سلطان، العلاقة بين الطبيعة وخلق الإنسان في الأساطير والمعتقدات والعلم، مجلة آداب الرافدين، العدد 43، العراق، 2006م.
30. عبد الكريم عبد الله، ألقاب حكام السلالات واسم أكد، قسم الآثار، جامعة بغداد، (د.ت.).
31. عبد الله علي محمد التميم، النصوص المسمارية ومصادقيتها، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 03، قسم التاريخ، جامعة تكريت، العراق، 2010م.
32. غسان طه ياسين، صناعة الفخار العراقي من أقدم العصور حتى نهاية التاريخ القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد 49، العراق، 2008م.
33. غيث حبيب خليل، التكوين السكاني للمجتمع العراقي القديم حتى سقوط بابل 539 ق.م، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 01، جامعة تكريت، العراق، 2009م.
34. غيث حبيب خليل، الحياة الاقتصادية في العراق في مرحلة إنتاج القوت والقرى الزراعية (العصر الحجري الحديث/ العصر الحجري الحديث المعادن)، مجلة الدراسات التاريخية الحضارية، قسم التاريخ، جامعة تكريت، العراق، (د.ت.).
35. فائز هادي العلي، البناء في بلاد الرافدين مفهومه والعوامل المؤثرة فيه، مجلة جمادي الإخوة، العدد 53، العراق، 2016م.
36. قصي منصور عبد الكريم، اسم العراق بين المدلول الجغرافي والسياسي في العصور القديمة (دراسة حضارية لغوية)، مجلة علوم إنسانية، العدد 24، تونس، 2005م.
37. كامل طه الويس، رياضة التجذيف في العراق القديم، مج 10، العدد 02، جامعة بغداد، 2001م.

38. كلكامش نبيل، دراسات وأبحاث في التاريخ التراث واللغات (وحدة الشعب العراقي وفقا للدراسات الجينية)، مجلة الحوار المتمدن، العدد 4313، العراق، 2013م.
39. لقاء جليل عيسى، فنون الصيد في العراق القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد 55، العراق، 2009م.
40. م. علاء عبد الدائم، الصراع اللغوي بين الحضارات السامية القديمة، مج 01، العدد 02، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العراق، 2012م.
41. مازن محمد حسين، الأسطورة في بلاد الرافدين دراسة في الفكر الأسطوري الملحمي في الثقافة السومرية والأكدية، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 06، العدد 04، العراق، 2016م.
42. محمد حمزة الطائي، أهم شارات الملكية في العراق القديم، مجلة آداب الرافدين، العدد 50، 2008م.
43. محمد سياب محان، تاريخ التنقيبات في مدينة نفر، مجلة كلية التربية، العدد 06، العراق، (د.ت).
44. محمد فهد القيسي، أثر المياه على الحروب في العراق القديم (3000-293 ق.م)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 52، جامعة واسط، 2016م.
45. محمد فهد حسين، حقيقة السومريين بين النفي والإثبات، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد السابع، 2012م.
46. محمد كامل روكان، سقوط أور ونهاية العصر السومري في حضارة بلاد الرافدين، المجلد الثاني عشر، العدد 04، قسم الآثار، جامعة القادسية، العراق، 2009م.
47. محمد كمال روكان، السقوف في مباني العراق القديم في ضوء المعطيات الآثارية والنصوص المسمارية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 72، العراق، 2019م.

48. محمد كمال روكان، جداول الملوك السومريين ملاحظات جديدة في ضوء التنقيبات، كلية الآثار، جامعة القادسية، العراق، (د.ت).
49. محمود عباد محمد الجبوري، دور الدبلوماسيين الغربيين في نهب آثار العراق وتخریب معالمه الحضارية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد: 07، العدد 03، 2012م.
50. المشروع العراقي للترجمة، بحثاً عن الآثار الجينية للسومريين: دراسة مسحية لمستوى التباين في الكروموسوم واي y والحمض النووي الميتوكوندري MTDNA، العراق، 2016.
51. ندى موسى عباس، تأثير البيئة الطبيعية على شخصية الفرد العراقي، مجلة ديالي، العدد 40، جامعة ديالي، العراق، 2009م.
52. نعيم عودة الزيدي وجمعة حريز الطلبي، أثر البيئة في ظهور المدينة ونشوء الدولة في بلاد الرافدين، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد الثاني، العدد 01، جامعة المثنى، العراق، 2019م.
53. نواله أحمد المتولي، القصب عند السومريين (دراسة لغوية)، مجلة آداب الرافدين، العدد 61، 2012م.
54. هادي العلوي، من التاريخ الحضاري لبغداد، مجلة الثقافة الجديدة العراقية، العدد 328، العراق، 2008م.
55. وقيد بدر مهدي، الغزاة الأعداء في نصوص بلاد الرافدين القديمة (دراسة تأريخية في ضوء النصوص المسمارية)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 03، العراق، 2020م.
56. وليد الزريبي، السومرية اسم جامع لتشکل اللغات الآفروآسيوية، القدس العربي، العدد 6063، 2008م.

باللغة الأجنبية:

1. Abbass Zueyyed Mawwan and Ahmed Aziz Salman, **Textile at Mesopotamia in Published Cueniform Texts and Art**, Journal of University of Babylon for Humanities, Vol 26, No 07, 2018.
2. Arkadiusz Soltysiak, **Physical anthropology and the Sumerian problem**, stadies in Historical Anthropology, vol 04, institute of Archaeology, Warsaw university, Poland, 2006.
3. D.T. Potts, **A Companion to the Archeology of the Ancient Near East**, Blackwell Companions to the Ancient World, Vol 01, USA, 2012.
4. Elizabeth Carter and Matthew w. Stolper, **Elam Surveys of Political History and Archaeology**, Near Eastern Studies, Vol 25, University of California Press, Library of Congress, USA, 1984.
5. Jack Cheng and Marian H.Feldman, **Ancient Near Eastern Art in Context (Studies in Honors of Irene J.Winter by her Students)**, Culture and History of the Ancient Near East, Vol 26, edit Brill, Leiden Boston, 2007.
6. Kadim Hasson Hnaihen, **The Appearance of Bricks in Ancient Mesopotamia**, Athens Journal of History, vol 06, Greece, 2020.
7. Rashidi Runoko, **The Kushite Origins of Sumer and Elam**, A Journal of African Studies, vol 12, California Digital Library.
8. V. Scheil et F. Thureau –Dangin, **Revue D’Assyriologie et D’Archéologie Orientale**, Vol 21, 1924.
9. Zaineb Bahrani, **Race and ethnicity in Mesopotamian antiquity**, World Archaeology, Vol 38, Routledge, England, 2006.

(3) المذكرات والأطروحات والرسائل:

1. إسرائ عبد السلام مصطفى وموسى العساف، فن النحت في العصر السومري الحديث، جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، إش: أحلام سعد الله الطالب، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2005م.
2. أوسام بحر جرك، الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الآثار القديمة، إش: جابر خليل إبراهيم، جامعة بغداد، 1998م.

3. باسل أياد سعيد، الثروة الحيوانية في العراق القديم، رسالة ماجستير، إش: أحلام سعد الله صالح الطالب، جامعة الموصل، 2008م.
4. براق عبد الحسين طاهر، الملابس في أختام بلاد الرافدين في الألف الثالث قبل الميلاد، رسالة مقدمة كجزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، إش: عباس علي عباس الحسيني، قسم الآثار، جامعة بغداد، العراق، 2017م.
5. خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي، اللغة السومرية وأثرها في اللغة الأكديّة، رسالة دكتوراه، إش: عامر سليمان إبراهيم، جامعة الموصل، العراق، 2006م.
6. شيماء صلاح أحمد الجنابي، الإله أنكي في حضارة بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية، رسالة ماجستير آداب في الآثار القديمة، إش: نواله أحمد المتولي، جامعة بغداد، 2007م.
7. عامر عبد الله الجميلي، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، رسالة ماجستير في تخصص تاريخ قديم، إش: حسين ظاهر حمود، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2001م.
8. عامر عمر سلام، ملاحم وأساطير خلق الكون والإنسان والبحث عن الخلود في بلاد ما بين النهرين، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ، إش: فوزي محمد رشيد والريح سنهوري الريح، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2004م.
9. غيث حبيب خليل، وادي الرافدين في عصر فجر السلاطات، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، اشراف: محمد طه محمد الأعظمي، جامعة بغداد، 2004 م.
10. هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ (صلات دلمون بآمورو وبآموريين 1530-2000 ق.م)، إش: هشام بدر الدين الصفدي، ط1، مركز الكتاب للنشر، (د.م)، 1997م.
11. وليد محمد صفائي، المصنوعات المعدنية في شبه الجزيرة العربية منذ بداية الألف الثالث ق.م وحتى نهاية الألف الأول ق.م دراسة مقارنة بمشيلاتها في حضارتي بلاد النهرين ومصر

القديمة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، إتش: علي رضوان، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر، 2012م.

5/ الأطلس

باللغة العربية:

1. أبو خليل شوقي، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002م.

باللغة الأجنبية:

1. Patrick K O'brien, **Atlas of World History**, Institute of Historical Reserch, University of London 2010.

6/ المعاجم والقواميس:

باللغة العربية:

1. حازم علي كمال الدين، معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م.

2. شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، ط1، جامعة الكويت، 1981م.

3. هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ط 02، دار جوروس برس، لبنان، 1991م.

باللغة الأجنبية:

1. Jean Augustin Bost, **Dictionnaire de la bible ou Concordance raisonnée des Saints écritures**, Librairie Protestante, Paris.
2. M.N. Theil, **Dictionnaire de Biographie, Mythologie, Géographie Anciennes**, Librairie de Firmin Didot Frères et fils, Paris, 1865.
3. Roger Caratini, **Bordas Encyclopédie Histoire Universelle (Le Monde Antique)**, édit bordas, Paris, (s.d).

6/ المؤتمرات والملتقيات:

1. شيماء ياس خضير العامري، أهوار الجنوب العراقي بين عراقه الماضي السومري ولاثحة اليونيسكو للتراث العالمي (هور الحويزة أنموذجا)، المؤتمر الدولي العالمي، جامعة واسط، 2021 م، (د.م).

7/ المواقع الإلكترونية:

1. <https://www.meisterdrucke.ae/fine-art-prints/Mesopotamia>.
2. <https://www.meisterdrucke.ae/fine-art-prints/Sumerian>.
3. <https://www.goodreads.com/author/show/3024021>.

المفهارس

فهرس الأعلام

حرف "أ"

إرنست دي سارزك: ص 39.

أ. سازونوف: ص 136، 141، 199،
229، 235، 238.
أريان: ص 110.

إ. سبايز: ص 37.
آشور بانيبال: ص 110، 229.

أ. ماكي: ص 249.
أفيري: ص 108.

إبراهيم رزقانة: ص 36.
ألالجار: ص 101.

إبراهيم عليه السلام: ص 93.
ألجار: ص 85.

أبي سين: ص 57.
ألوليم: ص 97، 101.

أحمد أرحيم هبو: ص 63.
إليان لوبيز: ص 14.

أحمد أمين سليم: ص 102، 134، 213،
216.
أمار سين: ص 262.

أنتميننا: ص 220.
أحمد داوود: ص 22، 81، 114، 118،
154، 252.
أنخدو أنا: ص 261.

أندرسون: ص 119.
أحمد سوسة: ص 49، 89، 144، 234،
255، 263، 264.
أندريه بارو: ص 242، 254.

أحمد فخري: ص 128.
أندريه والتر: ص 245، 246، 248.

آدم (عليه السلام): ص 51.
أنستاس ماري الكرمللي: ص 66، 190.

آدم فلكنشتاين: ص 253.
أنشاج كوشانا: ص 91.

أنشاكو شانا: ص 88، 91. حرف "ب"

أنطون مورتكات: ص 13، 186، 189، بالي: ص 147.

191، 254.

بترو دلافالي: ص 166، 170، 269.

أنكيديو: ص 85.

برتر: ص 271.

إنمركار: ص 141.

برعوشا: ص 117، 118، 160، 226.

أنيمين لوانا: ص 101.

برهان الدين دلو: ص 30.

أوانيس: ص 117.

بكنكهام: ص 271.

أوتونابشتم: ص 118.

بلاس: ص 242.

أور أنمكينا: ص 220.

بندنك: ص 162.

أور زابابا: ص 99.

بنيامين الطليطلي: ص 166.

أور نانشه: ص 197.

بهاء الدين الوردی: ص 119، 120.

أورنمو: ص 170.

بهنام أبو صوف: ص 26، 53، 233،

أورنمو: ص 261.

234، 239، 240.

أوستن هنري لايارد: ص 239، 241، بوبل: ص 93.

244، 258.

بول إيميل بوتا: ص 240، 241.

إيميل مال: ص 97.

بيار ميخائيل: ص 23.

أين شاكوش إنا: ص 91.

بيترز: ص 259.

إيناتوم: ص 91، 191، 220.

- جوزيف هاليفي: ص 26، 221. حرف "ت"
- تكسييه: 166. جول أوبرت: ص 39، 145.
- تيوفيل أومول: ص 79. جوليوس جوردان: ص 248، 249.
- حرف "ث" جون كلود مارغرون: ص 21، 24، 77، 115، 226.
- ثروت عكاشة: ص 194. جيلب: ص 64.
- ثوركليد جاكوبسن: ص 15، 102. ثورو دونجان: ص 243.
- حرف "ج" جينويلاك: ص 234، 242، 249. جيوفري بيبي: ص 117.
- ج. بوشامب: ص 236. حرف "ح" جاك لابييري: ص 75.
- جانسن: ص 27. حام: ص 160، 161.
- جلجامش: ص 85، 99، 105، 116، 118، 169، 171، 172، 177. حسن ظاظا: ص 25.
- جوديا: ص 111، 168، 201، 207، 259. حسن محمد محي الدين السعدي: ص 168.
- حمورابي: ص 159، 246. حميد الشمري: ص 241، 248.
- جورج رو: ص 39، 155، 256، 268. حواء: ص 51.
- جورج سارتون: ص 13، 71. جوزيف بوتام: ص 270.

حرف "خ"

ريمسين: ص 174.

خالد حيدر عثمان حافظ العبيدي: ص 135،

رينو: 120.

156، 188، 218.

حرف "ز"

ختانيش: ص 99.

زيوسودرا: ص 116، 118، 119.

خزل الماجدي: ص 50، 65، 138،

حرف "س"

153، 158، 191، 266.

س. كامير: ص 37.

حرف "د"

دامق إيليشو: ص 97.

س. كوفاليف: ص 31.

س. لانغدون: ص 249.

دانيال: ص 236.

سام: ص 47، 93.

دوكرو: ص 242.

سامي سعيد الأحمد: ص 34.

دي سارزاك: ص 168، 241، 242،

سايس: ص 27.

243، 254، 259.

سباتينو موسكاتي: ص 26، 191.

حرف "ر"

ستار نوري العبودي: ص 69، 145.

ر. ج بريدود: ص 167، 249.

سرجون الأول: ص 21، 29، 104، 111،

رالف لنتون: ص 128.

180، 194، 242، 261.

رشيد الناضوري: ص 15، 27، 48، 265.

سرجون الثاني: ص 108، 110، 112.

رمضان عبده علي: ص 226، 230.

سعيد إسماعيل علي: ص 89.

روبرت كولدواي: ص 245، 246، 248.

سليم مطر: ص 143، 160، 161.

صمويل نوح كريم: ص 18، 81، 86،
89، 93، 123، 124، 145، 147،
153، 154، 169، 221، 252، 253،
262.

حرف "ط"

طه باقر: ص 89، 144، 145، 154،
192، 200، 234، 254، 262، 263.

حرف "ع"

ع. مصري: ص 108.

عاد: ص 120.

عارف أحمد إسماعيل المخلافي: ص 121.

عامر حنا فتوح: ص 34، 51.

عامر سليمان: ص 34، 257.

عباس فاضل السعدي: ص 69، 190.

عبد الرحيم الجلي: ص 152.

عبد العزيز صالح: ص 139، 140، 193،
202، 257، 258.

عبد الله الحلو: ص 79.

عبد المنعم المحجوب: ص 29، 201.

سليمان سعدون البدر: ص 121.

سموقان: ص 87.

سنحريب: ص 60، 78.

سهيل قاشا: ص 54، 55.

سيتون لويد: ص 37، 42، 47، 79،
103، 104، 126، 146، 157، 169،
173، 182، 212، 225، 247.

سيد مظفر الدين نظفي: ص 22.

حرف "ش"

شار كالي شري: ص 90.

شبعاد: ص 173، 175.

شو سين: 262.

شوقي أبو خليل: ص 75.

شولجي: ص 261.

حرف "ص"

صباح محمد كاضم: ص 199.

صلوات كولياموف: ص 92، 142.

- عبد الوهاب حميد رشيد: ص 155، 171، 267، 268.
- فؤاد سفر: ص 234.
- فوزي رشيد: ص 40، 214، 254، 263، 265.
- عزمي سكر: ص 39، 75، 174، 183، 186، 198، 268.
- فيلهيم الثاني: ص 245.
- عمر جاسم العزاوي: ص 227، 269.
- فيليب حتي: ص 22.
- عيد مرعي: ص 55، 81، 89، 153، 187، 224، 227، 267.
- حرف "ك"
- ك. ماتيف: ص 136، 141، 199، 229، 235، 238.
- حرف "غ"
- غلين دانيال: ص 53، 75، 130.
- حرف "ف"
- ف. أفديف: ص 173.
- ف. ب. جونز: ص 218.
- ف. دياكوف: ص 31.
- ف. ب. جونز: ص 218.
- ف. دياكوف: ص 31.
- فاضل عبد الواحد علي: ص 43، 93، 260.
- فاطمة جود الله: ص 92.
- فران ديليتش: ص 27، 236.
- فرانل: ص 260.
- حرف "ل"
- ل. كينغ: ص 103.
- لاكوبيري: ص 148.
- لاندزبرجر: ص 34، 64، 218.

- لت: ص 147. محمد فهد حسين: ص 64.
- لوجال أني موندو: ص 99. محمود أمهز: ص 123.
- لوجال زاجيزي: ص 58، 88، 91، 100. محمود عباد محمد الجبوري: ص 258، 270.
- ليمان: ص 27.
- ليونارد وولي: ص 127، 167، 170. مس زاموج: ص 99.
- 175، 176، 177، 209، 222، 249. مسانبادا: ص 170، 176.
- 255.
- منى يوسف نخلة: ص 20.
- مورتييم رويلر: 131، 244.
- م. بيليتسكي: ص 141.
- م. ميكولسكي: ص 37.
- م. ي. ل مالوان: ص 167.
- محمد العبيدي: ص 199.
- محمد بهجت قبيسي: ص 89.
- محمد بيومي مهران: ص 159، 189.
- محمد حرب فرزات: ص 55، 89، 153.
- 187، 224، 227، 267.
- محمد عبد اللطيف محمد علي: ص 104.
- 188.
- نرام سين: ص 104، 111.
- نمرود: ص 160، 162.
- نائل حنون: ص 41، 54، 89، 90، 220، 262.
- نبويد: ص 104.
- نبيلة محمد عبد الحليم: ص 37، 82، 103.

- نوديمود: ص 87. وادل: ص 130، 201.
- نيكولاس بوستغيت: ص 152، 249. وديع بشور: ص 62.
- حرف "ه"
- ه.ج ولز: ص 17. وليام كنت لوفتوس: ص 170.
- ه.ج ولز: ص 17. ويسباخ: ص 27.
- هاري و. ف ساكز: ص 25. ويل ديورانت: ص 42، 81، 113.
- هال: ص 249. حرف "ي"
- هدى بوفرحات: ص 193. ي. كليما: ص 122، 127.
- هرمز رسام: ص 239، 240، 241، ي.م ديكانوف: ص 143، 199، 219.
244. يوليوس أوبرت: ص 91، 214.
- هندوكك: ص 144.
- هنري رولنسون: ص 91، 113، 145، 241، 258.
- هنري فرانكفورت: ص 35، 144، 184.
- هوبت: ص 27.
- هود: ص 120.
- هومل: ص 27.
- هيلبيرخت: ص 27.
- حرف "و"

فهرس الآلهة

حرف "أ"

إنانا: ص 141، 208. حرف "ش"

أنكي: ص 34، 56، 58، 85، 86، 90، شامر: 92.

حرف "ع"

113، 115، 116، 117، 119، 121،

136، 159، 172، 214.

عشتار: ص 128، 249، 263.

أنليل: ص 17، 55، 56، 58، 83، 84،

حرف "م"

85، 86، 87، 116، 119، 136، 137،

140، 155، 156، 159، 172. مردوخ: ص 67، 159.

آنو: ص 84، 119، 159. مشدما: ص 87.

حرف "ن"

آن: ص 86، 137، 214.

أوتو: ص 113، 141. ننخورساج: ص 160.

أورورو: ص 67. نن سيكال: 113.

أنزاك: ص 113، 119.

الأنوناكي: ص 56، 84، 102، 137.

حرف "د"

دموزي: ص 87، 99.

حرف "س"

سين: ص 169، 184.

فهرس الأماكن

أوريدو: ص 33، 34، 54، 63، 68، 92،	حرف "أ"
97، 100، 101، 116، 117، 135،	أرمينيا: ص 28، 42، 157، 160، 179،
139، 149، 150، 152، 153، 259.	189، 192.
أدب: ص 95، 99، 100، 103.	آسيا الصغرى: ص 102.
أمريكا: ص 23، 263.	إفريقيا: ص 33، 43، 160، 161، 179.
أم النار: ص 118.	أفغانستان: ص 126، 129، 135.
أمري: ص 128.	أكد: ص 41، 55، 66، 72، 81، 89،
الأهوار: ص 38، 67، 71، 87، 126،	90، 91، 111، 214، 268.
135، 144، 145، 152، 177.	الأناضول: ص 23، 70، 127، 133،
أناو: ص 132.	154، 162، 163.
آديامان: ص 146.	أنشان: ص 57.
أكشاك: ص 95، 99، 103، 265.	أور: ص 33، 34، 54، 56، 64، 75،
إيسن: ص 95، 97، 98، 103، 113.	78، 79، 85، 86، 89، 90، 91، 93،
الأحواز: ص 34.	95، 97، 99، 100، 103، 110، 111،
أوراسيا: ص 179.	151، 152، 153، 167، 168، 170،
أشنونا: ص 186.	171، 172، 173، 174، 175، 176،
أوان: ص 99، 128.	177، 180، 222، 231، 249، 255،
أكاروم: ص 113.	259، 261.

- إيبلا: ص 224.
- باريس: ص 112، 243.
- أذربيجان: ص 135.
- إيطاليا: ص 269.
- أوروبا: ص 16، 23، 75، 163، 179، 189، 192.
- آسيا: ص 16، 24، 33، 35، 62، 80، 141، 147، 161، 179، 219، 255.
- أوروک: ص 20، 33، 34، 43، 53، 63، 67، 90، 92، 100، 116، 128، 131، 132، 138، 141، 151، 177، 180، 218، 219، 213، 249.
- آسيا الوسطى: ص 20، 42، 48.
- آشور: ص 22، 42، 177، 245، 248، 249، 257.
- إيران: ص 23، 28، 43، 108، 123، 131، 132، 133، 134، 135، 144، 147، 150، 157، 163، 179، 180.
- حرف "ب"
- بادتيبرا: ص 100، 101، 116.
- الباربار: ص 118.
- البحر الأبيض المتوسط: ص 54، 58، 69، 88، 154، 162، 189، 192، 199.
- بحر قزوين: ص 127، 147، 178، 252.
- البحر الأسود: ص 127، 217.
- البحرين: ص 110، 112، 113، 119، 123.
- البحر الأسفل: ص 111.
- برسبوليس: ص 236.
- بريطانيا: ص 23، 231، 241، 244، 271.
- بلاد فارس: ص 70، 81، 144، 255.
- بلاد الشام: ص 26، 120، 127، 255.
- بلاد الكلدان: ص 75.
- بغداد: ص 32، 59، 83، 152، 169، 176، 206، 242، 249، 270.

،113 ،112 ،108 ،106 ،105 ،98	البنجاب: ص 129.
،129 ،128 ،127 ،126 ،121 ،117	بوينس آيرس: ص 162.
،139 ،136 ،135 ،133 ،132 ،130	بنسلفانيا: ص 170 ،259.
،150 ،149 ،146 ،145 ،144 ،140	بلوختان: ص 126 ،128 ،255.
،163 ،162 ،157 ،155 ،154 ،153	باكستان: ص 126.
،186 ،184 ،178 ،176 ،167 ،166	بيشون: ص 115.
،214 ،211 ،207 ،200 ،189 ،187	البصرة: ص 160.
،229 ،225 ،224 ،222 ،220 ،217	باب المنذب: ص 161.
،241 ،240 ،238 ،232 ،231 ،230	بيروت: ص 193.
،250 ،249 ،247 ،244 ،243 ،242	برلين: ص 207 ،245 ،249 ،263.
،262 ،260 ،256 ،255 ،253 ،251	بابل: ص 15 ،17 ،22 ،25 ،35 ،41
،271 ،268 ،267 ،265 ،263	،66 ،83 ،90 ،113 ،160 ،236 ،245
حرف "ت"	،248 ،249 ،260 ،269 ،270.
التاروت: ص 118.	بلاد الرافدين: ص 13 ،18 ،19 ،21 ،22
تركيا: ص 179.	،23 ،26 ،27 ،28 ،30 ،32 ،33 ،35
تل أبو شهرين: ص 149.	،36 ،37 ،39 ،40 ،41 ،42 ،43 ،46
تل أسمر: ص 181 ،249.	،47 ،51 ،53 ،54 ،59 ،61 ،62 ،63
تل أغرب: ص 249.	،64 ،65 ،68 ،72 ،74 ،75 ،76 ،77
تل الحريري: ص 201.	،79 ،80 ،81 ،82 ،88 ،90 ،92 ،97

- تل العبيد: ص 19، 20، 21، 34، 43،
55، 63، 67، 108، 122، 131، 132،
133، 135، 148، 149، 150، 151،
153، 167، 168، 170، 189، 192،
218، 232، 260.
- جرسو: ص 259.
- جمدة نصر: ص 19، 20، 21، 122،
128، 168، 170، 220، 232، 263.
- حرف "ح"
- حيسار: ص 132.
- تل العقير: ص 152.
- حرف "خ"
- تل حسونة: ص 31، 48، 134، 168،
232، 260.
- خرسباد: ص 240، 241، 258، 260.
- تل حلف: ص 40، 92، 156، 168،
260، 265.
- خرابا: ص 122، 124، 128، 129،
131.
- تل قوينجق: ص 167، 239.
- خفاجة: ص 169، 184، 249.
- تل نمرود: ص 239، 241، 257، 258.
- خمازي: ص 99.
- تللو: ص 39، 231، 242، 243، 254.
- الخليج الفارسي: ص 14، 23، 32، 42،
58، 71، 105، 256.
- حرف "ج"
- جرمو: ص 48، 61، 72، 167، 232.
- الخليج العربي: ص 22، 23، 38، 48،
59، 83، 88، 108، 110، 111، 112،
117، 118، 121، 129، 130، 170،
264.
- جنة عدن: ص 19.
- جبال زاجروس: ص 28، 92، 134، 135،
139، 142.
- جورجيا: ص 179، 217.

حرف "د"

دجلة: ص 14، 17، 23، 25، 26، 28، 32، 33، 38، 42، 52، 58، 62، 63، 65، 66، 67، 73، 75، 78، 81، 83، 84، 87، 116، 123، 126، 131، 134، 148، 153، 160، 169، 178، 218، 242، 249.

دلمون: ص 85، 108، 111، 113، 114، 116، 117، 119، 121، 122، 123، 129، 159.

دمشق: ص 75، 115.

الدولة العثمانية: ص 242.

ديالي: ص 134، 169، 249.

حرف "ر"

رحمان ديرى: ص 129.

رومانيا: ص 163.

حرف "ز"

الزاب: ص 134.

حرف "س"

سامراء: ص 40، 142، 156، 260، 265.

السند: ص 111، 121، 125، 128، 129، 130، 131، 133.

السهل الرسوبي: ص 64، 72، 105، 139، 154، 155، 263.

سورية: ص 29، 43، 61، 62، 112، 114، 118، 154، 158، 163، 178، 179، 249.

سوزا: ص 132، 133، 134.

السوس: ص 42.

سومر: ص 13، 14، 16، 18، 29، 30، 31، 32، 33، 41، 42، 49، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 62، 63، 66، 72، 83، 85، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 96، 105، 106، 116، 122، 123، 124، 136، 137، 138، 148، 153، 158، 160، 172، 180، 184، 190، 191، 214، 220، 242، 250، 252، 253، 259، 262، 266، 268.

- سيالك: ص 132، 180.
- الشرق الأدنى القديم: ص 13، 19، 20، 35، 37، 43، 61، 82، 102، 106، 116، 100، 95، 103، 116، 119.
- سيبار: ص 116، 103، 100، 95، 119.
- حرف "ش"
- الشرق الأقصى: ص 236.
- الشرق الأوسط: ص 18.
- حرف "ص"
- الصين: ص 147.
- الشرق العربي: ص 54.
- حرف "غ"
- غيلهون: ص 116.
- شروباك: ص 63، 64، 95، 100، 103، 116، 220.
- حرف "ع"
- العراق: ص 19، 20، 22، 25، 26، 27، 30، 34، 35، 36، 37، 39، 40، 41، 43، 46، 47، 49، 50، 53، 54، 55، 65، 69، 72، 77، 79، 82، 91، 97، 98، 102، 113، 120، 122، 131، 134، 135، 139، 140، 143، 144، 145، 147، 150، 152، 154، 156، 157، 159، 160، 161، 168، 170، 177، 179، 180، 188، 190، 192، 194، 196، 210، 216، 218، 228، 231، 232، 233، 235، 236، 237، 239، 247، 249، 251، 254، 257.
- شبه جزيرة الكوجرات: ص 129.
- شنعار: ص 19، 66، 83، 88، 160، 190.
- شتال هيوك: 125، 133، 146.
- شيكاجو: ص 167، 169، 249.
- شبه الجزيرة العربية: ص 22، 25، 26، 36، 82، 105، 108، 120، 121، 125، 127، 154، 160، 161، 179، 255، 264.

258، 259، 260، 264، 265، 269، قطر: ص 112، 252.

270، 271، 272.

القفقاس: ص 42، 217.

العقير: ص 220.

القوقاز: ص 146، 147.

عمان: ص 121.

حرف "ك"

عيلام: ص 57، 86، 126، 127، 135،

كالح (كلخو): ص 260.

150، 154، 163.

كاليباجان: ص 129.

حرف "ف"

كردستان: ص 92، 135، 145.

الفرات: ص 14، 17، 25، 26، 28، 32،

كيش: ص 34، 54، 90، 94، 96، 99،

33، 38، 42، 46، 52، 58، 62، 63،

100، 103، 104، 153، 168، 180،

64، 66، 67، 71، 73، 75، 78، 81،

220، 249.

83، 84، 87، 110، 113، 116، 123،

حرف "ل"

126، 131، 134، 146، 148، 153،

لاراك: ص 100.

162، 170، 178، 218، 255.

لارسا: ص 95، 97، 103، 110، 169.

فرنسا: ص 240، 242.

لبنان: ص 112، 179.

فلسطين: ص 43، 61، 158، 178.

لجش: ص 53، 54، 64، 97، 98، 103،

فليكا: ص 117.

110، 111، 153، 168، 191، 207،

حرف "ق"

220، 231، 242.

القاهرة: ص 189.

لورستان: ص 135.

القطر البحري: ص 34.

اللوفر: ص 169، 259.	مصر: ص 13، 27، 36، 42، 62، 120، 161، 213، 258.
حرف "م"	مضيق هرمز: ص 100.
الموصل: ص 240.	ملاطيا: ص 146.
ما بين النهرين: ص 13، 14، 20، 21، 29، 43، 49، 71، 75، 79، 122، 123، 124، 132، 133، 135، 142، 144، 147، 157، 160، 166، 168، 199، 226، 227، 229، 230، 235، 240، 243، 254، 256، 265.	ملوفا: ص 86، 129.
ماجان: ص 113، 118، 121، 125.	منغوليا: ص 255.
مارتو: ص 86، 159.	موهنجودارو: ص 122، 124، 127، 129، 131.
ماري: ص 34، 95، 100، 103، 112، 114، 201، 224.	ميزوبوتاميا: ص 15، 16، 31، 92، 142، 156، 199.
المحيط الهادي: ص 216.	حرف "ن"
مرتفعات حميرين: ص 34.	الناصرية: ص 170.
مرهاشو: ص 86.	نفر: ص 54، 88، 90، 91، 92، 110، 168، 243، 259.
مسجد الخميس: ص 119.	نهر القارون: ص 144.
المشرق العربي: ص 225.	نيبور: ص 17، 64، 136، 140، 153، 169، 242، 256.
	النيل: ص 22، 38، 46، 66، 79، 190.
	نيمس: ص 15.

نينوى: ص 60، 236، 240، 241، 257،
الولايات المتحدة الأمريكية: ص 231،
258، 260.
232، 259.

حرف "هـ"

هاشور: ص 86.

الهلال الخصيب: ص 71، 235.

الهند الصينية: ص 123.

الهند: ص 28، 37، 43، 62، 82، 92،
122، 123، 124، 126، 127، 128،
129، 236، 270.

هنغاريا: ص 162.

هيزار: ص 180.

حرف "و"

وادي السند: ص 82.

الوركاء: ص 29، 33، 83، 92، 99،
100، 104، 122، 134، 138، 140،
147، 153، 158، 168، 170، 180،
183، 208، 218، 220، 249، 259،
260، 263.

فهرس الشعوب

حرف "أ"

الأموريون: ص 72.

الأتراك: ص 179.

الأنكلوسكسونيون: ص 21.

أجاروم: ص 119.

الأوروبيون: ص 166، 199، 227، 230،
251، 263.

الأرمن: ص 179.

الإيرانيون: ص 81، 178، 179، 255.

الآريون: ص 46، 161، 267.

حرف "ب"

الآسيويون: ص 23.

البابليون: ص 12، 18، 22، 39، 46،
89، 90، 91، 108، 144، 178، 180،
212، 226، 254.

الآشوريون: ص 12، 18، 39، 46، 108،
178، 179، 180، 210، 226، 253،
254، 258، 260.

البريطانيون: ص 170، 236، 241،
258.

الإغريق: ص 18، 110، 161، 166،
226، 227.

بني كوش: ص 160، 161.

الأكديون: ص 18، 23، 26، 29، 34،
46، 65، 72، 82، 89، 91، 105،
168، 178، 190، 221، 226، 254،
261، 268.

حرف "ت"

التركمانيون: ص 69، 178.

حرف "ج"

الأكراد: ص 69، 142، 178.

الجبابرة: ص 118.

الألمانيون: ص 21، 245، 246، 247،
248، 249.

الجزريون: ص 69.

الجورجيون: ص 178، 179.

الأمريكيون: ص 233، 241، 247.

حرف "ح"

الحاميون: ص 161.

الحوريون: ص 23.

الحيثيون: ص 120، 190.

حرف "د"

الدجلويون: ص 65، 154.

حرف "ر"

الرومان: ص 110، 226.

حرف "س"

السريان: ص 66، 190.

السوباريون: ص 57، 72.

السوريون: ص 179.

الساميون: ص 22، 24، 25، 27، 28،

30، 43، 63، 123، 161، 187، 188،

189، 190، 200، 201، 255، 256،

261، 263، 265، 267، 272.

السومريون: ص 12، 13، 14، 15، 16،

18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25،

26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33،

حرف "ش"

الغيلاميون: ص 23، 72، 134، 135،
190.

الشاميون: ص 158.

حرف "ق"

الشبك: ص 178.

الفراتيون: ص 34، 64، 65، 69، 154،
218، 268.

الشركس: ص 178.

حرف "ص"

الفراعنة: ص 120.

الصينيون: ص 147.

الفرس: ص 190.

حرف "ط"

الفرنسيون: ص 21، 241، 258، 260،
270.

الطورانيون: ص 161.

حرف "ع"

الفلسطينيون: ص 179.

عاد: ص 119، 120.

الفينيقيون: ص 190.

العبرانيون: ص 18، 66، 93، 190.

حرف "ك"

الكلدانيون: ص 34، 38، 46، 160،
161، 236، 254.

العبيديون: ص 65، 69، 108، 124،
148، 153، 154، 179.

الكوردستانيون: ص 92.

العراقيون: ص 30، 94، 179، 210،
227، 234، 254، 278.

حرف "ل"

اللبنانيون: ص 179.

العرب: ص 22، 66، 69، 178، 190،
237.

حرف "م"

المارتو: ص 72.

المصريون: ص 14، 38.

المعدان: ص 179.

المغول: ص 42.

المندائيون: ص 178، 179، 180.

حرف "هـ"

هندو - أروبية: ص 37، 82، 92، 129،

178، 222.

فهرس الموضوعات

الصفحة:	الموضوع:
أ-ر	مقدمة
44-12	مدخل
106-46	الفصل الأول: سومر والبدائيات
46	1. البدايات الأولى للحضارة
83	2. أساطير انطلاق الحضارة
88	3. أصل تسمية سومر (المسميات التاريخية)
94	4. قائمة الملوك كمصدر أثري لتأريخ العصور السومرية المبكرة (تحليل ونقد المحتوى)
164-108	الفصل الثاني: نظريات الأصول السومرية
108	1. نظريات الأصول الآسيوية
108	أ نظرية الأصل الخليجي والجزيري
122	ب نظرية الأصل السندي الهندي
131	ج نظرية الأصل العيلامي
145	د نظرية الأصل الأناضولي
147	ه نظرية الأصل القوقازي
147	و نظرية الأصل الصيني
148	ز نظرية الأصل المحلي
157	ح نظرية الأصل الأرمني
158	ط نظرية الأصل الشامي (سوريا وفلسطين)

159	2. نظريات الأصول الإفريقية والمتوسطة
159	أ نظرية الأصل الزنجي
162	ب نظرية الأصل الإيجي
162	3. نظريات الأصول الأوروبية
162	*نظرية الأصل الهنغاري
222-166	الفصل الثالث: الدراسات التطبيقية والأصول السومرية
166	1. الدراسات الأثرية
170	2. الكشف عن مقبرة أور (الدليل الأركيولوجي على عصر فجر السلاطات السومرية)
178	3. الدراسات الأنثروبولوجية والجينية
214	4. الدراسات اللغوية
272-224	الفصل الرابع: مقارنة المعطيات النظرية والدراسات التطبيقية
224	1. النتائج المختلفة بين الدراسات النظرية والدراسات التطبيقية حول المسألة السومرية
228	2. النتائج المتطابقة بين الدراسات النظرية والدراسات التطبيقية حول المسألة السومرية
230	3. مقارنة نتائج الدراسات القديمة والدراسات الحديثة
230	أ نتائج الدراسات القديمة
232	ب نتائج الدراسات الحديثة
235	4. مقارنة نتائج الدراسات الغربية والدراسات المحلية
235	أ الدراسات الغربية حول قضية "التأصيل الحضاري"

235	أ. 1/ نتائج الدراسات الغربية
252	أ. 2/ آراء المؤرخين والآثارين الأجانب حول قضية التأصيل الحضاري
257	ب الدراسات العربية حول قضيتي "التنقيبات الأجنبية" و"التأصيل الحضاري"
257	ب. 1/ آراء المؤرخين والآثارين العرب والعراقيين القدماء
268	ب. 2/ آراء المؤرخين والآثارين العرب والعراقيين المستحدثين
274	خاتمة
281	قائمة الملاحق
287	قائمة البيبليوغرافيا
310	الفهارس
312	1. فهرس الأعلام
321	2. فهرس الآلهة
323	3. فهرس الأماكن
333	4. فهرس الشعوب والقبائل
338	5. فهرس الموضوعات